

This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

Princeton University Library
32101 063602625

Digitized by Google

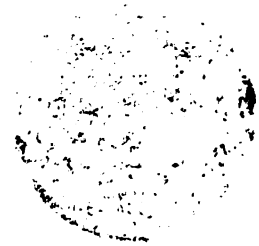
Digitized by Google

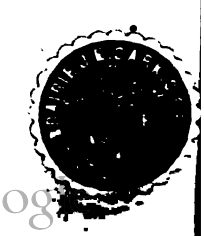
[redacted]

Ibn Hijjah al-Hamawi

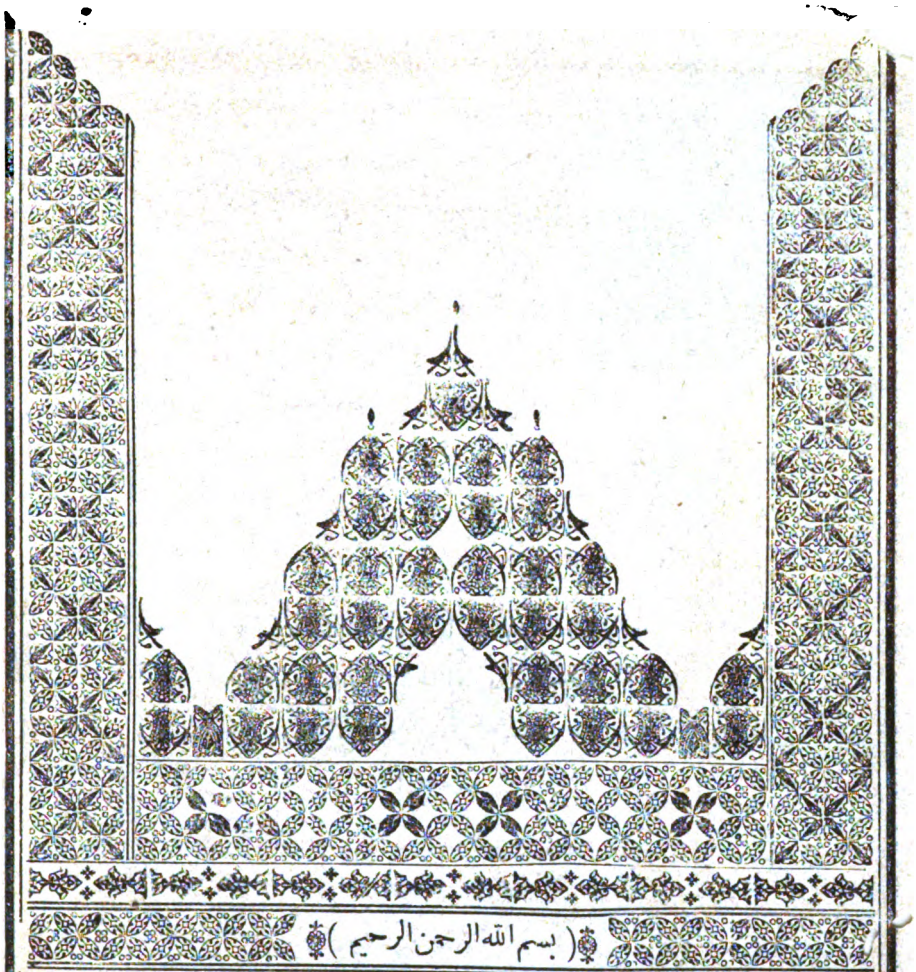
Khizanat al-adab

هذه خزانة الادب وغاية الارب للعالم
الاديب واللوذعي الاريب الشيخ
تقي الدين ابو بكر ابن حجة
الحموي





Digitized by Google



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله البديع الرفيع * الذى احسن ابتداء خلقنا بصنعته واولانا جميل الصنيع * فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع * أدّب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه * حتى ارشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب واوضح لنا بديعه وغريبه * نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام * ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فاحسن النظم واعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام * ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بانه الواحد * وان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الأعراب والاعراب اعظم شاهد * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره * وانواع بديعه وديباج صدره * وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طراز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد ابن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعده * وحلب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبده * وماذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى

برحمته

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

برحمته لانه ما التزم فى بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غير أن الشيخ عز الدين ما اعرب عن بناء بيوت اذن الله ان ترفع * ولا طالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن ابى الاصبع * وربما رضى فى الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى * ونثر شمل الالفاظ والمعانى لشدة ما عقده تظما *

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

فاستخار الله مولانا الناصرى المشار اليه ورسم لى بنظم قصيدة اطرز حلتها ببديع هذا الالتزام * واجارى الحلى برقة السحر الحلال الذى يثقف فى عقد الاقلام * فصرت اشيد البيت فيرسم لى بهدمه وخراب البيوت فى هذا البناء صعب على الناس * ويقول بيت الصفى اطفى مورد او انور اقتباس * فاسن كل ماحده الفكر واراجعه ببيت له على المناظرة طاقه * فيحكم لى بالسبق وينقلنى الى غيره وقد صار لى فكرة الى الغايات سباقه * فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال * وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال * وسميتها تقديم ابى بكر عالما انه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال * وكان المشار اليه عظم الله شانه هو الذى مشى امامى واشار الى هذا السلوك وارشد * فاقتديت برأيه وهل يقتدى ابو بكر بغير محمد * فقلت.

*(لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم * براعة تستهل الدمع فى العلم)*

اعلم انه اتفق علماء البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع اهلة المعانى واضحة فى استهلالها وان لا يتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول اجنبيا من شطره الثانى وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفى هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان اخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد فى هذا الباب قول النابغه

كليني لهم يا اميمة ناصب * وليل اقاسيه بطئ الكواكب

قال زكى الدين ابن ابى الاصبع لعمرى لقد احسن ابن المعتز الاختيار فانى اظنه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرء القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرء القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعانى وليس فى الشطر الثانى شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة افضل من جهة ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرء القيس اكثر معان وما عظم ابتداء امرء القيس فى النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال اعنى ابن ابى الاصبع اذا وصلت الى قول البحترى من هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهو قوله

717251
Digitized by Google

يودى لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم اسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكى الدين ابن ابى الاصبع ولقد احسن ابو الطيب المتنبى حيث قال

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

ومثله قوله (اى قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم ادر أى الظاعنين اشيع

وما الطف قول ابى تمام فى هذا الباب

لا انت انت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول ابى العلاء المعرى

ياساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقد خلب القلوب ابن المعتز فى تناسب القسمين بقوله

اخذت من شبابى الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وما احلى ماناسب ابن هانئ قسمى مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف ابو جعفر البياضى يشير الى الرفق بالابل عند السرى وتلطف ماشاء فى تناسب القسمين حيث قال

رفقا بهن فما خلقن حديدا * اوماتراها اعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يفلين ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجا بدمائهن البيدا

فكانهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب فى الذوق من هذا الباب قول ابن قاضى ميله

يزيد الهوى دمعى وقلبى المعنف * ويحيى جفونى الوجد وهو المكلف

وقد تبه مشايخ البديع على يقظة الناظم فى حسن الابتداء فانه اول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر فى احوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد مايكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ماينا سبها وخطاب الملوك فى حسن الابتداء هو العمدة فى حسن الادب فقد حكى ان ابا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك فى مجلسه فانشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كانها فى الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك احول فاخرجه وامر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع ابيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية اولها

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها اعابوا على ابى الطيب المتنبى خطابه لممدوحه فى مطلع قصيدة حيث قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن امانيا

ومن مستقبحات الابتداء قول البحترى وقد انشد يوسف بن محمد قصيدته التى اولها

* لك الويل من ليل تقاصر آخره *

فقال بل لك الويل والحزى وأما قصة اسحاق بن ابراهيم الموصلى فى هذا الباب فانى انفعل واخجل عند سماعها وماذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع فى انشاء قصيدة تزل بمطلعها الى الحضيض * وكان هو وحكاية الحال فى طرفى نقيض * وهو

يادار غيرك البلا وبحالك * ياليت شعرى ما الذى ابلالك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وامر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحاق وسير الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان احسن ابتداء ابتدابه مولد قول اسحاق الموصلى حيث قال

هل الى ان تنام عينى سبيل * ان عهدى بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خيول السهو الى ان خاطب المعتصم فى قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة ابى نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تتحلى بشعاره مع بلوغه فى تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما اقوت وطيب نسيم

وقصة ذى الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحاق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فامره بانشاد شئ من شعره فانشد قوله

* مابال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك ريشة فهى تدمع ابدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ماسوالك عن هذا يا ابن الفاعلة فقته وأمر باخراجه انتهى ما اوردته فى حسن الابتداء للعرب والمولدين وقول الشعراء ونبهت على حسنه وقبيحه ولكن جذبنى يا اخا العرب نسبة المتاخرين الى ان اثبت فى هذا المحل تشبيبها ونسيبها * واظهر فى شرح هذه البديعية الا آهلة بديعها وغريبها ليعلم من تنزه فى هذه الحدائق الزاهرة ان مار بيع الآخر من ربيع الاول بعيد * واذا تحقق ان لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد * وهنا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع احد علوم الادب الستة وذلك انك اذا نظرت فى الكلام العربى اما أن تبحث عن المعنى الذى وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب مايعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذى يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف اواخر الكلم وهو علم العربية واما ان تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوى وهو علم المعانى واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع

Digitized by Google

الى العقل وقال ابو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره ابو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى اقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه ونحوه ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لا تمالامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وانت اشعر منه فقال له انشدنى شيأ من قوله اعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كان اذ ريونها * والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ما عون بيته لانه ابن الخلفاء وانا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به امدح هذا مرة * واهجو هذا كرة * واعاتب هذا تارة واستعطف هذا طورا انتهى كلام ابن رشيق * ورأيت الشيخ شمس الدين ابن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من انواع البديع حتى اورد لهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كنا فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايراد ما وعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها * والمتاخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان اوائلها *

زار الصباح فكيف حالك يا دجى * قم فاستذم بفرعه او فالنجا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا تزم بالقول سهما بعد ما نفلا

وما الطف ما قال بعده

وما يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا اعى

وما الطف ما قال بعده

يقول وما عنده انى * بغير فؤاد ولا اضلع
اما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يا فتى ما معى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تنتبه به الى فتح هذا الباب وهو

يا ساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد ما نزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فاحلى معها مكرر نباته واجرى الصفى معها ينابيع فكره فما صفى له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير فى افنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين راى * مجامر الزهر فى اذياله نفحت

ومما يحسن نظامه فى هذا السلك قوله

رنا واثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما اكثر القتلى وما ارخص الاسرى

ومما اختاره الشيخ جمال الدين ابن نباتة رحمه الله من ديوان ابى الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن فى هذا الباب قوله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر انداء

وقوله

قفا واسألا منى زفرا وادمعا * اكانا لهم الا مصيفا ومربعا

وهو من الغايات التى اختارها الشيخ جمال الدين ابن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع ابى الفتوح نصر الله ابن قلاقس فطالعت الفن الغريب * وفتح على تأمل الفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب * بيد أنى وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا * وسيأت يكاد يذكرها ابن قلاقس يقلا * انتهى كلام الشيخ جمال الدين ابن نباتة ومما وقع فى تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين ابن البارزى رحمه الله وهو

يذكرنى وجدى الحمام اذا غنى * لانا كلانا فى الهوى يعشق الغصنا

ذكر الصلاح الكتبى فى كتاب الوفيات ان الشيخ اثير الدين ابا حيان قال رأيت الشيخ المذكور صوفيا بحماه المحروسة وانشدنى لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها

اراك فاستحى فاطرق هيبة * واخفى الذى بى من هواك اكتم
وهبات ان يخفى وانت جعلتنى * جميعى لسانا فى الهوى يتكلم

وتوفى بعد الثمانين والستمايه * واما مطلع الشيخ شمس الدين ابن العفيف فى هذا الباب فظرافته لا تنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال فى شطره الاول

* اعز الله انصار العيون * وفى الثانى
* وخلد ملك هاتيك الجفون *

وما اظرف ما قال بعده

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وما احسن ابتدا آت الشيخ عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماه فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله

حروف غرامى كلها حرف اغراء * على ان سقمى بعض افعال اسماء

وقوله

ويلاه من نومى المشرد * واه من شملى المبدد

وقوله

اهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء اهلا

وما احلى ما قال بعده

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على ان لا

وقد توارد هو وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو ساعدونى بالكرى

وقول مهيار الديلمى فى هذا الباب مشهور والذى اقوله ان الشيخ جمال الدين ابن نباته نبات هذا البستان * وقلادة هذا العقيان * ومن مطالعه التى هى ابهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد

وقوله

بداورنت لواحظه دلالا * فما بهمى الغزالة والغزالا

وقوله

سلبت عقلى باحداق واقداح * ياساجى الطرف بل ياساقى الراح

وما الطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين ياصاح

وقوله

انسان عينى بتعجيل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله

نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * باى ذنب وقالت الله قد قتلت

وقد تقدم شروط لابد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وقالت الله حشو اللوزنيج وقوله

لام العذار اطالت فيك تسهيدى * كانها الغرامى لام توكيد

ولولا الاطالة لافعمت الاذواق من هذا السكر النباتى * ورأيت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما انا من يحيى الى حين نلتقى

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماه ومطلعها فى حسن الابتداء حسن

سمعنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على ابن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو

بدر اذا ما بدا لحياه * أقول ربى وربك الله

قوله شروط لابد من اجتنابها

وعارضه

Digitized by Google

وعارضه الشيخ جمال الدين ابن نباته فى هذه القصيدة بعينها وترقى الى مطلع بدره وزاحمه فى حسنه فطلع الشيخ جمال الدين

له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ اجارك الله

ومن مطالعى التى حصل لى فيها الفتوح فى هذا الباب قولى

طلعتم بدورا فى اعز المطالع * فبشرنى قلبى بسعد طوالعى

وقولى

اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير

وقولى

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما افادت قلبى سوى التقطيع

وقولى

لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت فى حبهم يا ليتهم شعروا

وقولى

جردت سيف اللحظ عند تهددى * يا قاتلى فسلبتنى بمجرد

وقولى

هواى بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذرى

وكانى بمنتقد تالم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفى الشروط الادبية فى مباشرة هذا العقد وقولى

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * باليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من المخاديم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين ابن نباته وتخيروا الى خمس قصائد منها قصيدته الكافية التى مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثانى من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم فى مطلع امرء القيس من الكلام على ان فى شطره الاول ما ليس فى الثانى * وقد اتفق علماء البديع على ان عدم تناسب القسمين نقص فى حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكى الدين ابن ابى الاصبع ان مطلع النابغة افضل من مطلع امرء القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرء القيس اكثر معان انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين فى مطلعه

تمذهبت فى هجرى بطول مطالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعى الذى عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك * فداوى بنى الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطلع الشيخ صفى الدين الحلى فى قصيدته الجيمية التى هى من جملة القصائد الارتقيات التى امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما ابقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثانى ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول فى الطريق الغرامية ليس له

Digitized by Google

مثيل ومن انكر هذا النقد يتطرق في مطلع الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض قدس الله سره فانه في هذا الباب طرفة وهو

مابين معترك الاحداق والمهج * انا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق ان الشيخ نور الدين علي بن سعيد الاندلسي الاديب المشهور الذي من نظمه قوله

واطول شوقي الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق

عنها أخذت الذي تراه * يعذب من شعري الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجري والتلعفري واكثر المطالعة فيهما وراجعني بعد ذلك فغاب عنه مدة واكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا في الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير في غضون المحاضرة

يابان وادي الاجرع * وقال اشتهي ان يكمل لي هذا المطلع فافكر قليلا وقال *

سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامي أن تقول *

هل ملت من طرب معي * وما الطف مطلع الحاجري في هذا الطريق

لك أن تشوقني الى الاوطان * وعلي أن ابكي بدمع قاني

والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين ابن النقيب فانه اعدل شاهد مقبول * والتشبيب بنفسه الطيب يغني في هذه الحضرة عن الموصول * وهو

قلدت يوم البين جيد مودعي * درر انتظمت عقودها من ادمعي

وبالنسبة الى حسن الابتداء آت مطلع الشيخ برهان الدين القيراطي مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل في جنباتها

فانه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده في حسن الابتداء وقد آن ان احبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم اطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويدا وي علل فهمه بحكم المتقدمين * ويتنزه في رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين * انتهى ما اوردته في حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا في براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب او عذر او تنصل او تهنئة او مدح او هجو وكذلك في النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء وما سمي هذا النوع براعة استهلال الا لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة

واهل

Digitized by Google

وأهل الحجيج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية وسمى الهلال هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيد براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

فاشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكي الدين ابن ابي الاصبع قال براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة في حكمها وتحشمها وتسييرامثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة اكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب اليه هذه القصيدة التي من جملتها

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب

ومنها

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها

وما راعني غدر الشباب لانني * ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمي * فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا حالهم في مآدب * لديكم وحالي عندكم في نوادب
تأخرت لما قدمتكم علاكم * علي وتابى الاسد سبق الثعالب
ترى اين كانوا في مواطني التي * غدوت لكم فيهن اكرم خاطب
ليالي اتلو ذكركم في مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمي فانه بلغه انه وشي به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه في معرض التغزل والنسيب فقال

اماوهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليك فاسهلا

وما احلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكم ثرفارتاب ولو شاء قللا

واذكر في مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين ملك المتأدبين ابي الحسن علي ابن الآدمي الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من جاه المحروسة الى ابوابه العالية بدمشق المحروسة وريا حين الشيبة غضة وكانت مطالعاتي قد تاخرت عن ابوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهي رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل في حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال اولها

وصلت ولكن بعد طول تشوق * ودنت وقد رقت لقلبي الشيق

Digitized by Google

وما احلى ماقلت بعده

فثملت من طرب برجع حديثها * فكانما قد نادمت بمعتق

وجمعها على هذا الطريق البديعي ومثله ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشاء بدمشق قصد نقلتي من حماه المحروسة الى ابوابه العالية وحب حماه يفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي في بعض قصائدي فيها

يلذ عناق الفقر لي بفنائها * وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بيننا فكتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف وبلابل الغزل تغرد في افنانها على طريقة مهيار الديلمي وطريق مولانا قاضي القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه وبراعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلمونا * ما عليهم لو انهم كلمونا

ولم اعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها

غلقوا باب وصلهم فتح اللـ * ـه لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نحل عنهم ولو قطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل اغازل عيون هذه المعاني الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

والحشا لم يخن عهود وفاكم * فاسئلوا من غدا عليها امينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة العلامة لسان الدين الخطيب وهي

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن احكامه لا يسأل

فانه قال نظمت للسلطان اسعده الله وانا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا لاستهلالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت انشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها الفتح الغريب * في الفتح القريب * منها

فاذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيد وا وتوكلوا

ومنها

امحمد والحمد منك سجية * بجليها بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السحاب الغر والشيم التي * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا نزلت على الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

تاب

Digitized by Google

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يامر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول
والله قد ولاك امر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تعمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن اوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل
والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبتلع الزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت قد اعتدت * تختال فى برد الشباب وترفل
خرقاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل
صبحتهم غرر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد اغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن ممشقة وطرف اكحل

ومنها

وخليج هندر اق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل
غرقت بصفحته التمال واوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منـ * ـه مورد والشط منه مهدل
وبكل ازرق ان شكت الحاظه * مره العيون فبالحجاجه يكحل
متأود اعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له أن النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
فله موقفك الذى وشباته * وشباته مثل به يتمثل
والخيل خط والجمال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها فرائد ولم اكثر منها الا لعلى ان نظم الوزير لسان الدين الخطيب رحمه الله تعالى غريب فى هذه البلاد ومن البراعات التى يفهم من اشاراتها انها تهنئة بمولود قول ابى بكر ابن الخازن رحمه الله تعالى

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا * وكوكب المجد فى افق العلا صعدا

ومما يشعر بقرينة الذوق ان الناظم يريد الرثاء قول التهامى

حكم المنية فى البرية جارى * ما هذه الدنيا بدار قرار

وهذه القصيدة يرثى بها ولده وهى نسيج وحدها * وواسطة عقدها *

ومنها

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

Digitized by Google

جبلت على كدروانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وما اعلم ان احدا استهل للمراثى باحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى والده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعداءى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى فى تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماه وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضى المدح والرثاء فى كل بيت وبراعتها

هناء محاذاك العزا المتقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغورا بتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
يرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سبحان المانح والله من لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه وكتب اليه الشيخ صلاح الدين الصفدى قصيدة ضمن فيها اعجاز معلقة امرء القيس وصرح فى براعتها بغليظ العتب ولم يأت فى البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال

انى كل يوم منك عتب يسوءنى * كحلمود صخر حطه السيل من عل

فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها

فطمت ولاءى ثم اقبلت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل

والاشارة بقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب ما مراده منها وفى هذا القدر كفاية وما احلى ما قال بعده وهو مما قصده فى تلك الاشارة

فدونك عتب اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

وهنا بحث وهو انى وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين ابى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

بطيبة انزل وبم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل اطلق التصريح وتر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لا بد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سائغ بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين ابا جعفر الاندلسى شرحها شرحا مفيدا وهنا فائدة وهو ان الغزل الذى يصدر به المديح النبوى يتعين على الناظم ان يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع والكاف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل فى ثغر الرد ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما اشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من اهل الادب وبراعة الشيخ صفى الدين

الحلى فى هذا الباب من احسن البراعات واحشمها وهو

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقرأ السلام على عرب بذى سلم

فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده ادنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة ايضا فى هذا الباب من احسن البراعات ايضا وهو

امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبوية وما احلى ما قال بعده

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة * واومض البرق فى الظلماء من اضم

وحشمة الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الاديب منها اسلوب الادب وهى

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالفضا تتسعر

وما احشم قوله بعده

وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر

سقى الله اكناف الفضا سائل الحيا * وان كنت اسقى ادمعا تتحدر

وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عذيب هذا البارق * وحلبة مجرى هذه السوابق * لانى لم اخرج فى غزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وقلت بعده

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم

ولما روى اخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

ومما اليقه ان يكون صدرا للمدائح النبوية ومنها

فيا عرب الوادى المنيع حجابه * واعنى به قلبى الذى فيه خيموا

رفعتم قبابا نصب عينى ونحوها * تجر ذيول الشوق والقلب يجزم

ويا من اماتونا اشتياقا وصيروا * مدامعنا غسلا لنا وتيمموا

منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقد متنا فصلوا وسلموا

يقولون لى فى الحى اين قبابهم * ومن هم من السادات قلت هم هم

عريب لهم طرفى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم

ومن الطف الاشارات الى ان هذا الغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها

اورى بذكر البان والرند والنقا * وسفح اللوى والجزع والقصد انتم

ولم ازل فى براعة الاستهلال استهل اهلة هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت

تقنعت فى حبى لهم فتعصبوا * على وهم سادات من قد تلثموا
لهم حسب عال ببطحاء مكة * لان رسول الله فى الاصل منهم

ومن الاغزال التى لا تليق أن يكون غزلها لمديح قصيد نبوى قصيد السرى الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها

مهلا فما نقلوا اثار والده * وانما نقضوا فى قتله الدينا

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن على عليهما السلام فما ينبغى ان تكون براعتها

نطوى الليالى علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

ما احق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل

تمنيتهم بالرقتين ودارهم * بوادى الغضا بعد ما اتمناه

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

ونوبى بكؤوس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح ايدينا
قامت تهز قواما ناعما سرقت * شمائل البان من اعطافه اللينا
تدير خمرا تلقاها المزاج كما * القيت فوق جنى الورد نسرينا
فلست ادرى اسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها ام تحيينا
وقد ملكنا زمان العيش صافية * لو فاتنا الملك راحت عنه تسلينا

اقول غفر الله له هذا الغزل فيه اساءة ادب على مماديحه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة * ورجع الى البراعات البارعة التى تشعر انها صدر المديح النبوى بالاشارات اللطيفة منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطى وهى قوله

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتى فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع * وقبله هذا الكلام الجامع * فانى جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعى فى احسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافى جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى موارى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة واما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك بحث من الجبال بيوتا وقد اشرت الى ذلك فى الخطبة بقولى وهى البديعية التى هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال * وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال * وسميتها تقديم ابى بكر عالما انه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال * ومن احسن اشارات براعتى التى تشعر انها صدر مديح نبوى تشبيبى بعرب ذى سلم وخطابى لهم بان لى فى مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأننى وعدتهم بشئ لا بد من القيام به وهذا احسبما اراده ابن ابى الاصبع بقوله براعة الاستهلال هى ابتداء الناظم بمعنى مما يريد تكميله انتهى ما اوردته هنا من البراعات

Digitized by Google

قوله ان لم تكن الخ هكذا في النسخ المناسب ان يقول اى انه ينبغى ان يكون براعة الخطبة الخ

البارعة نظما * وأما براعات النثر فانها منلها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف الله تعالى غرض المنشئ والا فليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال فى النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره ان بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام فى بطون الانعام ورأيت الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته قد التى عند الاستشهاد بها عصى التسيار * واحتجبت عنه فى هذا الافق الشموس والاقمار * اين هو من علو مقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر * وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر * الى الامير سنقر الفارقانى جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة * الله اكبر ان من البلاغة لسحرا والله ما اظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر * ولا هلال كاتب المأمون فى هذا الاستهلال بزاهر * وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى تثنى على عزائمه التى دلت على كل امر رشيد * واتت على كل جبار عنيد * وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء ومار بك بظلام للعبيد * وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس تجارى براعة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى هذه الخطبة * وتساويها فى علو هذه الرتبة * فانه اتى فيها بالعجائب * واصاب غرض البلاغة بسهم صائب * واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا * (منها) شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه * مارد لا يصلح الا بتعريك اذنيه * صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم * الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم * وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها خاص الخاص ولا بد من مقدمة تكون هى النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم وماذاك الا انه كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من ابياته العاطرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولا يغيره فيه غير البحور بما عام به فى بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمعه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وترتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا) (فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراك

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عند ما رمى * فكرا كى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه * الم تنظرى به كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

Digitized by Google

اسعد بها ياقمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت فى قلبى فحركته * فقال لم اخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكانه نشوان من شفتيه
سغف العذار بخده وراه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فاخذه الصلاح وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * اتى خده سرا فدب عليه

واحسن ماوقع فى هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحى عاطر الانفاس المى * ملى الحسن خالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الصلاح وقال

بروحى خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بى ولم اغدر بصحبته * وكان منى محل السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسى اخال جفا * فجأ ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين وفر لى الضنا * قسما واسلمنى الى البلوى وفر
حتى توفر من شكايتى لوعتى * لى قلبه فرأيت نقشا فى حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال قاتلتى الذ وازين
فانظر الى حسنيهما متاملا * وادفع ملامك بالتى هى احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبدت بالتى هى احسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين وأجاد الى الغاية

فديتك ايها الرامى بقوس * ولحظ ياضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فاخذه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من احب فذبت وجدا * فقال وقد رآى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشيء منجذب اليه

وما اظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين كان فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وليته فى براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتى كافرا بفوائدى المنعمة * وبيت شعرى سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمه * فاخجله فى سره وعلانيته * وعاقبه على قوله ونيته * ومنها بلغنى ان بعض ادباء عصرنا ممن مقته ودى * وانفقت على ذهنه الطالب ما عندى * واقته وهو لا يدرى الوزن مقام من زكاه نقدى * واودعته ذخائر فكرى فانفقها * واعرته اوراقى العتيقة فلا والله ما ردها ولا اعتقها * بل أنه غير الثناء بالهجاء * والولاء بالجفاء * ونسبنى الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هما زمشاء بنميم * وغصة صديق اتجرعها ولو كانت من حميم * واخليت من حديثه باب فمى ومجلس صدرى * وصرفت ذكره عن فكرى * ولكن وقفت له على تصانيف وضعها فى علم الادب والعلم عند الله تعالى * ووشحها بشعره وشعرى المغصوب المنهوب بقول يا صاحبى الا * وما يتوضح من جيد تلك الاشعار لمعة الا ومن لفظى مشكاتها * ولا تتضوع زهرة الا ومنى فى الحقيقة نباتها * فضحكت والله من ذهنه الذاهل * وذكرت على زعمه قول القائل *

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضى لنفسه هذا الامر منكرا * وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا * وقد اوردت الآن فى هذا الكتاب قدرا كافيا * ووزنا من الشعر وافيا * وسميته خبز الشعير المأكول المذموم * وعرضته على معدلة مولانا البعلم اينا مع خليله مظلوم * ولولا الاطالة لاوردت جميع ابيات الشيخ جمال الدين التى دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معانى الغير * ومن البراعات التى يستهل بها فى هذا الافق الذى مرآة سمائه صقيله براعة المقر المخدومى القضاءى الفخرى عبد الرحمن بن مكانس مالك ازمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا فى رسالة كتبها الى المقر المرحومى القضاءى الزينى ابى بكر ابن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلا الذين فضلوا بالطريق الفاضلية بسبب عبد الله الصيروانى الضرير فانى نقلت من خط المشار اليه ما صورته * ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى من المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى بعد ذلك أنه وشى الى صاحبى الشيخ زين الدين ابن العجمى بانى اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتاذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * أقول انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * منها * وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب برمية مثل هذه فاصمى * وتردد اليه مرة آخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * ولقد

قوله وشعرى الخ مبتدء خبره بقول وقوله الا الا الا تلعبن دارنا مقتطع من صدر بيت هو ان اباك ارجل غاز

Digitized by Google

خسرت صفقته اذ المملوك مابرح مخلصا لمولانا فى ولائه * ومبايعاله على سلطنة البلاغة
واجل من تشرف بحمل لوائه * ومولانا بحمد الله اولى من استفتى قلبه * واستدل
على صفاء صدق محبته بشواهد المحبه * والمسئول من صدقانه امران أحدهما الجواب
فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشده * والآخر رد كل فاسق عن هذا الباب
العالى فان ابابكر اولى من يصلب فى الردة * انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ
جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع * واظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم
مالبس لمطالع البدور عليه اطلاع * فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم
لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون واستهل
بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم * وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى
عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف * وشرع حدها
فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف * وما اظن أن احدا من المتقدمين نسج على هذا
المنوال * ولا نفث فى عقد اقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا
الافق الساطع فابدره * ورقى ببلاغته اعواد هذا المنبر * القاضى ناصر الدين ابن البارزى
صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماه محنة كان لطف الله
تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الامن غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد
لله الذى اسعف الاسلام والمسلمين بنجاته * وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته *
ولما هاجر من حماه المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذ ذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها
ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق احد من اعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة
لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته * الحمد لله الذى ايد محمدا بهجرته * ونقله من احب
البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته * فعلا بالجامع الاموى اصوات ترنم حركت اعواد
المنبر طربا * وكاد النسران يصفق لهما بجناحيه عجبا * وما الطف براعة الشيخ العلامة
نور الدين ابى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماه المحروسة والشهير بخطيب
الدهشة بحماه المحروسة فى كتاب ادعيته المسمى بدواء المصاب * فى الدعاء المجاب * وهى
الحمد لله سامع الدعاء * ودافع البلاء * وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء
الى الدعاء المجاب وبدافع البلا الى دواء المصاب * واما براعة خطيب الخطباء ابى يحيى
عبد الرحيم ابن نباتة الفارقى فانها شغلت افكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها
فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه * المهلك
من آسفه * ولقد اعتذر عنها جماعة من اكابر العلماء * واورد الشيخ سرى الدين ابن
هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء ارجو
ان تهب عليه نسمات القبول * وما احشم ما استهل الشيخ جمال الدين ابو الفرج
ابن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء
وحق له أن يستأثر * وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فاذعنوا لحكمه القاهر * واما

Digitized by Google

خطبة الشيخ صفى الدين فى صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذى حلل لنا بحر البيان وكأبه مبنى على البديع ولهذا استهليت خطبة شرح بديعيتى بقولى الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديوانى استهليت خطبتى بقولى الحمد لله الذى لا يحصر مجموع فضله ديوان * وكان قد رسم لى أن انشئ صداقا للملك الناصر وانا اذذاك بدمشق وقد حل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريف السيفى كشبغا الظاهرى الحموى فاستهليت بقولى الحمد لله الذى ايد السنة الشريفة بقوة وناصر * وتمثلت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المستعينية العباسية زاد الله شرفها تعظيما فبرزت الى اوامرها المطاعة ان انشئ عهد أبكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفر شاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلى والفتوحات الهندية فاستهليت براعته بقولى الحمد لله الذى وثق عهد النجاح للمستعين به * وقلت بعد الاستهلال وثبت اوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه * وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا فافرغ على اطراف الارض حلل الخلافة الشريفه * وعلم ان فى خلقها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل انى جاعل فى الارض خليفة * واختارها من بيت براعة استهلاله من اول بيت وضع للناس * وسبقت ارادته وله الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية بنى العباس * وذلك فى العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ومما انشأته فى الديار المصرية * وقد استقرت منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد ابن البارزى الجهنى الشافعى عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهليته بقولى الحمد لله الذى اودع محمدا سره * وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره * وارسله لينشئ مصالح الامة فهذبنا بترسلاته * والله أعلم حيث يجعل رسالاته * وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التميز بكأبته * وايد الاسلام والمسلمين بملك مؤيد تمسك بمحمد وصحابته * وانشأت بعد هذا التاريخ توقيعا لرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم فى غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذى شرح صدر من تادب * والكتاب مبنى على شئ من علم الادب واما البراعات التى يحلو تقبيلها بوجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين ابن نباته من رسالة كتبها الى القاضى علاء الدين الحسنى واستهلها بقوله * يقبل الارض العلية على السحاب نسبا * وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا * هذا الادب ان اطنبت فى وصفه فهو فوق الوصف * وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطى من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله * يقبل الارض التى سقت السماء نباتها * وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها * وعمر بمعانى الحسن ابياتها * ومن اظرف ما وقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضى فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق متهم بعبده فكتب اليه رسالة يداعبه فيها

Digitized by Google

واستهلها بقوله يقبل اليد الشهابية كثر الله عبيدها * وقال بعد البراعة وضاعف خدمها واضعف حسودها * وقد خطر لى ان اورد ها يكمالها لوجازتها وغرابة اسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهى بعد ولاء يمتد * ودعاء يستد وثناء كانه عنبر او كافور اوند ان مولانا توجه والاعضاء خلفه سائره * وكل عين لغيبته ساهره * ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء * والظمان الى صيب الماء * والغريب الى بلده * والمحصور الى سعة مسلكه ومقعده * فمولانا يطوى هذه الشقة ويقصر هذه المدة * ويدع احد علمائه يسد مسده * فالمملوك قلق لسماع اخبار التشويش فى البلاد * وتطرق أهل الجرائم والفساد * فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا فى خدمته ذيلا * ويسهروا عليه بالنوبة لمن يطرق ليلا * والله المسئول أن تكون هذه السفرة مجلة * ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله * ويبلغه من فضله مزيدا * ويجعل يومه عليه مباركا وليله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومى فضل الله بن مكانس مجد الادب الذى ظهر من بيته فخره * ورضيع لبانه الذى ماسقانا منه ذره الا قلنا لله درره * الى والده المقر المرحومى الفخرى من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهرى يشكو اليه رمدا حصل له بعده وكان مبدء الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقال بعد الاستهلال * لا استهلت لمولانا دموع * ولا جنى جفنه مدا الليالى همجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة نصيب * وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب * لرأى من نارها ما يفحم القلوب * ومن دمعها ما هو البلاء المصبوب * واستمرانهمالها حتى انشدها المتوجع قارنها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى لقد أتى على الانسان حين * وتزايد خوف المملوك على مقلتيه * وشحه بكريمتيه * فقصد فى الذراعين * وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه اثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومى المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذى صلت بجماعة أهل العصر خلف امامته * وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته * بدر الدين * رحلة الطالبين * ابو عبد الله محمد ابن الدماميني المخزومى المالكى جوابا عن حل لغزى ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده * وقال بعد الاستهلال واللغز الذى نسى بورود منه بان الحى وزروده (منه) فاستحلى المملوك منه بالتعريف ورده * وود لو اقتطف من الخصان جرونة ورده * فرد ذل التقصير عاريا عن ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وهو يقلى بنار عجزه *

اذا منعتك اثمار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعده نصره * وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الحضره * وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها يد فى الراحة المخدومية بهجة ونضره * ومنه

وتمشي

Digitized by Google

وتمشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحديقة * فرأى كل وردة تواخت الوجنات الحمر فتحير اوردة هى ام شقيقة * وعلمت ان الفكر القاصر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه * وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قوية (منه) وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستطير البين ماء الورد من حدقى * وكتبت اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على انياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال وربت فى براعتها بصنفين له احدهما الفواكه البدرية الذى جمعه من ثمار ادبه والثانى (نزول الغيث) الذى نكت فيه على الغيث الذى انسجم * فى شرح لامية العجم * للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهلينها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث واثمر بالفواكه البدرية * وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا لمعجزاته المحمدية * وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد * وانشد لافضل الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد *

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدنيا ابتسام

فاكرم به من مورد فضل مابرح منهله العذب كثير الزحام * ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام * ومجلس حكم ماثبت لمدعى الباطل به حجة * وعرفات ادب ان وقفت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة * وافق معان بالغ فى سموه بذره فلم يقنع بمادون النجوم * وميدان عربية يجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) اورى بدخوله الى دمشق ومطارحته للجماعة * وتالله ما الفرسان الشقر أو البلق فى هذا الميدان بمجال واذا عرفوا ما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال * وبنهى بعد ادعية مابرح المملوك منتصبا لرفعها * وتغريد اثنية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية مثل سجعها * واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وابرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها نظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال * وبنهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكائنها وهو بسهم البين مصاب * مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب * مكلما من ثغر طرابلس الشام بالسنة الرماح * محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح *

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب

(منها) يا مولانا وابيك ما لاقيت من اهوال البحر واحداثه عنه ولا اخبر * فكم وقع المملوك من اعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج * وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا * وقطرت الى الجوارى الحسان وقد رمت ازرقلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى * فتحققت ان رأى من جاء بسبى فى الفلك غير صائب * واستصوبت هتار أى من جاء بمشى وهو راكب * وزاد الظلم بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله *

وكم قلت من شدة الظمأ ياترى قبل الحفرة اطوى من البحر هذه الشقة الطويله *
وهل اباكر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من اكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا امواجه حتى متنا من الخوف وحلنا على نعش الغراب * وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب * وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جاريه * وغشيهم منها في اليم ماغشيهم فهل اتاك حديث الغاشية * واقعها الريح فحملت بناود خلها الماء فجاءها المخاض * وانشق قلبها الفقد رجالها وجرى ماجرى على ذلك القلب ففاض * وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل * وكم سمع فيها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل * برج ماءى ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت * وتتشاءخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المصبرين في التابوت * تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد * وتمشي مع الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد * ان نقر الموج على دفوفها لعبت انامل قلوعها بالعود * وترقصنا على آلتها الحدباء فقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود * وتتشاءم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء * وكم تطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء * فيها الهدى وليس لها عقل ولادين * وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة وثمانين * وتوقف احوال القوم وهي تجرى بهم في موج كالجبال * وتدعي براءة الذمة وكم اغرقت لهم من اموال * هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل ارداف الامواج * وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها على مقلة البحر اختلاج * وكم اسبلت على وجنة البحر طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها * وكم مرت على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها * تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد * ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم وقد تيبت وهي حالة الحطب في جيدها حبل من مسد * وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمى بمجرى السوابق في وصف الخيول المسومة فانها احرزت قصبات السبق وهي الحمد لله الذي يقف عند سابق فضله كل جواد * ويقصر في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع الاستطراد * فمن ألهمه الحزم وارشده الى حد المعرفة حاز قصبات السبق ولا نقول كاد * نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل * ونشكره شكر انعاوبه على اشهب الصبح ونغطى ادهم الليل * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة نرجو ان نكون منها في ميادين الرحمة من السابقين * ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين * وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين * فان استهلالها يسن ماكل من الذوق ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين * وماذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني برسالة القوس واستوفى في جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة برسالة السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب * اردت ان اعزز هما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهلتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها * وقطعت عنا مكرو الفاقة بمسنون عزائمها (منها) وينهى وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفا * واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا * وتالله ما غابت الا وبلغ الاقلام من تقشيرها

الى

الى الحتف (منها) ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب * وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب * كم ايقظت طرف القلم بعد ما خط * وعلى الحقيقة ما رؤى مثلها قط * وكم وجد الصاحب بها فى المضايق نفعا * وحكم بحسن صحبتها قطعا * من اجل انها تدخل فى مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل * وكلما تفعله توجزه والرمح فى تعقيده مطول * تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس * وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس * وكم لها من عجائب تركت السيف فى بحر غمده كالغريق * ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق * انتهى ما اوردته من براعة الاستهلال نثرا ونظما * ومن لم يربهجة ما ابرزته للمتأخرين فهو فى هذه اعمى *

الجناس المركب والمطلق

ذكر الجناس المركب والمطلق

* (بالله سر بى فسر بى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم) *

اما الجناس فانه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدى الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة فى مضمار المعانى المبتكرة كقول القائل واستحيى ان أقول انه ابو الطيب

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيس كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم اجد لوافد هذا النوع نزولا الا ماقل فى ابياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بابياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على ابى الطيب به المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب * هو الذى قلب عليه القلوب * اللهم الا ان يقع الجناس فى حشو بيت من البحور التى تحمل ثقله من غير اعتناء بامره كقول القائل

قفا نبك كلما لبنا على * تعنيقها ونهودها تتقاعد

وبنارا اسما وهى اسمى رتبة * لقد احترقت وريقها يتبارد

ففى طلعة شمس التورية هنا ما يغنى عن النظر الى زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة * وانما بالمعانى تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

شلت وشلت ثم شل شليلها * فاتى شليل شليلها مشلولا

ولا بأس به فى مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من انواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من انواع البديع * وحكى عن ابن جنى ان الاصمعى كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص

Digitized by Google

وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من انواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك فى تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى بردوا انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعانى التى هى كالنجوم الزاهرة فى افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعانى تنزلت منزلة الاطلال البالية وما احلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران
فاذا ما الارواح شردها الحتـ * ـف فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستسمن ورمه وبظنه شحما فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتى فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم فى امان بالحبيب ولا تخف * لقايط واش فى لقاه طواشى

وقوله

وكم ساق فى الظلماء والليل شاهد * رواحل واط فى رواح لواط

وقوله

واين اذا كان الفراق معاندى * مطالع ناء فى مطال عناء

وقوله فى الراح

وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

وقوله

اذا جرح العشاق قالوا اقتف فى * مدارج راح فى مدارج راح

وقوله

وكم شمت لما قست مقدار رودكم * بوارق ياس فى بوارق ياس

وقوله

ولا تفتحن باب الهدايا وعدها * مطار فراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط فى طواع نشاط

وقوله

ومر على غيرى سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذى يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكى تحت هذا البيت والذى قبله وهو الضعيف باليرقان وان من ذلك مبلغه من النظم لجدير ان يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

فجاروا جرى حين جاورت واجترى * فما فاته مما يروم جناس

وقوله

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفى ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لاوردت له كثيرا من هذا النمط وما اظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين ابن نباتة وذلك

انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه جنان الجناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه وهذا مما يؤيد قولى انه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله ويعجبنى هنا قول الشيخ زين الدين عمر ابن الوردى رحمه الله تعالى

اذا احببت نظم الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذى امتناع
ولا تقصد مجانسة ومكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتى أيضا ممن لم يجعل الجناس له مذهبا فى نظمه وما احلى ما قال

طبع الجنس فيه نوع قيادة * اوما ترى تأليفه للاحرف

ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه فى جنسه وانواعه زاحم ابن مماتى فى لفظ بيته ومعناه فقال

الا ان من عانى القريض بطبعه * يقود فارسه لمن صد واحتشم
الم تر ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا فى بيتين اتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد اثبت القيادة لطبع الجنس والشيخ صلاح الدين اثبت الحكم المذكور لمن يعانى نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمنى من ناظمى البديعيات * اما هذا النوع فانه ما سمى جناسا الا لمجىء حروف الفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف بل يكفى فى التماثل ما تعرف به المجانسة واما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس ايضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس ايضا لانه مصدر تجانس الشيآن اذا دخلا فى جنس واحد * ولما انقسم اقساما كثيرة وتنوع انواعا عديدة تنزل منزلة الجنس الذى يصدق على كل واحد من انواعه فهو حينئذ جنس وانواعه التام والمحرف والمصحف والملفق وهلم جرا كما ان البديع جنس وانواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من انواع البديع * واما حدود انواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات البديعيين ولكن نأتى بحد كل واحد من الانواع فى موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه * وقد صدرت بديعيتى هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته ولكن فاتنى تسمية وابرازهما فى شعار التورية من جنس التغزل فحد المركب أن يكون احد الركنين كلمة مفردة والأخرى مركبة من كلمتين * وهو على ضربين فالاول ما تشابه لفظا وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه

ومثله قول القائل

ناظراه فيما جنى ناظراه * اودعانى امت بما اودعانى

وحفظت من شيخى العلامة الشيخ شمس الدين الهيتى الحسنى النحوى وانا فى مبادى العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه قول القائل من دوبيت

فى مصر من القضاة قاض وله * فى اكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقل مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وكان يقول لااعرف لهما ناظما وما الطف قول القائل

يا سيدا حاز رقى * بما حباني واولى
احسنت برا فقل لى * احسنت فى الشكر اولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود انشدنى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

حار فى سقمى من بعدهم * كل من فى الحى داوى اورقا
بعدهم لاظل وادى المنحنى * وكذا بان الحمى لااورقا

واورد الشيخ صلاح الدين الصفدى لنفسه فى كتابه المسمى بحنان الجناس من هذا النوع قوله

يا من اذا ما اتاه * اهل المودة اولم
انا محبك حقا * ان كنت فى القوم اولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفى الدين فى بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا * والثانى ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذى نظمه صفى الدين فى بديعيته كقول الشاعر

لاتعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت فى تهذيبها
واذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوساتهذى بها

ومثله قول القائل

يا من تدل بمقلة * وانا مل من عندم
كفى جعلت لك الفدا * اسياف لحظك عن دمى

ومثله قول ابن اسد الفارقى

غدونا بآمال ورحنا بخيبة * اماتت لنا افهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاجة والق رائحا

ويحسن هنا قول ابى الفتح البستى فيه

وان اقر على رق انامله * اقر بالرق كتاب الانام له

وما الطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع

ولم ار مثل نشر الروض لما * تلاقينا بنت العامرى
جرى دمعى واومض برق فيها * فقال الروض فى ذا العام ريّ

ومن لطائف الشيخ جمال الدين ابن نباتة

تحيرا راه ام مليحا امردا * ولحاظه بين الجوانح ام ردا

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف

اسرع وسر طالب المعالى * بكل وادوكل مهمه
وان لحا عاذل جهول * فقل له ياعذول مه مه

ومثله قوله

ان الذى منزله * من سحب دمعى امرعا
لم ادر من بعدى هل * ضيع عهدى ام رعه

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى

كن كيف شئت عن الهوى لا انتهى * حتى تعود لى الحياة وانت هى

وانشدنى قاضى القضاة تقى الدين ابن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب

قلت للعاذل الملح على الدمـ * ـع واجرائه على الخد نيلا
سل سبيلا الى النجاة ودع دمـ * ـع عيونى تجرى لهم سلسبيلا

ومن انواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون احد الركنين جزأ مستقلا والاخر مجزأ من كلمة اخرى كقول الحريرى

والمكر مهما استطعت لا تأته * تلقى السودد والمكرمه

وقوله

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غير ان هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لا معنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من انواع البديع والتورية من اعز انواعه واعلاها رتبة فاذا جعلنا الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق وابهجت خاطر السامع بما تحفته من بديع تركيبها وتاهيله بغريبها * وانا اذكر المثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب

أأعن العقيق سالت برقا اومضا * ام اقام حادبالركائب اومضى

قال صاحب التورية

واذا تبسم ضاحكا لم التفت * ان عاد برقا فى الدياجى اومضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل المسك ابن الشذا * كذبه فى الحال من شمها

ومثله قول الشاعر

ندمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها اطلسا * ولا تسقنى مع دنى

Digitized by Google

ومن التورية المركبة ما انشدنى من لفظه علامة عصرنا القاضى بدر الدين ابن الدمامينى بما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين * وعمدة المحققين * ابى العباس احمد ابن حجر الشافعى

حى ابن على حوزة المجد والعلا * ومن رام اشتات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (وما زها)

فاجابه شيخنا المشار اليه

بروحى بدرا فى الندا ما اطاع من * نهاه وقد حاز المعالى فزانها
يسائل ان ينهى عن الجود نفسه * وهاهو قد بر العفاة ومانها (ومانهى)

وما احلى ما قال متغزلا

سالت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * واتقوس الحاجبان وقت رنا (واقترنا)

ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه فى التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض اهل الادب على مصنف شافل لم يمكن تسميته والتزم فى التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله * ولقد كنت ارتجى بابا ادخل منه الى التقريظ ففتح لى المقر التقوى بابا مرتجا * ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت منهجا * ومثله قوله فى التقريظ الذى كتبه على بديعتى هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغماد * والزمن قد كاد نى بسهام اوتاره المصيبة ورمانى بعد ان كاد * ومثله ما انشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر القاضى مجد الدين ابن مكانس حيث قال

اقول لحبى قم ومس يامعذبى * كميتة خود جرك السكر رأسها
ولا تسه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

واجبية الشيخ شهاب الدين ابن حجر فى هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة فى الاصل

يافاضلا هو فى الاحا * جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى * يشكو الحبيب اسكت رجع

فصه مرادف اسكت وباء مرادف رجع فحصلت التورية فى صهباء وصه باء ومن النظم فى هذا النوع الغريب قول المعمار

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع فى الهوى اسالها (اساءلها)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين فى غلام مليح وله لالا مليح

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجا تلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نظمى الغريب فى هذا النوع

قوله وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف هكذا فى النسخ والصواب اسقاطه (من هجا)

(انكاد)

تصديم

تصديتم لقتل ضعيف جسم * لغير الوجد فيكم ما تصدى
وعدضاوعه بالسقم لما * تعديتم عليه وما تعدى (ومات عدا)

وقلت فيه

بعد هند وبعد سلمى تعطشت الى رشف كل عس الى
وفؤادى يقول لا تطلب الرى من الريق بعد هند وسلمى (وسل ما)

وقلت من قصيد مطولة

حين قابلت خده بدموعى * اثرت خلت توب يزمنهم
وانظر اليوم خده مع دموعى * واحك ما شئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعة التى لم يسبق اليها انتهى ما اوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التورية وأما الجناس المطلق فان الناس فى الفرق بينه وبين المشتق معارك وسماه السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من اتى بصحته ظاهرا فان المشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى اصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منه يباين الاخر فى المعنى وانما اذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشتقاق راجع الى اصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى ازفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما الطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه * لم تخط ما اوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمة

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى اهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضئ منها الدجى الساجين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضئ وهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الحال واحدة * انا الخيال ونار الشوق تخييل

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الحال واحده ورأيت الشيخ شمس الدين ابن الصايغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من احيى الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

قال ظلمت وظلام جناس اشتقاق وهو كقوله تعالى واسلمت مع سليمان قلت اما ظلمت وظلام فاشتقاق بلا خلاف واسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع فى المعنى الى اصل واحد وهو اعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشتق * وأما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم احد رکنيه ان اصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة اخيه ومنه ما كتب به الى المأمون فى حق عامل له وهو فلان ما ترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا اذهبه ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا الا ادارها ملكا ولا غلة الا اغلها ولا ضيعة الا اضيعها ولا عقارا الا عقره ولا حالا الا احاله ولا جليلا الا اجلاه ولا دقيقا الا دقه فهذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركن يرجعان الى اصل واحد كالمشتق بل جميع ما ذكرنا اسماه اجناس وهى محمولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم اعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل
فاقت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبى يفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلى تظافرتا * يا من رأى شاعرا اودى به الشعر

وما أحلى قول القائل

* سلم على الربع من سلمى بذى سلم *

فالثلاثة عنان جنسها مطلق فى المطلق وقال الآخر واجاد

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

وما احلى قول ابى فراس فى هذا النوع

فما السلاف ازدهتنى بل سوالفه * ولا الشمول دهتنى بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يا من لعبت به شمول * ما الطف هذه الشمائل

وللبحترى

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

ارالك فيمتلى قلبى سرورا * واخشى أن تشط بك الديار
فجروا هجر وصد ولا تصلنى * رضيت بان تجور وانت جار

وما احسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه

تولى شبابى فولى الغرام * ولازم شيبى لزوم الغريم
ولو لم يصدنى بازيه * لما صار متنى مهاة الصريم

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه وبين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لى ان اثبت فى بديعيتى هذه ابيات من تقدمنى فى النظم كالشيخ صفى الدين الحلى والشيخ عز الدين الموصلى وما ورد فى بديعية العميان من القدر الذى استعملوه ليشاهد المتأمل فى هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفى الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق فى بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

والعميان لم يأتوا فى البيت الا بنوع واحد فقالوا فى المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى * وام سلعا وسل عن اهله القدم

وقالوا فى الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا * وهل اضام لدى عرب على اضم

فالمطلق فى اضام واضم واما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما فى البيتين من الثقل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

فحى سلمى وسل ما ركبت بشذا * قدا طلقته امام الحى عن امم

فالشيخ اتى بالنوعين فى بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتى تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالله سر بى فسر بى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم

وفى تسمية النوع هنا ما يغنى عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفى الدين والعميان لم ينقل التقييد بتسمية النوع لهم كالاطلاق مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق * والتقييد بضيق هذا الخناق * لان الرقيق لم يقم له سوق بل يصدق اذا ما ادعى عتقه * والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول فى متاجر الرقة * فان الشيخ صفى الدين قال فى خطبته مع اطلاق قياده فانظر ايها العالم الاديب الى غزارة البديع * وهى ضمن الرياقة فى السمع * ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتى فانى * انا الصائح المحكى والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

(ورمت تلفيق صبرى كى ارى قدمى * يسعى معى فسعى لكن اراق دمى)

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من افرده عنه وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا الا الحاتمى وابن رشيق وامثالهما ولعمرى لو سموا الملفق مركبا والمركب ملفقا لكان اقرب الى المطابقة فى التسمية لان الملفق مركب فى الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثانى مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما الم بالملفق احد من اصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وماذاك الا أنه قال فى خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التى ذكرها الشيخ صفى الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتى وأما العميان فانهم عدوه فى بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية ابياتهم فى انواع

الملفق

قوله وهذا دليل على انه الصواب ان يقول بدل هذه العبارة ولما عارضه الخ تامل

Digitized by Google

الجناس تعين اختصارها فانهم لم يوافى البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق فى النظم قول الشاعر

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

وما الطف ما قال القاضى ابو على عبد الباقى ابن ابى حصين فى هذا النوع وقد ولى القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة واقام فى الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان

فلم تضع الاعادى قدر شانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين فى هذا الباب

خبروها بانه ما تصدى * لسلو عنها ولو مات صدا

ويعجبنى قوله بعد المطلع

وسلوها فى زورة من خيال * ان تكن لم تجد من الهجر بدا

انتهى وبيت الحلى فى الملفق

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم * لهم ولم استطع مع ذاك منع دمى

ولم يمكن الشيخ صفى الدين ان يحصر مع الملفق غيره من انواع الجناس فى بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن له رونق وموقع فى الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه وبيت الشيخ صفى الدين فى غاية الرقة والانسجام غير ان التحريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق احدهما على الاخر وبيت صفى الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سرى وشان دمى * لما جرى من عيونى اذ وشى ندمى

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ولكن عجزت لعقادة تركيبه عن الطيران باجنحة الفهم لا احوم له على معنى ونظرت بعد ذلك فى شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة للجار والمجرور فى قوله * فحى سلمى وسل ما ركبت بشذا * يعنى ان الشذا الذى اطلقته سلمى امام الحى كان ملفقا وبيتى المسؤل له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبرى كى ارى قدى * يسعى معى فسعى لكن اراق دمى

والكلام فى رقة قولى ورمت تلفيق صبرى الخ البيت انما وقع من اصحاب الغراميات لا من اصحاب البديعيات وقد تقدم قولى ان الفرقة الناجية من التعسف والتكلف فى النظم لم ترض بالجناس اذا امكنت التورية وقال المقر المرحومى الفخرى فى التورية التى سماها جناسا ملفقا

ان الهوا عين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سرى وفى علنى

فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فنى (فى كفن)

وانشدنى من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدمامينى

تدرى لماذا اتاك قلبى * فى عسكر الوجد وهو ذائب

اذنب ثم اخشى فوافى * من ذلك الذنب فيك تائب (فى كاتب)

وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر ابن مكانس

كمال اوصافى يا منيتى * فى الحب ان اصبحت مثل الخلال
وملت من سكر الهوى نشوة * فارحم معنى مغرما فيك مال (فى كمال)

ومن نظمى فى هذا النوع الغريب

رات حياة شبابى قد قضت اجلا * والسقم قد زاد لما قل مصطبرى
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها * ما يحمل الشيخ هذا وهو فى كبر (فيك برى)

انتهى والله عزوجل اعلم (المذيل واللاحق)

المذيل واللاحق

(وذيل الهم هملت الدمع لى فجرى * كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم)

المذيل اختلف جماعة المؤلفين فى اسمه ولم يتقرر له احسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وماذاك الا أن المذيل هو ما زاد احد ركنيه على الاخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه وبين المطرف ويأتى الكلام على المطرف فى موضعه فالمذيل كقول كعب ابن زهير

ولقد علمت وانت خير علمية * ان لا يقربنى الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسالتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول ابى تمام

يمدون من ايد عواص عواصم * تصول باسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيرى من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لاعباء الامور * كاف كافل لمصالح الجمهور * ومثله فلان سال عن اخوانه * سالم من زمانه * ومن غراميات البهاء زهير فى الجناس المذيل قوله من قصيد

اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

ولم يخرج عما نحن فيه قوله منها

ياليل بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبان لناظرى * من منهما زاه وزاهر

وما احلى ما ختم القصيدة بقوله

بدرى ارق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تاتى الزيادة فى اخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبى قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

ومنه قول النابغة

لها نار جن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب

ومنه فى رثاء قوله

فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفايح

وارق ما سمعته فى هذا الباب قول القائل

ان البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقل من فرق بينه وبين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما ابدل من احد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمى مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا اذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما يدق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه فى المخرج كقوله تعالى وهو الى الغاية التى لا تدرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا اهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضى رحمه الله

لا يذكر الرمل الاحن مغترب * له الى الرمل اوطار واوطان

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمى وابن دريد والفراء قال بعض اهل الادب فى كتاب راش سهامه بالعقوق * ولوى ماله عن الحقوق * فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبنى قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى هذا الباب

رق النسيم كرقتى من بعدكم * فكأننا فى حبكم تتغاير

ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا فى كذبنا تتخاير

فالغين والحاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه فى مخارج حروفه على الابدال * واللاحق قد تقدم انه ما ابدل من احد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وكتب بعضهم فى جواب رسالة وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحترى وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

وقعودى عن التقلب والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف

ليس عن ثروة بلغت مداها * غير أنى امرء كفانى كفافى

فكفانى وكفافى هو اللاحق الذى لا يلحق وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحترى فى بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلقى منازل الاشراف

قيل لبعضهم فى أى موضع فى القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال فى قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين فهذا اشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من اقصى المدينة والاطراف والاشراف مما نحن فيه وما احلى قول ابى

هلال العسكرى فى اللاحق

اراعى تحت حاشية الدياجى * شقايق وجنة سقيت مداما
وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا مطرت سهاما
وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمى كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق انور ولا يشترط ان يكون الابدال فى الاول ولا فى الوسط ولا فى الآخر فان جل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفى الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

ابيت والدمع هام هامل سرب * والجسم فى اضم لحم على وضم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يذيل الدمع جار جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار فى الاكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتى وقد تقدمت ترجمته لما انشدته هذا البيت والذى قبله بعد حفظى لهما من المصنف بحماة لو عزا احد هذين البيتين الى الجان ما شككت فى قوله وبيت بديعيتى

وذيل الهم هم الدمع لى فجرى * كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم

فالمذيل فى هم وهمل واللاحق فى غيث وحيث (التام والمطرف)

ياسعد ماتم لى سعد يطرفنى * بقرب هم وقليل الحظ لم يلم

أما الجناس التام فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت فى تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين او من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين او فعلين سمى مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى وجل القصد تماثل الركنين فى اللفظ والخط والحركة واختلافهما فى المعنى سواء كانا من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو اكمل الانواع ابدا واسماها رتبة واولها فى الترتيب فمنه قول الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ما وقع فى القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجر من القرآن جناسا اخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ومن الشعر قول بعضهم واجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى ردامر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود اثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى اعين البيض

ومثله قول أبى الفتح البستى

سما وسما بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

(التام والمطرف)

قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعد

Digitized by Google

أما ابو الفتح فانه ثابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما اعلم انه نظم احسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون توزية وما احسن قول المعرى فيه واحشمه

لم تلق غيرك انسانا يلاذبه * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفى الدين فى قصيدته البائية التى عارض بها المتنبى وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن فى هذا الباب وهو

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها

عاتبته فتضرجت وجناته * وازور الحاظا وقطب حاجبا

فاذا بنى الخد الكليم وطرفه * ذوالنون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التى امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية فى هذا النوع وقد عارض ابا الطيب المتنبى ولكن اتى فيها بما لو سمعه ابو العلاء لرجع عن ديوان احمد واقر بعجزات محمد فطلع المتنبى

ارق على ارق ومثلى يارق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة

مابت فيك بدمع عينى اشرق * الا وانت من الغزالة اشرق

ولاجل اطنابى فى هذه القصيدة تعين ايراد شئ من محاسنها هنا فمنها

انفقت عينى فى البكاء وحبذا * عين على مرأى جمالك تنفق

وتكاثرت فى الجفن انجم ادمعى * فكأن غرب الجفن منى مشرق

واخافنى فيك العذول ومادرى * أنى لجورك فى الهوى انتوق

قسما بمن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق

ان العذول هو الغبى وان من * يفنى عليك حياته لموفق

لى من نصيب هواك سهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق

يمتار من دمعى عليك ذوو البكا * فاعجب له من سائل يتصدق

ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * فى غيظ عذالى عليك فلاسقوا

وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالخلى يزهر والغلائل يورق

وقرات من خديك بعد تأمل * خطابه حب القلوب معلق

ورزقت من جفنيك ما حسد الورى * حظى عليه وهو رزق ضيق

ونعمت باللذات وهى جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق

فى ليل افراح كأن هلاله * للشرب مابين الندامى زورق

حتى استطال الفجر يطعن فى الدجى * فهو السنان أو العدو الازرق

ياحبذا ليل نبيع به الكرى * لكننا لاعن رضى نتفرق

حيث الشباب الى المسرة راكض * لايستقر وطالب لايرفق

ماسرنى ان الكميت يحثها * نحوى السقاة وأن فؤدى ابلق

زار الضنا ونأى الحبيب وعادنى * ارق على ارق ومثلى يارق

والعذر عن طول ما اوردته واضح لغرابة اسلوبها غزلا ومدحا منها فى المدح

قوم لذكراهم على صحف العلا * اصل الفخار وكل ذكر ملحق
الملك بعض ديارهم فلينزلوا * والنجم بعض جدودهم فليرتقوا
أن يسجع الدين الحنيف بمدحهم * فلانه بابى الفتوح مطوق
أو يبق ماضيهم على سنن الوفا * فلانهم ببقاء افضلهم بقوا
ملأت مواهبه القلوب مهابة * فالقلب قبل الطرف فيها مطرق
وكانما اقلامه بسوادها * غربان بين فى الخزائن تنعق
لاعيب فيه سوى العزائم قصرت * عنها الكواكب وهى بعد تحلق

منها

يا ايها الملك المكمل فضله * وقيت من حدق البك تحدق
وبقيت للمداح تجلب عيسهم * جلبا بغير بلادكم لاينفق
اذ كرتنا زمن المؤيد لاعدت * مثواه باكية الغمامة تشهق
حتى تجر به ذيول حديقة * اكمامها بيد النسيم تفتق

منها

وبديعة كالروض الا أنها * تجلى بجارحة السماع وتنشق
نظمتها عقدا بدون مثاله * فى النظم شاب من الوليد المفرق
لافضل لى فيها وبحرك قاذف * درر الصفاء يقول للناس انفقوا
من عش بيتك قد درجت فطارلى * فى الخافقين جناح ذكرك يخفق
ولكم علقت من القريض صناعة * ماكنت لولاكم بها اتعلق
لكم الولا منى لان ندا كم * فى كل حادثة لفقرى يعتق

ومن مطالعى فى الجناس التام قولى

ياطيب الاخبار يا ريح الصبا * يامن اليه كل قلب قد صبا

وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وثمانمائة الى القاضى تاج الدين ابن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى سماة المحروسة وقلت بعد المطلع اخاطب النسيم بما هو ارق منه

ياصادق الانفاس يا اهل الذكا * ياطاهر الاذيال كم لك من نبا
يامن نراه عبارة عن حاجر * ياروح نجد مرحبا بك مرحبا
يانسمة الخير الذى من طيبه * تتنشق الاخبار عن تلك الربا
بالله ان رنحت ذيلك بالحمى * وورد ت شعبا من دموعى معشبا
وهززت فيه كل عود اراكة * اضحى بهاتيك الثغور مطيبا
ولثمت من ثغر الاقاحى مبسما * أبدى بدر الطل ثغرا أشنبا
ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

Digitized by Google

وطرقت حي العامرية ظامئا * فنعمت في الوادي برياز نبا
وحملت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الحبا
عج بالعذيب فان محجر عينه * اضحى لما حملته مترقبا
واصحب عبير المسك منه فانه * لشوارد الغزلان اضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت يا ريح الصبا
عرج على وادي حماة بسحرة * متيمما منه صعيدا طيبا
واجعل لنا في طي بردك نشره * فبغير ذاك الطيب لن تتطيبا
واسرع الى وداو في مصريه * قلبا على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادي الذي * مازال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بمصر نسبة لكن ارى * وادي حماة ولطفه لي انسبا
ارض رضعت بها ثدي شبيبتي * ومزجت لذاتي بكاسات الصبا
ياساكني مغني حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقي مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو داركم * قرأ النوى لي في الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهري بطو * ل تعتبي ويحق لي ان اعتبا
قررت لي طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعي في الخدود مرتبا
واسرتني لكن بحق محمد * يادهر كن في مخلصي متسببا
محمد ومدينة قد حلها * لم الق غيرهما لقلبي مطلبا
مولي اذا قصد الزمان بلحنه * خفضي غدا عن رفع قدري معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل امست على حلل العلو * م برقمها الزاهي طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها ان تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * للخطابة فابن الخطيب هناهبا
من بيت فضل قد علت طبقاته * واراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة في بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
يا كاتب الاسرار يامن فضله * قد جل الدنيا وزان المنصبا
اقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * اغنت نهار الخط عن بيض الظبا
سود العيون كانما الحاظها * قد كحلت بسواد احداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * ابدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق في قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجعت اقوالها * لم تلق الا مرقصا اومطربا

رجع الى ما كان فيه من الجناس التام ومن نظمي فيه أيضا مع زيادة التورية

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت في الخد نقطة حسنه

Digitized by Google

فرق لى قلبه وقال اذا * لثمت خدى لاتنكر الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولى ان جميع من نهلت من شرابهم الصافى لم يرضوا بالجناس التام اذا امكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر فى كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسا تاما فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دوبيت

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل

والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحدو القنا تعتقل

فنى تحدو تعتقل جناسان تامان اذا ابطلت الاشتراك وابرزت كلا من الركنين فى موضعه على طريق من له رغبة فى الجناس ومثله قول محيى الدين بن عبد الظاهر فى كوز

وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى احوى المراشف اشنبا

وقالوا بداحب الشباب بوجهه * فياحسنه وجها الى محببا

ومنه قول الشيخ شرف الدين الانصارى شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلو وسلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزى سقى الله ثراه

يا لحية الحب التى * طال لها تلفتى

هل انت مسك الترك او * هل انت مسك تبتى

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعى

انخت عينها الجراح ولا اثم * عليها لانها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

ومثله قول لسان الدين الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد فى الجو احتكام

فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات

قطعت عن المعروف ايديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحامى

لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب

اقبل ذا العذريه * واقبل الجار الجنب

ومثله قول شهاب الدين الحاجبى

Digitized by Google

له عين لها غنج ودلّ وغنج * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعايلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومثله قول ابن الوردي

قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والا * اجور ناديت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشاءي لذا لثو قدت * جمرا وليست في المحبة فاتره
هذا ويحرمني التقبل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * وننشي له لفظا فينشي لنا معنى

ومثله قوله وهو اعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر التجانس هنا احد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر * وقد نبه هنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

اباح لي نرجس الحاظه * في مجلس ما فيه ما انكره
فقلت ورد الخد جد لي به * ايضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين ابن الصاحب

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام اسير
وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

ومثله قول ابن ابي حجلة

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما اظرف قول يحيى الخباز الحموي

اصبحت في العالم اعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا لو اعجبوا * وملكي حتى ابي امي

ومثله قول المعمار

قد بت من كربي افقد النسا * اغور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لي بأن * احمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزعاري

قيل لى اذا رأيت اقمارتم * عن بدور السماء للطرف تلهى
اى وجه أضنا لقلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلى

حديث عذار الحب بادو ساقه * له اوجه تبدى لقلبى اشتياقه
دوى انثانصغى الى الحسن دائما * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

ومثله قول ابن مكانس

يقول معذبى اذ همت فيه * بخد خلت فيه الشعر نملا
اتعرف خده للعشق أهلا * فقلت له نعم أهلا وسهلا

وانشدنى من لفظه لنفسه بقية السلف * ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف * الشيخ زين الدين ابو بكر بن الحجى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانمائة وطالبته بشيء من لفظه فى المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معناك الذى اذ بلتوا * جدلو قبله قلبوا فيك خبلتوا
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق ما درتو قبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا

تقول وقد اتتنى ذات يوم * مخبرة عن الطبى الجموح
يسرك ان اروح اليه اجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومنه قول بدر الدين الدماميني

قم بنا نركب طرف الـ * ـلهو وسبقا للمدام
واثن ياصاح عنانى * لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر

سالوا عن عاشق فى * قد زاد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

ومثله قولى

عاتبته بدموعى غير جارية * لأن دمعى من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفا

ولم استطرد الى هذا الا لتأييد قولى ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا امكنت التورية التامة وصح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر * وبدر مثاله فى ليالى المطور سافر * انتهى ما اوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عند الناظم بقلة وكان ممن يميل الى هذا المذهب * واما الجناس المطرف فهو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى آخره واما المطرف فتكون زيادته فى اوله لتصيره كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفى تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف فى التسمية طرفة كقوله

قوله حرفا المناسب ان يزيد او حرفين بدليل تمثيله

تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تارة تكون فى اول الركن الثانى كما تقدم وتارة فى اول الركن الاول كقول ابى الفتح البستى

ابا العباس لا تحسب بانى * بشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما اكبت الادوار زندا * فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف * ثناءى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل

قام يسعى ما بين شرب اعزه * من بنى الترك اغيد فيه غزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها فى بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم اعرف لها ناظما واعجبنى فيها ابيات منها

يقظ ما يشير طرف اليه * بمرام الا ويعرف رمزه
كلما تفعل الصوارم تغنى * عنه لحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذى جعله نفثا

عطفت كامثال القسى حواجبا * فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولى

والله ما هب النسيم بجاجر * الا ترقرق مدمعى بجاجرى

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما فى بيت البديعية ظاهران وبيت صفى الدين الحلى قوله

من شأنه حل اعباء الهوى كمدا * اذا همى شأنه بالدمع لم يلم

وبيت عز الدين الموصلى

مذ تم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب ببذل العين لم يلم

وبيتى

يا سعد ما تم لى سعد بطرفى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى ويستجلى ما يظهر فى مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

المصحف والمحرف

*(هل من يقى ويقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وتوا بالكلم فى الكلم)*

يقى ويقى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه انقى واتقى وابقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لا من ربيعة اباءى ولا مضر

فقال

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لحدك واقل لجدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطران فاتني ربحه لم تفتني ريحه ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته فانتم يا بني ايوب ايديكم آفة انفس الاموال * كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال * فلو ملكتم الدهر لاطيتم لياليه اداهم * وقلدتم بيض ايامه صوارم * ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم * واوقاتكم اعراس وماتم * الاعلى الاموال فهي ماتم * والجود خاتم في ايديكم ونقش حاتم نقش في ذلك الخاتم * وقال اهل الادب خلف الوعد خلق الوغد والاربعة اركان بغير حشو وهو غاية في هذا الباب ومن النظم قول الشاعر

فان سلموا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مقر

ومثله قول ابي فراس

من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم اذكر هنا من جناس التصحيف * الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف * فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريري

* زينت زينب بقد يقد *

فهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول ابي تمام

* في حده الحد بين الجد واللعب *

ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومي فخر الدين ابن مكانس في رسالتي التي ذكرت فيها حريق دمشق وهو * وأضحت اوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره * ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيره * فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم * وضاع من غير تورية عطره الناسم * ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ما ترون بعارضي * فلا تمنعوني ان أهيم وأطربا
وما هو الا نور ثغر لثمته * تعلق في اطراف شعري فالهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما اظرف قول شمس الدين ابن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذي صد عن محب * فيه اذاب الغرام قلبه
مالك في الهجر من دليل * لكن هذى علوقبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف * واما قولي وحرقوا وابوا بالكلم في الكلم * فهذا جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين او فعلين او من اسم وفعل او من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التي لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان في المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذ المراد بالاول الفاعلون

Digitized by Google

وهم الرسل وبالثانى المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضى الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا * والاقدار له سيوفا * والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا * ودين دين الحق اذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفى * ومن النظم قول ابى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وما احلى قول ابى العلاء المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهالك نهالك عن لوم امرء * لم يلف غير منعم بشقاء

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعينى كل يوم فيه عبره * تصيرنى لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضى الفاضل فى هذا البحر واظهروا من هذا الروى جواهر العقود فمن قصيد شيخ الشيوخ بحماة

اذا غفل الوشاة بعثت دمعى * فيفدو مرسلا من غير فتره
علامة شقوتى فى الحب انى * ثقلت عليك لا من طول عشره
سالزم باب خمار الثنايا * ليطلق لى ولو فى العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا اجازى حبيب قلبى بظلمه * انا احنى عليه من قلب امه
جوره مثل عدله عند من يهـ * ـواه مثلى وظلمه مثل ظلمه

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غراميانه فى هذا النوع

زها ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف
وقد زعموا أنه مضعف * وما علموا أنه مضعفى

واورد الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه المسمى بحياة الحيوان عند ما انتهى الى ذكر المها ابياتا تعجبنى فى هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقى الابيات تحريفها تمتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلى ان قالت بثينة ماله * اتانا بلا وعد فقولا لها لها
أتى وهو مشغول لعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة * كأن اباها الظبى او أمها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبنى قول من قال ان الصديق الصدوق اول العقد واسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك * وما احلى قول ابن نباتة

قوامك تحت شعرك يا أمامه * غدالك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

قوله بخمار من خمار كلاهما بالكسر فلا تحريف

بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من لى بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوى الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عزالدين الموصلى الحنبلى

هل من تقى نقى حين صحف لى * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف فى هذا البيت فظاهران واما المعنى فالسريرة عند الله وبقى

(اللفظى والمقلوب)

هل من يقى وبقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وانوا بالكلم فى الكلم

(ذكر اللفظى والمقلوب)

(قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا الاسماع بالالم)

اما اللفظى فهو النوع الذى اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف احدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولى فى البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثانى من التلف وجاء فى هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثانى من النظر والحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث او بالنون والتنوين كقول الأرجانى

وبيض الهند من وجدى هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

او بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

احسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن احق بالحسن نمن

ولم ينتظم هذا النوع غير المصنى وهو قليل جدا واصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذى فيه المناسبة اللفظية * وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه اورد فى شرحه الذى سماه رقم البردة شيأ من محاسن الزجل على هذا النوع البديعى الذى اطلق عنان القلم فى الكلام عليه والزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى لحولانه فى ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة الا من عرف اصطلاحه * وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته واباعذرته وممن سلمت اليه مقاليد هذا الفن واورد الشيخ صلاح الدين الصفدى له نبذة من غرر ازجاله فى تذكرته وتاريخه تغنى عن الاكثار فى ترجمته وله فى الجناس اللفظى زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقى جفون ولحاظ * لو راهم عابد لهام وحاظ

ومع انوامن سحر عينيه اذا * حفظوه باب انساه صلاتوادا

ان ماعو عيون فواتر حور * نحو ولدانها بواتر جفون

Digitized by Google

كيف لا يفتن عشاقو ذا الفتور * وعلى خده شامه بنقطة فنون
من نظرهم نظره بقى مسحور * وكيف انو ما ينسحر من عيون
يعتقدهم رقود وهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف اى قاض
يقضى فيمن يسرو باح وهذى * حكمه ممن اضل ناس وهدى
حضرتى لما ان يغيب عنى * فى غيابو ياما بتحفظ فصول
حتى انو ايصير قريب منى * ولو انو يكون فى ميدان يجول
ايش تضيق الدنيا على ذهنى * ولا يدرى ايش كان يريد لو يقول
وانس ما قد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بى رحب المكان الفاض
ولا اطلب يومى شراب وغدا * فابق سكران طول ليلتى وغدا
يا نسيم السحر على حبى * بث منى طيب السلام كلو
لله واوصيه بالعاشق المسبى * و بقلبى ذاك الذى استلو
وان تيسر لك ان ترى قلبى * وان يسل عن جسمى الضعيف قلو
انو نجيل من بعدك الى ان فاظ * واغتسل عما من عيونو فاض
وعلى حذو الدار جين قد حذا * وفى نابو حادى المنايا حدا
اذكرانى فى عتبو وخد النهار * عصتو حتى وقف على ما جرا
وبقى هو يحمر ونا بصفار * ونوادر منى ومنو ترا
فلا تعجب من خدو كيف يحمار * فوق ورد الخدود وتحتو جرا
ماء الحيا فى وجنابو لما انغاظ * ونشف ماء لونى الى ان غاض
وما يتكر حالى وحالو فذا * سر فيه عمن انا لو فدا

ونظمت فى هذا النوع الغريب نوبة فجاءت فى غاية الحسن ولم اسبق اليها الا من الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عجبتم من المحبوب حمرة شعره * وانكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب الغرام مضفر

وقولى

خاطرت فى عشقى له يا مهجتى * لا تشغلى قلبى الحزين وخاطرى
فالطرف شاهد منه ناضر قده * فغدا يهيم بكل غصن ناضرى

وقولى

مرح حماة بنوا غيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ نمرود مشق له * فقلت لا افكر فى غيضته

وقولى

حضيت عزمى شوقا اليكم * فلم اطق مكثة بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى ان الوم حضى

انتهى الكلام على الجناس اللفظى واما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو

الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الاخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف احدهما الآخر فى الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هارون خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارقأ وما الطف ما أشار الصاحب ابن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لابى العباس بن الحارث فى يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش ما يقول الشيخ فى قلبه يعنى الخيش ومروحة الخيش احدثها بنو العباس وذكرها الحريرى فى المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش * وانشد لغزا فى مروحة الخيش *

وجارية فى سيرها مشمعلة * ولكن على اثر المسير تقولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف تحولها

وكان السبب فى حدوث هذه المروحة ان هارون الرشيد دخل يوما على اخته علية بنت المهدى فى يوم قيظ فالفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هارون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وامر ان يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشى فى شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشد بها حبل وتبل بالماء وترش بالماورد فاذا اراد الرجل فى القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه رجع الى الجناس المقلوب فمنه قول بعضهم

حكانى بهار الروض حين الفته * وكل مشوق للبهار مصاحب
فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وما احلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

اسكرنى باللفظ والمقلة السكلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

ويديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباته فى الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا تحرص * قلب بهرام مارهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية فى هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تحمله ناقته الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما احلى قول القائل

والفيتهم يستعرضون حوايجا * اليهم ولو كانت عليهم حوايجا

ومثله

ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى ان أطيقا

Digitized by Google

فجحق عليل يامن سقانى * ارحيقا سقيتنى أم حريقا

ومن الغايات فى هذا الباب قول القائل

لبق اقبل فيه هيف * كلما املك ان غنى هبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانضمامها الى اختها تجانسها فى القلب واعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد

ليل اضاء هلاله * أنى يضيء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريرى ساكب كاس وهذا النوع يأتى الكلام عليه فى موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى ايضا زجل فى هذا النوع سارت به الركبان انشده المصنف فى حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفى الدين والشيخ جمال الدين بن نباته فوقع فى المجلس شئ اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبى يحب تياه * ليس يعشق الا اياه * فازمن وقف وحياه * يرصد على محياه
بدر السما لو يطبع * من رام وصالو يعطب
صغير يحير فى امرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى ونمرو * فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر واربع * اردى الاسود وارعب
اذكر نهار تبعتو * وروحى كنت بعتو * وخيب ما فيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولالى تتبع * اخشى عليك لا تتعب
كم قد امو وخلفو * مشيت مطيع لخلفو * ورمت لثم كفو * قال دع منالك وكفو
فان لثم اصبع * من الثريا اصعب
مازلت لو نداري * حتى حصل فى داري * ناديت ودمعى جارى * ايش كان يصيب يا جارى
لو كنت من فيك اشبع * قال ايش يكن لك اشعب
من حاز حسن خدو * لحظو لقتلى حدو * وورد خدو ندو * ما فى الرياض شئ ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب
من فى الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دموعو يبلع * وهو بعقلو يلعب
كم خصم فى المقاتل * صابو ابن مقاتل * وكم ذا فى المحافل * قد انشا لو بحافل
من كل بيت مربع * ملحون بألف معرب .

والشئ اللطيف الذى وقع فى المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين ابن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بالف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباته ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل ويشير الى الشيخ صفى الدين الحلى ويقول ملحون بالف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اه واذا نظر المتامل الى بعض هذه الاحرف فى رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظى والمقلوب وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيهما

بكل

بكل قد نضير لا تطيره * لا ينقضى أملى منه ولا ألمى

وبيت الشيخ عز الدين

لفظى حض على حظ يمانعه * مقلوب معنى ملاء الاحشاء من ألم

وبيت

قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

الجناس المعنوى

(ذكر الجناس المعنوى)

(ابا معاذ اخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهد وني بجورهم)

اما الجناس المعنوى فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير نوع الاضمار وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة ولا بد أن أتوع هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوى طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره ابن رشيق فى العمدة ولا زكى الدين بن ابى الاصبع فى التحرير ولا ابن منقذ فى كتابه والعسكريان ذكروه فى شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل فى صناعة الترسل منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين الحلى وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وكان شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما اعلم لبيت ابى بكر ابن عبدون فى اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفى الدين الحلى ولو لم يفتح ابن عبدون هذا الباب فى بيته ما حصل للشيخ صفى الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتى بعد تعريف النوع فالمعنوى المضمر هو ان يضمر الناظم ركنى التجنيس ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف اتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول ابى بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة تركنا بعضها الى الليل فصارت خلا

الا فى سبيل اللهو كاس مدامة * اتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست بجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمى من بعد حالى لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وهما فى صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن * فى فتكه بالمعنى او ابى هرم

فابن ذى يزن اسمه سيف وابو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول سيخنا قاضى القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفى

الدين غير ابن عبدون وكنت اوتأن يكون شيخنا رحمه الله حيا ويراني قد عززتهما بثالث وهو

ابا معاذا خا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهدوني بجورهم

ابو معاذ اسمه جبل واخو الخنساء اسمه صخر فظهر من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران في صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل في الركن الواحد يحسن قولي فهدوني بجورهم وقد اظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر سطورا الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة في حليته ولم يتعلق احد منهم الا باذيال الضرب الثاني وهو جناس الاشارة وياتي الكلام عليه ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدي قال في شرح لامية العجم وفي كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوي قال هذا النوع عندي باطل ولم يتيسر له منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافته على الجناس وانواعه والذي يظهر لي انه عجز عن نظمه فانه قال في غضون ذلك وقد استخرجت من شعر ابي الطيب المتنبي من الجناس المعنوي قوله

حاولن تقريبي وخفن مراقبا * فوضعن ايديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على انه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوي الذي يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلي ونثرت نظم الترتيب الذي تقدم الالتنحيه عن نظم الجناس المعنوي المضمر الركنين وميله الى جناس الاشارة لسهولة ماخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لتحوله عن النوع الذي عارض فيه الشيخ صفي الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا منعتك اشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثاني من المعنوي وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الاول وسبب ورود هذا النوع في النظم أن الشاعر يقصد المجانسة في بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتي بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق في الكلام المنثور والذي يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد اراد قومها الرحيل عن بني ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا ان تشد الاباعر

اراد ت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذي يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل في امرأته سلمى

اني احبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذاك الشاهق الراسي

فالكناية اللطيفة في سميك لانها اشعرت ان الركن المضمر في سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر في سلمى وسلمى الذي هو الجبل ومثله قول الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولا شك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر يهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو غاية فى هذا النوع

وبدت نظائر نغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

اراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو الذى اوجب تأخير بيته عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر يضمر الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى اضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منها جناس الاشارة بين كافر وكافر غير ان الوزن ما عصى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو اراد ان يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر يضمر الاحسان فى عذل * ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين ابن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدنى بعد ايام فى مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المتقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات ملكنا * فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كابى الامين برايه وبجده * أنى توجه وابن يحيى فى الندا

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيد فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو للورى * تحريفه ويروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتوريه التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما جناس الاشارة محرفا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى ان يرى قراره من اعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد ابن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها اهلا بعيش اخضر يتجدد * وروى عاصيها بعد نار شوقه الكامل عن المبرد * وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد * ومطلع القصيد

خل التعلل فى حمى يبرين * فهوى حماة هو الذى يبرينى

وأطع ولاتذكر مع العاصى حمى * مافى ورآء النهر مايرضينى
انا سائل والنهر فيها لذلى * ومع افتقارى نظرة تغنينى
والنبت يضبطها بشكل معرب * لمايزيد الطير فى التلحين
والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين
والله ماانا آيس من قربها * بالله صدقنى وخذ يمينى
فالطرف قد ابقى بقايا ادمع * وهناك اجريها برجع أنينى
فاحذر ملامى عند فيض مدامعى * فالدمع دمعى والعيون عيونى
قالوا تسلى عن ثمار شطوطها * فاجبت لا والتين والزيتون
بالاثمين على شريعتها لكم * فى ذالك الدينكم ولى أنا دينى
فلنا على الاعراف من ريحانها * قصص اتت بتناسخ البشنين
وبشط شرعايا لناكم شرعت * اعوادها وتثقفت باللين
لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد * القته مضطربا شبيه طعين
وخيال ضوء الشمس فى تدويره * يحكى فم الطعنات فى التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها * ما للنباتى مثل شرح عيونى
تلك المعالم والمعاهد بغيتى * بحماة لا الجيران من جيرون
كم قال دمع الصب ليتهم على * تلك الرسوم بفضلهم يجرونى
يانازلين حمى حماة نعمتم * فيها صبا حانوره يهدينى
قد كنت أنساها بروئيتكم وقد * ضرتم بها فالصبر غير معينى
غبتم وهذا محضرى لى شاهد * بالعسر من صبرى وبالمضمون
وحللتم دار السعادة بالحمى * فبحقكم بالبعد لاتشقونى
ذنبى عظيم لانقطاعى عنكم * فلاجله فى مصر لاتبقونى
وتكونت نار اشتياقى فى الحشا * لفساد تكوينى فدع تكوينى
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا * فترفقوا بفوآدى المرهون
فعسى يزول ظلام بعدى عنكم * وارى ضياء القرب من شمسين
ولرقة فيكم اظن بانكم * حنيتم طربا لرجع حنينى
هذى غرامياتى صب ماله * ارب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح * فى البارزى فكل فوق دونى
ماالقصد فخرى انما انا عبده * فالشكر أدفعه بحسن يقينى
الغصن نسقيه وغصن يراعه * يسقى الورى لكن انا ينشينى
فالطرس وهو مطرق بيمينه * ينسى السواجع معرب التلحين
هو كامل فى فضله وعلومه * والله اعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وايام له * فهدى الزمان بطرة وجبين
ياصاحب البيت الذى عن وصفه * قد احجمت شعراء هذا الحين

ان جاء نظمى قاصرا عن وصفه * عذرا فهذى نشطة الحسين
ونمم كبرت وبان عجزى انما * كانت مسرات الفتا تصبينى
وحجبتمونى عن حماة وعيتموا * عنى فهذا من فنون جنونى
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا * فى مصر جار عويس والمتبنى
برهان شوقى قد اقت دليله * بسنا نجوت مع ضياء الدين
لازلتم بكمالكم فى نعمة * مقرونة بالنصر والتمكين انتهى

(ذكر الاستطراد)

الاستطراد

(واستطردوا خيل صبرى عنهم فكبت * وقصرت كلياليا بوصلهم)

الاستطراد فى اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه فى الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفى الاصطلاح أن تكون فى غرض من اغراض الشعر توهم انك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولابد من التصريح باسم المستطرد به بشرط ان لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى المخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعد ما بالغ فى الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى ففى قوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره ان البحترى نقلها عن ابى تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط او الاخبار او غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا او هجوا أو وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء فمنه قوله تعالى فى كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان اول شاهد ورد فى هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموءل

قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل فى الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحارث بن هشام والحارث هو اخو ابى جهل اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحترى من قصيدة فى

وصف فرس

كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملك العيون فان بدا اعطيته * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو اوردته * يوما خلائق حدويه الاحول

ومنه قول احمد بن يحيى البلاذرى يرثى ابا تمام

امسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدر اعنه بكيد
لم ينجه لما تناهى عمره * ادب ولم يسلم بقوة أيد
قد كنت ارجو ان تنالك رحمة * لكن اخاف قرابة ابن حميد

ما احسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت اجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول ابى محمد بن مكدم وهو غاية فى هذا الباب

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه
قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى اولق فيه اعوجاج كانه * ابو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سناوجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى واطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما ابلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * واميتنى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجلى * ابرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين جميد
علت بماء باردة كأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما ابقت الاثواء من دارى

انظر ما احلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بالطف كناية والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو ام الفرزدق

لها برص باسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله

وكانى اقرى بحرف ابى عمـ * ـرو على القوم سورة الانعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

ولقد اردت ان استطرد هنا الى ذكر ما وقع لى ولغيرى من المتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم اجد ابدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه اعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كان آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد بتقديم اداة التشبيه فى اول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح ان يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وما خرج احد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

لنا روضة بالدار صيغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف

يمر بنافيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى اول البيت ما يتوصل به الى آخره انتهى ومثل هذا الايراد قول ابن جلنك الحلبى وهو اظرف ما رأيت فى هذا الباب حكى انه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين ابن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز واستحيى ان اقول انه رطلان فتوجه ابن جلنك يوما الى بستان يرتاض فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت ابوابها

والبان تحسبها سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت اذنابها

فاستطراده من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وما شك احد من اهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه * وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع وانا بالاشواق الى رؤيتها ومن استطرادات ابى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره قال الشيخ جمال الدين بن نباته قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض * وامم اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض * الا اشعار الاريب الفريد ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانها امة غريبة تبعث وحدها * وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها * لم يحط خاطر أحد بمثلها خبرا * ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا * انتهى قول الشيخ جمال الدين * واستطراده الموعود بذكره قوله

تفديك امى وابى * وابى وان كان صبى

يا من اليه حيثما * وجدته منقلبى

يا من مديح غيره * عندى عزيز المطلب

لحية من يشنأك فى * حال رضى او غضب

من عين من يطلبها * بالليل فى استى تختبى

قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتداه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ لسلم من هذا

Digitized by Google

وامه أم الشكو * لئى استها والريب
ذات حر اوسع من * شارع باب النعب
وشعيرة غليظة * ذات نبات اشيب
قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تنفت منها طاقة * بشدة أو تعب
فما شككت أنها * لحية ابن الحلبي

ومنها فى الاستطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن اخيه وينكر ذلك ويعقد الايمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شرا * ع المضرب المطنب
صعدت من عليها * بالليل فوق مرقب
حتى رأيت ابن اخى * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة

حتى متى أفديك ياستى * بندف قطن استك دق استى
متى أرى سرمك منهدما * وخصيتى تنهز من تحتى
قالت بهذا الأمر واستحقرت * وكان قد نام على بختى
قلت نعم هذا على مابه * قد ضرط البخت فمالت
هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا نمت
فلو رأيته على بيضه * مثل ابى منصور فى الدست
خريت بالطول على عارضى * صاحب ديوانى اوبلت
يا أيها الاستاذ يامن به * يمسى كما أملته وقتى
خذ بيدى انى فى محنة * زلقت فيها فى خراتحتى

وأما قول القاضى الفاضل فى هذا الباب على طريقته الفاضلية فانه عجيب وهو

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكأننى الف ولام فى الهوى * وكأن موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر خالد

وغاية الغايات فى هذا الباب قول عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت اسلنا ها على الأسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له ماوى سوى المقل

انظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخيم الحماسة وبديع الاقتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفى الدين الحلى وبيت العميان

قد افصح الضب تصديقا لبعثته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

Digitized by Google

وهذا البيت على طريق الشيخ صفى الدين الحلى فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل السحب فضل العرب للعجم

الذى اقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله احرز قصبات السبق بما استطرده هنا على الشيخ صفى الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة وتظم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتى

واستطردوا خيل شوق عنهم فكبت * وقصرت كليا لينا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تاهيل غريبه انتهى

(ذكر الاستعارة) (الاستعارة)

(وكان غرس التمنى بانعطافذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم افضل من المجاز وهى اخص منه اذ قصد المبالغة شرط فى الاستعارة دون المجاز وموقعها فى الاذواق السليمة ابلغ وليس فى انواع البديع اعجب منها اذا وقعت فى مواقعها وللناس فيها اختلاف كثير وأما اصحاب المعانى والبيان فانهم اطلقوا فيها اعنة اقلامهم وجالوا بها فى ميادين البحوث وليس الغرض هنا الا نفس الاستطراد الى ماوقع فيها من المحاسن تظما ونثرا بعد تقريبها الى الاذهان بمحدود يزول بها الالتباس * حد الرمانى الاستعارة فقال هى تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى اصل اللغة على سبيل النقل وذكر الخفاجى كلام الرمانى وقال تفسير هذه الجملة قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع فى اصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التى تسرى فى الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة فى الوضع للبيان ولابد أن تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها ولا يخفى على اهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ابلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولابد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى ومنهم من قال هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جنى ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهى حقيقة وكلام ابن جنى حسن فى موضعه فان الشئ اذا أعطى وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هى استعارة الكلمة لشئ لم يعرف بها من شئ عرف بها كقول النبى صلى الله عليه وسلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هى استعارة الشئ المحسوس للشئ المعقول قال فخر الدين الرازى هى جعلك الشئ للشئ للمبالغة فى التشبيه وقال ابن ابى الاصبع فى تحرير التحبير هى نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة فى التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيد اسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لكن الاسد راجح فى الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت فى تشبيه زيد

بالاسد واحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة الا اذا كان التشبيه مقررا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما احسن قول ذى الرمة هنا

اقامت بها حتى ذوى العود فى الثرى * وكف الثريا فى ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة واخرج لفظه مخرج التشبيه وكان ابو عمرو بن العلاء لا يرى ان لأحد مثل هذه الاستعارة وأحسن الاستعارات ماقرب منها دون ما بعد واعظمها فى هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من اشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريرى فى مقاماته بقوله الى ان عطس أنف الصباح وقد تقدم ان بعد الاستعارة يبعد من القلوب عند أهل الذوق كقول ابى نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فاى شئ ابعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح ويبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدى

قال ابن رشيق فى العمدة ما اقبح رجل البين واهجن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من انقد النقاد

* كل يوم يبول زب السحاب *

وان هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم فى قوله

حتى اذا نهر الاباطح والثرى * نظرت اليه باعين النوار

فنظر اعين النوار من اشبه الاستعارات وألبقها وأقربها الان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن يمر به كانه ناظر اليه ويعجبنى هنا قول القائل ولم يلحق فيما قاله

مجرة جدول وسماء آس * وانجم نرجس وشموس ورد

ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات فى هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

وليلة بت اسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم

مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذى اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هى المقدمة فى هذا الباب وليس فوق رتبتها فى البديع رتبة واعلاها واغلاها قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهى لفظ الشراء رشحت الثانية وهى لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح أمن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التى هى لفظ الجناح رشحت الثانية وهى لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الأمن والخوف والصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما احلى قول بعض العرب فيها جعلنا رماحنا ارشية الموت فاستقينا بها ارواح العدا ومثله قول الشاعر

سلامة ابن نجاح * يجيد حث الراح

Digitized by Google

اذا تغنى زمرنا * عليه بالأقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا وبين قوله فى الكافات

قيل ما اعددت للبر * د فقد جاء بشده

قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

والذى ينشئ هنا قول القائل

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤوس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما الطف قول ابى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة * باعطافها نور المنا يتفتح

تضاحك فى سر المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح

وتورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى بدائع البداية اجتمعت انا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز * طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال

وجاء مبلول الجناح بالمطر * وما ابدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * باضعف من طرف المريب وافترا

وصفرة مسواك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس اسمرا

وممن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال

لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة ابو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس اضحى * بعد ما سال يجفف

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كيف السبيل لأن اقبل خدمن * أهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

Digitized by Google

لما ادعى المنثور ان الورد لا * يؤتى وان يصلى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها * كانت تعض اصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع أقحوان فضله لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيي الدين بن قرناص الحموى

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

وقال البدر الذهبي وأجاد

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صداهمه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومثله قول ابن عمار

ياليلة بتنا بها * فى ظل اكناف النعيم
من فوق أكمام الربا * ض وتحت اذيال النسيم

واما مطلع قصيد ابن النبيه فى هذا الباب فانه ابهى من مطالع الانهار * وديباجة الاستعارة من حليه تستعار * وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الطل فى وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسى

* وطرة ظل فوق وجه غدير *

ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر فى قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلى فى هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما احلى قول القاضى السعيد بن سنا الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فبها تغطى ضوء وجه نهارهم

واحلى منه قوله

سرى طيفه لا بل سرى لى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
اتت مع نقس الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد أتانى كتابه

وقال من غيرها بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما احلى تكميله بقوله * ولا بد دون الشهد من ابر النحل ومثله قوله

القى حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبى باشراك من الشعر

واحلى منه قوله

خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق

وغايه

وغاية الغايات قوله

بعثت لى على فم الطيف قبله * فأتانى بعض المسرة جمله

ومن الاستعارات الحسنة فى هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

حيالك يا تربة الهادى الرسول حيا * بمنطق الرعد بادر من فم السحب

وظريف هنا قول ابن قلاقس

هدتنا للسرور نجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم

وكف الصبح تلقط ما تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف فى هذا الباب قول ابى الحسن العقيلى

لنا اخ يحسن ان يحسنا * رضاه للجانين عذب الجنى

قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى

اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

ويعجبنى فى الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلى من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه اتى فيها فى بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق وايا ما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا اراضيها

ومن أغرب الاستعارات وابدعها واحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لى ان انثر فى حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور * واورد منه ما زهو بورود على روضات الزهور * كقول القائل * وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور * وجسوم نار فى غلائل نور * الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء * وشبت نار الشفق فى فحمة الظلماء * ومثله قول على بن ظافر الحداد * فى دوح انعطفت قدود اثماره * وابتسمت ثغور ازهاره * وذر كافور مائه على عنبر طينه * وامتدت بكاسات الجلنار انامل غصونه * وقال آخر وأجاد * وقد عرق بالنداجبين النسيم * وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام * واغرورقت مقلة السماء * وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق * ولقد حاز القاضى الفاضل قصبات السبق فى هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عمشت مقلة السراج * وشابت لمة الدواة * وخرس لسان القلم * وكل خاطر السكين * وضاق صدر الورق * وما احلى قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها * ودنانير الازهار ورد راهسمها قد تهيأت لتسليم قابضها * وقال جمال الدين ابن نباتة * كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقى ووجه الارض قد راق * وقد ود الاغصان قد راسلت اهواء القلوب بالاوراق * وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق * والورد قد احمر خده للوسيم * وفكت ازراره من اجياد القضب انامل النسيم * وخرجت أكفه من أكمامه

لاخذ البيعة على الازهار بالتقديم * ومما كتبته فى البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة ما من الله به من الفتح الذى صار له فى الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولى عند حصار قلعة ترسوس وفتحها * ورأوا ألسن السهام فى افواه تلك المرامى فقالوا رأينا المصائب ناطقة * ومارموا على سماء برج غيوم ستائر الامعت فيها من بوارق نقوطها بارقة * وحكم عليهم القضاء بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع * هذا بعد ما صفق مقبلهم جادو وجهه فبصقت فيه افواه المدافع * وقولى فى الاستعارة المرشحة ايضا عند حصار قلعة درندة وفتحها * وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات فجاء ما قررناه نقشا على حجر * وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر * وقرعنا سن جبلها بنابات المدافع وكسرنا منه الثنيه * وامست حلق مراميها كالخواتم فى اصابع سهامنا المستويه * ومثله قولى عند حصار قلعة كختا وفتحها على لسان حال القلعة فى سموها وافراط علوها * فانا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه ووددينار الشمس أن يكون من تعاويذه * والشجرة التى لو لاسموفرعها تفككت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده * وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم * فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم * وغاية الغايات فى هذا الباب قولى عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكرادكركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام * وعطست انوف مراميها باصوات مدافعنا وكان بها زكام * ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولى فلا بكر قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب * ولا كامس برج اتزعوه بالتحصين الا توجنا راسه من حبات مدافعنا بالحباب * انتهى ولما حبس عنان القلم عن الاستطراد الى ما وقع لى من محاسن الاستعارة نظما الا للتخفيف عن بيت البديعية وقلت تكفيه المزاحمة فى مناظرة الشيخ صفى الدين الحلى ومبارزة الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله فى بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم احث مطايا العزم منقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان

يقول صحبى وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفى الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو

دع المعاصى فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من ازواجها العقم

اقول ولو بلغت ما عيسى ان يكون ان فى قوله من ازواجها العقم ما يرعب السامع وبيت بديعيتى

وكان غرس التمنى يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت بيانع واما قولى بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما اعده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع

الذى

الذى هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشى على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع مورى به من جنس الغزل انتهى

(الاستخدام)

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين منى وهى جارية * وقد سمحت بها ايام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة واما فى الاصطلاح فقد اختلفت العبارات فى ذلك على طريقين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهى أن الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد باحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى اصحاب البديعيات والشيخ صفى الدين الحلى والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى فى المصباح وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتى بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متاخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ما يؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله فى مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم فى احد مفهوميه فى الظاهر مع لمح الآخر فى الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن ان يأتى المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا اصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير واعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى اجل ويمحو فاستخدمت احد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثنايا لك

فان لفظة نباتى يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتى بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتى بذكر النظم والدر والعقد وليس فى جانب من المفهومين اشكال وأما شواهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يشتشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو احد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو

Digitized by Google

النبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا به عن قول البحترى وهو

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فان لفظة الغضا محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل احد معنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفى الدين رحمه الله لم يستطرد فى شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رايته فى شرحه قد اورد على بيت البحترى نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا فى اشتراك لفظة الغضا فانه ليس باصلى لان احد المعنيين منقول من الآخر والغضا فى الحقيقة الشجر وسموا الوادى غضا لكثرة نبته فيه وقالوا جر الغضا لقوة ناره فكل منقول من اصل واحد ولم يرد فى كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول ابى العلاء

قصد الدهر من ابى حزة الاو * اب مولى حجى وخدن اقتصاد

وقفيها افكاره شدن للنعما * ن مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا اباحنيفة رضى الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشرى صنف كتابا فى مناقب ابى حنيفة سماه شقائق النعمان فى حقائق النعمان وأما ابو العلا فانه اراد بلفظ النعمان اباحنيفة واراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هنا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم اباحنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير فى الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحترى فى شبوه فهذا الضمير عائد على الغضا وهذا جعل الضمير فى يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التى هى النعمان فصار طيب الذكر الذى يشده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهم الا ان يكون التقدير مالم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما احلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلى وهو

وللغزالة شئ من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وانا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع اعنى الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشروطه لصعوبة مسلكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما اوردنا فيه من النقد على بيتى البحترى وابى العلاء وهو اعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا فى الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام * ومن انواع البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * الذى تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامى المرام *

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من تنحو البلاغة نحوه فى الخطاب *

Digitized by Google

ويجرى ريحها بامره رخاء حيث اصاب * على ان المتقدمين ما قصدوه جملة كافيه *
ولا شعروا بما شعروا أنه دخل معهم فى بيت تحت قفل قافيه * واما المولدون من
الشعراء كالفرزدق وجرير * ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد احد
منهم ورد هذا الغدير * واما الذين تفقهوا من بعدهم فى الادب * وتنبهوا لتخلل طرقه
بالطلب * فربما قصدوا بعض انواع البديع فجادت اذ جاءت * وفاتت مرة اخرى واخرى
فاءت * وقد قصد ابو تمام كثيرا من الجناس * وفتح ابوابه وشرع طرقه للناس * واما التورية
والاستخدام فما تنبه لمحاسنهما وتيقظ * وتحرى وتحرر وتحفد وتحفظ * الا من تأخر من
الشعراء والكتاب * وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب * واظن ان القاضى الفاضل رحمه
الله تعالى هو الذى ذلل منهما الصعاب * وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب * حتى
ارتشف هذه السلافة اهل عصره * واصحابه الذين نزلوا بربوع مصره * وخفقت رياحهم
بالاخلاص فى نصره * كالقاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك * ومن انخرط معه فى هذا
السلك * ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج فى ذلك الاوان * ومن جاء بعدهم من
التابعين باحسان * الى ان جاء بعدهم حلبة اخرى * وزمرة تترى * فكلهم يرمون فى هذا
الاحسان عن قوس واحده * وينفقون من مادة هى فى الجود معن بن زائده * ويصلون
المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائته من فائده * وغالب شعرهم على هذا النمط * واكثره
درر اسماع متى تلتقى تلتقط * كابى الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحماحى والحكيم
شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فهولاء هم الفحول الذين جدوا
بعد القاضى الفاضل الى هذه الغايه * ورفعوا راية هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك
الرايه * تسابقوا جيادا والديار المصريه لهم حلبة * وتلاحقوا أفرادا وهم فى شرف هذا
الفن من هذه النسبة * وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم * ولان
فى هذا النوع هصرهم * وبعد حصرهم فيما ارادوه كما زاد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى
لو كانت له شعرا * ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * منهم شرف الدين
عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ
الذهبى ومحيى الدين بن قرناص وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان
الشيخ صلاح الدين قال فى آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرنى ذكرهم عند
شعرهم * ويعز على أن لم أرهم على تكاثرهم لغوات عصرهم * وكانى بقائل يقول لقد أفرطت
فى التحصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطن باطل وعدوان *
وحمية لاوطانك وما جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام فى التورية والاستخدام
لا غير * ومن هنا تنقطع المادة فى السير * ومن ادعى أنه يأتى بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا
والشعراء والميدان * وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق * وقال
انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق * فانهم قوم جبلت طباعهم على
اللطافه * وطبعت جبلتهم على المكيس والظرافه * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى
قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباته فاينع فرعه النباتى بغضه

وريقه * واستعبد التورية والاستخدام فى سوق رقيقه * فمن استخدامانه ما أرانا من استخدام البحترى عيب الوليد * وقلنا بعده فى استخدام ابى العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحس فى ظلمة التعقيد * واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

اذا لم تغض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتى * فلا عادها عيش بغناه أخضر

انظر ايها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثانى وسيلان الرقة لذا القطر النباتى والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه * والغزل الذى يليق ان تصدر به المدائح النبويه * ولعمرى انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا * ولو دعى الى عروس الافراح زاده افراحا * وهذه القصيدة التى ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر فى جباه القصائد * ولانواع البديع بها صلة ومن ابياتها عائد * منها

سقى الله اكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت اسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا اسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبى حسرة حين أحسر
وينكرنى ليلى وما خلت انه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومنها

وغيداء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن فى لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما كشف من دون الزجاجة مسكر
خليلى كم روض نزلت فضاءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ومنها فى وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمى على البيد يجسر
طوت بذراعى وخدها شقة الفلا * وكف الثريا فى دجى الليل يشبر
ومد جناحى ظلها الف فضى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترمى الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فثم حرف لاترام كأنها * لوشك السرى حرف لدى الشد مضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباته جماعة نسجوا على منواله فى عصره * لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاسة قطره * وهذا الشرح هو جامعهم الكبير * واذا ذكرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس له فيهم نظير * نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد ابيات البديعيات فيه * فبيت صفى الدين قوله

من كل

من كل ابيلج وارى الزند يوم قرى * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

وبيت العميان

ان الغضا لست انسى اهله فهم * شبوه بين ضلوعى يوم بينهم

اقول لوعاش البحترى ماصبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم اخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمحوا * واستخدموها من الاعداء فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمحوا فى غاية الحسن فانه اتى بالاستخدام وعود الضمير فى شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه فى العين الناظرة وعين المال وأما قوله فى الشطر الثانى واستخدموها من الاعداء فلم تنم ما اعلم ما المراد به فان الاستخدام فى العين التى هى الجارحة قد تقدم والذى يظهر لى ان اضطراره الى تسمية النوع الجأه الى ذلك وبيت بديعيتى

واستخدموا العين منى فهى جارية * وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية فى جارية بعد استخدموها لم يوجد فى سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن القافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على اهل الذوق السليم فان قافية مصطلم فى بيت صفى الدين تمجه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام (ذكر الهزل الذى يراد به الجد)

الهزل الذى يراد به الجد

(والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبردانت بالديم)

قال صاحب التلخيص ومنه يعنى فن البديع الهزل الذى يراد به الجد كقوله

اذا ما تميمى اتانك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذى يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل اصحاب النوادر مثل اشعب وابى دلامة وأبى العينا ومزيد ومن سلك مسلكهم كما حكى عن اشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة ايام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى فيحوم الناس حوله ولا يمسه احد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدى فقال فى اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدى بعد ان ذبح وشوى اطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذى يراد به الجد ما انشده ابن المعتز من قول ابى العتاهية

ارقبك ارقبك بسم الله ارقبكا * من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ماسلم كفك الامن يناولها * ولا عدولك الامن يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرء القيس وقوله ابلغ ماسمع فيه والطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بان الفتى يهذى وليس بفعال

قال زكى الدين بن ابى الاصبع ما رأيت احسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع اعنى الهزل الذى يراد به الجد ما سبكه فى قوالبه الامن لطفت ذاته وكان له ملكة فى هذا الفن وحسن تصرف ومن اظرف ماوقع فى هذا الباب انه حصل لى

Digitized by Google

بالديار المصرية جرب اشرفت منه على التلف فوصف لى الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود فى تلك الايام فبلغنى انه أهدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاى عاقبنى الزمان بجربة * وقد انقطعت بجسمى المسلوخ
وعميت من حزنى على ماتم لى * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت فى احسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولى

جاء الشتاء فراسى * والجسم صار اشماته
بطيلسان ابن حرب * وفروة ابن نباته

فنى طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع مافيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذى تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها اشارة الى قوله

زرقة جسمى وبياض ثلجها * سنجابى الابلق فى فصل الشتا

ومثله قولى

وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشا
يضحك سنى للغدا عنده * لكننى اقلع ضرسى للعشا

فيه على الهزل الذى يراد به الجد زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب على ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذى يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

اشبعت نفسك من ذمى فهاضك ما * تلقى واكثر موت الناس بالتخم

فقوله واكثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط فى أكل شئ ويخص به نفسه وبيت العميان

قل للصباح اذا مالاح نورهم * ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر فى بيت العميان هزلا يراد به الجد والله اعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

هزل اريد به جدعتابك لى * كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعنى الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتى

والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبرد انت بالديم

انظر ايها المتأمل هنا نور الله تعالى فان الهزل الذى يراد به الجد انا ملتزم تسميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف افرغت هذا النوع الغريب فى أحسن القوالب واغرب المعانى فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطنى بذلك مهازلا ويقول لى تبرد أنت بهذه الديم (ذكر المقابلة)

(قابلتهم بالرضى والسلم منشرحا * ولو اغضابا فيا حربى لغيظهم)

المقابلة

Digitized by Google

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة اعم من المطابقة وهى التنظير بين شيئين فاكثر وبين مايخالف ومايوافق فبقولنا ومايوافق صارت المقابلة اعم من المطابقة فان التنظير بين مايوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ماينبغى فاذا أتى باشياء فى صدر كلامه اتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثانى بالثانى لايخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما أن المطابقة لاتكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين اربعة اضداد ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى ان المطابقة لاتكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلى رتبة واعظم موقعا * ومن معجزات هذا الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجئ الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فالتزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة الطرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقى اسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى الفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الاتراه سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من انواع البديع المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وايتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا أعناق بعضه باعناق بعض ثم اخبرنا بالخبر الصادق ان جميع ماعدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة * والفصاحة الظاهرة * انتهى ومن امثلة صحة المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شئ الا زانه * ولا كان الخرق فى شئ الا شانه * فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين باحسن ترتيب واتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر

ومنه وهو ظريف فى مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا امير المؤمنين لا أحمد فى حق ولا أذم فى باطل ومنه فى النظم قول النابغة

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الحلى

وريح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

واخبرنى مولانا قاضى القضاة الشافعى نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودى يطوف بالحناء والصابون على رأسه ويقول معى حناء اخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل ابا دلامة عن أشعر بيت فى المقابلة فانشده

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * واقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح وبين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن ابى الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة اربعة باربعة قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله استغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة اربعة باربعة قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى وصيته عند الموت هذا ما أوصى به ابو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها واول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل اولا باخرا والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت ابلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول امير المؤمنين على كرم الله وجهه لعثمان ابن عفان رضى الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت واوردوا لابى الطيب فى مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بى ولى فيها نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبى دلامة المتقدم على بيت ابى الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذى ذكره مختص بالرجل وبغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكى الدين بن ابى الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية افاد بها معنى زائدا بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت أبى دلامة افضل من بيت المتنبى لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبى بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل وهو مذهب السكاكى فانه قال المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين فاكثر ثم اذا شرطت هناك شيأ شرطت هنالك ضده انتهى وبيت المتنبى افضل بالكثرة عند غير السكاكى وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد واسلم من بيت ابى الطيب فى التركيب ما اورده الصاحب

قوله مختص بالرجل الخ صوابه غير مختص بالرجل

Digitized by Google

شرف الدين مستوفى اربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

وبيت صفى الدين الحلى

كان الرضى بدنوى من خواطرهم * فصار سخطى لبعدى عن جوارهم

فقابل الرضى بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذا قلنا ان من ضد عن سلم له اربعة باربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى ان المقابلة تجوز بالاضداد وبغيرها

وبيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان امكن من بيت صفى الدين فى المقابلة لانهم قابلوا واطئا بطائر لان الواطئ هو الماشى على الارض والطائر السائر فى الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم وانظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهى القافية التى لا يمكن امكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم فى بيت صفى الدين وما بينهما من المباينة غير ان نقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق وبيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمى

قابل بين ليل وصبح وشباب ومشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهى مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمى فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يؤهلها لمقابلة ضد ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب وبيت بديعى

قابلتهم بالرضى والسلم منشرحا * ولو اغضبا فيا حربى لغيظهم

قد تقرر ان الشيخ عز الدين لم يات بلفظة قابله فى بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف اتيت بلفظة قابلتهم فى اول البيت وقابلتها فى الشطر الآخر بلفظة ولو ومقابلة بقية الاضداد من الرضى والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكن القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهى جارية فى عدد المقابلات كانت من أعلى رتب هذا النوع كما تقدم فى بيت المتنبى وبيت أبى دلامة وقافية العميان منتظمة فى هذا العقد بخلاف بيت صفى الدين وبيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

الالتفات

(وما اروانى التفاتا عند نفرتهم * وانت ياظبى ادرى بالتفاتهم)

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم أخذا به فى معنى فيعترضه اما شك فيه أو ظن أن رادا يرده عليه او سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلى الشك أو يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو فى اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله فى الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد

Digitized by Google

النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح * سقيت الغيث ايتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة

كيف المزار وقد تربع اهلنا * بعنيزتين واهلها بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ نذهبكم ونأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر وفي هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرء القيس الالتفاتات الثلاث في ثلاثة ابيات متواليات وهو قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد

وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار في البيت الثاني وانصرف عن الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب وما احلى قول مهيار بن مرزويه في قصيدته التي سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين في يوم نوروز سنة ثمان وعشرين واربعمائة والمطلع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يادار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة في بيت واحد ومثله في اللطف قول القاضي الارجاني

وهل هي الامهجة يطلبونها * فان ارضت الاحباب فهي لهم فدى

اذا رمتم قتلي وانتم احبتي * فماذا الذي اخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول ابي الطيب

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

بما يجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول ابي العلا

يودان ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نبيه

من سحر عينيك الأمان الامان * قتلت رب السيف والطيلسان

اسمر كالرمح له مقلة * لو لم تكن كحلاء كانت سنان

فقوله

فقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها لو لم تكن كحلاء كانت سنان بديع وغريب ومن اغرب ماوقع لى فى هذا النوع اللطيف انى صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولى من قصيد

والله ان لم القهم من بعد ذا * فعلى زمانى لم ازل متعتبا
وقد التفت اليك يادهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى ان اعتبا
قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا

واتفق لى أيضا نظير ذلك فى رسالة كتبت بها الى العلامة بدر الدين ابن قاضى اذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا * ورام هلال الافق ان يباهى سموه بمطلعه فقلنا ماانت من براعة هذا الاستهلال ولا * وتطاول الرامح الى الطعن فى محله الذى يجل قدر اعن مناظر ومباهى * فقلنا له اقصر مكتفيا والا فعند التناهى * ولقد شوقتنى ظباء المعالى فى هذا المسرح الى الالتفات * فقلت متلفتا الى تلك الليالى المقمرة بنوره وقطوف الفواكه البدرية دانيات *

ايا بدر انما افق المعالى * واوقع طائرا من كل نسر
ذكرت ليالينا بك قد تقضت * فياشوقى الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة اعنى البديعية فانه البيت الذى حظيت من بابه بالفتح وناداه الغير من وراء حجرانه * وتغايرت ظباء الصريم وهو فى سرب بديعه على حسن التفانه * وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها فى بيت * ولكن راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت * ولقد انصف الحريرى فى المقامة الحلوانية عند أيراد البيت الجامع لمشبهات الثغر بقوله * ياراوية القريض * واساة القول المريض * ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك * ويد الحق تصدع رداء الشك * وها انا قد عرضت خبيئتى للاختبار * وعرضت حقيبتى على الاعتبار * وقلت وانا ماش فى عرض بيت بديعيتى على هذا السنن وارجو ان يكون بحسن التفانه فى مرأة الذوق مثل الغزال نظرة ولفتة وسابرزه بين اقرانه * واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه * فبيت الشيخ صفى الدين

وعاذل رام بالتعنيف يرشدنى * عدمت رشدك هل اسمعت ذا صمم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع جج فى شغف * ما انت للركن من وجدى بملتزم

وبيت بديعيتى

وما اروى التفاتا عند نفرتهم * وانت ياظبى أدرى بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت فى احسن قوالبها ومراعاة النظير فى الملائمة بين الالتفات والظبى والنفرة والاسجام الذى اخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذى ماتمكنت قافية باستقرارها فى بيت كتمكين قافيته والسهولة التى عدها النيفاشى فى باب الظرافة وناهيك بظرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذى يكون معنى اول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذى هو المقصود دون غيره من الانواع فقد

اشتمل هذا البيت على ثمانية انواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى اعلم

(ذكر الاقتنان)

الاقتنان

(تغزلى وافتنانى فى شمائلهم * اضحى رثا الاصطبارى بعد بعدهم)

الاقتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد فاكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فاما ما اقتن به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغدفى دونى القناع فانى . * طب باخذ الفارس المستلئم

فاول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبى دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك ياظلوم وانت منى * مكان الروح من جسد الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود ما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية لمن رزقه الله تعالى ولدا ذكرا فى يوم وماتت له بنت قوله * ولا عتب على الدهر فيما اقترف * ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف * واعتذر بما وهب عما سلب فعفا الله عما سلف

قوله ثم ننجى الآية الذى فيها انما هو نبشير وانذار

ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن اباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذى بالملك اصفاكا

لارزء اصبح فى الاسلام نعلمه * كمارزئت ولاعقبى كعقباكا

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع أحسن شعرا اقتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول ابى نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعزابا العباس عن خير هالك * باكرم حى كان اوهو كائن

حوادث ايام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن

وفى الحى بالميت الذى غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

ولعمرى ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال فى تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعد ابيه ماهو احسن من قول ابى نواس الذى استحسنه ابن أبى الاصبع وقول من تقدمه وان تاخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب فى قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع والذى يودى اليه اجتهاد ذوقى ان هذه القصيدة من العجائب فى هذا النوع واوردت مطلعها فى براعة الاستهلال لكن تعين ايراده هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأيد ما اشرت اليه من غرابة اسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محاذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغورا بتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما

Digitized by Google

نرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى مخيى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذى * عهدنا سجاياه اعز واكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذى * تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان هذا قد هوى لضريحه * برغمى وهذا للأسرة قد سما
وروضة اصل شاذوى تكافأت * ففصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا الاعناق البرية مالكا * وسمنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم انشابه الدهر ضيغما
كأن عماد الدين غير مقوض * وقد قمت يا ازكى الانام واحزما
فان يك من ايوب نجم قد انقضى * فقد أطلعت اوصافك الغر انجما
وان تلك ايام المؤيد قد مضت * فقد جددت علياك وقتا وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وابقاك بحرا بالمواهب منعما

وكانت وفاة الملك المؤيد فى شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهانى وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية فى نوع الافتنان اصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن اظرف ما رأيت فى هذا النوع ان ابن حجاج جمع فى الافتنان بين التعزية والمدح المؤدى الى التهكم بقوله فى تعزية بعض الرؤساء بابيه فى بيت واحد وهو

ابوك قد جل اهل الثرى * فجمل الله به المقبره

وأما الغزل المخمس فكثير فى نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمى فى بيت واحد

واتعب من حاولت يا قلب وصله * حبيب سنان السمهرى رقيبه

وممن اتحف الاذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضى الارجانى رحمه الله تعالى فى قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء * فغدا القاء منهم بلقاء

وما احلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحشى * من دون نظرة مقلة نجلاء
فتحت ثاسرا فحول قبابها * سمر الرماح يلن للاصغاء
من كل باكية دما من دونها * يوم الطعان بمقلة زرقاء
يا دمية من دون رفع سجوفها * خوض القنا بالخيل بحر دماء
لو ساعد الاحباب قلت تجلدا * اهون على بملتقى الاعداء

ومثله قول أبى الطيب فى بيت وكل من النصفين كامل فى معناه.

عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

وممن تفنن فى هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصارى الساحلى المنبوز بطويحن جرى ذكره فى التاج بمانصه * جواب الآفاق * ومحالف الرفاق * رفع له ببلده راية للادب لا تحجم * واصبح نسيج وحده فيما سدى والحم * فان نسب صار

Digitized by Google

للنسيب شرف ونسب * وان مدح قدح من انوار فطنته ما قدح كم حرك الجامد * ونظم الجمان فى سلوك المحامد * فمن قوله فى الاقتنان الذى جمع فيه بين الحماسة والتشبيب

خطرت كميد القنا المتأطر * ورنت بالحاظ الغزال الاعفر
واتتك بين تطاعن وتذاعن * فى فتك قسورة وعطفة جؤذر

وما ابدع قوله منها

وبملعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفى كل مرمى لحظ محترس * وحول كل كناس كف مفترس

وما احلى ما قال بعده

مهما تلاحظها الزاهى الضحى نطقت * سيوف آماقها عن آية الحرس

ويعجبنى قول أبى الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم * هز الكماة عوالى المران
وتدرعوا زردا نخلت اراقما * خلعت ملابسها على الغزلان

وممن افتن فى قصيدة كاملة وتفنن * وخلص من تفخيم الحماسة والفخر الى رقة الغزل واحسن * القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين * وتلاعب فى ميدان البلاغة بالفنين * وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبو الجواد من خولها * وينثنى من لطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها * وهى

سواى يخاف الدهر او يرهب الردى * وغيرى يهوى ان يكون مخلدا
ولكننى لا ارهب الدهر ان سطا * ولا احذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسى ان أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للانام فانثنى * ارى كل عار من حلا سودد سدى
واظمأ أن أبدى الى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى ان لا أميل الى الهدى
وقد ما بغيرى اصبح الدهر اشيبا * وبى بل بفضلى اصبح الدهر أمردا
وانك عبدى يا زمان وانى * على الكره منى أن أرى لك سيدا
وما انا راض أننى واطئ الثرى * ولى همة لا ترتضى الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى * لحرت جميعا نحو وجهى سجدا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى ان هززته * نفاضرتنى أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدا

والمخلص

والمخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شئ قد صحوت سوى هوى * اقام عذولى بالملام واقعدا
اذا وصل من اهواه لم يك مسعدى * فليت عذولى كان بالصمت مسعدا
يحب حبيبى من يكون مغندا * فيالينتى كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده * فقلت وانى ما وجدت بها هدى
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
ولم ادم ذاك الخد باللمظ انما * عملت خلوفا حين ابصرت مسجدا
يراقب طرفى ان يلوح هلالها * فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فياحسرتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بقلبى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تقيدا
وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعود منها جيده ما تعودا
تعود ذاك الجيد منى أننى * اصيره من درعيى مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا * عناق اعاد العقد عقدا مبددا
ولم اجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عفافى كاسيا متجردا
وقربنى حتى طربت الى النوى * واوردنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه * وما كنت لولم اختبره لأشهدا
وان السلاف البابلية لحظه * والاسلوا انسانه كيف عربدا

ومن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ما سلكها احد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا معناها أنه انتخبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تستحلى منه عرائس البيان * ويظهر به الافتنان * وهى

دعوتك لما أن بدت لى حاجة * وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذى انت ربه * تغار فلا ترضى بان تتبدلا
اذا لم يكن الا تحمل منة * فنلك وأما من سوالك فلا ولا
حملت زمانا عنكم كل كلفة * وخففت حتى آن لى أن أثقلا
ومن مذهبى المشهور مذ كنت أننى * لغير حبيب قط لن أتذللا
وقد عشت دهرا ما شكوت لحادث * بلى كنت اشكو الا عند المتدللا
وما همت الا للصبابة والهوى * ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأغدو خلاة فى تذوب حلاوة * وأغدو وأعطافى تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضئ المتأمل فى ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفى الدين

ما كنت قبل ظبى الالحاظ قط أرى * سيفا اراق دمى الا على قدم

كان المطلوب من الشيخ صفى الدين فى هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين

كان افتنانى بثغر راق مبسمه * صار افتنانى بثغر فيه سفك دمى

وبيت بديعيتى

تغزلى واقتنانى فى شمائلهم * اضحى رثائى اصطبارى بعدهم

والجمع فى اقتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه وجمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل اضحى رثاءه من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولى بعد بعدهم * ذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التمريج لم ينظمه اصحاب البديعيات وهو قريب من الاقتنان ولكن بينهما فرق دقيق لان الاقتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من اغراض المتكلم كما تقدم والتمريج بخالف ذلك اهو الجمع بين الفنون والمعانى والله تعالى اعلم

الاستدراك

(ذكر الاستدراك)

(قالوا نرى لك لما بعد فرقتنا * فقلت مستدرك لكن على وضم)

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن امثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

قال ابن ابى الاصبع لم اسمع فى هذا الباب احسن من قول ابن دويدة المغربى يخاطب رجلا اودع بعض القضاة ما لا فادعى القاضى ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى

او قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه احسن موقع

وممن تلطف فى هذا الباب واجاد للغاية القاضى الارجانى بقوله

غالطتنى اذ كست جسمى ضنى * كسوة اعرت من اللحم العظاما

ثم قالت انت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

ولقد احسن القائل فى شكوى الزمان بقوله

ولى فرس من نسل اعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم

واقسم ما قصرت فيما يزيدنى * علوا ولكن عنه من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثانى وهو الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد مثل قول زهير

اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن فى الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لتدخله فى انواع البديع والا فلا يعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما فى بيت زهير من الزيادة على معنى

Digitized by Google

الاستدراك بقوله ولكنه قد يملك المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على ان ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجاني متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله

ثم قالت انت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لا تخفى الا على من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما اخبرت به من قولها انت عندي في الهوى مثل عيني ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذي يتطفل النسيم على رقته ولولاه ماسكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته واصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا * وأداروا كؤوس السلافة على اهل الاذواق ومازجوها بلطف مزاجهم فامتزجوا * والذي أقوله ان الشيخ صفي الدين حلا في هذا المنهل الصافي مورده * وعلا في هذا السلك البديعي منظمه ومنضده * وبيته

رجوت ان يرجعوا يوما وقد رجعوا * عند العتاب ولكن عن وفاذمي

فانه قرر ما اخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا وفي قوله عند العتاب تكميل بديعي وأما العميان فانهم ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم حميت بالاستدراك ذا أسف * لكن عن المشتهى والبرء من سقمي

وأما هذا البيت فانه عامر بقلق البناء مع عقادة التركيب وبيت بديعيتي

قالوا نرى للحما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم

وفي انصاف اهل العلم والذوق السليم ما يغني عن التطويل في محاسن هذا البيت

(ذكر الطي والنشر)

الطي والنشر

(والطي والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطي والنشر هو ان تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى ما يليق به لانك تحتاج ان تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد لتخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثاني للثاني وهذا هو الاكثر في اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شيء الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا يمكن عكس مثاله ان يقول لي منه ثلاثة بدر وغصن وظبي فحصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة أقسام واذا كان المفصل المرتب في اللف والنشر هو المتقدم نبدأ بشواهده فمنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر

الست انت الذي من ورد نعمته * وورد راحتها جفني واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر وما الطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

Digitized by Google

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * اصبحت لافوقى ولاتحتى

قوله عبدى فى نسخة نوبى بدل عبدى وهو الاديق

ومن غراميات البهاء زهير

ولى فيك قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا
ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * اعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله

ياردفه ياخصره * من لى بنجد او تهامه

ومثله قول ابن نباتة

له قلب ولى دمع عليه * فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * ياكثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سالته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى
وأبصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومثله قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * يجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حمدة الاندلسية وهو

ولما أبى الواشون الافراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعى * وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الاندلسى نزيل حلب وقد اورد هذين البيتين فى شرحه على بديعية صاحبه ابى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ان حمدة كانت من ذوى الالباب * وفحول اهل الآداب * حتى ان بعض المتحلين تعلق بهذه الاهداب * وادعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب * وماغره فى ذلك الا بعد ديارها * وخلو هذه البلاد من أخبارها * وقد تلبس بعضهم بشعارها * وادعى هذا من أشعارها * وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا * حنو الوالدات على الفطيم
واسقانا على ظمأ زلالا * الذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغوانى * فتلمس جانب العقد النظيم

فهذه

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم * وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم * وهى ابيات لم يحكها غير لسانها * ولا رقم بردها غير حسانها * وقد رأيت بعض المورخين من اهل بلادنا اثبتوها لها قبل ان يخرج المنازى من العدم الى الوجود * ويتصف بلفظة الوجود * انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه امين

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرنى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين اربعة واربعة

ثغر وخد ونهد واحوارید * كالطلع والورد والرمان والبلح

قوله والبلح فى نسخ والوهج وهو الروى

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

راى جسدى والدمع والقلب والحشا * فاضنى وافنى واستمال وتيما

ومثله قولى من قصيدة

من محياه والدلال ومسك الـ * ـخال والثغر ياشيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشـ * ـر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين ابى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يحيى بخمسة من خمسة * كنى الحسود بها نحات لبابه
من وجهه ووقاره وجواره * وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسيربه الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا اوهلالا اودجى * اوزهر غصن فى الكثيب الاملد
فلحظها ولوجهها واشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانها زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لاصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابر ان اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لا نظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى انور من قول صاحبه فى بيته املد واقصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما اجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا واوابه فى بيتين ولم تسفر لهم

وجوه المعاني المسفرة عن بهجة ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك ازمة الزجل وقد تقدم ذكره فيما اوردته له من أزجاله على الجناس المقلوب واللفظي الجمع في اللف والنشر بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خدود واصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس * وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت في هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقى * آس اقاح شقيق نرجس در

وجل القصد هنا ان يكون اللف والنشر في بيت واحد خال من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب واما القسم الذي هو العكس اعني غير المرتب فكقول الشاعر

كيف اسلو وانت حتف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر في البيت واما القسم المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة في بيت الكافات الثنائية

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلى * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندي من حوائجه * سبع اذا الصفع في ميدانه وقفا
نطع وطرق وزربول وغاشية * وركوة وجراب ناعم وقفا

ففي قوله بعد ما ذكره من الات الصفع وقفا غاية في اللطف وقوة في تمكين القافية انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره * واما اصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع في هذا الباب ولم يأتوا به الا في بيت واحد بحيث يكون مثالا شاهدا على هذا النوع وماشيا على سنن الابيات المفردة المشتملة على أنواع البديع وبيت صفي الدين غاية في هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو وهو قوله

وجدي حنيني انيني فكرتي ولهي * منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا في بيتين مع عقادة التركيب ولقد حبست عنان القلم عن الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهما

حيث الذي ان بدا في قومه وحبي * عفاته ورمى الاعداء بالنقم
فالبدر في شبهه والغيث جاد لذي * محل وليث الشرى قد جال في الغنم

وبيت عز الدين الموصلي

نشر ويسر وبشر من شذا ونداه * واوجه فتعرف طي نشرهم

قوله فتعرف طي نشرهم ليس له نص في اللف لانه نص فيه على ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف

والنشر فى نص اللف وعلى كل تقدير فلا بد له من تسمية النوع فسماه ولكن اتى به فضلة ولو التزم الشيخ صفى الدين أن يسمى هذا النوع البديعى فى بيته لتجافت عليه تلك الرقة وبقى

فالطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم

فالطى والنشر فى نص اللف قبالة الظهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم هذا مع زيادة العدة على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة السهولة والانسجام وصلت الى اكثر من هذه العدة

الطباق

(ذكر الطباق)

بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا اعلوا فى طباقهم

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة فى اللغة ان يضع البعير رجله فى موضع يده فاذا فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعى المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الاربع وقال الخليل بن احمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حد واحد انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة فى الاصطلاح الجمع بين الضدين فى كلام او بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس فى الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما اعنى البياض والسواد فقد قال الرمانى وغيره البياض والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا الحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم اوردوا فى المطابقة من التدبيج قول ابن حيوس على جهة الكناية

فافخر بعم جود يمنه * وأب لأفعال الدنية آب

بياض عرض واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين او من فعلين أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنها اجد قوما يختلفون فيها فطائفة وهم الاكثر انها الشئ وضده وطائفة يزعمون أنها اشتراك المعنيين فى لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب وأوردوا فى ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * واللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثانى العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقد خالف الخليل والاصمعى فقيل اوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من اعلم منهما بطيبه وخبيثه وما احسن ما اتى الاخفش فى الجواب بالمطابقة (ومنهم) من ادخل المقابلة فيها وليس بطيح اذ لم يتق للفرق بينهما محل فان السكاكى قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فاكثر وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شيأ شرطت هنا لضده والمطابقة هى الاتيان بلفظتين والواحدة ضد الاخرى وكأن المتكلم طابق الضد بالضد ولقد شفى زكى الدين بن ابى الاصبع القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتى بالفاظ الحقيقة وضرب يأتى بالفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا (فمثال التكافؤ)

Digitized by Google

وهو من انشادات قدامة

حلو الشمايل وهو مر باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فقوله حلو ومر يجرى مجرى الاستعارة اذ ليس فى الانسان ولا فى شمائله ما يذاق بحاسة الذوق ومن امثلة التكافؤ قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفأ واشمس النهار واوقدوا * نجوم العوالى فى سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شئ عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة فى الفضاء

وما أحلى قول القائل فى هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبى الاصبع واما المطابقة الحقيقية التى لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فاعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار رضى الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة ومن الشواهد الشعرية قول الحماسى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

ان ساءنى أن نلتنى باساءة * لقد سرنى أنى خطرت ببالك

ولآخر فى وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

والمعجز الذى لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة وما فيها من الوجازة ومن ذلك فى الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فوالذى نفسى بيده ما بعد الحياة مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ما قررته فى المطابقة لغة واصطلاحا وما اوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأى ابن ابى الاصبع (ولهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهى المطابقة التى لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحترى

يقبض لى من حيث لا أعلم النوى * ويسرى الى الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا اعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا * وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن فى ذلك قول بعضهم

خلقوا وما خلقوا لمكرمة * فكانهم خلقوا وما خلقو

رزقوا ومارزقوا سماح يد * فكانهم رزقوا ومارزقوا

ومثله قول بشر بن هارون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له اتفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق ارجوه كقدومى عند مخلوق لا ارجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (ولهم ايهام المطابقة) كما لهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدى وشاحا ابيضا من سيبه * والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه انه ضده ومثله قول دعبل

لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب براسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (ولهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسى

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لا اكلفهم رفدا

فى قوله تتابع لى غنى معنى الكثرة وأما قول ابى الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرور محب أو اساءة مجرم

فمتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان المجرم ليس بضد للمحب بوجه ما وليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا فى آخر الباب (طباق الترديد) وهو ان ترد آخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لا يرقع الناس ما اوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

وجعل القصد فى هذا الباب المطابقة فى الحقيقة التى قررها ابن ابى الاصبع وتقدم ذلك فى اول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ما اورده القاضى جلال الدين القزوينى فى ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضى الارجانى

ولقد نزلت من الملوك بماجد * فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذى اقوله ان المطابقة التى يأتى بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شئ سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه فى البهجة والرونق كقوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ففى العطف بقوله تعالى وترزق

من تشاء بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذى لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرء القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة فى الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زادها تكميلا فى غاية الكمال فان المراد بها قرب الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ولم يكن قد ضرب لانواع البديع فى بيوت العرب وتدوالا امتد له سبب وقد اشتمل بيت امرء القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر ومن كسا المطابقة ديباجة التورية ابو الطيب المتنبى حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وانت يمانى

لعمرى لقد رفع ابو الطيب قدر المطابقة وازال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعى الذى عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب ابن عباد فى رثاء الوزير كثير بن احمد

يقولون قد اودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فثكل كثير فى الانام قليل

وابو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وما احلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى * فلا ارتجى فى الحب اقضى ولا ارجى

فشد أزر المطابقة ببديع اللف والنشر واهلها بغريب هذا المعنى بعد ما سال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة

فلا تتعجب أننى عشت بعدهم * فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها

وحرف تجوب القاع والوهد والربا * كحرف مديم الجر والرفع والنصب
تجانب يقدحن الحصى كل ليلة * كان بايديها مصابيح للركب

ومن المطابقة باللف والنشر ايضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * اخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل

ارالك بخيلا بعونى فهبنى * سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلـــ * ـوفابكيت عينى وأضحكت سنى

ومثله قوله

ياوجوها زانت سناها فروع * حالكات اغنتكم عن حلاكم
لى من حسنكم نهار وليل * انعم الله صبحكم ومساكم

ومثله قوله من قصيد

توغل حرقتى أجرى دموعى * فقل ماشئت فى دخل وخرج

ومنه قول ابى حفص المطوعى فى الباب

اوماترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبنى قوله بعد هذا البيت

كالكف سنور ولكن نشره * يسعى بفأر المسك فى الآفاق

واما سحر البلاغة هنا فقول القاضى الفاضل

دام صاحى وداده عمر الدهـــ * ـر جنينا لسكرى النشوان

أنظر أيها المتأمل ما أبدع ما أبرز المطابقة فى حلل هاتين الاستعارتين المغريتين وما الطف ما ايد معنى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور اوقع فيما * زعم الجد من بنات الدنان

فالفاضل ابرز هذه المطابقة فى حلل الاستعارة ولكن من اين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الامواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء برأيهم فى هذا الفن فانهم ما أبرزوها الا فى شعار التورية فمن ذلك قول القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فى موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المطابقة بالتورية فى قوله

أرج النسيم سرى من الزوراء * سحرا فاحيى ميت الاحياء

ومثله قول الوداعى فى قصيد وهو فى غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

ومما الطف قول الشيخ شمس الدين الواسطى فى دوبيت

ان ضر منى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواى لاعقل له * ما ابلد عاذلى وأذكى ناوى

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبى من البدو كلاء الجفون بدت * فى قومها كهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر بينهن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

Digitized by Google

ومثله قول ابى الحسين الجزار

أمولاى مامن طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فاخرجنى الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من توب اصطبارى عاريا
اجريت واقف مدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يامولاى يامن * يغير البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس انى * اتيت لحاجة لم تقضها لى
وأصبح بينهم مثلا لأنى * أتانى النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت الفاظ الحبيب وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * واشكو من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حرفى من مهمهف القدرام * أسهم اللحظ ما أشد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـ * ـل رمانى من سحر عينيه يغلق

ومثله قوله

ان أساء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
يالها وجنة اقابل منها * حسنات تمحى بها سيآت

ومثله قوله

قام غلام الامير يحسب فى * يوم طهور البنين طاووسا
فانزل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تنجيسا

ومما ألطف قوله من هذا النوع

ياغائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس فى كفى لياليكم * فالكاس فى راحة والقلب فى تعب

ومثله قوله فى براعة قصيد

* يوم صحو فاجعله لى يوم سكر *

ومما احلى ما قال بعده فى الشطر الثانى

* فادر لى كأسى رضاب وخمر *

منها ولم يخرج عما نحن فيه

جفن عينيه فاتر مستحى * انما خده المشعشع جرى

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو فتان التثنى * فيالله من فرد تثنى

وله فى روضة من قصيدة

مطابقة الأوصاف اما نسيمها * فصح واما ماؤها فتكسرا

انظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا فى قوله مطابقة الاوصاف ومثله قول الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى من قصيد

بابى غنى ملاحة اشكوله * فقرى فيصبح بالغنى يتطرب

ومنها فى هذا النوع

وغدا ينادمنى وكأس حديثه * اشهى الى من العتيق واطيب

ومثله قوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح اسبق لى من العذل

وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردى

تجادلنا اماء الزهر ازكى * ام الخلاف ام ورد القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو فى غاية الظرف

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرنى من حيث بى يعتنى

البس فى من شيبتى حلة * قلت له والله عريتنى

ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدى وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة تخفيفة

ايا فاضلا تد نو الافاضل نحوه * وتشكر فى جمع المناقب تصريفه

اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلى * فلا عجب أن كنت تقبل تخفيفه

ومنه قول الشيخ صفى الدين الحلى من قصيدة

والريح تجرى رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق فى زى مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

ومنه قول المعمار

أصاب قلبى خطاءى * بلحظه لشقاءى

فرحت من فرط وجدى * أشكو الى الحكماء

قالوا اصبت بعين * فقلت من عظم داءى

ان كان هذا صوابا * فقلك عين الخطاء (الخطاءى)

وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا

ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي

بروحي افدى خاله فوق خده * ومن أنافي الدنيا افاديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال (الخالي)

ومثله قول الشيخ عزالدين الموصلي

سموا منى مهجتي سعيدا * ولي شقاء به يزيد
اذا اجتمعنا يقول ضدي * هذا شقي وذا سعيد

وظريف قول جمال الدين عبدالله السوسي

ورب أقطع يشدو * ساروا وما ودعوني
ما انصفوا اهل ودي * واصلتهم قاطعوني

وألطف منه قول الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا

يامعشر الاصحاب قد عن لي * رأي يزيل الحق فاستظرفوه
لاتحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه

ومثله قوله

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة * ولاتتبع الحلي فهو حرامي

وظريف هنا قول الشيخ بدرالدين البشتكي وان لم يكن فيه توريه فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا ياقبيح الوجه تهوى * مليحا دونه السمر الرشاق
فقلت وهل أنا الاأديب * فكيف يفوتني هذا الطباق

ومن المطابقة بالتوريه قول القاضي بدرالدين ابن الدماميني رحمه الله

بدر اذا شمت فوق الخد عارضه * يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا
وظن ان صوا باهجر عاشقه * لما رأى منه شيبا باديا وخطا

ومن العجيب في هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين ابن حجر فسح الله في اجله

خليلي ولي العمر منا ولم تتب * ونتوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة * واعمارنا مناتهد وماتبنا (تبنى)

وما احلى قوله فيه

اتى من أحباء ي رسول فقال لي * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

تاى رقيبي وحبيبي دنا * وحسنه للطرف قد أدهشا
انسى المحبوب يوم التقا * لكن رقيبي فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

اشكوا

اشكو الى الله مابى * وما حوته ضلوعى
قد طابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبى اكتم الهوى * خوف لاح وواشيه
كيف استطيع كتمه * وسقامى علانيه

وانشدنى من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد اوقفته فى الشرح على هذا النوع فقال

ياسادتى والعشق لم يبق لى * من بعدكم روحا ولا احسا
صبحنى الهم لهجرانكم * والضر لما ينتم مسا (مسى)

وله

لثغرك طعم ونشر يلذ * ونسق به ياأخا البدر عشقا
فدعنا نمت ونعش فى الهوى * غراما ونتعم ذوقا ونشقى

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما * أهل ظلم متوالى
كلفونى بيع خيلى * برخيص وبغال (بغالى)

ونقلت من ديوان والده المقر الفخرى

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر
يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم انس معشوقة زارت بمخ دجى * فبت فى مسك انفاس وطيب سمر
حتى الصباح وعيناها تظن بأن * هاروت حل عشاء فيهما وسمر

ونقلت منه ما امتدح به أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبى ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

وقوله

علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياهجرها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت فى هذا المعنى من قصيدة

وكيف أكتم حبا فى هواه ولى * من أجر الدمع فوق الخد تشهير
ونار خديه قلبى ارخصت وغلت * لما غدت ولها فى القلب تسعير

وقال أنجدت سيف اللحظ عنك فكيـ * ـف الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالى بالجفا عبثا * فخاطبا قلت الا رقة وجفا

Digitized by Google

وقلت من قصيدة

شرقونا بمدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قبلونا

وقلت بعده

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح امين الدين من غزل هذه القصيدة ولم اخرج عما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولى

والحشا لم تخن عهود وفاكم * واسالوا من غدا عليها امينا

ومن غريب ما وقع لى فى هذا النوع قولى من قصيدة

بدر منير قسى برؤيته * لكن يرى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لى فى حماكم اهيف من عامر * وخراب بيت تصبرى بالعامرى

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى فى باطنى بالظاهر (بالظاهرى)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتى * يغديك محلول العرى من ظافر

وحميت برد الثغر اذ طابقته * فى ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما احلى قولى فى ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

بمر هجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلاك

وكتبت الى بعض المخادين بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منثورا أبيض فاطلنى مدة والمنثور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من نداكم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت

هويت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا نسود على * بيض الظبى قلت انتم اعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن ويتأيد قولى ان الذين اقتديت برأيهم ومشيت على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم يتطوها الا فى سلك التورية وقد اوردت لهم هنا من ذلك ما شنف الاسماع * ورقص عند السماع * والكمال لله فان الشيخ صفى الدين لم يأت بالمطابقة الا مجردة وبيته

قد طال ليلى وأجفانى به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

وبيت العميان مثله لكنه عامر بالركة والعقادة وهو

واسهر اذا نام سار وامض حيث ونى * واسمع اذا شخ فاسوا سران يقم

وبيت عز الدين

ابكى فيخجل عن درر مطابقة * حتى تشابه منثورى بمنتظم

لعمرى ان بيت صفى الدين وبيت العميان يتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل وبين غرابة المعنى وحسن الانسجام ورقة النسيب وبديع اللف والنشر ولم يات كل منهما الا بمجرد المطابقة واما قول العميان فى آخر بيتهم واسران يقم فهذا اللفظ من بقية ماسقط من حجارة البيت وبيت بديعى

بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعى اجتمعت هنا فى قافية هذا البيت الذى علا بطباقه * وتضيأ أهل البديع بظل رواقه *

(ذكر النزاهة)

النزاهة

(نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذم)

النزاهة ما نظمها احد فى بديعيته الا صفى الدين الحلى وقد تقدم القول انه ذكر عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم فى حلبة ميدانه * وتفرد سواجع الحشمة على بديع افنانه * لانه هجو فى الاصل ولكنه عبارة عن الاتيان بالفاظ فيها معنى الهجو الذى اذا سمعته العذراء فى خدرها لا تنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن احسن الهجو وقد وقع من النزاهة فى الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون فان الفاظ الذم المخبر عنها فى كلام الآية اتت منزهة عما يقع فى غير هذا القسم من الفحش فى الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية فى النظم قول ابى تمام

بنى عمنا مالى وبالكم * وفى البلاد منادح ومضطرب
لحاجة فى فيكم ليس يشبهها * الا لحاجتكم فى انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول معبد بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * فى ربة العود لا فى رنة العود
لا تاسفن على الشاة التى عقرت * فأنت غادرتها فى مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعانى ونزاهة الفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

غض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ما وقع فى هذا الباب قوله ايضا

لو ان تغلب جمعت انسابها * يوم التفاخر لم تزن منقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكى كيف بالغ فى تنزيه الفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذى يراد به الجد وهو غاية فى هذا النوع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

حسبى بذكرك لى ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا تنقص ولا تذم

Digitized by Google

وقال انها بالذال المعجمة فان جل قصده الذم هنا والذى أقوله ان هذا البيت شموس ايضاحه آفله فى غيوم العقادة وليته استضاء بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه فى بديعيته لاجل معارضة الصفى وقال فى بيته يخاطب العاذل

لقد تفيهقت بالتشديق فى عذلى * كيف النزاهة عن ذا الأشدق الخصم

قد تقرر ان النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بالفاظ لا تنفر منها العذراء فى خدرها والذى أقوله وانا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين فى بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذراء وحاصل القضية انه نزه الفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتى

نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حبهم يا غربة الذمم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع مافيها من عدم التكليف فى الميل عن التعسف والذى اقوله ان بيتى فى هذا الباب جر ذيال البلاغة مع جرير * وشاركه فى العذوبة والتبارى ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير *

التخيير

(ذكر التخيير)

(تخير والى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقوافى شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله سبب ماله احد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها ابلغ من الجميع وأدل على القافية وأمس بذكر الحاجة وابين للضرورة واشجى للقلوب وادعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ماذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لايات للمؤمنين وفى خلقكم ومايبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى ان تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة مافى العالم من الآيات الدالة على ان المخترع قادر عليم حكيم ولابد من التصديق اولا بالصانع حتى يصح ان يكون مافى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ليعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع

العالم

Digitized by Google

العالم الكلى بعد قيام البرهان على ان للعالم الكلى صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل فى الجميع الا ان ذكره هنا امتن بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغى ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر لا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهى عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتاديبه وانما ينهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده ردا جميلا ويعجبنى قول ديك الجن

قولى لطيفك ينثنى * عن مضجعى عند المنام

عند الرقاد * عند الهجوع * عند الهجود * عند الوسن

فعسى انام فتنطفى * نار تاجج فى العظام

فى الفؤاد * فى الضلوع * فى الكبود * فى البدن *

جسد تقلبه الاكف * على فراش من سقام

من قتاد * من دموع * من وقود * من حزن

أما انافكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد * من رجوع * من وجود * من ثمن

فهذه القوافى المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها والاولى اولى وارجح وبيت صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

عدمت صحة جسمى اذ وثقت بهم * فما حصلت على شئ سوى الندم

فلذكر عدمت فى صدر البيت يليق ان تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت فى غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تحير قلبى هوى السادات صح به * عهدى وانى لحزنى ثابت الالم

أما تحيير هذا البيت فانى تركته لاهل الذوق السليم بل تحيير البيت بكماله ولم تنظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيتى

تحيروا لى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بها السقم وتقديم السقم هنا لقربه من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

الابهام

(وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى ألمى)

الابهام بياء موحدة وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام

Digitized by Google

مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من الفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأه فاثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن بينت من

فلم يعلم ما أراد بقوله بينت من فى الرفعة او فى الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سا اتيك به لا تدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لا عملن فيك بيتا لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فاعلم احدان الصحيحة تساوى السقيمة او بالعكس فاستحسن الحسن صدقه * اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا واورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل فى هذا الابهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبى ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون
فاذا اتاه مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

وكذلك الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلى لاجل المناظرة ويأتى الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال * وابرزت بدوره المتحجبة فى افق الكمال * فانى كتبت فيه تقريضا لم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا * ولا سبقنى اليه اديب ولا ولد منه على هذا الطريق شكلا * وماذا لا أنه ورد الى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدى خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعى فى شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطى الادب فى مبادى عمره فسألنى أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل على ممن لا تمكن مخالفته فحسنت له كتابة شيخنا القاضى بدر الدين بن الدمامينى اولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب له الا اذا كتبت له فلزمتنى الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذى صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع * وأوضحت طريقه فضاع نشره الذى كان من غير توريه ضائع (وهو)

قوله ظاهر فيهما انظر ما وجهه فى العروضة

وقفت

وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضه * فوجدت مطرب لحنها قد اعرب عن التنكيت لاهل النكت الادبيه * ونويت معها سلوك الادب لاحتشامها بالصفات المؤيدية * فانها ما قويلت بأدب الا تقوت بسلطانها * ولا جارتها سيرة مطولة الا كانت قاصرة عن الجرى فى ميدانها * ولا ذكرت التواريخ المقدمة معها الا تأخرت وكبت خلفها * ولا ناظرها ذو قصص الا ثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها * ولا بالغ اهل التقاريض فى تقاريضهم الا وكانت دونها * واستحق لها هذا الوصف فى ذمة أهل الادب فاستوفت منه ديونها * فلو نظرا الصفدى الى هذا التاريخ وراجع النظر لسلخ جلده * او تصفحه الكتبى لعدد على تاريخه وما عده * او كاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده * أو عاصره ابن خلكان لقال لم امازج شراب الفقاعى بخلى فان عنده حمضة وبرده * او لمحه الذهبى وموه بتاريخه لقيل له هذا ما ينطلى معه * وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فهضم من جانبه ووضعه * ولو ادركه البديع لرمى بديعه وعلم أنه بدعه * او لحقه الوهرانى لرآه فى المنام ان حصل له بعده مطالعته هجعة * نسب هذا التأليف الى الدولة المؤيدية فصار له على كل اهل الارض صوله فلو ناظره مؤلف بجلد لقلنا هذا جراب الدولة تحمس فى شعره وتغالى فالقى لنا فى سوق الكلام رخصه * ولو زايده ابو تمام لتحقق عجزه وارانا بنفسه نقصه * نعم هذه الاشعار التى مازاحمها شاعر بديوانه الا تلت عليه بعد الزلزلة الواقعه * وتقوم القيامة وهى الى الحشر مرمية على القارعه * ولقد اقام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطى بفضله * ونقص عنها الراجح الحلى لان فيها زيادة على مثله * فيا له من شعر قصر عن بحره الطويل كل معارض * وكيف لا وناظمه ذو همة علية وناهض وابن ناهض * وقد وقف ابن حجة وقوف معترف ان عنده فى نظمه وقفه * وسيكتب المقر البدرى على اعترافه انه قاضى الادب وامامه الذى صلت البلغاء خلفه * وفتحت لعلماء الادب هذا الباب وارجوان يكون فتحا مبينا * فان رضونى براعة يحسن الختام واذا حصل العلل من هذا النهر رويتا * نعم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف ما يهمل * وامتثلت مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذى يذوقه من له فيه اعذب منهل * والله يجمعنا على هذا الشرب لتحلو موارده بالموارده * ولا يحجبنا عن الكلام الذى يحسن السكوت عليه وتتم به الفائدة (وكتب بعد ذلك سيدنا القاضى بدر الدين المشار اليه) وقفت انا ولا اكاد اثبت نظرى لشدة الخجل * وسألت المهلة فى وصف هذه الالفاظ فاذا هى قد جاءت على عجل * فقلت أما المقام الشريف الممدوح عز نصره * ولا زالت تفخر بدولته القاهرة مصره * فلك مد على الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام * وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته السنة السيوف والاقلام * وسار على اقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه * وطلع فى سماء الكواكب كالبدر فقل ما شئت فى الطلعة القمريه * ودعا الى نسك طاعته فلبته فى ذلك الموقف النفوس * ونادى على اعدائه منادى الحتف فأرانا كيف يكون الترخيم بحذف الرؤس * فاهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت * ونافست النجوم جواهر الالفاظ فى مدحها فغارت * وشملت البرايا بالمن والمنح * وقابلت المسئ بالعفو والصفح * حماها الله

تعالى من الغير * وجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير * وأما منشئ السيرة فماذا اقول وقد رأيت الخطب جليلا * وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا * هو كبير اناس مزمل من البلاغة بانواع وأجناس * ياتم به الهداة كانه علم * وتروم الادباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الالم * له في الادب صريمه وشهامه * وفراهة تجريه الى المقامات الزائقة فلا تعتريه سآمه * ماهم بتركيب معنى الا وشرح الصدور بذلك الهم * ولا شن فارس فكره غارة الا وتم منها على بيوت الشعراء ماتم * طالما اظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله * وصعبت الاداب على غيره لكنها اصبحت عليه سهله * وعقل غرائب نكته عما سواه فله ما ابدع عقله * كدر عيش الحلي بما ابتدعه من العجائب ولا ينكر لمثله تكدير الصفي * واكتفى في ميدان البراعة بجواد فكره الذي جال وهو مكر مفر وهكذا يكون المكتفي * اتى في تاريخه بالفاظ لو رآها ابن الاثير لتأثر * وابن سعيد لتعثر * وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى * او الجازي لرمى منها بالداهية التي هدمت ما بناه وثقلت عليه حملا * وكتب خطا لو لمحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره * او ابن البواب لهتك ستره * وجاء بادب لو وازن احد به الراجح الحلي لما اقام له وزنا ولا رجحه * ولو تأمل المليجي ملاحة لفظه الذي ما مر مثله بالذوق الا قال لسان التجيب ما أملحه * ولو قيس به ابن الرومي المتعاظم * لانشد الناظم

ولواني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما القى ولكن * تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ولو تشبه به مادح كافور لعاد من برده بكبد حرا * ولو كلف مجاراته صاحب القطر النباتي لقال ربنا افرغ علينا صبرا * ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لما زادته الا خبالا * ولرأى سطورا تتوالد منها المعاني العجيبة والليالي كما علمت حبالى * ولو اصبح ابن قادوس نحارا بمثل أدبه لقلنا له حسبه ان يدور في الدولاب * ولو تسرح الزغاري الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب * ولو تسلق المعمار عليها لعلم انه ينحت من الجبال بيوتا * ولو رآه ابو نواس لقال هذا الذي نقل الادب خبرا وعلم من اين يؤتى * ولو عورض به ابن مماتي لطال على قريحته المتينة النحيب * او ذكر الصابي لقال الذوق السليم ليس لعصرنا من صاب سوى هذا الاديب * ولو ادرك آدابه الحكيم ابن دانيال * لعلم انه ما تخيل نظيرها في الوهم ولا تصور مثلها في الخيال * واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصاري

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

فيا او فر عقل هذا الشاعر واوفاه * وما اقدره على تخيل المعاني الغريبة واقواه * وما احق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التي تعاطاها بسواه * كم تصور معنى في الذهن فابرزه في الخارج اغرب الاشياء اسلوبا * وكم ركب جناسا اذا ذكر البستي عنده قال الادب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا * ولقد كنت ارتجي بابا ادخل منه للتقريض ففتح لي المقر التقوى بابا مرتجا * ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا * ابقاه الله لابهام يوضحه * وفساد عاجز يصلحه * والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة

قريحته

تقريحته التي هي لعجائب الآداب حائزه * ويجعله ممن يسرح في رياض الصدقات الشريفة
جمايسوقه اليه من وفور الجائزه * والح المصنف بعد ذلك على المقر المجدى فضل الله
ابن مكانس فكتب باللطيف تطرت هذه السيرة التي يعرض عنها المعارض * وينزو مؤلفها
في رياض الأدب على بكر من سوام المعاني وفارض * فوجدته قد نهض بعب ثقيل من
الكلام وقام * واوقف البلغاء في مقام العجز ويعذر العاجز اذ شرفها بذكر مولانا السلطان
في هذا المقام * خلد الله ملكه الشريف * وعم بعدله المبسوط مدائن فضل ذات ظل
وريف * وجعل ايامه الزاهرة تواريخ السعود * ومغانم الوفود ومواسم الكرم
والجود * وثبت قواعد سلطانه على النجوم * ورفع جنابه المعظم على الافلاك حتى تسير
لخدمته ممنطقات بمناطق النجوم * واعز دولته عز ايذل له الدبر والاملس * وتلبس اثوابه
في الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس * هنالك ينحنى الهلال لتقبيل
اقدامه * ويعتد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه * ويتضاءل كل منهما فيصير هذا
نعل فرسه وهذا حلية لجامه * وملكه رقاب العباد * وامضى احكام سيوفه في رقاب اهل
العناد * حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا * وسعى في مراضي الله فزلزل ديار
الكفار سماء وأرضا * ضاعف الله ثواب عمله المقبول * وانشد بشكره لسان العالم حتى
ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العليا وارضاها
وشيد الدين والدنيا ببيض ظبي * ان لم تضاه به في الحرب أمضاها

ثم كررت النظر فيها * واستنهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشئها * فنكس القلم من
الخجل راسه * وصعد من صريره انفاسه * وقال لست ممن يجيد في هذا التقريض عباره *
ولا ينهض في وصف ما جاء به هذا الرجل من متين كلمه الذي الخم الفحول فكأنما القمهم
حجارة * فلقد ترفع قلمه في أرض قرطاسه وسما * وأتى من الرقيق بشيء يحسبه الظمآن ماء *
وقذف الرعب في القلوب بذكر الوقائع فورمت خوفا وشكت مما قذف بها ورما * فلو وازنه
القيراطي لثقل في الحقيقة عليه * أو حام على حمى ابن ابي حجلة لفر طائرا من بين يديه * أو جلا
على ابن نباتة سلاف نظمه لم يقل الى بكاسك الاشهى الي * أو أورى زنده مع الشواء لاحرق
قلبه ولم يستحسن منه شيء * او عاصر ابن الساعاتي لم يلتذ بطيب المنام * او جارى النصير
الحامي لالقى شعره في سرب الحمام * او تقدم لزمان ابي تمام وناظره لعلم الناس أنه غير لبيب
* وقال له علماء البديع هذا ضدك يا حبيب * أو ابن حجاج لاظهر فساد عقله السخيف * ورمى
بجميع ما قاله في الكنيف * فهو أولى منهم بما جره الفضل وجذب * وأحق وان اشتهرت
فضائلهم أن يشتهر بالادب * فانه لو كلف الغريب من القول لاتى به على كنهه * أو أقام
الاعتذار عن قبيح لقام العذر عما جاء به وذهب على وجهه * ولو تصدى لتهجين حسن
لزان بما علاه الطروس من ذلك وشحن * او حاجج بالباطل من يعرب عن الحق لنهض بحجته
واستمر يلحن * فسبحان من أقدره على ما تقصر عن ادراكه الافهام * وتعجز عن تصوره عقول
الانام * ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فضائحه * وسأله طي هذه الصحيفه

Digitized by Google

خوفا من نشر قبائحه * فابى الاظهار المكتوم * وفض المختوم * فيا بخلتاه لما كتب * ويا فضيحتاه اذ الام الفاضل على ما جاء به وعتب * ولكنه جرى خلف الجوادين السابقين * واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انها ملأت الخافقين * ابقاهما الله مدى الازمان * واسبغ عليهما غطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان * وامتع بجناب منشئها الاحباب * وأقر به أعين الاخوان وبسط به انفس الاصحاب * والهمنا أجمعين تجنب ما خفى علينا من عوراتنا * وكشف حجب قلوبنا * بمنه وكرمه * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

ليت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام ومازاده حسنا الاتقويته بليت التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد الخياط فان الشيخ صفى الدين لما قال لعاذله (ليت المنية حالت دون نصحك لى) حسن ابهامه بقوله (فيستريح كلانا من اذى التهم) وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل * وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

ابهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى اجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين السهولة والانسجام والتصوير والتورية البارزة فى احسن القوالب بتسمية نوع الابهام الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى الحمى

فان الابهام هنا بين بهيم الليل وبين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل التميز لاحدهما عن الآخر كما وقع الشرط بل الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد المورى عنه بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

ارسال المثل

(وكم تمثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم)

ارسال المثل نوع لطيف فى البديع ولم ينظمه فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين وهو عبارة عن ان يأتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت او غير ذلك مما يحسن التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وقوله صلى الله

عليه

عليه وسلم المرء مع من احب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب ابى أحمد العسكرى على كثير من هذا الباب ومن أمثلته فى الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجة * وتغرس الا فى منابتها النخل

ومثله قول النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ومثله قول بشار

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

وما احلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذا * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول ابى تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال ابى تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت واربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبى الطيب المتنبى فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبى الطيب ما ولده من امثال أبى تمام وصدر الجميع بما وقع فى الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهى أمثال الاشعار السنية والحماسة وامثال أبى نواس بعد أن ألحق أمثال القرآن بامثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بامثال العامة فى كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائى فى لامية العجم قوله

حب السلامة يثنى عزم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
لو ان فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أعلل النفس بالآمال ارقبها * ما اضيق العيش لو لا فسحة الامل
وعادة النصل ان يزهى بجوهره * وليس يعمل الا فى يدى بطل
ما كنت اوثر ان يمتد بى زمنى * حتى ارى دولة الاوغاد والسفل
هذا جزاء امرء أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل
يا واردا سؤر عيش كله كدر * انغصت صفوك فى ايامك الاول

Digitized by Google

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا امينا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

ومن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها ابو الطيب المتنبي في قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر اقتل لي مما أراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفصلين الى الغاية التي تمثلا بها في الشمس وزحل وتاخر سوابق الافهام عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما نالك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لي أن أجمع هنا ما حلا بذوقي من أمثال أبي الطيب المتنبي وان كان فيها ما ولده من شعر ابي تمام كما ذكره ابن ابي الاصبع فان القصد ان نصيرها عمدة لاهل الانشاء اذا اوردوها في الوقائع التي تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من اختها بدل

وقوله من قصيد

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
خير اعضائنا الرؤوس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * ووعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويعجبنى قوله فى الهجو وهو مما نحن فيه

فلو كنت امرأ أهجى هجونا * ولكن ضاق فتر عن مسير

وقوله

فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

قد هون الصبر عندى كل نازلة * ولين العزم خد المركب الخشن

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من ابيات قوله

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا * فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التى كانت العظمى

فلا عبرت بى ساعة لا تعزنى * ولا صحبتنى مهجة تقبل الظلما

وقوله ايضا

وانا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

انعم واذ فللأمور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل

للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل

جمح الزمان فالذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى فاضل

وقال من قصيدة وهى أبلغ ما يكون فى المدح

اعمى زوالك عن محل نلته * لا تخرج الأقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع منى كل يوم سلامتى * وما ثبتت الا وفى نفسها أمر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما عمر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وانى رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبنى من المديح منها

وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

وقال من قصيدة

وما ليل بأطول من نهار * يظل يلحظ حسادى مشوبا

ولا موت بانقص من حياة * أرى لهم معى فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ فى الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا

Digitized by Google

قسا فالاسد تفزع من يديه * ورق فنحن نفزع ان يذوبا

وقال من قصيدة وهى التى ذكروا انه ادعى فيها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعى على بصرى * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
اذا قدمت على الأهوال شيعنى * قلب اذا شئت أن يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى * ولا اعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى * ان النفيس عزيز حيثما كانا
لا أشرب الماء مالم يفت طمعا * ولا ابيت على مافات حسرانا
ولا اسر بما غيرى الحميد به * ولو حملت الى الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

غالى وللدنيا طلابى نجومها * ومسعاى منها فى شدوق الأراقم
من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * اذا انسعت فى الحلم طرق المظالم
ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس رؤى سيفه غير راحم
ولولا احتقارى الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة فى البهائم
وكاد سرورى لاينى بندامتى * على تركه فى عمرى المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب أنى لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت ما بينى وبين أحبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب
يهون على مثلى اذا رام حاجة * وقوع العوالى دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقى عيشه مثل ذاهب
باى بلاد لم اجر ذوائبى * واى مكان لم تطأه ركائبى

وتخلص الى مديح طاهر ولكنه اتى فى تخلصه بالعجائب فقال

كان رحيلى كان من كف طاهر * فأثبت كورى فى ظهور المواهب

ما يقول اثبت كورى فى ظهور المواهب الا المتنبى ومن أبياته التى سارت امثالا قوله

اذا عامرت فى شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى امر حقير * كطعم الموت فى امر عظيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحليم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأسماع منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة

والهم يحترم الجسيم مخافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

لاتخدعنك من عدو دمعة * وارحم شبابك من عدو لك ترحم

وما اعظم ما قال بعده

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله

كريشة بهب الريح ساقطة * لاتستقر على حال من القلق

ويعجبنى قوله من ابيات يتمثل بها فى كثرة الاحسان المفرط

ولم تملل تفقدك الموالى * ولم تذمم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار أحب ما يهدى اليه * لغير قلى وداعك والسلاما

وقال

والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم فى الاملاق

وقال من قصيدة

وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويستعجب الانسان من لا يلايمه
بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا عجلتنى غير ما أنا عالمه

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقال من قصيدة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما تمر به الوحول

وقوله

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله

يراد من القلب نسيانكم * وتابى الطباع على الناقل
ولو زائم ثم لم ابكم * بكيت على حبى الزائل

وقوله

هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل جلوة الحسناء الا أذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبى * فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

Digitized by Google

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد أكلتهم وذاقا

وقوله

فما ترجى النفوس من زمن * أحد حاليه غير محمود

وقوله

ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا ما البحر كيف اذا يموج

وقال

ليس الجمال لأنف صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا

وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله

أهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
ولكن اذا الهم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد
فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثيرا الحب بالجهل فاسد

وقوله

وما كل وجه ابيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
كأن الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب
فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب
وفى تعب من يجحد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب

وقوله

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
ولست ابالى بعد ادراكى العلا * اكان تراثا ما تناولت ام كسبا

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مديح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا

كذا

Digitized by Google

كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته ربحا
مضى بعد ما التف الرماح ساعة * كما يتلقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
فحب الجبان النفس أوردها البقا * وحب الشجاع الحرب اوردها الحربا

وما احلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى أن ترى احسان هذا لذا ذنبا

ومن أنصاف مطالعه التى يتمثل بها الناس

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثانى لاجل تمام شخص المطلع

* ومن بجسمى وحالى عنده سقم *

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا فى معاملتى * فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

ومما سار من امثالها قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم
يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده

شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من ابيات

وان كان ذنبى كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة

وما كيد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

وقوله

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى فخرت لا بجدودى

Digitized by Google

وما أحلى ما قال من غزلها

أى يوم سررتنى بوصال * لم ترعنى ثلاثة بصدود

منها

أين فضلى اذا قنعت من الدهـ * ـر بعيش مجمل التنكيد

عش عزيزا أو مت وانت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة

تحقر عندى همتى كل مطلب * ويقصر فى عينى المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده

ومازلت طود الا تزول منا كبى * الى أن بدت للضيم فى زلازل

وله من قصيدة

ليس التعلل بالآمال من أربى * ولا القناعة بالاقلال من شيمى

ولا أظن بنات الدهر تتركنى * حتى تسد عليها طرقها همى

وما ألطف ما قال منها

ارى أناسا ومحصولى على غنم * وذكر جود ومحصولى على الكلم

لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالان اقدم حتى لات مقتحم

وقال

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله

اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وقال من قصيدة

نموتى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش من أرب النفوس

وقال من أخرى

ان ترمنى نكبات الدهر عن كثب * ترمى امرأ غير رعديد ولا نكس

وقال

خير الطيور على القصور وشرها * ياوى الخراب ويسكن الناووسا

وقال أيضا

يخفى العداوة وهى غير خفية * نظر العدو بما اسر يبوح

وقال أيضا

وهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال أيضا

وشغل النفس عن طلب المعالى * يبيع الشعر فى سوق الكساد

منها

وما ماضى الشباب بمسترد * ولا يوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وجدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح يدمى بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت بجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم اننى رجل * أكرم مال ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده

يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ما ليس يجنى عليهم العدم

وقال أيضا

خليلك انت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولو لم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وما أحلى قوله منها

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام

ومما سار من امثالها

لقد حسنت بك الأيام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فما تدرى أشيخ ام غلام

وقال من قصيد

اظمأتنى الدنيا فلما جئتها * مستمطرا طرت على سحابا

وقال منها

خذ من ثناى عليك ما اسطيعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها

ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقوله

انا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * واذا نطقت فانى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * ان لا ترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وقال من قصيدة

لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

قوله فاذا الخ فى نسخة تؤذى بدل تؤذى والحمام بدل الغرام

قوله لقد حسنت الخ فى نسخة الاوقات بدل الايام والدهر بدل الدنيا

Digitized by Google

وما أحلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطقة * فاني على تركها أقدر
أصرف نفسي كما أشتهي * وأملكها والقنا أحور

ويطربني من مديحها قوله منها أيضا

كفتك المروة ما تتقي * وأمنك الود ما تحذر

وقال

فلا تطعن من حاسد في مودة * وان كنت تبديها له وتنيل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول

وقوله

وما اخصك في برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

وما أحلى ما قال بعده

اذا انت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

ويعجبني منها في افتخاره

وما الدهر الا من رواة قصائدي * اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغني مغردا

ومن أمثالها

فدع كل صوت بعد صوتي فانني * انا الصائح المحكي والآخر الصدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد في مديحها بقوله

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلتك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة

* لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة

وما التيه ظني فيهم غير أنني * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله

وكيف يتم بأسك في اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجاني عتاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

Digitized by Google

وما جهلت ايادي المبوادي * ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب يولده دلال * وكم بعد يولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

قوله جارمه في نسخة جانيه

ومن مطالعه التي سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تاتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام الكرائم

ويعجبني من مديحها

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرائم

وقال من غيرها

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال من قصيدة

وما في سطوة الارباب عيب * ولا في زلة العبدان عار

وقال من قصيدة

واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
واذا الشيخ قال اف فما طـ * ـل حياة وانما الضعف ملا
انما العيش صحة وشباب * فاذا ولى عن المرء ولى

وما أحلى ما قال بعده

ابدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فيا ليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد

رب امر أتاك لا تحمد الفعال فيه وتحمد الافعالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها

* هكذا هكذا والا فلا لا *

وقال من قصيدة مطلعها

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما قضاة النفوس ودبرت * أيدي الكماة عوالي المران
واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

Digitized by Google

وكثير من السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذى عنده تدار المنايا * كالذى عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وقوله منها

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا

وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما اتى ام تساخيا

اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة

* ومن قصد البحر استقل السواقيا *

وقال أيضا

فارم بى ما اردت منى فانى * أسد القلب ادمى الرواء
وفؤادى من الملوك وان كا * ن لسانى يرى من الشعراء

وقال من قصيد

فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

ويعجبنى من مديحها

كان كل سؤال فى مسامعه * قميص يوسف فى اجفان يعقوب
اذا اعترته اعاديه بمسئلة * فقد عرته بجيش غير مغلوب

وقال ايضا

واتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده

وفى الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد اجده

وقال

اذا حللت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ما قبله تيها

وقوله

وما منزل اللذات عندى بمنزل * اذا لم ابجل عنده واكرم

منها

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى

Digitized by Google

وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلى واعلم انه * متى اجزه حلما من الجهل يندم
وما كل ناول للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم
منها

رضيت بما ترضى به لى محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم
وقوله

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد
وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
وكل امرء يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب
منها وأجاد الى الغاية

واظلم اهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب
وقال من قصيدة

لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا يشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن
وقال من قصيدة

ومراد النفوس اهون من أن * تتعادى فيه وان تتعانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا
وله من قصيدة

ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان
وقال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
وقال

ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام

Digitized by Google

وما احلى ما قال بعده

ولم لرفى عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام
وملنى الفراش وكان جنبى * يميل لقاءه فى كل عام

ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل

وزائرتى كأن بها حياء * فليس تزور الا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها * فتوسعه بأنواع السقام
اذا ما فارقتنى غسلتنى * كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعها بأربعة سجام
اراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام
وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك فى الكرب العظام
فان أمرض فما مرض اصطبارى * وان احمم فما حمى اعتزامى
وان أسلم فما ابقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقوله

وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب
وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب
اعز مكان فى الدنا ظهر سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب

منها فى المديح قوله فى كافور

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب
اذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

وما احلى ما قال بعده

وما كنت لولا انت الا مهاجرا * له كل يوم بلدة وصحاب

وقوله

من اقتضى بسوى الهندى حاجته * أجاب كل سؤال عن هل بلم

منها

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم
وكن على حذر للناس تسترة * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم
سجان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الالم

ومن أمثاله التى سارت فى هجو كافور قوله

العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود

Digitized by Google

قوله السود فى نسخة الصيد

لاتشترى العبد الا والعصى معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد
ما كنت احسبنى ابقى الى زمن * يسئ بى فيه كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض ام اباؤه السود

ومن أمثاله

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى

ومن انصافه التى سارت أمثالا

* ولا بد دون الشهد من ابر النحل *

وقال من قصيد

قد كنت احذرهم من مثل ذا * لو كان ينفع خائفا ان يحذرا
اعطى الزمان فما قبلت عطاءه * وأرادنى فاردت ان اتخيرا

وقال من قصيدة

وقديما تقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وقوله

نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه
تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه
لو فكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه * كغاية المفرط فى حربه
فلا قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد

اذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رأيت هنا فى هذا القدر الذى اوردته من شعر أبى الطيب من ارسال المثل ما تطيب به الاذواق * وتحول به فرسان الانشاء بالجمر من جياد الاقلام فى ميادين الاوراق * وعلى كل تقدير * فما ابى الطيب فى حكمه وامثاله نظير * وهنا نكتة لطيفة وهى أن صلاح الدين الصفدى كان مذهبه تقديم أبى الطيب المتنبى على ابى تمام وهو مذهب أبى العلاء المعرى فانه سمى ديوانه بعد ما شرحه معجز أحمد فاتفق أن صلاح الدين اجتمع باين نباتة بالديار المصرية وذاكره فى أبى الطيب وأبى تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ أثير الدين أبى حيان وذاكراه فى ذلك فقدم أبا تمام فلاماه على ذلك فقال انا لا اسمع لوما فى حبيب انتهى ومذهبى فى ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ أثير الدين ما سمع فى حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند * فمن المستحيل رجوع ابى بكر عن حب احمد * وقد عن لى أن اورد هنا ما سارت فى الخافقين حكمه وامثاله * وانقاد أهل الذوق السليم لطاعته لما ورد عليهم مثاله * وهو تأليفى الذى وسمته بتغريد الصادح وما ذاك الا ان سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين ابن الآدمى نور الله ضريحه * وجعل من

Digitized by Google

الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * كان يقول أود أن انتزع من الصادح والباغم ارجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط ان يكون البيت منسجما مع الذى قبله والذى بعده ولم تيسر لى ذلك لصعوبة المسلك انتهى ولما قدر الله تعالى ما قدره من الاختفاء بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند حلول الملك الناصر بها وانا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد ابن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظر فيه يوما وذكر قول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت له هذه الارجوزة التى سارت غررا أمثالها * ولم يسمح الزمان لمؤلف بمثالها * ومن سافر فيها نظره وكان الذوق السليم رفيقه * علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة * وسميتها بتغريد الصادح * وصدرتها من نظمى بابيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يا مدعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها أمثال * ليس لها فى عصرنا مثال
الفها ابن حجة للنجبا * لأن فيها رأس مال الادبا

قوله وكلها فى نسخة جميعها

واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذه * تجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب ارباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من اول وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من انكر ما احكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من اهل الادب
اول ما يرغب فى استهلاله * من نظمه المحكم فى مقاله

وهذا أول الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتى هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه

Digitized by Google

من انكر القضا فهو مشرك * ان القضا بالعباد أملك
ونحن لانشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بامر البارى
واسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * اغاثه الله اذا اخشوفا
ان العظيم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلق * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علمت واللبيب يعلم * بالطبع لايرحم من لايرحم
فالمرء لايدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليوم فما يجوغدا * لايأمن الافات الاذوالردى
لاتغتر بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لابد له من الكدر

انظر ايها المتأمل كيف اتبعت قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رأيت الاتفاق العجيب * منها

وكل انسان فلابد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كى على الفؤاد
اعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لايحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا أخاه * وهو اذا ما عد من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولايخاف لوما
وان من حارب من لايقوى * لحربه جزاليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لايحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فعالا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لك * فلاتقصروا حترز ان تملكا

Digitized by Google

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
واتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تتهزها غصه
كم نظر الغالب يوما فترك * عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لا خير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ما غلب الايام الا الصابر
لا تيأسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فرب مما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لمحة الطرف بكاء وضحك * وناجذ باد ودمع ينسفك
تنال بالرفق وبالتأنى * ما لم تنل بالحرص والتعنى
ما احسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه
اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فأصبر الآن لهذى المحن
فالموت لا يكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فأجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعب الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ما غلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحقرن شيأ صغيرا محتقر * فرب مما اسالت الدم الابر
لا تحرج الخصم فى احراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت الجهل قبيح المظاهر * وما نظرت حسن السرائر

Digitized by Google

ليس يضر البدر فى سناه * أن الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * نافقة وانت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لأزالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه الا نفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لا تقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
ايؤخذ البرئ بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذلك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
ان أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولا تخل يسراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لا يخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكائد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء ما يريد
وهو برئ منهم فى الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح امر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنى نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذلك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم افاضل أحرار * ما ظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا اطيعا
ما طاب فرع اصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدرك الدون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لا يبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمايلت أطرافه * فى طيها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * ما بان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذلك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك للمصانعه * أو حاجة له اليك واقعه

Digitized by Google

لاتشرهن الى حطام عاجل * كم أكلة اودت بنفس الآكل
واحذر أخي يافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى اوكرمه * افساد شخص كامل لقرمه
فالبغي داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء
والبغي فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وساءك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من اسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لاتعطين شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد
فرحمة الله له فى الآخره * خاتمة مع الهبات الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جاء خاتما

انتهى ما اوردته من امثال ابى الطيب المتنبي وامثال الصادح والباغم ولم اقصد بذلك الا أخذ مايحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على انواعه خصوصا اهل الانشاء فانه حلية جولانهم * وعمدة فرسانهم * وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذاورم

فقوله استسمنت ذاورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

انوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح أشهر من نار على علم

فقوله اشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبقى

وكم تمثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم

فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لايخفى على الحذاق من اهل الادب

(ذكر التهكم)

التهكم

(ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما انت ذو عز وذو شمم)

التهكم نوع عزيز فى انواع البديع لعلو مقداره وصعوبة مسلكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينهما بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه

والمتهكم المحتقر قال ابو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون المتهكم لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة اولشدة الكبر اواتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله في الاستعمال وفي المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة في موضع الانذار قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم قال الزمخشري ان في تاويل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من امره في الحقيقة اذا جاء والله اعلم ومنه قوله تعالى قل بئس ما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث اووارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروى في ابن ابي حصينة من ابيات

لا تطفن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القنى محدودبات * وهي أنكى من الظبي والعوالي
واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال
وارى الانحناء في مخلب البا * زي ولم يعد مخلب الرئبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل اومن الافضال
فانت ربوة على طود علم * وأنت موجة بحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما احلى ما ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورني في الخيال

وقول ابن الرومي

فيا له من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف ما نظم في التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا اخا المجلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده * بين الربا والكثب
يا عربي يا عربي * يا عربي يا عربي

وهذا النوع أعني التهكم ذكر ابن ابي الاصبع في كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته ولم يره في كتب من تقدمه من ائمة البديع والعميان لم يتظموه في بديعيتهم وقنع الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من اشجار معاليه بالشميم * فانه ذكر بعض شواهده ولم يأت له بحد تمشي الافهام فيه على صراط مستقيم * ولكن ابن ابي الاصبع أزال بكارة اشكاله وكان اباعذرته * وأرضع الاذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته * وقال الفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزل

الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة فى الآخر يخالف معناها معنى الالتزام فى الكلام الاول وهو فى هذا دون الاول والشيخ صفى الدين نظم التهكم فى بديعيته ولكن ما اسكن بيته قرينة صالحة لبيانه * ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه * وبيته

محضتنى النصح احسانا على بلا * غش وقلدتنى الانعام فاحتكم

لم يظهر لى من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم اجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة فى موضع الانذار ولا على الوعد فى موضع الوعيد ولم يشر فى بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم يتظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت فى ما قد منحتك من * قولى بأنك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر فى بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يات بصيغة التهكم وبيتى

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل فى موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

المراجعة

(قال اصطبر قلت صبرى ما يراجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم)

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الى حكم فى البديع ما نظمتها فى اسلاك انواعه وذكر ابن ابى الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والاقتنان والتدبيج والهجاء فى معرض المدح والاشتراك والالفاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع اعنى المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره باوجز عبارة وارشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما فى بيت واحد او فى ابيات كقول عمر بن ابى ربيعة

بينما يعنتنى أبصرننى * مثل قيد الرمح يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن ابى الاصبع لما اورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام فى مواضعه وماذاك الا أن قوافى الابيات لو اطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته فى الابيات فانه جعل التى عرفته وعرفت به وشهرته تشبيبها يدل على شغفها به هى الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قوله بما اخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال انما مالت الصغرى اليه دون اختيها لضعف عقلها وقلة تجربتها فانى أقول

انه

انه تخلص من هذا المدخل بكونه اخبران الكبرى التى هى اعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها اظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما اظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك وقنعت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه واظهرت تجاهل العارف الذى موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح واما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى فى الثبات واما الصغرى فمنزلتها فى الثبات دون الاختين لانها أظهرت فى معرفة وصفه ما دل على شدة شغفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فالفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن أبى الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول ابى نواس

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول اشنع
قال صفنى وعليا * ابنا أبى وانفع
قلت انى ان اقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

ومثله قول البحترى

بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس ما تلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسى * قال لبيك قلت لبيك ألفا
ها كها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من ابيات

قالت ألا لا تلجن دارنا * لن أبانا رجل غائر
قلت فانى طالب غرة * منه وسيفى صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فانى سابح ماهر
قالت فان القصر عالى البنا * قلت فانى فوقه طائر
قالت اليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعيتنا حيلة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندا * ليلة لا ناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد اشمت بى حسدى * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت انا قالت والا نحن * قلت انا قالت والا أنا

وهى ابيات طويلة جمعها على هذا المنوال منسوج ولكن اكتفيت بالتمثيل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

قالوا اصطبر قلت صبرى غير متبع * قالوا اسلهم قلت ودى غير منصرم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

راجعت فى القول اذ أطلقت سلوتهم * قال اسلهم قلت سهمى عنك فى صمم

Digitized by Google

المراجعة ان لم تتكرر لم يبق لها فى القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماه وقد تقدم قول الشاعر وتكراره فى قوله

قلت انا قالت والا فمن * قلت انا قالت والا انا

وعز الدين لم يكرر مراجعته ولم يأت بها الا فى مكان واحد والذى أقوله انه ما صده عن ذلك لا اشتغاله بتسمية النوع ولكن ليته لو دخل الى سوق الرقيق وبيت بديعيتى

قال اصطبر قلت صبرى ما يراجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

التوشيح

(ذكر التوشيح)

(توشيحهم بملا تلك الشعور اذا * لغوه طيا تعرفنا بنشرهم)

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى اول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل اول الكلام وآخره منزلة الوشاح من العاتق والكشح الذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو ان يكون فى اول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه (واورد) ابن ابى الاصبع فى تحرير التحبير من أعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان فى معنى اصطفاء المذكورين ما يعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى ووزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر اراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف وراى فى صدر البيت ذكر الزنة تحقق ان تكون القافية رزينا ليس الا ومن عجائب امثلة هذا النوع ما حكى عن عمر بن ابى ربيعة انه انشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

* تشط غدا دار جيراننا *

فقال له عبد الله

* والدار بعد غد أبعد *

فقال عمر وهكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين انشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها *

حتى انتهى الى قوله

* تزجى اغن كأن ابرة روقه *

ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال

جرير

جرير أراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق انه سيقول

* قلم اصاب من الدواة مدادها *

فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما انشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن ابى الاصبع الذى أقوله ان بين ابن العباس وبين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم وانا اذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها وعلم انها دالية مردفة بالف وهى من وزن قد عرق ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفها فاخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح أن فيها ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اى ضرب هى من القوافى ولا رويه من اى الحروف ولا حركة رويه من اى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما امد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن ابى الاصبع وبين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح ولم يحصل الالتباس الا لكون كل منهما يدل صدره على عجزه والفرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين أيضا ان التوشيح قد تقدم انه لابد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا نوع التوشيح فى بديعيتهم وبيت صفى الدين

هم ارضعونى ثدى الوصل حافلة * فكيف يحسن منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم أنها ميمية وقد مر على السامع منها عدة ابيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والثدى فما يخفى ان تكون القافية منفطما الا على كل اجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه وبيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلا حلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء غطانى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها وبيتى

توشيحهم بملا تلك الشعور اذا * لفوه طيا تعرفنا بنشرهم

هذا النوع اعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة والبسطة فى علم الادب وحسن التصرف لاسيما اذا التزم بتسمية النوع وأبرز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظ الملا هو الذى رشح جانب التوشيح الجائل على العاتق والكشح واما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور الذى هو الغرام لم يفهم متناسبا يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكر الشئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا المشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان

حسن التشبيه قد غازل بعيون كماله غزلها والتصريح فى البيت بلفظ اللف والنشر والطى يعرفه من له ادنى ذوق مع انى ما اكتفيت بذلك حتى قلت بعد اللف والطى تعرّفنا وتعرّفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية مميمة ما يتصور فى ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع فى هذا البيت من انواع البديع التورية وحسن الاستعارة والترشيح والمطابقة والبسط والانسجام والتمكين والسهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله اعلم بالصواب

تشابه الاطراف

(ذكر تشابه الاطراف)

(شابهت اطراف اقوالى فان أهم * أهم الى كل واد فى صفاتهم)

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو ايضا مثل المراجعة التى تقدمت ليس فى كل منهما كبير أمر وتالله ما خطر لى يوما ولا حسن فى الفكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من ابيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية فى اول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن ابى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها واحسن ما وقع فى هذا النوع قول ابى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم

ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

ولما كان هذا النوع لا يأتى الا فى بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجل التورية بالتسمية فى بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية فى الشطر الثانى فجاء به فى غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين اورد قبله بيت الاكتفاء ويأتى الكلام عليه فى موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لهم

لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد فى الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم فى آخر البيت الاول واول الثانى وبيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت يضيق الكلام فيه وبيت بديعى

شابهت اطراف اقوالى فان أهم * أهم الى كل واد من صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ويا ليتنى كنت معهم

التغاير

(ذكر التغاير)

(أغاير الناس فى حب الرقيب فذ * أراه أبسط آمالى بقربهم)

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو او غيره فاما مدح الانسان ما ذمه غيره فان الامام أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه اتى فيه بما يمتزج صافى مشربه بالارواح * وينقلنا ببديع بلاغته من الابهام الى الايضاح * فمن ذلك خطبته التى مدح فيها الدنيا مغايرا لامثاله فى ذمها حيث قال * ايها الذام للدنيا المغتر

Digitized by Google

بغرورها بم تذمها انت المجرئ عليها ام هى المجرئة عليك * متى استهوتك * ام متى غرتك * أبمصارع ابائك من البلى * ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى * كم علمت ولديك * وكم مرضت والديك * تبغى لهم الشفاء * وتستوصف لهم الاطباء * لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك * ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها * ودار غنى لمن تزود منها * ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحى الله ومتجر اوليائه * اكتسبوا منها الرحمة * وربحوا منها الجنة * فمن ذا يذمها وقد أذنت بنيها * ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها * فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن ابى الاصبع معانى هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فانى * بطريق الانصاف اثنى عليها
وعظتنا بكل شئ وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
سمعنا فلم نر النصح نصحا * حين أبدت لأهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحـ * ـباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحى والمصلى الذى كم * عمرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنـ * ـة منها واوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه فى حاليها
واذا انصفت تعين ان يثـ * ـنى عليها ذو البر من ولديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومى فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحترى يوم الفراق بالقصر وقد اجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع اعنى المغايرة اورده الحريرى فى المقامة الدينارية وبالغ فى مدح الدينار وذمه فقال فى مدحه

أكرم به اصفر راقت صفرته * جواب افاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد اودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته * وحببت الى الانام غرته
كانما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته

Digitized by Google

وان تفانت اوتوانت عترته * يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به اشتتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته
اسر تنجواه فلانت شرته * وكم أسير اسلمته أسرته
انقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقال فى ذمه

تبا له من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغنى عنك فى المضائق * الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأى فى وصلك لى ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
كذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبى ذلك وقال

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا ملحية لكن المعنى ماخوذ من قول ابى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب والمعنى فى قول ابى تمام ابلغ فان ابن ابى الاصبع قال لم يرض ابو تمام أن يقول السيف اصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التى لا تكتب الا بالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبى انتهى كلام ابن ابى الاصبع وقد عن لى هنا ان ارفع للمتأخرين فى التقديم رأيه * ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية * فان الشيخ جمال الدين اظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه * ونشط لارتياحه * ورقى من الانامل على أعواده * وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده * والتفت الى السيف فقال * بسم الله الرحمن الرحيم * ن والقلم وما يسطرون * ما

انت

نت بنعمة ربك بمجنون * الحمد لله الذى علم بالقلم * وشرفه بالقسم * وخط به ماقدر وقسم * وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن * وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد باذن * صلاة واضحة السطور * فاتحة من أدراج الصدور * ماخلت صحف البصار غواديها * وكتبت اقلام النور على مهارق الدياجى حكمة باريها * اما بعد فان القلم منار الدين والدنيا * ونظام الشرف والعليا * ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا * ومفتاح باب اليمن المجرب اذا اعيى * وسفير الملك المحبب * وعذيق الملك المرجب * وزمام امور السائره * وقادمة أجنحته الطائره * ومطلق ارزاق عفاته المتواتره * وانامله الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره * به رقم كتاب الله الذى لايأتيه الباطل * وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل * فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه * وحسبه ماجرى على يده الكريمه من منه * وفى مراضى الدول عونة للمساعدين * وبعين الله فى ليالى النفس تقلب وجهه فى الساجدين * ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها * وان علت اسرة الكتب فانما هو ملكها * وان رقت برود البيان فانما هو جلالها * وان تشعبت فنون الحكم فانما هو امانها ومالها * واذا انقسمت امور الممالك فانما هو عصمتها وثمالها * وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده * وان ذخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج درها من ظلمات مداده * وان وعد اوفى بمجلب النفع * وان اوعد اخاف كانما يستمد من النقع * هذا وهو لسان الملوك المخاطب * ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب * والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه * والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه * والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم * والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم * والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان * والمسود الناصر فكانما هو لعين الدهر انسان * طالما ذب عن حرمها فشد الله ازره ورفع ذكره * وقام فى الحماة عن دينها أشعث أغبر لواقسم على الله لابره * وقاتل على البعد والصوارم فى القرب * واوتى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب * وبعث بحافل السطور فالقسى دالات * والرماح الفات * واللامات لامات * والهمزات كواسر الطير التى تتبع الحافل * والاتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل * فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم * وساحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم * لايعاديها لامن سفه نفسه * ولبس لبسه * وطبع على قلبه * وقل الجدال من غربه * وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه * وكيف يعادى من اذا كرع فى نفسه قيل انا اعطيناك الكوثر * واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر * أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه * والفخار وكبريائه * وأتوكل على الله فيما حكم * واسأله التدبير فيما جرى به القلم * ثم اكتفى بما ذكره من أدواته * وجلس على كرسى داوته * ممثلا بقول القائل

فلم يغل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماملت من الاغماد
وهبت له الاجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا * وتلفظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم

قوله الدهر فى نسخة الرأى

وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس * وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز * الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف * وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف * وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف * وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف * وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف * وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف * صلاة عاطرة فى الانوف * حالية بها الاسماع كالشنوف * وسلم اما بعد فان السيف زند الحق الورى وزنده القوى * وحده الفارق بين الرشيد والغوى * والنجم الهادى الى العز وسبيله * والثغر الباسم عن ثباشير فلوله * به اظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء * وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء * واجرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل فذهب جفاء * وحملته اليد الشريفة النبويه * وخصته على الاقلام بهذه المزيه * واوضحت به للحق منهاجا * واطلعته فى ليالى النقع والنسك سراجا وهاجا * وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا * فهو ذوالراى الصائب * وشهاب العزم الثاقب * وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب * والحد الذى كانه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب * لا تجحد آثاره * ولا ينكر قراره * اذا اشتبت فى الدجى والنقع ناره * يجمع بين الحالتين البأس والكرم * ويصاغ فى طوق الحليتين فهو اما طوق فى نحور الاعداء واما خلخال فى عراقيب أهل النقم * ويحسم به أهواء الفتن المضله * ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة * واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الأهلة * فهو القوى الاستطاعة * الطويل المعمر اذا قصف سواه فى ساعة * فما اولاه بطاول الاحسان * وما اجل ذكره فى اخبار المعمرين ومقاتل الفرسان * كأن الغيث فى غمده للطالب المنتجع * وكانه زناد يستضاء به الا أن دفع الدماء شرره الملتمع * كم قد مد فادرك الطلاب * ودعا النصر بلسانه المحمر من أثر الدماء فاجاب * وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر * وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر * وغدت ايامها به ذات حجول معلومة وغرر * وشدت به الظهور * وحمدت علائقه فى الامور * واتخذته الملوك حرزا لسلطانها * وحصنا على اوطانها وقطانها * وجردته على صروف الاقدار فى شأنها * وندب فما أعيت عليه المصالح * وباشر اللمم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح * واغاث فى كل فصل فهو اما لغمده سعد الاخبيه * واما لحامله سعد السعود * واما لضده سعد الذابح * يجلس على رؤس الاعداء قهرا * ويشرح انباء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا * وهل يفاخر من وقف الموت على بابه * وعض الحرب الضروس بنابه * وقذفت شياطين القراع بشهبه * ومنح ايات شريفة منها طلوع الشمس من غربه * ومنها ان الله أنشا برقه فكان للمارد مصرعا * وللرائد مرتعا * ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا * كم اتخذ من جسد طرسا * وكتب عليه حرفا لا ينسى * فيه للالباب عبره * وللاذهان السابحة غمرة بعد غمرة * اقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح * وراى الى الخصام يجنح * ولسان يحوجه اللدد الى ان يخرج فيجرح * واتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه * واسأله

الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه * ثم اختفى فى بعض الخمائل * وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف افصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة * ونشطته الجليلة الجائلة * وفهم كنايته وتلويحه * وتعريضه بالذم وتصريحه * وتعديله فى الحديث وتجريحه * استغاث باللفظ النصير * واحتد وما ادراك ما حدة القصير * وقام فى دوانه وقعد * واضطرب على وجه القرطاس وارتعد * وعدل الى السب الصراح * ورأى انه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح * فانحرف الى السيف وقال ايها المعتز بطبعه * المغتر بلمعه * المناقض حبل الانس بقطعه * الناسخ بهجره من ظلال العيش قيأ * السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين * الابليس الذى لو امر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين * اتعرض بسبى وتتعرض لمكائد حربى * ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة * والملق النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه * الست المتوقد الاحمق بقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وانا للوصل وانت للقطع * وانا للعطاء وانت للمنع * وانا للصلح وانت للضراب * وانا للعمارة وانت للخراب * وانا المعمر * وانت المدمر * وانت المقلد وانا صاحب التقليد * وانت العابث وانا المجود ومن اولى من القلم بالتجويد * فما اقبح شبهك * وما اشنع يوما ترى فيه العيون وجهك * أعلى مثلى يشق القول * ويرفع الصوت والصول * وانا ذو اللفظ المكين * وانت ممن دخل تحت قوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين * فقد تعديت حدك * وطلبت ما لم تبلغ به جهدك * هيهات انا المنتصب لمصالح الدول وانت فى الغمد طريح * والمتعب فى تمهيدها وانت غافل مستريح * والساهر وقد مهدلك فى الغمد مضجع * والجالس عن يمين الملك وانت عن يساره فاى الحالتين أرفع * والساعى فى تدبير حال القوم * والمغنى لتفعهم العمر اذا كان نفعك يوما او بعض يوم * فاقطع عنك أسباب المفاخرة * واستر أنيابك عند المكاشرة * فما يحسن بالصامت محاورة المفصح * والله يعلم المفسد من المصلح * على انه لا يشكر لمثلك التصدى * ولا يستغرب منه على مثلى التعدى * ما انا اول من أطاع البارى وتجرأت عليه * ومددت يد العدوان اليه * او لست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء * وجلبت القسوة فكم هيجت سبة حمراء وأثرت دهماء * وخمشت الوجوه وكيف لا وانت كالظفر كونا * وقطعت اللذات ولم لا وانت كالصبح لونا * اين بطشك من حلمى * وجهلك من علمى * وجسمك من جسمى

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق

اين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة * ورؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة * اين لون الشيب من لون الشباب * واين نذير الاعداء من رسول الاحباب * هذا وكم أكلت الاكباد غيظا * وحميت الاضغان قيظا * وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار * واخنت عليك

Digitized by Google

الايام حتى انتقل بأبعاضك الحمار * ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت * ولولا اساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت * فدع عنك هذا الفخر المديد * وتامل وصفى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد * وافهم قول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده * وكاد الغضب يخرجه عن حده * وقال ايها المتطاول على قصره * والماشى على طريق غرره * والمتعرض منى الى الدمار * والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار * لقد شمرت عن ساقك حتى اغرقتك الغمرات * واتعبت نفسك فيما لاتدرك الى ان اذهبها التعب حسرات * اولست الذى طالما أرعش السيف للهيبة عطفك * ونكس للخدمة رأسك وطرفك * وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك * ورفعك فى مهمات خاملة وحطك * وجذبك للاستعمال وقطك * فليت شعرى كيف جسرت * وعبست على مثلى وبسرت * وانت السوقة وانا الملك * وانا الصادق وانت الموتفك * وانت لصون الحطام وانا لصون الممالك * وانت لحفظ المزارع وانا لحفظ المسالك * وانت للفلاحة وانا للفلاح * وانت حاطب الليل من نقسه وانا سارى الصباح * وانا الباصر وانت الارمد * وانا المخدوم الابيض وانت الخادم الاسود * واقسم بمن صيرنى قبضتى انواع اليمن المسخرة * وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة * انك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة * وعن برى كفى لاخيب طلبة * فانى لا انكر قول بعض اربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ما اصعبه
يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطرس لو جهى ذنبه
ما اعرف المسكين الا كاتبا ذا مشربه

ان عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب * او البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب * او فخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف * او برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف * او جمعت عملا فانما جمعك للتكسير * او رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير * وهل انت فى الدول الا خيال تكتفى الهمم بطيفه * او اصبع يلعق بها الرزق اذا اكل الضارب بقائم سيفه * وساع على رأسه قل ما اجدى * وسار ربما اعطى قليلا وأكدى ثم وقف واكدى * اين انت من حظى الاسنى * وكفى الاغنى * وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى * كم برزت فما اغنيت فى مهمه * وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمه * وهب أنك كما قلت مفتوق اللسان * جرئ الجنان * مداحل بمخلبك بين ذوى الاقتناص * معدود من شياطين الدول وأنت فى الطرس والنقس بين بناء وغواص * فلو جريت خلقى الى ان تحفى * وصحت بصريرك الى ان

تخفت وتخفى * فما كنت منى الا بمنزلة المدرة من السماك الراعى * والبعرة على تيار الخضم الطافح * فلا تعدّ نفسك بمعجزى فانك ممن بمين * ولا تحلف لها ان تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين * ومن صلاح بخمك ان تعترف بفضلى الاكبر * وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى لاسود والاحمر * لتستوجب حقا * وتسلم من نار حرتلظى لا يصلاها الا الاشقى * وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار * وأبت حصائد لسانك الا ان توقعك فى النار * فلا رعى الله عزائمك القاصره * ولا جمع عقاربليل نفسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره * ثم قطع الكلام * وتمثل بقول ابى تمام

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه * وفهم مقدار الغيظ الذى أخرجه * وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم * ورأى انه هو البادى بهذه المناقشة والبادى أظلم * رجع الى خداعه * وثنى عن طريق قراعه * وعلم ان الدهر دهره * والقدر على حكم الوقت قدره * وانه احق بقول القائل

لحنها معرب وأعجب من ذا * أن اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال * ايها المتلهب فى قدحه * والخارج عما نسب اليه من صفحه * ما هذه الزيادة فى السباب * والتطفيف فى مكيل الجواب * واين علم الشيوخ عند جهل الشباب * أما كان الاحسن بك ان تترك هذا الرفث * وتلم اخالك على الشعث * وتحلم كما زعمت انك السيد * وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد * اما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك * ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك * أما أنا وانت للملك كالدين * وفى تشييده كالركنين الاشدين * وما أراك عبتنى فى الاكثر الا بخول جسدى الذى ليس خلقه على * وضعفه الذى ليس امره الى * على أن اشهى الخصور انحفها * وأقوى الجفون أضعفها * وأزكى النسيمات أعلها وادنفها * وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر * وحسنها الاشهر * ولو أنك تقول بالفصاحه * وتقف فى هذه الساحه * لاسمعتك فى ذلك من اشعارهم * واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم * وكذلك عيبك سواد خلقتى التى اكسبها الحب حلية صبغت صبغة حب القلوب والحدق فيالله ويالليل الاسود من هذه الحجة البائره * والكرة الخاسره * وعلى هذه النسبة ما عبتنى به من فقر الانبياء * وذل الحكماء * على ان اطلاقات معروفى معروفه * وسطوات أمرى فى وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفه * فاستغفر الله مما فرط فى مقالك * والتفويض من عوايد احتمالك * فلا تشمت بنا الاضداد * ولا تسلط بفرقتنا المفسدين فى الارض ان الله لا يحب الفساد * واخفض الآن من خيلائك بعض هذا الغض * ولا تشك انى قسيمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض * وان ابيت الا ان تهدد * وتجرد الشغب وتحدد * فاذكر محلتنا من اليد الشريفة السلطانية * الملكية المويديه * ايد الله نعمها * وجازى بالاحسان شيمها * وايقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها * ولا عطل مشاهد المدح من أنسها * ولا اخلى فرائض

الباس والكرم من قيام خسها * فاقسم من باسه بالليل وماوسق * ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق * لو تجاور الاسد والظباء بتلك اليد لوردا بالامن فى منهل * ورتعا فى روض لا يجهل * ولو لجأ اليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر * او الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر * وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك الانامل غير سلوك الادب * والمعاضدة على محو الازمات والنوب * والاستقامة على الحق ولا عوج * والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج * هذه نصيحتى اليك والدين النصيحه * والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحه * ويجعل بينك وبين الغى حجابا مستورا * وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطورا * فعند ذلك نكس السيف طرفه * وقبل خديعة القلم قائلا لامرئ ما جدع قصير أنفه * وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل * فان السيوف معروفة بالخلل * ثم قال ايها الضعيف الجبار * البازغ فى ليل المداد نجما وكم فى النجوم غرار * لقد تظلمت من امرأ نت البادئ بظلمه * وتسورت الى فتح باب انت السابق الى فتح ختمه * وقد فهمت الآن ما ذكرت من امر اليد الشريفة ونعم ما ذكرت * وأحسن بما اشرت * وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن * ورددتك الى املك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن * وسالت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن * فانها اليد التى (لو أثر التقبيل فى يد منع * لحابر اجم كفها التقبيل) والراحة التى (تسعى القلوب لغوثها ولغيثها * فيجيبه التأمين والتأميل) والانامل التى علمها الله بالسيف والقلم * ومكنها من رتبتى العلم والعلم * ودارك بكرمها آمال العفاة بعدان ولا ولم * ولولا ان هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل * ومجده الذى اذا جر ذيله ود الفضل لو تمسك منه بالفضل * لاطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح * وأفصحت فى مدحها ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح * ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد * والمجادلة التى عز أمرها على الحديد * اقررت انت انا الملك كالدين ولم تقر اينا اليمين * وفى آفاقه كالقمرين ولم تذكر اينا الواضحة الجبين * وما يشفى ضناى * ويروى صداى * الا ان يحكم بيننا من لا يرد حكمه * ولا يتهم فهمه * فيظهر اينا المفضول من الفاضل * والمخذول من الخاذل * ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل * وقد رايت ان يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت الى يده الشريفه * ونوسلت بمحاسنها اللطيفه * فانه مالك زمامنا * ومنشئ غمامنا * ومصرف كلامنا * وحامل أعبائنا الذى ما هوى للهوى * وصاحب امرنا ونهينا * وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى * ليفصل الامر بحكمه * ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه * فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط * وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط * خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط * فنشط القلم فرحا * ومشى فى أرض الطرس مرحا * وطرب لهذا الجواب * وخر راكعا واناب * وقال سمعا وطاعه * وشكرا لله على هذه الساعه * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى *

الآن ظهر ما تبغيان * وقضى الامر الذى فيه تستفتيان * وحكم بيننا الرأى المنير * وبنانا

بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير * ثم تفاضلا على ذلك * وتراضيا على ما يحكم به المالك * وكانوا أحق بها واهلها * واتنبه المملوك من سنة فكره * وطالع بما اختج سواد هذه الليلة في سره * والله تعالى يديم ايام مولانا السلطان التي هي نظام المفاخر ومقام المآثر * وغوث الشاكي وغياث الشاكر * ويمتع بظلال مقامه الذي لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر * ولا تجبر ما هو كاسر * ان شاء الله تعالى * تمت رسالة الشيخ جمال الدين التي كشف بها عن قناع المغايرة واتى فيها بكل مثال ليس له مثيل * ووسمها بصاحب حماة فاطاعه عاصي الادب ووهب الله له على لكبر اسماعيل * نرجع الى ابيات البديعيات فبيت الشيخ صفي الدين

فالله يكلؤ عذالي ويلهمهم * معذلي فقد فرجوا كربي بذكرهم

الشيخ صفي الدين غاير الناس في الدعاء لعذاله وماذا لك الا ان العذول مابرح ممتزجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * اصبحت منتظرا أيام وصلهم

أما الشرح في نوع المغايرة فقد طال * والكلام في بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أرانا من عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتي

اغاير الناس في حب الرقيب فذ * أراه أبسط آمالي بقربهم

الناس قد اجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم في مدحه لمعنى وماذا لك الا أني لما اراه أتحقق أنه ما تجرد للمراقبة الا وقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

التذييل

(ذكر التذييل)

(والله ما طال تذييل اللقاء بهم * ياعاذلي وكفى بالله في القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هي التذييل الذي خرج كلامه مخرج المثل السائر ومنه قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور فالجملة الاخيرة هي تذييل خرج في الكلام مخرج الامثال التي ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ففي هذه الآية الشريفة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والآخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك في السنة الشريفة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت

Digitized by Google

عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الا هالك هو التذييل الذى تتعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد باخراجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

اتفق اهل البديع على أن قوله اى الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع فى شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت اول نازل * وعلام اركبه اذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو فى غاية الكمال ولقد أحسن بعضهم فى هذا الباب حيث قال

صدقتكم الود ابتى الوصال * وليس المكاذب كالصادق

فجاز يتموني بطول البعاد * وكم ابخل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

نزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز تعطف حسن فى قوله يعطى ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن ابى الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول ابى الشيص

وأهنتنى فاهنت نفسى عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل فى ضمنه مطابقة لذكره الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فانه استوفى ما أراده من المدح فى الشطر الاول ثم احتاج الى تتميم البيت وأراد اتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتنى اصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير فى الارض قال ابن أبى الاصبع هذا البيت ان نظر فيه الى قول أبى الطيب المتنبى

تمسى الامانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لى

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبى لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعله فى حيز من يتمنى شيأ وجعل فى قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل امنية فلم يبق له أمل وان كان فى بيت

المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله دون مبلغه واستعارة في اللفظ بقوله تمسي الامانيّ صرعى ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة في المدح بكونه اخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر وأسير وأبقى واذا تامل الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الامانى وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كأنه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ما جعله المتنبي للممدوح وهذا غاية في حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن ابى الاصبع في النقد الحسن الذى قرره على بيت ابى الطيب وبيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهى باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لا يكون الا في الكلمة التي فيها الروىّ وما يتعلق به وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لانها لا تزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها ممكنة في قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين احدهما كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لا يكونان الا في المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لا بد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على الكملة المتقدمة اما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالا ويستوعب غالبا عجز البيت وبيت صفي الدين في التذييل

فله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لى وغير الله لم يدم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلىّ

تذييل عيشي ورزقي قسمة حصلت * في اول الخلق والارزاق بالقسم

وبيت بديعيتي

والله ما طال تذييل اللقاء بهم * يا عاذلي وكفى بالله في القسم

فقولي وكفى بالله في القسم هي الجملة التي جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته في القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذى ما يجارى في شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التي هي تسمية لهذا النوع المقصود فهات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فاني لو لم أذكر الطول ما ترشحت نورية التذييل ولا وقع لها في القلوب مواقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقاء في البيت من ألطف الاستعارات وقولي يا عاذلي هو التكميل الذى يأتي في الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

التفويف

(ذكر التفويف)

خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل * فوّف أجدوش رقق شدّ حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير ارشاد ناظمه الى طرق العقادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعانى الغريبة وتجفوه حسان الالفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يعن غير تشريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوّف الذى فيه خطوط بيض والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

بعيشى الم اخبركما انه فتى * على لفظه برد الكلام المفوّف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجملة فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة واحسنها وابلغها واصعبها مسلكا القصار قال ما جاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما واكبر سيدا * وأفضل مشفوعا واكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول ابى الوليد بن زيدون

نه أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء بالجملة القصيرة قول أبى الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلوسل من السلو أعدا اى اعدنى الى موضعى من الجوائز زد اى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر بش من البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن اى قرّبنى اليك وقوله سر من التسرى وهو ان يعطيه جارية يتسراها صل من الصلة ولم اقصد بجمل هذه الالفاظ الا اينا ساتزول به وحشة العقادة عن المتأمل فان هذه الجملة ما استولت عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل امر ولم يات فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذل اعذر سل خل أعن * خن هن عن ترفق كف لج لم

وهذا النوع ما نظموه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوّف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت ما نحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن ألن أحزن افرح امنع اعط أنل * فوّف أجدوش رقق شدّ حب لم

قد تقدم قولى للعاذل (والله ما طال تذييل اللقاء بهم * يا عاذلى وكفى بالله فى القسم)

ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد

نقشه وتوشيته وترقيق فيه اوتشد معناه ان الكل بالنسبة الى صدق المحبة سهل ولكن النكتة في قولي له اعني للعاذل حيث لم يعني اذا حب لم بعد ذلك كاني اقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنفه

(ذكر المواربة)

(المواربة)

(ياعاذلي انت محبوب لدى * فلا تواربه العقل مني واستفد حكمي)

المواربة براء مهملة وباء موحدة وهي مشتقة من الارب وهي الحاجة لكن ذكر ابن أبي الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كان المتكلم افسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تاويل باطنه وحقيقة المواربة ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمة او تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك فاما شاهد ما وقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروز

قوله والراء صوابه وكسر الراء

قوله الحروز في نسخة الحروري

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال انت القائل ومنا امير المؤمنين شبيب فقال يا امير المؤمنين ما قلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها وهذا الطف مواربة وقعت في هذا الباب وشاهد الحذف قول أبي نواس في خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيد هاجيا لها

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع حلي على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك انكر عليه وتهدده بسببه فقال لم اقل الا

لقد ضاء شعري على بابكم * كما ضاء حلي على خالصه

فاستحسن الرشيد مواربته وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فابصر وشاهد التصحيف في المواربة ياتي في أبيات البديعيات ويعجبني قول الشيخ عز الدين الموصلي في المواربة من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضي فتح الدين بن الشهيد وكان القاضي فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عز الدين لبغض كان في خاطره لا لاستحقاق

قوله ذاتي في نسخة نفسي

دمشق قالت لنا مقالا * معناه في ذا الزمان بين

اندمل الجرح واستراحت * ذاتي من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

لانت عندي اخص الناس منزلة * اذ كنت اقدرهم عندي على السلم

المواربة في أخص يريد بها أخس بالسين المهملة وأقدرهم يريد بها اقذرهم بالذال المعجمة

Digitized by Google

والمواربة فى اقدرهم بالتصحيف وهذا النوع لم ينظمه العميان فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

لانت افتح ذهنا فى مواربة * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بافتح أقيح وبالتعقل التغفل وقال فى شرحه انه اراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك المواربة بالتحريف أيضا سلمناله ذلك ولكن لم أر فى بيته قبل المواربة معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتى آنا مستمر فيه على ماتقدم من خطاب العاذل

ياعاذلى انت محبوب لدى فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى

قولى للعاذل انت محبوب لدى من له ادنى ذوق يفهم منه أن مرادى المواربة بمجنون والمراد بلفظة توارب توازن والمعنى قبل المواربة مستقيم وهو فى غاية الكمال واذا حصلت المواربة صار البيت

ياعاذلى انت مجنون لدى فلا * توازن العقل منى واستفد حكمى

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

الكلام الجامع

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتى الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال ويقتل الناظم بحكمها أو وعظها أو بحالة تقتضى اجراء المثل كقول زهير بن ابى سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول ابى نواس

اذا كان غير الله فى عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبى

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه واجراه مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فنظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

قوله مطلبه فى نسخة راحته

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الريم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو ان يأتى الناظم ببيت جملته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت وبين الشطر الثانى مناسبة ولا ايناس ملاءمة ولم ار لجريان المثل دخولا فى باب هذا البيت وبيت بديعيتى

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند اهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما اجريت مثلها على هذا النمط الا ليعلم المتيقظ ان فيه اشارة لطيفة الى بيت عزالدين فانى قررت ان ليس فى كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجرى مجرى الامثال

فوجوده

فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(المناقضة)

(ذكر المناقضة)

(انى اناقضهم ان ازمعوا ونأوا * وجرثمل ثبيرا اثر عيسهم)

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا بقال فيما بعد

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكان المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تباهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده أن يقول انك لا تحكم أبدا والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط وبيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم يتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

انى اناقض عهد النازحين اذا * ماشاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكال فانهم قالوا الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم ار فى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيهما نظر وبيت بديعيتى

انى اناقضهم ان ازمعوا ونأوا * وجرثمل ثبيرا اثر عيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت اوضح من الكلام عليه والله اعلم بالصواب

التصدير

(ذكر التصدير وهو رد العجز على الصدر)

(ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهدد ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو رد الاعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع واليق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة اقسام الاول ما وافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

قوله يلطم وجهه فى تدفقه يشبه عرضه

يلقى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

والثانى ما وافق آخر كلمة فى البيت اول كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله

تمنت سليمى ان أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ما تمنت

ومثله

Digitized by Google

سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهد الجناس فى هذا الباب للسرى الرفاء

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التى فى العجز عين الكلمة التى فى الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشترا كا زاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد ارسلت * فمن اجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فى البيت بعض كلام فى اى موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وماذا الذ الاحب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن ابى الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال فى أى موضع كان والكلمة اذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا الان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلابد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من صدره قال ابن ابى الاصبع أيضا الذى يحسن ان يسمى به القسم الاول تصدير التقفية الثانى تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاول فى الكتاب العزيز قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثانى قوله تعالى واحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبى الاصبع وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتى فيما الكلام فيه منفى واعتراض فيه اضراب عن أوله كقول الشاعر

فان تك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كما ذكرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك * وأنعم على من شكرك * قال ابن ابى الاصبع لم اقف لهذا النوع على شاهد شعرى فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

اصحاب البديعيات نظموا القسم الثانى الذى قرره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة فيه وهو الذى وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

فى تحدث عن سرى فاظهرت * سرائر القلب الامن حديث فى

هذا النوع اعنى التصدير ما برحت السهولة نازلة بنا كاف اذ باله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوى ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية يزداد بها بهجة فان الشيخ صفى الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه فى قالب التورية من جنس الغزل لم يات به الا ساذجا وبيت العميان فى بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهدهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمرى ان بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع أعمر من بيت الصفى ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية حلى نوع التصدير بمكررها فى طرفى بيته وهو

قوله باكاف اذ باله فى نسخة باكاف اباله

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باحث فهم

وبيت بديعي

ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم اهدد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لا تخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير مجردا لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

القول بالموجب

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * نسل قلت بناري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له اسلوب الحكيم والناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها لغير من اثبتها المتكلم وقال ابن ابي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء اثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين واثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثرى للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثرى ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق بمن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذي تداول بين الناس ونظمه اصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذ اتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت اوليت طولا * قال ابرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع اخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن احسن ما وقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا لئيم فارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

Digitized by Google

وأورد الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل الى صناعة الترسل بيت الارجانى فى الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

غالطتنى اذ كست جسمى ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قد تقرر ان لفظة لكن خصص بها اهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيتى الارجانى قال الشهاب محمود فى البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلى

قالوا ساوت لبعد الالف قلت لهم * ساوت عن صحتى والبرء من سقمى

فقوله ساوت عن صحتى هو حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان اوردوه بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن فى عداتهم

رأيت ترك الكلام على هذا البيت اليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلى

قالوا مدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابى من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابى من يد الهرم علمنا انها الكلمة التى أشار اليها ابن أبى الاصبع وقال ان المخاطب بعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا احسن من ساوت فى بيت الحلى فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا داء السل فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقله باشتراك التورية الى الوجه الذى أراده ولم يخرج عن موضوعها فى معنى السل الذى لم يخرج عن الوجهين غير ان قول الموصلى مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتى

قولى له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بنارى يوم فقدهم

فلفظة تسل هى الكلمة المعتمد عليها فى عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو فى لفظة تسل وهى فعل امر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلى بالنيران فانه لما قال له تسل قال بنارى يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لم تخف على اهل الذوق السليم والله اعلم

(ذكر الهجو فى معرض المدح)

الهجو فى معرض المدح

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن ابى الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتى بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسى

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

Digitized by Google

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم فى غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم فى الشريف ابن الشجرى

ياسيدى والذى يعيذك من * تظلم قريض يصدى به الفكر
مافيك من جدك النبى سوى * انك لا ينبغى لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سنا الملك فى قواد

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو الثنايا حسن الاحتيال
لو شاء من رقة الفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع لقد تشبثت باذيال القاضى السعيد بن سنا الملك فى هذا النوع بقولى فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد فى درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

والفرق بين الهجاء فى معرض المدح وبين التهكم ان التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو والفاظ المدح فى معرض الذم لا يقع فيها شئ من ذلك ولا تزال يدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من معشر رخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسى (يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة) والمراد بما أبطنه الذل وعدم المنعة والعميان لم يتفطنوا لهذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

فى معرض المدح تهجى من قبيلته * أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذى أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعى بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فانى لم اجد فيه ما يدل على مجرد المدح ولا اقترن به ما يصرفه الى صيغة الهجو بل اقول وانا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه مادب فيها من المعانى روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتى

وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم

فحمل الضيم ينظر الى قول الحماسى اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى فى ظاهره وباطنه والله اعلم

الاستثنا

(ذكر الاستثناء)

(عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذى سلم)

الاستثناء استثنا آن لغوى وصناعى فاللغوى اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك فى كتبهم فروعا كثيرة والصناعى هو الذى يفيد بعد اخراج القليل من الكثير

معنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة ويميزه بما يستحق به الاثبات فى ابواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك لعظم الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملا الاعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع امره جميع الناس من امير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم امر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والا يجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اختصروا وجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فالله تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث اثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج اهل الشقاء من النار ولما علم ان اهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ما ينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ اى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن امثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول التميمى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخلتك الا أن تصد تزانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود لخلتك متمكنا من رؤيتى ليس لك مانع يمنعك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصد فانت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

البك والا ما تحت الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لو لا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لا يمنع ان يقال ورهطه لو لا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال

الاستثناء الاول الذى هو العمدة فى هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فكل ما سر قلبى واستراح به * الا الدموع عصانى بعد بعدهم

فبيت صفى الدين هنا غير خال من العقادة ومراده فيه أن كل شئ كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها اطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لايخفى على اهل الذوق والعميان لم يتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

الناس كل ولا استثناء لى عذروا * الا العذول عصانى فى ولائهم

مراد عز الدين فى زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع وبيت بديعيتى

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف اغصان بذى سلم

قال الله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون * هذا البيت ما أعلم انى اذا اطنبت فى وصفه يكون الاطناب لشدة فرحى به لكونه نظمى أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة اسلوبه وشرف نسيبه وحسن انسجامه وسهولة الفاظه ومراعاة نظيره لاتخفى على المنصف من اهل الادب وأما ترشيح توربة الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التى حركت القدود والمعاطف والتكميل بذى سلم لكون القصيدة نبوية فى غاية الكمال والذى اقوله انه مايدخل نظر المتأمل الى بيت اعز منه فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع) التشريع

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم)

هذا النوع اعنى التشريع سماه ابن أبى الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من اوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزأ أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما أضحكت فى يومها * ابكت غدا بالها من دار

وهى قصيدة كاملة معروفة فى مقاماته من ثانى الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت * فى يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة ووقع قبل كلام الحريرى من كلام العرب فى هذا الباب

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نفرى الغبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزو والمرفل من الكامل وهو

*

واذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرمال

Digitized by Google

الضيفنا نفرى الغبيـــط لضيفنا قبل القتال

فاذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصار لكل بيت من هذين البيتين قافيتان ولاشك أن هذا النوع لا يأتى الا بتكلف وائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع فى الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون فى النثر فانه ما يقع فيه الا ترصيعا ولا يظهر حسنه الا فى النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن فى النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن واوسع البحور فى هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قوافٍ فاذا اسقطت ما بعد القافية الاولى بقى البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقى البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقى مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابى عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسى ناظم البديعية فى غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا انتهى عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفى الضنا لا صبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا * يحلو لنا فى الحب أن نسمى به
انزلته فى ناظرى لما دنا * قد سرنا اذ لم يحل عن صبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهى من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا انتهى عن حبه ومن الثانى لا صبر لى عن قربه ومن الثالث فى الحب أن نسمى به ومن الرابع اذ لم يحل عن صبه صارت من الرجز المجزو وان اسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثانى يشفى الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان اسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثانى حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صار من الرجز المنهوك ولكن القوة فى ذلك والمكنة فى ملكة الاديب أن يأتى بالترصيع فى بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لو جاء بالتسمية والنوع فى بيتين بطل حكم التورية وخرج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين

فلو رأيت مصابى عند ما رحلوا * رثيت لى من عذابى يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابى * رثيت لى من عذابى

وهو مجزو المجتث وبيته عند العروضيين

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه ابو عبد الله الضرير فى البيتين لاجل المعارضة وهما

واف كريم رحيم قد وفى ووقى * فم نفعا فكم ضر شفى فكم
فقم بنا فلكم فقر كفى كرما * وجود تلك الايادى قد صفا فقم

اقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان اجل

بهم فانهم اسقطوا من أنواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما اعنى البيتين أنك اذا اسقطت من البيت الكلمة الموازنة لفعلن من آخر كل نصف وهما قوله ووفى وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزوء لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار

واف كريم رحيم قد وفى * وعم نفعا فكم ضر شفا
فقم بنا فلكم فقر كفى * وجود تلك الايادى قد صفا

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منها الاول وهو مخبون مثلها وبيت الشيخ عز الدين

وفى الهوى ضل تشريع العذول لنا * وكم هوى فى مقال ذل من حكم

اخبر ان تشريع العذول فى حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع فى تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية اخرى من منهوك الرجز فنصفه فى الشطر الاول وفى الهوى وفى الشطر الثانى وكم هوى وهذه عبارته فى شرحه ينصفها فصار باقى البيت بدون الجزئين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين فى ذلك على متقدميه فان الشيخ صفى الدين لم يتحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ ابى عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين فى شرحه ان هذا النمط ما وقع للمتقدمين وهو معجز ليس لاديب عليه قدرة وبسط العبارة فى الدعوى بسببه فاردت ان لا انسج فى الشرح على غير منواله فقلت

طاب اللقا لتشريع الشعور لنا * على النقى فنعمنا فى ظلالهم

فيخرج من بيتى

* طاب اللقاء على النقا *

وهو بيت بقافية اخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولى * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفى الهوى * وكم هوى * فان بيته لا تتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقى بيتى بدون الجزأين الاولين

لتشريع الشعور لنا * فنعمنا فى ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهى التى رتب عز الدين عليها ما بقى من بيته

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

ولكن الفرق فى تشريع الشعور ظاهر والتورية فى قوله فنعمنا فى ظلالهم عند ذكر الشعور كلامها سائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صعوبة مسلك هذا النوع اجتمع فيه من انواع البديع السهولة والانسجام والتورية فى موضعين والتمكين فى القافية والجناس المطلق

بين تشريع وشعور والتذييل البديعي فانى اتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذى هو المقصود هنا والله اعلم

(ذكر التتميم)

التتميم

(بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم)

التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمى التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب فى المعانى وضرب فى الالفاظ فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجئ للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجئ فى المقاطع والحشو واكثر مجيئه فى الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر او انثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان فى غاية البلاغة التى بذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبى صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم * ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفرائض الا بنى الله له بيتا فى الجنة * فوقع التتميم فى هذا الحديث فى اربعة مواضع منها قوله مسلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن اناشيد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه غاروا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه فى غاية الحسن فانه شاهد على ما جاء منه للاحتياط ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغة وغاية الغايات فى التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التى تعجز عنها قدرة المخلوقين واما التتميم الذى جاء فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين ايضا كلمة لا يفيد مجيئها الا اقامة الوزن واخرى تفيد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانية من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتى لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس وتأتى شواهد التكميل فى مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال امر زائد على التمام وايضا ان التمام يكون متمما لمعانى النقص لاغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها وبيت

الشيخ

الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

وكم بذلت طرفى والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فالتتميم فى قوله طوعا فانه أراد بها انه لم يبذل ذلك كرها فتم بهذا المعنى والعميان لم يتنظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قال

والبدر مذ لاح فى التتميم دان له * والشمس مذ عنة طوعا لمحتكم

قوله فى التتميم هو التتميم بعينه مع زيادة التورية فى التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفى الدين بقوله طوعا وارضيت عنكم كل مختصم وبيت بديعيتى متعلق ببيت التشريع الذى قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم

فقولى بليل الشعر هو التتميم الذى يستعار من استعارته المحاسن فانى لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعنى ولكن زدت البدر الارضى بقولى بليل الشعر تتميما وحسنا وقولى على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التى فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولى فى الظلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

تجاهل العارف

(ذكر تجاهل العارف)

(وأقر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكى بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة فى المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما اراد المبالغة فى وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه ام بدر ففهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشئ الذى يعرفه المتكلم خاليا من الشبه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى فان السؤال هنا ما وقع لاجل المبالغة فى التشبيه المشار اليه فى تجاهل العارف بل هو لفائدة اخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذى لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه او على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتى لنكتة من نحو مبالغة فى مدح او ذم او تعظيم او تحقير او توبيخ أو تقرير او من تدله فى الحب وانا اذكر امثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة فى الغزل قول الشاعر

اجفون كحيلة ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة فى الشوق وطول الليل

Digitized by Google

وشوق ما اقاسي ام حريق * وليل ما أكابده زمان

وللمبالغة في النحول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفي اني الفقيد
وشكك في عذالي فقالوا * لرسم الدار ايكا العميد

ومنه المبالغة في الغزل

في الخيف من ظبيانه سمراء * اقوامها ام صعدة سمراء

ومثله

اثغر لنا هندا بدى ابتساما * ام البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلي

من أطلع البدر في ديجور طرته * وأودع السحر في تكسير مقلته
ومن اداريو اقيت الثغاء على * كاس من الدر يحمى خمر ريقته

ويعجبني من هذا القصيد قوله وان كان من غير ما نحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر اليزمنه عند قسوته

ومثله في اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

في مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هضره
وفي ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر اسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة في تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربي

ابنى العوالي السمهرية والموا * ضي المشرفية والعديد الاكبر
من منكم الملك المطاع كانه * تحت السوابغ تبع في حمير

قيل انه لما تجاهل في هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تنشدو ببلاغتها * وهي احب من قفا نبك في الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما احلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

اقول ان هذه الاستعارات المرشحة يرشح ندى البلاغة من بين اوراقها * وتتعثر فحول الشعراء في حلبة سباقها * ومنها

في قنية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم * فكانهن سفائن في أبحر
حي من الاعراب الا انهم * يردون ماء الا من غير مكدر
لي منهم سيف اذا جردته * يوما ضربت به رقاب الاعصر

صعب

صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متمر للحادث المتمر
واذا عفا لم تلق غير مهلل * واذا سطا لم تلق غير معفر
فغمامه من رحمة وعراصه * من جنة وبمينه من كوثر

ولم استطرد الى هذا القدر من نظم ابن هانئ الا لعلمي انه عزيز الوجود وغريب في هذه البلاد ومن تجاهل العارف للمبالغة في المدح قول امام هذه الصناعة * ومالك ازمة البلاغة والبراعة * القاضي الفاضل * من مديح العادل

اهذي كفه ام غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بشره ام لمع برق * ومن للبرق فينابا لا قامه
وهذا الجيش ام صرف الليالي * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهذا الدهر ام عبد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهذا نعل غمد ام هلال * اذا أمسى كنون ام قلامه
وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المالح هذا الاديب الذي لم ينسج الاوائل على منواله * ولا تتعلق الاوائل من المتاخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب

وهذا الدر منثور ولكن * اروني غير اقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه
وهذا الكاس رق من بناني * وذاك كان من مسك ختامه

وقوله ايضا من تجاهل العارف للمبالغة في المديح

أهذه سير في الجدام سور * وهذه أنجم في السعد ام غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها في لجها درر
وانت في الارض ام فوق السماء وفي * يمينك البحر ام في وجهك القمر

ومما جاء في تجاهل العارف للمبالغة في التعظيم قول سيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الكيلاني قدس الله ضريحه واعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وانت العذب في كل منهل * واظلم في الدنيا وانت نصيري
وعار على حامي الحمى وهو قادر * اذا ضاع في البيدا عقال بعير

ومثله

بدا فراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص ام ملك

ومما جاء في تجاهل العارف للمبالغة في الذم قول زهير

وما أدري وسوف اخال ادري * اقوم آل حصن ام نساء

ومما جاء للتصغير قول الشاعر وتظارف الى الغاية

لما ادعى غصن الرياض بأنه * في لينه مع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشبيه قدها * ما انت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية في اخيها الوليد

ياشجر الخابور مالك مورقا * كلك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة غريبة انبتها بكمالها ابن خلكان فى تاريخه والخابور نهر أصله من رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات ومن اظرف ماوقع فى تجاهل العارف على سبيل التوبيخ قول سراج الدين الورّاق فانه صرح بذكر التوبيخ فى بيتيه وهما

واخجلتى وفضائحى مبسوطة * وصحائف الابرار فى اشراق

وموبخ فى الحشر وهو يقول لى * أكذا تكون صحائف الورّاق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت الصبح ان يصدع الدجا * وعلمت غصن البان أن يتميلا

ومما وقع منه قول العرجى للتدله فى الحب

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف اقسام هذا النوع اعنى تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فانى اوردت هنا ما استظرفته فى هذا الباب ولم احتج فيه الى التنبيه واظرف ماسمعته فى هذا الباب قول عبد المحسن الصورى

بالذى الهم تعذيبى ثنايالك العذابا
والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا
والذى البس خديـ * ـك من الورد نقابا
ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

ومثله

دعوه ونجدا انها شان نفسه * ولو أن نجدا تلعة ما تعدا ها
وهبكم متعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب ان يتمنا ها

وقول المتنبى

اتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الماق

وقول الفاضل

فاذا قلت اين دارى وقالوا * هى هذى اقول اين زمانى

وقال ابن الفارض

أوميض برق بالابيرق لاحا * ام فى ربا نجد أرى مصباحا
ام تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبنى قول الشيخ علاء الدين الوداعى

ترى ياجيرة الرمل * يعود بقربكم شملى
وهل تقتص ايدينا * من الهجران للوصل
وهل ينسخ لقياكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد فى الاستطراد عما نحن فيه قوله

بروحى ليلة مرت * لنا معكم بذى الاثل
وساقينا وما ميلا * وشادينا وما يلى
وظبى من بنى الاتراك * لاحلوا التيه والدلل
له قد كغصن البا * ن ميال الى العدل
وطرف ضيق ويلا * ه من طعناته النجل
اقول لعاذلى فيه * رويدك يا ابا جهل
فقلبى من بنى تيم * وعقلى من بنى ذهل
وما يبرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما يلا النديم وما يلى * لقد صان ذاك الحسن سمعى عن العذل
من المغل اشكو نحوه الم الهوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

ومن الذى اعجبنى فى هذا النوع اعنى تجاهل العارف قول بعضهم

اقول له علام تميل عجبا * على ضعفى وقدك مستقيم
فقال تقول عنى فى تميل * فقلت له كذا نقل النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدى

فوالله ما أدرى أكانت مدامة * من الكرم تجنى ام من الشمس تعصر

واورد صاحب الصناعتين فى هذا الباب ما كتبه اليه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزنى الفرح قبل رؤيته * وهززعطفى المرح امام مشاهدته * فما ادرى اسمعت بورود كتاب * ام رجوع شباب * ولم ادر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أوكلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفى الدين غاية فى هذا الباب

ياليت شعرى اسحرا كان حبكم * أذال عقلى ام ضرب من اللمم

وبيت العميان فى بديعيتهم

اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يا بدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشئ من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

وعارف مذ بدا بدرى تجاهل لى * وقال حبك ام ذا البدر فى الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع الذى استوعب كلتين من البيت بيته ارق من بيت العميان واعمر بالمحاسن وبيت بديعيتى

واقتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هذا البيت شاهد فى تجاهل العارف على المبالغة فى التشبيه وهو القسم الذى تقرر فى اول الكلام على النوع وقلنا انه المقدم على بقية الاقسام من تجاهل العارف فان فيه سوق المعلوم فى مقام غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه كما قرره السكاكى وقولى تجاهلنا بمعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على اهل الذوق السليم والله اعلم

(ذكر الاكتفاء)

الا كتفا

Digitized by Google

(لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى)

الاكتفاء هو ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح

لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

فان المعلوم ان باقى الكلام ولا اذا مت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه فى البيت الثانى كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه فى الاذهان ومنه قول شيخ شيوخ حماة

أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا
لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما نحن فيه

راموا فطامى عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى طوقى يدى وقلت خاونى والا

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير

ياحسن بعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى
لم تبق غير حشاشة * فى مهجتى وأخاف أن لا

وما اظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت فضل قناعه * بيدى عن قمر تجلى
ولثمته فى خده * تسعين او تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد واجاد الى الغاية

يالائمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا
ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

صلى ودعنى فارك عن محب * بذكرك آنس والليل ساكن
ولا تستقبحى شيبا برأسى * فما ان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سنا الملك من قصيد

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع ثغر وتكحيل الجفون لما
فاكفف ملامك عنى حين ألثمه * فما شككت بانى قد لثمت فما

لو كان يعلم مع علي بقسوته * تألم القلب من وخز الملام لما

وله من قصيدة

ياعاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتمونى فيه ولكنى انا

ويعجبنى قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فماجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا

وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب الامان لقلبه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك فى مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته فى الثغر تسعين او احدى

ومثله فى اللطف قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة

ولقد كملت فما يقال لقد * جزت الجمال جميعه الا

ولبعضهم وأجاد

فان المنية من بخشها * فسوف تصادمه اينما

ومما يرشف الذوق حلاوته فى هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ماللنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ومثله فى اللطف مع الترشيح باكتفاء ثان قول الشيخ جمال الدين بن نباته

افدى التى تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف

أذكر ثغرالها فاسكر من * وورد خدلها فارتع فى

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

رأى رضابا عن تسليه أولو العشق سلوا

ماذاقه وشاقه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير فى هذا النوع قوله من أبيات

فما كان احسن من مجلسى * لخدث بما شئت عن ليلتى

بشمس الضحى وبدر الدجى * على يمنتى وعلى يسرتى

وبت وعن خبرى لا تسل * بذاك الذى وبتلك التى

ومن لطائفه ايضا انه كتب الى بعض اصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبياتا اولها

سلمت من كل الم * ودمت موفور النعم

فى صحة لا تنتهى * شبابها الى الهرم

يحيى بك الجود كما * يموت يا يحيى العدم

وبعد ذا قل لى ما * كان من الامر وكم

واظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ما وقع لشهاب الدين التلعفرى مع شمس الدين الشيرجى بين يدى الملك الناصر وماذاك الا انهما حضرا بين يديه فى ليلة انس فاتفق ان شمس الدين الشيرجى ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن

يصفع التلعفرى وكان شمس الدين رجلا أحمى فلما صفع التلعفرى نهض على القور وقبض على لحية الشيرجى وانشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعنا فى ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا بديع الندى والاخريفى

وما احلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء فى البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفى فقلت لها نعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم اكثر من هذا النوع الا لانه قليل فى أيدى الناس

جهنم حمامكم نارها * تقطع اكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخرى ابن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تدار وبنا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومى الاميني صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما انشدنيه مرارا وكان عند عوده من أذربيجان صحبة المقر المرحومى سيفى تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله اكرمنى بالماء دونهم * فقلت يا ليت قومى يعلمون بما

ومثله قولى وفيه ايضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت فى نصبرى * وما شفى بقربه سقاما
اصبر عسى تشفى بماء ريقه * قلت لهم يا حسرتى على ما

وانشدنى من لفظه لنفسه القاضى عماد الدين ابن القضامى اخو شيخى قاضى القضاة علاء الدين الحنفى سقى الله من غيث الرحمة ثراه موشحا امتدح به المقر المرحومى الاوحدى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح ما نسج ابن سنا الملك فى دار الطراز على منواله منه فى نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

ارخت ذوائبها لنا فى الاربع * لنضل فاستغنت بها عن برقع
وغدوت اسهر فى ليالى شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطلعى
وتبسمت فعلاها * نور فزادسناها
فاثمت فاها آخذا مستغنما * ورشفته رشف النزيف لبرد ما

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان بينهم وتشتتي * وشماتة الاعداء اصعب محنتي
ولبيد الرواء رمت تخلصا * من محنتي فشددت رحل مطيتي
فغدت تمد خطاها * واقول عند عثارها
الا وحدى الا وحدى لتغنما * يا ناقتي فزمامك بيدى وما

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين ابن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غيرابوابكم تخلى
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز لام لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين

مولاى انك محسن * قسما وانك ثم انك
فلاشكرنك ماحييـ * ـت وان أمت فلتشكرنك

ويعجبنى قول الشيخ برهان الدين القيراطى هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات الخد منه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات

ومر سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين ابن الآدمى الحنفى نور الله ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * على حماة المحروسة سنة سبع وثمانماية وهو اذ ذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها فى تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم فى خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت فى تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضى القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخيره الى ان عرف اين كنت مختفيا فكتب الى

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نرع عهدا ولا
وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب

امولاى والله حال الجريـ * ـض دون القريض الذى قد تولى
وارجو وقد عفت هذى البلاد * خلاصى بالصدر منها والا

فقدر الله بالسلامة وتوجهت فى خدمته متنكرا الى دمشق المحروسة ومن نظمى فى هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطلبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلى حينما لن تقبلا
فقلت له بالوصل عدنى الى غد * فبعدك مات الصبر قال نعم الى

وقولى ايضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما

Digitized by Google

واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لأعلم ما تقول واعلما

القسم الثانى الاكتفاء بالبعض وقد تقدم انه عزيز الوقوع جدا ولم يوجد فى كتب البديع غير ذلك قول ابن سنا الملك من قصيد

اهوى الغزالة والغزال وانما * نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا * حتى اذا أعييت اطلقت العنانا

ومنه قول شيخ شيوخ حماه

اليكم هجرتى وقصدى * وانتم الموت والحياة
امنت ان توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

لله ظبى زارنى فى الدجى * مستوطنا منطيا بالخفر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له اهلا وسهلا وصر

ومنه قول العلامة بدر الدين ابن الدمامينى

الدمع فاض بافتضاحى فى هوى * ظبى يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا يوجدنى شاهدا ووشى بما * اخفى فيالله من فاض وشا

ومثله قوله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم نباكر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد وتسر

ومثله قوله

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتى فيها منال مخيذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامنى * واملأ فى الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهى وطيب الملاذ * فها انا منهمك فى الملا

وانشدنى المقرا المجدى ابن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسرورى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

ومنه قول ابن حجر

دع يا عذول رقى الملام فقد سرى * عنى الحبيب فتيت دام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا

وانشدنى من لفظه لنفسه قاضى القضاة صدر الدين ابن الآدمى الحنفى وانا بين يديه بدمشق المحروسة وربا حين الشيبة عضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية فى القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن فى البيتين اذا قصد شق التورية الثانى وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه فى هذا القالب من غير تمويه يتطلى على الحاذق فى صناعة الكلام هذا مع الاتفاق

Digitized by Google

البديعي وحسن المطابقة ولم اذكر الاتفاق الا ان الذي كتب اليه القاضي صدر الدين البيتين مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يا متهمي بالسقم كن منجدي * ولا تطل رفضي فاني علي
أنت خليلي فبحق الهوى * كن لشجوني راحما يا خلي

وتقاضاني عند الانشاد أن اتمم له شيأ على هذا الطريق فانشدته في المجلس قولي

يقولون صف اتفاسه وجبينه * عسى للقا يصبو فقلت لهم صبا
وغالطت اذ قالوا اباح وصاله * والا أبى قربا فقلت لهم ابا

ونظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذا جمع بين طرفي الاكتفاء كما فعلنا حيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بحقك قل لي جاء صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعني من الكنى

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطي لنور الدين ابن حجر والد القاضي القضاة شهاب الدين

مولاي نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بغمي وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما اوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفي الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

بيت صفي الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية ان تكون له سكنا لشدة برده * وعجبت للشيخ صفي الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه في سلك ابيات بديعيته مع ما فيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية والعميان لم يتظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية في تسمية النوع البديعي واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما اكتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى يخجل الاغصان حين تمى

فشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بدا لما تقدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين تمى فدل حرف الكلمة انها تميل او تميس وبيت بديعيتي شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التي تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن في طرق الاكتفاء على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهي محصول الحاصل اذ لا بد منها وبيتي

لما اكتفى خده القاني بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمي

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا في الظاهر انه لدمي وورى بالاكتفاء وقصدوا في الباطن انه دميم حسدا له وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة للحقارة ومن تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة في تركيب تورية حيلة دقيقة مع ما فيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا

Digitized by Google

اللفظ الغريب لا يجرى فى مضماره من فحول الادب الا كل ضامر مهزول

مراعاة النظير

(ذكر مراعاة النظير)

(ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع اعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والايتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم او الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى او لفظا للفظ او معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى ما يناسبه من نوعه او ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل انحلها السير

كالقسى المعطفات بل الأسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين او بنون الخطلان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى * ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

انتم بنو طـه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الأباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير واتى فى البيت الاولى بحسن المناسبة بين اسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد محمل

وسطور خيلك انما القاتها * سمر تنقط بالدما وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز * وبين الفرش والحمل * وبين السطور والالفات * والنقط والشكل * ومثله قول ابى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

فابو العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد * وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كأنى فى عين الردى ابدا اكحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا له شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى أكل

كأن بنا بيع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على ارجوحة فى مسيرنا * لغوبنا تهوى وتجدبنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كأنى

كأنى فى قوس لسانى له يد * مد يحى له فرع به أملى نبل
كان دوانى مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشى لها نسل
كان يدى فى الطرس غواص لجة * له كلى درّ به قيمتى تغلو

قوله المغلوه صحته المغلوه عاد الضمير على محمد سعيد

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المغلق الذى ما دخل الى بيت الا وأسكن فيه ما يلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التى تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذى صلى الحريرى خلفه واشار اليه بقوله فى مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذى سبق الحريرى الى نظم المقامات وسبك العلوم فى تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريرى واستعمل بعض اسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحارث بن همام وعارض طرح الاسكندرى بما نسجه ابو زيد السروجى وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة فى مراعاة النظير فمن المستحسن فى هذا النوع قول بعضهم فى مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدّام هذا الحسن من ذا لك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذ الوجه لما يبح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر للملايمة فى اسماء الخدام فلو ذكر شيأ من غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على ابى نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب
برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا اجنبى من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله فى عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبنى من ملاءمة التناسب فى مراعاة النظير قول العلامة ابى بكر ابن اللبانة فى موشح

بعضى يخاصمنى فى بعض * جسمى مقيم وقلبى يمضى
وكيف اسلو وبدرى الارضى * يدير فى الاقحوان الغض
وردية سرقت انفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة فى جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الاذواق فى المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التى تستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى فى الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

Digitized by Google

لبسنا ثياب العنا * ق مزررة بالقبل

ومن شدة اعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو

ولما خلعنا العذار * فككنا طويق الخجل

لبسنا ثياب العنا * ق مزررة بالقبل

لولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح * وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما * وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب

في خده فح لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ويعجبني في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت فيه بمعزل

لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ما ناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد التورية الى طاعته وحسن تصرفه فاني انا محقق ان الامير مجير الدين ابن تميم من فرسان هذا الميدان وممن أجاد في هذا الباب وبالغ في الاحسان الى غريب المناسبة * وراعى جانب مراعاة النظير حسن الزمارى بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها

يساق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه اتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة في مراعاة النظير مع حلاوة الانسجام * ولطف الاستعارة * وانشدني لنفسه الشيخ عز الدين في هذا النوع قوله

بخد المحب ريحان نضير * لا حرفه سطور ليس تقرا

فراعيت النظير وقلت بدري * عذارك اخضر والنفس خضرا

الذي يظهر لي أن خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومما نظمته في هذا النوع قولي

أبرزت معصما نهار وداعي * شف بلوره فزاد حريقي

راح دمعي يرعى النظير ويبدي * عند لثمي سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعي والنسيب المطرب الغزلي في معنى توريته * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

تجار لفظ الى سوق القبول بها * من بلجة الفكر تهدي جوهر الكلم

المناسبة في بيت الشيخ صفي الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت عامر بمحاسن هذا النوع وبيت العميان في بديعيتهم

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له وجها يظهر به مراعاة النظير ولا بينه وبين المناسبة البديعية نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ ابا جعفر شارح هذه البديعية أعني بديعية العميان قال ان

لعنعنة فى البيت بعن تناسب الرواية فى الحديث والنداء البشر فيهما مناسبة للكرم * ولعمرى ان الشيخ رحمه الله استسمن من وجه هذا البيت ذاورم * ونفخ من نفسه فى غير ضرم * وهذا العمرى جهد من لا جهد له و بيت عز الدين الموصلى

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة فى بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام * و بيت بديعيتى

ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند اهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعية وفى فور هذا المثال ما يمحو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل فى تسمية النوع البديعى وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهبة فى هذا المعرك الضيق قد ذابت * لئلا يقال كثر فارتابت

التمثيل

(ذكر التمثيل)

(وقلت رد فلك موج كى امثله * بالموج قال قد استسمنت ذاورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ايتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ هو بعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم فى غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الا لامرين احدهما الاختصار لبلاغة الايجاز * والثانى كون الهلاك والنجاة كانا امر مطاع * ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع * زوجى كليل تهامه * لا حر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة * فانها ارادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامه المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل سكنا والسكن محل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجى كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه ليقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يبينه لفظ التمثيل لكونه لا يجئ الا مقدرا بمثل غالبا وقال ابن رشيق فى العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنها بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشئ فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

وماذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى اعشار قلب مقتل

تمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه باعشار الجزور معناه مابكيت الا لتقدحى فى قلبى بكا يقدح القادح فى الاعشار فتمت له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب من التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحقوا بهذا الباب اعنى التمثيل مايخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ماسمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول ابى تمام

اخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تلتظى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففى عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخراجه كرها عن سجيته يخاطب احبابه وقد اثروا به تلك الحالة والنار قد تلتظى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وانتم احباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تلتظى من ناضر السلم * وقال فى عجز البيت الثانى عند ما اوطأوه على جمر العقوق ان الليث لو لم يحرج ماخرج من الاجم * وهذا التمثيل والذى قبله فى البيت الاول غايتان فى هذا الباب وقد اخرج كلا منهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفى الدين

ياغائبين لقد أضنى الهوى جسدى * والغصن يذوى لفقد الوابل الردم

الشيخ صفى الدين اجاد فى نظم هذا النوع واتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما اضنى الهوى جسده لغيبة احبابه بالغصن لما يذوى لفقد المطر واخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لو حط موضع الهوى الجفا لكان اقرب الى المراد * ولو كانت القافية غير الردم لكانت اخف على القلوب * والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أو الى صورة التمثيل فى تركيبه فلم اجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت فى شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم فى كلامه وافعاله فلذلك مثل الزمان به من استهتار السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفى ذلك تهجين له وربما استجيب فيه الدعاء ثم قال فى آخر الشرح وقد ارسلت النصف الثانى من البيت مثلا فما ازدادت مرآته ذوقى بذلك الا صدأ والله اعلم وبيت بديعى

وقلت رد فلك موج كى امثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم

انظر ايها المتأمل الى التمثيل الذى مثلت فيه شيأ بشئ فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق فى العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر ان لفظ التمثيل لا يكون الا مقدرا بمثل غالبا واخرجت اخر كلامى مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك واتيت بتسمية النوع البديعى موريا به مسبوكا فى احسن القوالب * والله اعلم بالصواب

ذكر

التوجيه
الصواب ان يقول التوجيه مصدر وجهته الى ناحية كذا ارسلته اليها اه

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر وجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفى الاصطلاح ان يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التى استشهد وابها على التوجيه الابهام احق بها لطلوع أهلتها زاهرة فى افقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر فى الحسن بن سهل عند ما زوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * وليوران فى الختن

يا امام الهدى ظفر * ت ولكن بنت من

فلم يعلم ما اراد بقوله بنت من فى الرفعة أو فى الحقارة وقد تقدم قولى فى شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على ما نقل ابن ابى الاصبع ان الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد كذا نقله ابن ابى الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث ساتيك به لا تدرى اقباء هو ام وشاح فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لا يعلم من سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قبا * ليت عينيه سوا

فان قيل انه قصد التساوى فى عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوى فى الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام اليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على اهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن ابى الاصبع فانه هو الذى تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال فى ديباجته وربما ابقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لا يدل على معناه * وقد اجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحبير التحرير اصح كتاب الف فى هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غيروا بعض القواعد * وبدلوا اكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها فى غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين اسباب الخطاء وانواعه من التداخل والتبديل * والسكاكى ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبى الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التى هى اليق به من التوجيه ولم اسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم فى الخياط والبيتين المنظومين فى الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه لان المراد من الناظم ان يبهم المعنيين بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب وقد أوردته فى باب الابهام ان القاضى زين الدين بن القرناص الحلبى غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لى بعد وقوفى عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

Digitized by Google

فاذا أتاه مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

ومن اغرب ما نقل من شواهد الابهام التى ما تليق بغيره ان ابا مسلم الخراسانى قال يوما لسليمان بن كثير بلغنى انك كنت فى مجلس وقد جرى ذكرى فقلت اللهم سود وجهه واقطع رأسه واسقنى من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابو مسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ما كنا فيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التى تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا ان يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقى بخلاف التورية * وهذا هو مذهب الشيخ صفى الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم ان بديعيته نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتى لاجل المعارضة وقد دخل جماعة نوع التوجيه فى التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين احدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثانى ان التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعى

من ام بابك لم تبرح جوارحه * ترى احاديث ما اوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

اقول لو بلغت ما عسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سحان المانح لقد اظهر الشيخ علاء الدين الوداعى من محاسن الادب فى التوجيه وجوها تخجل الاقاره * ويتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * اما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسى وهو ثقة يروى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة ابن أشيم العدوى كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة وأما جابر فهو جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفى لان جابرا الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من سبعمائة رجل فلله در الوداعى لقد أودع فى بيته نفائس الذخائر * وقال فلم يترك مقالا لشاعر * وكان من المتقدمين عصر اوعلما فى اقتناص شوارد النكت الادبية * والانواع البديعية * وابراز التورية فى القوالب التى لم يسبق اليها وعلى موائد معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مواضع كثيرة وقد عن لى وان طال الشرح أن اذكر نبذة من ذلك ليتايد قولى ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

اتخنت عينها الجراح ولا اثـ * ـم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

قال

قال الشيخ جمال الدين بن نباته

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة ياعاذلي

فاعلم يقينا انني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

افدى الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل

قلبي بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع جماعة من اصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي

تجمعنا كانا ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ جمال الدين

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيا لله من حسن جلي

كانكم الثلاثة ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين

من اخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فاريج ريح المسك منه * ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين

لاينكرن الكاس من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فاريج ريح المسك من خده * كما يرى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيدة

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

قال الشيخ جمال الدين

لو ذقت برد رضاب من مقبله * ياحار مالت اعضاءي التي ثملت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر

قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت ان تكون غنيا * فتزوج تكن من المحصنينا

قلت مايقطع الاله بحمر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

قال ابن نباته

قال لي خلي تزوج تسترح * من أذى الفقر وتستغني يقينا

قلت دع نصحك واعلم انني * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعي

ياعاذلي في النكاريش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن

فالمرد ان حاولوا حربى بهجرهم * اذا لقام بنصرى معشر خشن

قال ابن نباته

لو آذنتنى عذالى بحربهم * اذا لنكاريش قد أصبحت حيرانا

اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحظه * اوماتراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين

معسل بنعاس فى لواحظه * اماتراها الى كل القلوب حلت

قال الوداعى من القصيدة المذكوره

الحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباته

بليت به ساجى اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعى من قصيده

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * يبرده عن قلب ظمآن

قال ابن نباته

والنهر فيه كمبرد * فلأجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الوداعى

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

قال ابن نباته

مبخل يشبه ريم الفلا * ياطول شجوى من بخيل كريم

قال الوداعى فى مليح اعمى

بروحى غزالا راح فى الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد

اذا ما تبدى قايدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباته

افديه أعمى مغمد الحظه * لم يرتق فى خده الوردى

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

قال ابن نباته

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الوداعى

وما يبرى هوى المشتاق فى الاذلال المثلى

قال

قال ابن نباته

من المغل اشكو نحوه الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل فى المغلى

قال الوادعى

يا ندمى والذى عاهدنى * انه عن شربها لن يقصرا
اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يحترا

قال ابن نباته

اسقنى صرفا من الراح تحت الهم حتا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعى

بالاوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تجد عندها اسماعا لشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباته

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

وقد ان اختصر لئلا يطول الشرح واكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كنا فيه من الاستشهاد ببيتى الشيخ علاء الدين الوداعى على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته فى هذا الفن وتوجيه بيته يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث فى هذا الفن حيث قال

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

والمعنى الآخر فى حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر * والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر الحلبى يصف فيها نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لاشك جعفر

ومثله قول ابن الوردى

هويت اعرابية ريقها * عذب ولى فيها عذاب مذاب
راسى بنو شيبان والطرف من * نيهان والعذال فيها كلاب

واما التوجيه فى قواعد العلوم كما تقرر فأحسن ما رايت فيه قول امين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

اضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى

اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير
يانصب عينى غرامى كيف أجزمه * والمقدم مرتفع والشعر مجرور

ومن اظرف ماوقع فى هذا الباب انه كان بالعراق عاملان احدهما اسمه عمر والآخر اسمه احمد فعزل عمر عن عمله واستقر احمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

ايا عمر استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فانك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن ابى الاصبع

ايا قمرا من حسن وجنتيه لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهل لارفعت الهجر والهجر فاعل

وظريف هنا قول بعضهم

عرج بنا تحت ظلول الحمى * فلم تزل آهلة الاربع
حتى تظل اليوم وقفا على الساكن او عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف

يا ساكنا قلبى الحشى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطايف البهاء زهير

يقولون لى انت الذى سار ذكره * نمن صادر يثنى عليه ووارد
هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فاين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى احتاج ما تحتاجه * فاغنم دعاءى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له انت الذى وانا العائد وهذه الصلة * وظريف هنا قول بعض المواليا

رأيتها وهى داخل دارها فى الحمن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
ياليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع اجر ودع يد خل على اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

احجج الى الزهر لتحظى به * وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة * من قبل ان يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

وقول

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية من التوجيه فى الحديث

قالت اعندك من اهل الهوى خبر * فقلت انى بذا العلم معروف

مسلسل الدمع من عينى ومرسله * على مدبج ذا الخد موقوف

ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى

وبقلبى من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل

لم اكن عالما بذا الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولى وهو مطلع قصيد

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما افادت قلبى سوى التقطيع

ومن التوجيه فى الكتابة قول ابن الساعاتى

قلت يوم فى دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط

الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسرانى

بوجه معذبى ايات حسن * فقل ماشئت عنه ولا تحاشى

فنسخة حسنه قرئت وصحت * وها خط الكمال على الحواشى

وقول ابن الوردى

رايت فقيرا فى المرقعة التى * على حسنه دلت وحسن طباعه

بخديه ريحان الحواشى محقق * الى الثلث والفضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشى الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى فى بيته ثلث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر فى حاله فى رقعة اولها * يقبل الارض * وينهى ان له ثلث سنة محقق مختف فى حواشى البيت يخشى بوقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر الفضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان ومن التوجيه فى علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل

فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

ومن التوجيه فى علم النجوم قول بعضهم فى كان وكان

لو سنبله خلف ظهره * ناظرا اليها المشترى

ولو ذنب ما يقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه فى علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن بها اقليدسا يتحدث

فعارضه خط استوا وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبى بن لؤلؤ فى توجيه علم الموسيقى

ويهيجنى المحمولة عشية * والركب بين تلازم وعناق

وحدائهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب فى عشاق

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا ايها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
حى العراق على النوى واحل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى اسماء منتزهات دمشق

ياحبذا يوما بوادى جلق * وتنزهى مع ذا الغزال الحالى
من اوّل الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردى * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه لشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحىّ عالم عصرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقول بعض المواليا

لك خد ياحى عالم ياكيت الطارد * عليه لو نفس صباره وحر وبرد
ناداه والعارض التمام حولو فرد * ما فاتك الحسن ساعة ياشقيق الورد

وقد تقدم قولى ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد فى شرحه المسمى برقم البردة بشئ من ازجال أهل عصره على بعض انواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى عندما اوردت له ما اوردت فى انواع الجناس وقد ذكرت له هنا فى باب التوجيه زجلا موجها فى خياط اخبرنى من ادرك الحاج علاء المذكور من اعيان اهل حماة ان هذا الرجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين ابن مقاتل فى هذا الفن مشهورة شرقا وغربا لم نحتج فيها الى الاطناب فى وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جملوا
بالمفصل وابة الكرسى * نرقى شكلوا الحلو
خاطلى ثوب سقام قصر نسجو * طال بحكم القدر
حتى ان البدن لضعفى ضاع * فى عيون الابر
راح عذولى يشكلوشكلو * ويقص الخبر
وجا مذبوح القلب متمزق * ونسى ايش قلت لو
ولا فرج لو كرب عن قلبو * ولا عن مرسلو
ذا الحسينى بنيقة العشاق * كم قد اخلا جيوب
وبزرو من العيون كم لو * تخرجه فى القلوب
قلت بصه غلا لك الجيب زود * ولا فرج كروب
خلا سرى المكتوم مشهر فيه * والذى يسالو
جيبو مقلوب وراب على غير * الا ستوا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وهلى * واوصل الانقطاع

حتى خلا بينى وبين الموت * اما باع اوذراع
وترى ظاهرى صحيح لكن * باطنى فى النزاع
وان هو طول شقة بعادى والا نقطاع او صلو
جهزوا القطن والكفن والما * واغسلوا وفصلوا
يا الفقيه فى حبيبى يعذلنى * ويرقع كلام
قلت دعنى فقيه فى تمزيقى * بس تلفيق ملام
قال حبك لو ظلم سلارى * تترى والسلام
وسلب اسلامى لما حذرنى * عند باب منزلو
وقطع عاتق وضربنى * وايش معو يعملو
ذا الخليع الجديد نهار قد قال لى * لفظو عقلى قر
صف جبينى وشعرى من تفصيل * تظمك المبتكر
قلت خيط الصباح يستفتح * ذيل الدجى فى السحر
قال لى قصرت بل هو ستر الله * حين على اسبلو
حابك الزرقا فاتق الخضرا * بالهلال كملو
قال فصفنى فى خدى والعارض * فى أحسن صفات
قلت حله وردى من اطلس * فيها جمع الشتات
وعليها دار الطراز تنبيت * رقم ما احلاه نبات
قال ماهو الا شرب والحمره * دم من نقتلوا
فيه خيالات خيوط زرق لاحت * من جفون تغزلو
قلت كف العتاب فى ذى الصفه * ما انا فى ذا القياس
وانظر فى دايره تمنطقها * بدر من غير قياس
واكسنى ثوب وقار ولبسنى * يا لفتوه لباس
وان جا تخليصى غرض من يديك * يا لو صال طولو
وان قصر باعى عن صفات مدحك * يا لوفا ذيلو
جا زفى بستان مشهر القمصان * من بكر صابحو
مثل كف المنثور فى مكنونه * حين وقف صافحو
وقميص الشقيق من اكمامو * يا لخجل فاتحو
وقضيب الخلاف وقف عراه * فرق حين فصلو
واوثنى ازواره الورد فى كمو * وعليه فضلو
ذى الكلام يقطع ويتفرد * ويفصل مليح
ويفرج ويندرج اصلو * ويفتح صحيح
ويطن من بعد تضريبو * بالسجاف يستريح
ويعزى من حبكه التخريم * وين زر ولو

Digitized by Google

انو يطوى والنشر فيه موزون * آخر وفى اولـــو

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل قاسيون على الاعدا * جدما فيه سخف

وعلى ارباب المعرفة من ريش * النعامات اخف

للصغير والكبير فقل عنى * واحذر احذر تخف

كم زيادة على عـلى وان كان * يشتهوا يعملوا

هذا الابلق والشقرا والميدان * اركبوا وادخلوا

كافى بمتامل نظر فى رسم كتابة هذا الزجل فانكره لبعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن ويعذر فى ذلك لانه ليس له امام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذله مرسوم فانه يؤديه الى خطاوزنه * واعراب لحنه * ومصنفه ابو بكر بن يحيى بن قرمان الوزير قال فى خطبته * وقد جردته من الاعراب * تجريد السيف من القراب * ولم يطلب من الزجل غير عذوبة الفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة فى الطب ما اتفق ان بعض الملوك خرج لقتال اعدائه * فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده فى ذلك الوقت فطلب طبيبه وامر بالكتابة سرعة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها فى صناعته * اما بعد فانا كامع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الا على قيفال * ولم يكن الا كبس نبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلك بسعادتك يا معتدل المزاج وكان ابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع فى غالب تطلعهم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضعه من باب التورية وأما توجيه اسماء انواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وماذاك الا أنه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى احد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وانا منشئ ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالانواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسن الادب فمن ذلك قولى فى فصل التعدية وبعد فنهل انعامنا الشريف قد حلينا لاهل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باستهلالها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الاقتنان فى نظمه ونثره * ويصير لفقه المذهب الكلامى فى ايامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة * ويبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة وموازبة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التسجيع والموازبة عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القضاءى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسن بيانه ايضاح والسر عنده

حسن ابداع * وللأدب اليه التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل الذى اذا نظم ازال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشاء فلا فرق بين عبد الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطالعة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء فيما يعد من القصص اذا علا فى تفسيرها امره * فلذلك رسم بالامر الشريف لازالت براعة المطلب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولابرحت ابوابه الشريفة فى تصريع وتشريع لوفود اهل الادب فى ايامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التحبير ويحصل به الاكتفاء والتتميم * ويجمع من نظمه ونثره بين التحميس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك ويجعل الاستعانة بالله ليأمن التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشاء بعد النقص تسهيم وتكميل * ويظهر لبرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لاتخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل النسق فى جمع الفرائد وتظهر براعة التخلص فى عنوان كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغر المنشه شنب التورية بحسن نظامه * أو جاور بحر افهو اديب والبحور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر بحسن ادبه فى بلاغة وانسجام * وكما احسن له الابتداء يعضده بديع السموات والارض بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى هذا النوع

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم ما أوردناه من هذا القسم وبيت بديعى

وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه أن يوجه المتكلم كلامه الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد * والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتامل ما يتخيل فى اول وهلة غير سواد الخال وجل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود اخو النعمان بن المنذر وهو احد ملوك العرب والتورية هاهنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع البديعى لم يفتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أشرفه الشيخ علاء الدين الوداعى والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن أوردنا على هذا النوع نظمه * وأوصلنا الى الغرض لما اطلق فيه سهمه * وما أخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين ونثرت نظم الترتيب هنا الا لانهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

Digitized by Google

(هنا بحث لطيف) وهو ان العميان نظموا التوجيه بين التسمية التي تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر أن المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح احدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذي نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر في الخياط وقد تقدم لبت عينيه سوا فالشاعر ابهم المعنيين بحيث يتحير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح احدهما ولم أر في بيت العميان غير التسوية بين الغني والفقير فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصير مساويا للغني وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا توقدت جمرة المصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت في بيتهم له قرينة صالحة تدلني عليه وصاحب البيت ادرى بالذي فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

نزهت طرفي وسمي في محاسنه * وعنك ان تقصد التوجيه في الكلم

اصحاب الطريق الذي مشى عليها الشيخ عز الدين في نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحي أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التي اقتضت اشتراك المعنيين قوله نزهت فانه قال انه نزه طرفه في محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعنك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله اعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

عتاب المرء نفسه

(يا نفس ذوقي عتابي قد دنا اجلي * مني ولم تقطعي آمال وصلهم)

هذا النوع اعني عتاب المرء نفسه لم اجد العتب مرتبا الا على من ادخله في البديع وعده من انواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم اعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية امره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر ان الاسدى انشدهما عن الجاحظ وهما

عصاني قومي في الرشاد الذي به * امرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع وقوله صحيح لم أر في هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا أن هذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغيرا هلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح أن يكون شاهدا على هذا النوع الا قول شاعر الحماسة

اقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن ابي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هذا الشاعر بذكر النفس

والدم

واللوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

انا المفرط اطلعت العدو على * سري وأودعت نفسي كف مجترم

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرط في اطلاع عدوه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير واين هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ

* لك الويل ما هذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

عتبت نفسي اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبل بلاها دولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا أنه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذي اتعبها وكلفها حمل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره وما مقدار هذا النوع حتى ان الشاعر لم يات به على صيغته لا سيما وتظام البديعيات قد التزموا أن يأتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعي

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * مني ولم تقطعي آمال وصلهم

اقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة في علو طبقاته وان كان من الفحول التي لها فضيلة السبق فقد زاحمه في حلبة سباقه مع ان عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس * ويقول مزكوم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس * واين هذا النشر الواضح والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم * من عقادة الشيخ عز الدين وقد امسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

القسم

* (ذكر القسم)

برئت من أدبي والعز من شيمي * ان لم أبر بنائي عنهم قسمي

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر أن الشروع في المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شئ فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي في معاوية بن هند

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي * وهدمت ما شادته لي أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم اشن على علي نخلة * تمسي قذى في اعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لي امل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

فاحسن ما سمع في القسم على المدح قول الشاعر

Digitized by Google

حلفت بمن سوى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * فاثبت فى ادراك كل عيان
لما خلقت كفاك الاربع * عقايل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل افواه واعطاء نايل * وتقليب هندى وحبس عنان

والمقدم فى هذا الباب وهو الذى انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة واكمل عظمة حاصلة من ربوبيه السماء والارض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث أخبر سبحانه وتعالى أن الرزق فى السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذى يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ما جاء من القسم فى النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت اذنى

ومما جاء من القسم فى الغزل قول ابن المعتز

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتى دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الذى وقع عليه الاتفاق ان هذا احسن ما وقع من القسم فى الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل فى باب الغزل ولكن قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ان الذى وقع لجميل بن معمر العذرى فى هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبى وأكبر اخوتى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

ثم قال اعنى ابن أبى الاصبع رحم الله جميلا لقد تظرف فى هذين البيتين ما شاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذى يراد به الجد وأغرب فى القسم فيهما واديج فى القسم حسن ايتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بما لا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبى الاصبع قلت واذا وصلنا فى القسم الى باب الهزل الذى يراد به الجد فهذا بذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قايد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وماذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبه ينابيع الفضل التى هى مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد وعلى هذا اجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتربل معشوقه الذى اشتهر به فى الخافقين غرامه * وأبدع فى اوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فادخله فى الهدية وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة اولها

قوله قالت العين بعدهما فلمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الهجر

عذبت

عذبت قلبي ياتتر * وأطرت نومي بالفكر

ومنها

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولي واعتمر
ان الشريف الموسوى ابن الشريف أبي مضر
ابدى الجحود ولم يرد الي مملوكي تتر
واليت آل امية الطهر المياميين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * ورجعت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبي على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأتا بها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكا نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من اوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما واز * جر من لحاني أو زجر
وأقول ام المؤمنين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فالتقى أبو حسن وسل حسامه ومطاوكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف وعف منهم اذ قدر
واقول ان امامكم * ولي بصفين وفر
واقول ان أخطا معا * وية فا خطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته بقا * تل لابصار مه الذكر
وجنيت من ثمر النوا * صب ما تمر واختمر
واقول ذنب الخارجين على علي يغتفر
لا ثائر لقتالهم * في النهروان ولا أشر
والاشعري بما يؤو * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لي منبرا * فانا البري من الحظر

فعلا وقال خلعت صا * حبكم واوجزوا اختصر
واقول ان يزيدما * شرب الخمور ولا الخمر
ويجيشه بالكف عن * ابناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام ايام الغرر
ولبست فيه اجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
واسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل ومادثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا يقر
واقول مثل مقالهم * بالفاشر يا قد فشر
مصطحبتى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
تقريرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم * طبعت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
واقول فى يوم نحا * ه البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلنى * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـ * ـف فستقر كما استقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيئ اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن انى * بحر والفاظى درر
وبديعتى كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر

والى

Digitized by Google

والى الشريف بعثتها * لما قراها فانبهر
ردّ المغلام وما استمرّ على الجحود ولا أصر
واثابنى وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

أقول انه يغتفر لى طول الشرح لغرابة اسلوب هذه القصيدة فانى لم اخرج بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأما هزلها الذى يراد به الجد فانه غاية لا تدرك * وطريق ما رأينا لغيره فيها مسلك * وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع اعنى القسم نسجه على المنوال الاول الذى هو مبنى على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لا لقبتنى المعالى يابن بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقى قسمى

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور لكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يات ناظمه بجواب القسم الا فى بيت الاستعارة التى ترتب بعده وهو

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

واصحاب البديعيات شرطوا أن يكون كل بيت شاهدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لا يصلح أن يكون شاهدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفى الدين كيف قتر عزمه وقصرت همته عن هذا القدر الذى يتطاول الى ادراكه كل قاصر وابن هو من قول القائل فى طريقته الغرامية التى حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضى ان كنت خنتك فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما اتى بالقسمين وجوابهما فى بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التى كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

برئت من سلفى والشم من همم * ان لم ادن بتقى مبرورة القسم

بيت الشيخ عز الدين مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتى

برئت من أدبى والعز من شيمى * ان لم ابر بناءى عنهم قسمى

وهذا البيت مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمة * وفى قولى والعز من شيمى غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الاديب فى القسم برئت من أدبى مع التورية التى ترفل فى حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية به لا تخفى على اهل الذوق من اهل الادب والله اعلم

(ذكر حسن التخلص)

حسن التخلص

ومن غد اقسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه والتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كانهما افرغا فى قالب واحد ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه بل يجرى ذلك فى أى معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال

Digitized by Google

أو معنى من المعانى يؤدى الى مدح أو هجو أو وصف فى حرب او غير ذلك ولكن الاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان فى التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما يتخلص اليه وهذا النوع اعنى حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا لزهير فى هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربى القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء فى بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يوثرون عدم التكلف * ولا يتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف * فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصايب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد حضرت ايديهم نار غالب

ومثله قول أبى نواس

تقول التى من بيتها خف محملى * يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى اثرهن عبير
دعينى اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله فى الحسن قوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

أقول ان هذه الطريقة التى مشى عليها ابو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه فى هذا الباب وهى حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثانى فاتت فحولا من الشعراء كالبحترى وأبى تمام فى غالب القصايد على أنهما المقدمان فى هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان فى بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثانى وثبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه فى هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمى اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استهل كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحترى فى قصيد وقد جرى فى ميادين غزلها الى أن قال من غير ارتباط

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

وهذه النبذة التي أبرزتها هنا من نظم المتقدمين في حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ما تيسرت الا بعد بذل الجهد في جمعها وهذا النوع البديع ما اعتنى به غير حذاق المتأخرين وما تسجوه جميعه الاعلى المتوال المذكور ولعمري انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرايح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لي ان انبه على قبح المخالص التي لا تعد من انواع البديع لينفتح ذهن المبتدئ في هذا الفن فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي وان كانت له المخالص الفايقة

غدا بك كل خلو مستهاما * واصبح كل مستور خليعا
احبك أو يقولوا جر غل * ثبيرا وابن ابراهيم ربعا

انظر ما أبرد هذا المخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرا وأن يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلا منهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة أيضا قوله

على الاميري ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

وسبب قبح هذا المخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته في الوصال ولا خفاء في دنو هذه المرتبة وقد سبقه ابو نواس الى ذلك ولكنه اقل شناعة مع أن الكل قبيح حيث قال

ساشكوا الى الفضل بن يحيى بن خالد * هوا لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن دريج حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها في كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق فسعى في طلاقها من زوجها وأعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن افضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريقي

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس يا حبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعه احد الا ظنني قوادا ومن المخالص التي استحسنوها للبحتري قوله

رباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة لابي تمام قوله من قصيد

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسي على القسوالتحوم
لا والذي هو عالم أن النوى * مرّ وأن أبا الحسين كريم

هذا المخلص مقدم على مخالص البحتري من وجوه أحدها التخلص من النسيب الى المدح

والثانى حسن الانسجام والثالث وهو جل القصد الوثيقة فى بيت التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى باسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثله قوله من قصيد

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبى الطيب الفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران بن ماهويه مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * دانى الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع فى غاية الحسن والغرابة فانه يقول هذا سرب حيل بينى وبين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل فى غرابة هذا الاسلوب الى أن قال متحمسا

ومطالب فيها الهلاك اتيتها * ثبت الجنان كانى لم آتها
أقبلتها غرر الجياد كانما * ايدى بنى عمران فى جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال * والشرب الذى أمست المشارب الصافية عنده كالآل * ومثله فى الغرابة التى هى من معجزات المتنبى قوله من قصيد يمدح بها على بن عامر ويعرض بذكر ابيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وما أحلى ما قال بعده

واعجب من ذا كل يوم سلامتى * وما بتت الا وفى نفسها أمر

ولم يزل يثقب بصدق عزائمه فى هذا السحر الذى سحر به العقول وخلب القلوب الى أن قال

ويوم وصلناه بليل كانما * على أفقه من برقه حلل حمر
وليل وصلناه بيوم كانما * على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدة دالية يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد * وان ضجيع الخود منى لماجد

وما الطف ما قال بعده

يريدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر فى هذه الاسلاك البديعية قال

خليلى انى لا ارى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص أبى العلاء احمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولو ان المطى لها عقول * وحصك لم نشد لها عقالا

مواصلة

مواصلة بها رحلي كائنى * من الدنيا أريد بها انتقالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا المخلص أيضا من العجائب فان الشيخ ابا العلاء سبكه فى قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير فى قالهم سعيدا والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن ويتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله

الا ياماء دجلة انت تدرى * بانى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا * بما استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

قال صاحب المثل السائر حين اورد هذه الابيات ما علمت معنى فى هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ ويكفى ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمرى ان المخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير فى الوصف ولكن قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع اعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها نفسى الهالى * بمشورة استهاولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص الفايقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة بن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب
كأنما قولنا للبابلى ادر * سلافة قولنا للمزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ اباطالب بن ايوب

يا من ثنا ياه التى * غولطت عنها بالاقاحى
غلط المقايس بابن ايوب * السحابة فى السماح

ويعجبنى من مخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور
ام الايام خافتنى لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى أيضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

Digitized by Google

ولم يزل يطلق العنان فى هذه الحلبة الى أن سبق الى غاية قال فيها

ان شاء بعدهم الحيا فلينسكب * أوشاء ظل غمامه فليقلع
فقتيل جسمى فى ذيول ربوعهم * كلف وشربى من فواضل أدمعى
كرمت جفونى فى الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وارتعى
فكأن دمعى مذ من أيدى بنى * عبد الرحيم وماؤها المستنبع

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكان ليلى من تفاوت طوله * أسبابهم موصولة بالادرع

ولم أكثر من محاسن مهيار هنا الا لعلى بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التى تصلح أن تكون واسطة فى هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضى أبو بكر أحمد الارجانى من قصيد يمدح بها ولى الدين الكاتب مطلعها

وعدت يا ستراقة للقاء * وباهداء زورة فى خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يعاشيها الظل فسارت فى ليلة ظلماء
ثم خافت لما رأت أنجم الليل شيهات أعين الرقباء
فاستنابت طيفا يلم ومن * يملك عيناتهم بالاغفاء
هكذا نيلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء
يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناه الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا فى هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتنى معانيا لمغان * وأعادت أعادياى أصدقائى
رنقت مشربى وقد كان عين الشمس والماء دونه فى الصفاء
بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا * تتثنى كالبانة الغناء
واموری كأنها الفلوات * خطهن الولى فى الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة فى هذا السلك قوله من قصيدة تائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانبارى مترسل الخلافة وكاتب انشائها مطلعها

سلا رسوما أقامت بعد ما ساروا * أعندها من أهيل الحى اخبار
وروحا عانق من حملها منثنا * للسحب فيها وللاجفان استار

ولم يزل مبدرا فى هذا الافق النيرا الى أن قال

أفسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادى على ما شمت صبار
الا لانك منى اليوم نازلة * فى القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التى مازجها بسلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين احمد بن أسعد الطغرائى مطلعها

اذا لم يخن صبّ فغيم عتاب * وان لم يكن ذنب فمم متابه

وما الطف ما قال بعده

أجل مالنا الاهواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائرا فى سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجانى أيضا نظمه غريب فى هذه البلاد فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله اعلم * وقد آن لى أن أقدم مقدمات النتايج من اشعار المتأخرين فى هذا النوع فانهم رياحين حدايقه * واقمار مشارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذى ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلف امامته الجماعة * فمن مخالصه الفاضلية قوله من قصيد يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى لجنينى أوحتين الحمائم * جرت فحكت دمعى دموع الغمائم

(وما احلى ما قال بعده)

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

تاخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الا حديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعدكم قد فطمته * عن الشعرا لامدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نوى المشرد * واه من شملى المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة الى أن قال

اكسبنى تشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقا حل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

لمن رأى ذلك الوشاح الصـــائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى ساوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل اعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى أن قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كما نشأ اللهيب من الشراره

ويفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبى مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

Digitized by Google

كنت فى ترك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومن المخالص التى نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيد يمدح بها ابا المنصور نور الدين محمود اعين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما تقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمر عنّ فى خلدى * وسمه فى بديع الحب ترديدا
وقف ابثك ما لان الحديد له * فان صدقت فقل هل أبت داودا
حلت عرى النوم عن أجفان ساهرة * ردّ الهوى هدبها بالنجم معقودا
تفجرت وعصى الجوزاء تضربها * فاذكرتنى موسى والجلاميدا

وما احلى ما قال بعده كناية عن طول الليل

يا تعلب الصبح يا سرحان اوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى ان قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا
اسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا
سمعت بالجود مفقودا فهل احد * يقول انى وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد أبى المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنه بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى مطلعها

أروه الجلنار من الخدود * وأخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم فى المخانق والبرود
وما غرسوا نخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد
سقى مصرا وساكنها ملث * طليل البرق مخضاب الرعود
موارد بى لها ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود
هل الراى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبنى من مخالص القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل التى فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشر العيون الغزل اغرابة اسلوبها

ضننت بطرف ظل بعدى سقمه * أرأيتم من ضنّ حتى بالضنى
يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكنى انا
انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا

وما احلى ما قال بعد المخلص

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا أن هذا من هنا

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدى فى طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصرا ووساد المعصم

وما أبدع ما قال منها

سعدت بيد رخذه برج عقرب * فكذب عندى قول كل منجم

وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * باوضح منى حجة عند لوّمى

ولاسيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبرى فؤاد متمم

وما بان لى الابعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضى السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعانى ولقد خلب القلوب وجلى ظلمة الافهام بقوله

وما بان لى الابعود أراكة * تعلق فى أطرافه ضوء مبسم

واظنه من المخترعات والله اعلم * وما احلى ما قال بعده

وقفت به أعتاض عن لثم مبسم * شهى لقلبى لثم اثار منسم

ولم يرطرفى قط شملا مبددا * يقابله الابدمع منظم

ولم يسل قلبى أوفنى عن غزالة * وعن غزل الابمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول الصاحب بهاء الدين زهير من قصيد يمدح بها الامير نصير الدين اللمطى * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * قبابالها ضنت بما لايضيرها

وما ألطف ما قال بعده

اعادتها أن لايعاد مريضها * وسيرتها ان لايفك أسيرها

ولم يزل هائما فى طريقه الغرامية الى أن قال

وها انا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلى اذا نامت بليل ازورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه فى اغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها

تقاضى غريم الشوق منى حشاشة * مروعة لم يبق الايسيرها

وان الذى ابقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهير ارقيق الفاظه بحشمة وريته ومثله فى الحسن قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده

وأرى الرسول ولم أجد فى وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

Digitized by Google

ولم يزل يدير كأسات صبابته الغرامية الى أن قال

آها لقلب ماخلا من لوعة * ابدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لاشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين أن اتذللا

وما أحلى ماقال بعد المخلص

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * وأردت قبل الفرض أن اتغزلا

ويعجبني ايضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيد يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طايره

ثم قال بعده

والليل تجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ولم يزل يتلاعب بهذه المعاني المخترعة الى أن قال

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ويعجبني من مخالصه الموسويات قوله من قصيد مطلعها

يانار اشواقي لاتخمدي * لعل ضيف الطيف أن يهتدي

ولم يزل راتعا في رياض غزلها الى ان قال

عازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندي
وقام يلوى صدغه قائلا * لاتغتربي فكذا موعدي
فقلت يالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذيدي

وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات في بيت المخلص الذي يستغني بتمكنه وقوته عن ذكر ماقبله

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا ايا الفتح يا موسى وقد فتحت

ومن مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كمحفل * رايا تهز بنك الملك الاشرف

ويعجبني من مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيد

يذود شبا القنا عن وجنتيها * كمنع الشول للورد الجني
اذا مارمت اقطفه بعيني * يقول حذار من مرعى وبي

لسان السيف من أدنى وشاتى * ومن رقبای طرف السمهری
كان لحظها فی كل قلب * فعال المشترفی الاشرفی

ويعجبنی من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضی فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فی غزلها وتغزل فی تحمسها الی المخلص مطلعها

ارح يمينك مما أنت معتقل * أمضی الاسنة ما فولاذه الكحل

وما احلی ما قال بعده

يامن يرينی المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضی وسمها مقل
مابال لحاظك المرضی تحاربنی * كانما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس * من دونها قضب من دونها أسل
ومعشر لم تزل فی الحرب نصرهم * حمر الخدود وما من شانها الخجل
يثنی حديث الوغی اعطافهم طربا * كان ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذی طرة سوداء يلبسها * وشيها من غبار النقع منتقل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وطالعت تقطيف الجزار فاعجبنی منه مخالص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسی بن يغمور * مطلعها

نقلت لقلبی ما يجفنيك من كسر * وعلمت جسمی بالضنی رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الی أن قال

وهيفاء تحكی الظبی جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر
جسرت علی لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فی سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانی بموسی قد أمنت من السحر

وما أحلی ما قال بعد تخلصه بموسی

فتی ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فی بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من ثوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباته التی هی أوقع فی القلوب من خالص الوداد * وتوريتها أنفس من خلاصة العقود فی الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضی القضاة تاج الدين السبكی مطلعها

واحيرتی بظلام الطرة الداجی * وشقوتی بنعيم الملمس العاجی

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الی أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد علی الاكباد وهاج
وألجم العذل فاركض فی محبته * طرف الهوی بعذار الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل فی محاسنه * شذر القلائد واهد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضی جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدرى * أبهذب قصول أم بنبال
صنفت شجونا بغزال جفن * فقرأنا مصنف الغزالى
وهو يا حلو القوام فنادت * لا عجيب حلاوة العسال
من معينى على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال
لو رأى عاذلى حقيقة أمرى * لرثانى ولا أقول رثى لى
فى جمال الحبيب مت شجونا * وبروحى أفدى تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيد يمدح بها الامير سيف الدين الكريمى مطلعها

غرامى فيك ياقرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى نديمى

وقال بعده

وملنى الحميم وصد عنى * ومالى غير دمعى من حميم
وكم سأل العواذل عن حديثى * فقلت لهم على العهد القديم
وعم تساءلون ولى دموع * تخبرهم عن النبا العظيم

ولم يزل القيراطى يحرر ابريز هذه المعانى الى أن قال

فموعده وناظره وجسمى * سقيم من سقيم فى سقيم
كريم مال بخلا عن ودادى * فلت لنحو مخدوم كريم

المخالص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسلكها مقفل * لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل * ومن مخالصى التى ما برحت التورية فى ابواب بيوتها خادمه * وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمة * قولى من قصيد أمتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير فى دمشق بابن مسعود وكان من أعز الاصحاب * وممن رشف معنا فى ذلك العصر سلافة الاداب * مطلعها

سهام جفنيك فى الحشا رشقه * رفقا فما مهجة الشجى درقه

ويكر هذه القافية انا ابو عذرتها * واول من حصل له الفتح فى تحريك نكتتها * وقلت بعد المطلع منها

أنفقت عمرى وصحتى شغفا * عليك والصبر آخر النفقه
غصن خلاف يميس من خفر * قلوبنا فى هواه متفقه
قوامه فى اعتداله ألف * سجان من مده ومن مشقه
عينى بالثغر مع ذوائبه * فى اول الاصطباح مغتبقة
أمير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه
غامر بيت الوصال خربه * وقال ما أنت هذه الطبقه
بدر منير قسى برؤيته * لكن نرى عند خده شفقه

قالوا

قالوا البدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه
وجعل الصبح من محاسنه * أثقال نور لكنه فلقه
وماس فى الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه
وانظر الى الظبى كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه
فقيل والظبى ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه
قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بحبه رشقه
خفت من القتل رحت أملقه * سابقنى مدمعى جرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى المخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغى صدقه

قولى حتى تخلصت لا يخفى ما فيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولى من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضى القضاة شمس الدين النويرى مطلعها

طربنى من ليلات الهجير * مقبريح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلى وجويرقلبى * دمعى فى وجنانى جويرى
بدوى تركى المحيا * غويب عن عويشقه الحضيرى
عبيسى اللحيظ له وجيه * ضوى نويره لبنى بديرى
حياه مقبلته سباعقيلى * ولكن الخديد غداجيرى
رويض وجينته له عنيدى * نسيب فى النظيم الى زهير
مسيبل الشعير على كفيل * يذكرنا مويجات البحير
بدير فى الظهيرله نوير * مثيل شكيله مافى العصير
حويجبه القويس له سهيم * مويض فى القليب بلاوتير
شفيفته قفيل من عقيق * مقيفيل على درّ الثغير
عذيره النويزل دارحتى * تشوق للنزيل وللدوير
لثمت خديده فجرى دمعى * فما أحلى الزهير على النهير
دنينير الوجيه له بقلبى * نقيد ليس يصرف عن صديرى
اتاه سويئلا يوما دمعى * فقال انا جعيدى الشعير
شهير وصيله عندى يويم * ويوم هجيره مثل الشهير
تبسم لى سحيرا عن رويض * فقلت ولى دميع كالمطير
تثرت دمعتى بنظيم ثغر * فما أحلى النظيم مع النثير
لفيظك والمقيلة مع نظيمى * سحير فى سحير فى سحير
شعيرك مذأضل عويشقيه * هدينا فى الظليمة بالنوير

ولم استطرد الى غالب ابيات هذه القصيدة الا لغرابة أسلوبها فانى لم أزل أجذب القلوب

الى تحبيب تصغيرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى ان أبدر بدر مخلصها فى أفق توريته * ومثله قولى من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يانزولا حى الفرادبس بالشا * م واعلامهم على قاسيونا
بالنسيم العليل منكم اذا هب على الغور والربا علونا
وارحموا سائل الدموع وبالله عليكم لا تنهروا السائليتا
واذا ما نهرتم الدمع نهرا * لا تخوضوا فيه مع الخايضينا
حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا
والحشا لم تخن عهود وفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولى من قصيد كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضى القضاة تقى الدين ابن الخيمى الحنفى بحماة المحروسة نور الله ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه *

فيا ساكنى مغنى حماة نعمتم * صباحا ولو ألغيتم فى الورى ذكرى
فودى ودى مثل ما تعهدونه * ولكن صبرى عنكم عاد كالصبر
وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر
وان جلت فى ميدان نظمى تشوقا * تسابقنى حمر المدامع بالنثر
وشيبى همى كلما رام بعدكم * يحار بنى ناديت يالابى بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس * ولم ابرز بدورها هنا كاملة الا ليزول عن الطالب ظلمة الالتباس * وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر المقر المجدى فضل الله بن مكانس فسح الله فى اجله مخلصا من غزل الى مديح نبوى وهو

كم حدا السامعون وصفى * لغادة قينة وأغيد
فعدت عنه تقى وعودى * لمدح خير الانام احمد

هذا المخلص حلاه المقر المجدى بشعار التورية وخفر المديح النبوى ومخلص الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفى الدين تخلص فى بيت واحد وثب من شطره الاول الى شطره الثانى على الشرط المعروف وهذا المنوال قد تقرر أنه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفى الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح للتجريد وقد تقدم القول على بيت القسم من قصيده انه غير صالح للتجريد ايضا فانه لم يات بجواب قسمه الا فى بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم وبيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الادب ويصير بينه وبين الاذواق السليمة مباينة وقد تعين أن أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصير المخلصه الضعيف

نكاتين وهما

لاتقبنى المعالى باين بجدتها * يوم الفخار ولابر التقى قسمى
ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم
من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

واين الشيخ صفى الدين الحلى من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

هذا المخلص لحسن تجريده يستغنى به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ومخلص العميان مثل مخلص الشيخ صفى الدين الحلى ايضا فانه غير صالح للتجريد وما تتم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح ان يكون شاهدا وهو

يمم بنا البحر ان الركب فى ظمأ * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولى ان العميان أتوا فى براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح فى المطلع الذى هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له فى المخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبى صلى الله عليه وسلم ومخلص الشيخ عز الدين فى بديعيته

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص فى اول البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به فى الشطر الثانى مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى اخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاما آخر وقد تقدم القول فى اول الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمى اقتضابا ولم يكن له حظ فى حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل مخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبى العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاما اخر وليس بين بيت التخلص وبين ما قبله علاقة ولا أدنى مناسبة * وبيت بديعيتى

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى

هذا البيت ما يشك متأدب انه أعمر بيوت البديعيات وهو فى غنية عن الاطناب فى وصفه

(ذكر الاطراد)

الاطراد

(محمد بن الذبيحين الأمين ابو القاسم بتول خير نبى فى اطرادهم)

الاطراد فى اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفى الاصطلاح أن يذكر

الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه فى بيت واحد على الترتيب ولا يخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف او تعسف فى بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم فى سهولة جريانه واطراده كجريان الماء فى اطراده فمتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفى الدين ما نظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا فى هذا الفن يجتنى من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته فى شرح بديعيته قد اورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيا والشيخ صفى الدين نقل فى شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللايقة به واسم من امكن من ابيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط أن يكون ذلك فى بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بالفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين ابو جعفر * محمد بن العلقمى الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم ابيه والصفة اللايقة به وهو القدر الذى قرره الشيخ صفى الدين فى الحد الذى اورده فى شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتأخرين فى زكى الدين بن ابى الاصبع

عبد العظيم الزكى بن أبى الا * صبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل ايضا على اسم الممدوح واسم ابيه والصفة اللايقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بابيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع ولكن جراءة ظرفها ركبت صهوة القلم واطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم انى بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب
لكننى والطلاق يلزمنى * ماملت فيه يوما الى الكذب
نكت ابنه وأخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبى
ولست فيما اتيت مبتدعا * قد كان هذا فى سالف الحقب
نال أبى أمه وجدته * وعمتيه فالله در أبى
ونحن فى بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم ابيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فنها قول الشاعر

من يكن رام حاجة بعد عنه * وأعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بن * معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع لقد أربى هذا الشاعر فى هذا النوع على من تقدمه ولو لم يبيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك * وعقيلة لا تملك * انتهى كلام

الشيخ

الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

محمد المصطفى الهادى النبى أجل المرسلين ابن عبد الله ذى الكرم

الشيخ صفى الدين أتى فى هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللايقة به واسم ابيه وبيت العميان فى بديعيتهم

قد اورث المجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

الذى أقوله ان بيت العميان فى غاية التكلف والتعسف * ولعمرى ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع فى المشى على طريق السهولة والانسجام وايضا فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الممدوح فى هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر فى هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع مافيه من العقادة * وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

محمد ابن عبد الله شيبة جده ابن عمرو كرام فى اطرادهم

أقول ان بيت العميان فى غاية السهولة عند هذا البيت * وهذا القدر أليق من اطلاق لسان القلم فى الكلام عليه * وبيت بديعيتى

محمد ابن الذبيحين الامين أبو البتول خيرنبى فى اطرادهم

هذا البيت ايضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر ابيه وهو أحد الذبيحين لان أباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد اولاده اذا صاروا عشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله ففداه بمائة من الابل وهو اول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفى البيت اشارة الى جده اسماعيل عليه السلام * وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من اسمائه الشريفة والصفة اللايقة بمقامه العالى واسم النوع البديعى فى القافية مورى به من جنس المديح * والذى يظهر لى انه أرق من بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين واكثر معانى من بيت الشيخ صفى الدين والله أعلم

العكس

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى)

العكس فى اللغة رد آخر الشئ على أوله ويقال له التبديل وفى الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ويقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم فى هذا الباب قوله تعالى (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) العكس هنا مميز بعلو طباقه وبشرف القدرة الالهية التى لا تصدر الا عن عظمة الخالق جلت قدرته وبلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع الغالية * وان لم يصوب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه فى سلك أنواع البديع فهو مستمر على عكسه * كقول القائل

زعموا أنى خؤون فى الهوى * فى الهوى أنى خؤون زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو أراد الشاعر ان يرتجل مثله ماشاء فى مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبى تمام وقد قال

له بعض حساده لم لا تقول ما يفهم فقال له على الفور لم لا تفهم ما يقال * وأين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال * اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما ابلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير * ويروى لأمير المؤمنين هارون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وبديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ومثله

ألست ترى أطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين * وتلك عيون مالهن خدود

ويعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غيرآكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباته السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدلك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدلك رافع
فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

ومن حكم ابى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * وردّ وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق فى العجز والصدر ومن الذى يستظرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة

افنيت عمرى فى دهر مكالسبه * نطيع أهواءنا فيها ونعصينا
تسعا وعشرين مذ الهم شقتها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله هنا

مسألة الدور غدت * بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ماجفت * لولا جفاها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مسألة الدور في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني ايضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي عودني الوصال * وعوايدو قطع
وامتنع لما حلا * وحلا لما امتنع

وانشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين اخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيه اعدل عملك
قال يجوري ترتضي * والا اعمل عدلك

وزاد الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع هذا النوع اعني عكس الالفاظ صنفا معنويا وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ماعكس الشاعر من المعاني لغيره قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السايرة * مافي السويدا رجال فعكست هذا المعنى على اصحابه وقلت

في سويدا مقيلة الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا مافي السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر وتلطف ماشاء

هاقد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يصرفني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباته

وصديق قوى يدي بنوال * وأراه من بعد حاول وهني
كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام ياخذ مني

انتهى ما اوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجايب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

فاتبع رجال السرى فى البيد واسرله * سرى الرجال ذوى الالباب والهمم

بيت العميان لم يخلص من العكس هنا اذليس فيه نكتة تلم له مع البديع شملا وليس فيه غير رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عزالدين الموصلى فى بديعيته

خير المقال مقال الخير قاصغ ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم

الشيخ عزالدين أتى فى هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعى وتسميته على الشرط المقرر ولكنه اجنبى من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وليس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله وهو

تمت محاسنه والله كملة * فقدره فى الورى فى غاية العظم

وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبى صلى الله عليه وسلم

له الجميل من الرب الجميل على الـ * ـوجه الجميل بترديد من النعم

وغالب مديحه النبوى فى هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا فى مواضع قليلة والظاهر ان نقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أنقل كاهل فرّ الى جهة يستند الى ركنها وبيت العميان كاد أن يكون اجنبيا من المديح ولكن اتكلوا على عود الضمير على الممدوح وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى

أقول انه فى سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر بالمحاسن والله اعلم

التردد

(ذكر الترديد)

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)

الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة فى بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا النوع من النظم بقول ابى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما فى بديعيتى ولكن ذكر زكى الدين بن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو أن اللفظة التى تكرر فى البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يردها الناظم فى بيته تفيد معنى غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها على التكرار ويتحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع أعنى الترديد فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الامم

لفظة السلام متعلقة فى كل موضع بغير الآخر لاشتراكهما والعميان لم ينظموا هذا النوع

وبيت

ويت الشيخ عز الدين

له الجميل من الرب الجميل على الـ ـوجه الجميل بترديد من النعم

ويت بديعي

أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عز الدين بترديد من النعم واحسن موقعا لكونها فى القافية والله أعلم

التكرار

(ذكر التكرار)

(كررت مدحى حلا فى الزايد الكرم ابـ ـن الزايد الكرم ابن الزايد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولى ان التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تاكيد الوصف او المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الاغراض * فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل ابن ربيعة اخى كليب

بالبكر أنشروا لى كليبا * بالبكر أين أين الفرار

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير فى عمر بن عبد العزيز

فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها واعظم بها ثم أعظم

وكقول ابى تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة * وكقوله الحاقة ما الحاقة * واما ما جاء منه للانكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى الاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ما عدد آلاءه هنا الا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون * واما ما جاء منه فى النسيب وهو فى غاية اللطف فقول بعضهم

يقلن وقد قيل انى هجعـ ـت عسى أن يلم بروحى الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضى الفاضل

ماذا تقول اللواحى ضل سعيهم * وما تقول الاعادى زاد معناه

هل غير أنى أهواه وقد صدقوا * نعم نعم أنا أهواه وأهواه

وما أحلى ما قال بعده

حسب البرية أجرا فضل رؤيته * فما رؤى قط الا سبح الله

ويت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابـ ـن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

Digitized by Google

تكرار مدحي هدى في الشامل النعم ابن الشامل النعم بن الشامل النعم

وبيت بديعيتي

كررت مدحي حلا في الزايد الكرم ابن الرائد الكرم بن الرائد الكرم

كما بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتي ان تكون بيتا واحدا لمناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين مميزا بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع كما قيل

وأين الثريا من يد المتناول

والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى اعلم

المذهب الكلامي

(ذكر المذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي ان بعثته * لولم تكن ما تميزنا على الامم)

المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة * وقيل ان ابن المعتز قال لا اعلم ذلك في القرآن اعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهد على المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن وأوضح الادلة في شواهد هذا النوع وابلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام * ومثله قول مالك بن المرجل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل

او يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الجلية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم تلك الهداية جئت اليك فاحكم بدليل حملي الزمه فيه أن المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره واعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو ووجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت

البديعية وكذلك العميان ويأتى ذلك فى موضعه فبيت بديعية الشيخ صفى الدين الحلى

كم بين من أقسم الله العلى به * وبين من جاء باسم الله فى القسم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى ليس لنور المذهب الكلامى فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الجدلية * وبيت العميان قد تقدم أنه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وأروت قلب كل ظمى

جملة هذا البيت هى الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالرى وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتى هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سجعة الترتيب لوجهين أحدهما أن بيتى وبيت العميان أتيا ببهجة هذا النوع فى مطلع واحد وهو القياس الشرطى والثانى ان الشيخ عز الدين لم يتمسك فى المذهب الكلامى الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ومذهبى فى كلامى أن بعثته * لو لم تكن ما تميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطى فى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذى لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين بشرى من كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أى القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة فى المذهب الكلامى والله أعلم قوله بشرى من كلامهم أى من كلام الاولين ولم أر فى هذا البيت للمذهب كلاما ولا للكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذى علم عليم

المناسبة

(ذكر المناسبة)

(فعله وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية هى أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع أعنى المناسبة المعنوية كثير فى الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى هى للموعظة أولم يهد لهم ولم يقل أولم يروا لان الموعظة سمعية وقد قال بعدها أفلا يسمعون وانظر كيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرايا أولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية أفلا يبصرون ومن أظرف ما أنقله هنا من النقد اللطيف فى هذا الباب أن قاضى القضاة عماد الدين ابن القضاعى أخا شيخنا قاضى القضاة علاء الدين الحنفى نور الله

Digitized by Google

ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحومي السيفي ارغون الاسعردي كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها للمدح على اخيه المشار اليه فانتهى منها في المديح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور فمن يرى * سوى ما يراه فهو في هذه أعمى

فقال له سيخنا قاضي القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابي الطيب المتنبي

على سابح موج المنايا ينحره * غداة كان النيل في صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتي الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذي عقد الناس عليه الخناصر في هذا الباب قول ابن رشيق القيرواني

أصح وأقوى ما رويناه في الندا * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث تزويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكي الدين بن ابي الاصبع هذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها * وناسب في البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب في البيت الثاني بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انها جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن اول كما يقع في سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا أصله وكذلك الحيا فرع البحر أصله ثم نزل البحر منزلة الفرع ووجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة في المدح وهذا غاية الغايات في هذا الباب أقول اتى زاحمت ابن رشيق القيرواني هنا بالمناكب وابطلت موانع التعقيد لما دخلت معه الى هذه المطالب وماذا الا أنني امتدحت شيخي المشار اليه اولا مولانا قاضي القضاة ابن القضاعي الحنفي بموشح بيت مخلصه تحفة في هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب * وهو

رقم السوالف يروى لي بسنده * عن رقتي حيهم يا طيب مورده

وثغرها قد روى لي قبل ما احتجبت * عن برق ذاك النقا ايام معهده

والريق أمسى عن المبرد * يروي حديث العذيب بمسند

عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضي القضاة علي

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته يحماة المحروسة في مبادئ العمر ورياحين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المؤيدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية في التاريخ المذكور وجدته ملحنا وأهل مصر يلهجون به ويتلحينه كثيرا فتعين علي ان أثبت هنا منه شيا ليحلو تكريره بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذي أوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية من غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذي سلم * والشعر كالعلم المنشور للامم

فقلت

فقلت باقلب أعلام الهنا نصبت * ها أنت تخطر بين البان والعلم
وأسود الخال مذ تبدى * فى خدها همت فيه وجدا
قالت وطلعتها كالشمس فى الحمل * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
سألتها برد ما عندى من الكمد * وقلت نار الجوى قد أضعفت جلدى
قالت بريقى أطفيها اذا التهبت * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طـــرفى * وقالت اسمع كفيت خلفى
الم تخف بللا ناديت يا أملى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

منه

بالله يابرق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * تلك النهيلات للورّاد فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * فانـــه قـــوة لضعفى
عسى تصح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل

منه

انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قد أقام الحد فى ثلفى
فمت بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عند موتى مذ قوى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هـــذا فعال انسان
الم تجمل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقد طال الشرح وخرجنا عما كنا فيه من المناسبة المعنوية وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القيروانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح * وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنوية فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون * ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام * اعيذكما بكلمات الله التامه * من كل شيطان وهامه * ومن كل عين لامه * ولم يقل عليه السلام ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية * ومن امثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول ابى تمام حبيب ابن اوس

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وايتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كمها وكقنا وحذف الاداة ليدل

على قرب المشبه من المشبه به وأما الاستثناء البديعي ففي قوله الا أن هاتا أوانس وقوله الا أن تلك ذوابل لتثبت للموصوفات التأنيس وينفي عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل في الاستثناء الثاني فانه اثبت لهن اللين ونفى عنهن اليبس والصلابة واما المطابقة ففي قوله الوحش وأوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من وادٍ واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها واما التمكين فاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال في قلق * مؤمل الصفح والهيجاء في ضرم

الشيخ صفي الدين لم يحتج في بيته الى المناسبة المعنوية بل اتى باللفظية وعجبت منه كيف رضي لنفسه بقول القائل

اذا كنت ما تدري سوى الوزن وحده * فقل أنا وزان وما أنا شاعر

وليته أتى بالمناسبة اللفظية تامة فانه في عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم في وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال في قلق موازن والهيجاء في ضرم ولم ينظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ألم تر الجود يجري في يديه ألم * تسمع مناسبة في قوله نعم

الشيخ عز الدين غفر الله له لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لمن يخاطبه الم تر الجود يجري من أيادي النبي صلى الله عليه وسلم الم تسمع مناسبة من لفظ نعم * ولفظ الشيخ عز الدين الموضوع في بيته ليس فيه مناسبة لفظية اتى فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتداء فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فعله وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية * فقولي علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر مثله ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها في أول الشطر الثاني من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامي بقولي عن كل مجترم فحصلت المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذي هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتي للعفو لتقربوا الي بالجرايم وهذه هي المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبي صلى الله عليه وسلم احق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

التوشيع

(ووشع العدل منه الارض فانشحت * بحلة الامجدين العهد والذمم)

التوشيع

التوشيع مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البرد المطاق فكأن الشاعر اهمل البيت الآخره فانه اتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو البحز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كانهما تفسيره وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة مالا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظام قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لاغرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته المظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شاو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لذلك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ماسكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثي لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد معروفة والمشفق اذا رثى لشكوى اهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن ابي الاصبع وما بشعر قلته هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثي لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية وأسى * أودى بي المرديان الشوق والفكر

رأيت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحم الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان أتم واحسن * وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أمي خط ابان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغني عن الاجودين البحر والديم

الشيخ عز الدين أتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومي وفك قواعد بيته وهو

ابو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

أخذ الاجودين والبحر ورادف المطر بالديم وهذا ما يليق باهل الادب وبيت بديعتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ووسع العدل منه الارض فاتسعت * بحملة الابجدين العهد والذمم

وأما على مذهب زكي الدين بن أبي الاصبع في قوله وما بشعر قلته هنا من بأس انتهى

التكميل

(ذكر التكميل)

(آدابه تمت لانقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم)

التكميل هو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى تام من مدح اوذم اووصف اوغيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتى بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم اوبالبأس دون الحلم وما اشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين * فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو أعلم أنه لواقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذى يتطفل البدور على كماله ومثاله فى الشعر قول كعب بن سعيد الغنوى

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين أهله احتراس لولاه لكان المعنى فى المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز يوهم أنه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الا عن قدرة وهو الذى قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين أهله * فان الحلم ما يزين أهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية فى باب التكميل ثم رأى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر

وحلم ذى العجز ذل انت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ومن التكميل الحسن قول كثير عزة

لوان عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم لتم المعنى لكن فى قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو فى النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين فى هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدى

أن الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل حسن قال ابن ابى الاصبع وما غلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعانى فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعانى وهذا غلط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وقد تقدم هذا الكلام على التتميم فى موضعه

ولكن

ولكن أردت هنا تفصيل التكميل عن التتميم لتنجلي عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد خذ عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل فى غاية الكمال ويعجبنى من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ما حادت ولا غفلت * بأى ذنب وقالت قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين ايضا تام بدون قوله وقالت قد قتلت ولكن التكميل بوقالت قد قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد حلفا

ومثله قولى فى مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة نسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية فى باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولى فى مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددى * ياقاتلى فسلبتنى بمجرد

معنى البيت تام بدون قولى ياقاتلى وقولى ياقاتلى بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدون الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقى بماء حشاشتى * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولى حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولى من قصيد

وأفرد تمونى للغرام لانكم * أخذتم كما شاء الهوى بجماعتى

معنى البيت تام بدون قولى كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولى من قصيد

أذابت القلب فى نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قاتلى

قالت سلوت لحاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسمى من السالى

فلفظة عبثا فى البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن لحى الله من لا ينظر الى محاسن لحاك الله فى البيت الثانى ومثله قولى من قصيد

ورب غصن لاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

والمعنى ايضا تام فى هذا البيت بدون قولى فى رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية فى هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

نفس مؤيدة بالحق تعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

Digitized by Google

بيت الشيخ صفى الدين لم يظهر لبدور التكميل فى أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

ثمت محاسنه والله كله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

بيت الشيخ عز الدين أمثل من بيت الشيخ صفى الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كله ولكن قوله هنا والله كله فى غاية الكمال فانها اشتملت على نورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتى

آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم

معنى هذا البيت ايضا تام بدون قولى لا نقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

التفريق (ذكر التفريق)

(قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذا النقص وهذا كامل الشيم)

التفريق فى اللغة ضد الاجتماع وفى الاصطلاح أن يأتى المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر فى المديح

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواه بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين ابن النحوية فى غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف

هذا قضيب وذا قوام * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق فى الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ما هو غاية فى البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى حسن فى هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وبيت العميان فى بديعيتهم

لا يستوى الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلا يتهم

العميان غفر الله لهم مسخوا قول الشاعر

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوالى الاسير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من موقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ما تجسموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم فى القافية فلا تهم نعم ما يحط هذه القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفى الدين فى قوله

فجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارج الغمم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوى مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالى الوصال فانه مشتمل على توربة التسمية ونكتة النوع البديعى ولطف الانسجام والسهولة وليس فى بديعيته بيت يناظره فى علو طباقه وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

قد أطلقت لسان القلم فى وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمرى انه يستحق فوق ذلك فان التكلف بتسمية النوع مورى به من جنس المديح يثقل كاهل كل محل وقد حبست عنان القلم عن الاشتطراد الى وصف هذا البيت فان فى انصاف أهل الذوق ما يغنى عن الاطناب فى وصفه انتهى

التشطير

(ذكر التشطير)

(وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم)

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه * فمن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثانى قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب فى تصريع التشطير وقول ابى تمام فى هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

وعلى جلالته الواضحة مشى الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وانا أقول باليتنى كنت معهم فانه نوع مبنى على قواعد ليس تحتها طايل ولكن الشروع فى معارضة البديعيات اوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تشطير معتدل بالسيف مشتمل * فى جحفل لهم كالاسد فى الاجم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى انشقاق القمر فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم قولى فى نوع التفريق

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى أنه استحسن ذا ورم وما خطر لى يوما أننى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

التشبيه

(ذكر التشبيه)

(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما بالصورة والصفة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من اركان البلاغة واركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكان وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه أن يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى سامحه الله فى هجو الورد

كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البرازو باقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعليا والامثله مايخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صيغته ومثله قول أبى العلاء السروى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كرائة ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

واصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاريرها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى * وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف * ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد * وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه الاترى الى قولهم خد كالورد انما ارادهم احمرار أوراقه وطراوتها لا ماسوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمامه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق ادنى الشيئين باعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد مفسد وأورد ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه الجسم

بالجسم

بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرد * والثانى تشبيه شيئين مختلفين بالذات لجمعهما معنى واحدا مشتركا كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه حقيقى وتشبيه الاختلاف وهو الثانى تشبيه مجازى والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن البيان والمبالغة فى التشبيه على وجوه منها اخراج مالا تقع عليه الحاسة الى ماتقع عليه الحاسة وقد عن لى أن أوضح هنا للطالب ماوقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول * وهذا القسم الرابع عند أصحاب المعانى والبيان غير جايز ويأتى الكلام عليه فى موضعه وقد تعين تقديم ماوعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذى تقع عليه الحاسة فى التشبيه اوضح مما لا تقع عليه الحاسة والشاهد اوضح من الغايب وقال قدامة أفضل التشبيه ماوقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات اكثر من انفرادهما حتى يدلى بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لى أن أورد هنا من التشبيهات البديعية التى اخترتها أمثلة لهذا النوع الا ماخف على السمع وعذب فى الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التى تقادم عهدها للعرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن بديع معنى الا ماقل وندر فمن ذلك قول امرء القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل

فغاية أمرء القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجر له أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضى بالله فى هذا الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بأرض ينفسح عنابا

ومثله قول القائل

قبلته فبكى وأعرض نافرا * يذرى المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من اجفانه * لما بدا فى خده المتضرج
برد تساقط فوق ورد أحمر * من نرجس فسق رياض بنفسج

انظر ايها المتامل الى هذه التشابيه التى يرشفها السمع مداما * وتهيم الاذواق السليمة فى محاسنها غراما * ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق

بفرع ووجه وقد ورد * كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبليغه غير كثرة العدد فى الصفات فان قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة واوردت ذلك فى باب اللف والنشر وأوصله الناس الى أكثر من ذلك ولكن جل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة اسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر فى عقود الاجياد ومثله فى الغرابة وسلامة الاختراع * قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس فى فمه * هلال أول شهر غاب فى الشفق

ومن ذلك قوله

على عقار صفراء تحسبها * شيبت بمسك فى الدن مفتوت
للماء فيها كأبة عجب * كمثل نقش فى فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذى المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق فى حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز فى تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضا فى الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفا غر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله فيه

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضى الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها فى التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة فى الخواطر الى أن نقلها القاضى الفاضل بطريق بديعية اقتضتها الحال وهى قوله مبالغا فى وصف قلعة نجم بالعلو وأما قلعة نجم فهى نجم فى سحاب * وعقاب فى عقاب * وهامة لها الغمامة عمامة * وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة * فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذى غاية فاضلة لا تدرك وقد وصلوا فى تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ما وقع فى تشبيهه ويعجبنى من التشابيه البليغة فى هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأن سماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلا لا لدنيا قرطها وسوارها

ومثله فى الحسن والغرابة قول أبى نواس

ويمين الجوزاء تبسط باعا * لعناق الدجى بغير بنان
وكان النجوم أحداق روم * ركبت فى محاجر السودان

ومثله قول القائل

كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بنى حام بدت للتثاؤب

ويعجبنى من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدى فى جواد أدهم اغر محجل

تختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعة قول القاضى التنوخى من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نضار

كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين * له فردكم من الجلنار

ومثله فى اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكى بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند

قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدايق وردة * واتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فيها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال فى الوردة

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله فى الظرف قول ايدمر المحيوى فى النرجس

وكأن نرجسه المضاعف خايض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

ويعجبنى فى تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راج رجاح الديار المصرية فى فن الزجل فى بعض أزجاله

وفى الازاهير قم ترى شى تذهب * وشى تصيبو قد زهى وتفضض

النرجس احدا قوالشهل نعسانه * الا انها من الندى ليس تغمض

وحين فتح عينوا فى وجهى شبهت اصفرو لما بدا فى الابيض

ما زعفران على نصافى مطبوع * والافصوص كهرب فى بلار يوجد

والاتخل شمسات لجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وتلطف ابن المعتز فى تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

ومثله فى اللطف قول ديك الجن الحمصى

موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن المستغرب فى وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

كأنها فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

أوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن ما يحمل البتفصيح هنا نقله * ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم في تشبيه النار

انظر الى النار وهي مضرمة * وجمرها بالزناد مستور
شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور

ومثله في الغرابة والحسن قول ابن الخلال في تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى * صبحا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوايبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجاني وان مشى غالب الناس على ضوئها * ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومي تشبيه أرياع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كأنما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التي لم يسبق صاحبها اليها قول القائل في أحدب

قصرت أخا دعه وغاب قذاله * فكأنه مترقب أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضي الفاضل قوله في نفسه وهو في غاية الظرف

ما كان يكمل حرز الايوان حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو * ف شوى ومن فوقي مكبه

ويعجبني من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالاشباح
تطفو وترسب في الدماء كأنها * صور الفوارس في كؤوس الراح

ومثله في الحسن قول الناشئ

في كأسها صور تطن لحسنها * عربا برزن من الخجال وغيدا
واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا أو أماوفريدا
فكأنهن لبسن ذا لنجا سدا * وجعلن ذا النحور هن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبي نواس في التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو ردت في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه في قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفي جنباتها * كسرى انوشروان في ايوانه
فخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت في سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدي وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

ومشمولة

Digitized by Google

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها * فاضحى ينادى وهو فيها مصور
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت فى حشا عبجدية * بها كل ذى تاج وقصر تصورا
فسبك نبلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التى ولدها المتأخرون فى معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا لفائدة عن لى ايرادها هنا وهى معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشار قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكأس فى المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور فى مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض فى الحال على سابور ولما مثل بين يدى قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام امره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك ينظر من سلوان المطاع فى السلوان الثانية فانها مشتملة على انواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كان فيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس فمن التشابيه الملوكية التى لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة بن حمدان فى قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * قمن بين منقض لدينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجود كافا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأصفر * على أحمر فى أخضر اثر مبيض
كأذيال خود اقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضى شمس الدين بن خلكان ذكر فى تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب فقال أتنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لاحد مقالا فى هذا الباب فقال لكنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وأنشدنى

Digitized by Google

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقايق
حكت وجنة المعشوق ضرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبي محمد عبد الله ابن قاضي ميلة في قصيدته الفائية التي امتدح بها ثقة الدولة القضاعي صاحب صقلية الروم وسارت له بها الركبان واثبتها القاضي شمس الدين بن خلكان بكمالها في تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها في حسن الابتداء والتشبيه الموعود بايراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجؤجؤ مزن الرعد يستل ودقه * ترى برقه كلمية الصل يطرفه
ذكرت بها ريا وما كنت ناسيا * فاذكرك لكن لوعة تتضعف
كلفي اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد زاق وودقه * كنفث الرقي من عظم ما أتلهف

ومن لطايف التشبيهات البليغة قول القاضي الفاضل من قصيد

كأن ضلوعي والزفير وأدمعي * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله في اللطف قوله

لو لم يعطل خاطري من سلوة * ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي فخان وديعتي * فسواده في خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويجيء من لطائف التشبيه قول محيي الدين بن قرناص الحوى

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والغريق
خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر اذما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه في غلائلها الصفر
رأينا الذي ابقت به من شعاعها * كأنا ارقنا فيه كاسا من الخمر

ومثله قوله

وناعورة قد البست لحيائها * من الشمس ثوبا فوق اثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي * وتنفض عن أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرائقة في حلل التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة في خده * تحت العذار فعال قلب قاسي
وتطلبوا الآسي فما ظفروا به * معهم وعز وجوده في الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج مالها من آس

ومثله قوله

لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يعتلقها للمطى عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها الفا وتحتي نون

ومثله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا

ويعجبني قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذي ما تضمن مثله ديوان

غدير دار نرجسه عليه * ورق نسيمه وصفاوراقه
تراه اذا حلت به لورد * كأن عليه من حدق نطاقه

ويعجبني من لطايف التشبيه تخيل محيي الدين بن قرناص الحموي بقوله

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار طل * على نهر حكى خدا أسيلا

تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل * ليس له في الحسن مثيل * ومثله قوله

لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمأل
عاينته مثل الحسام وظله * يحكي الصدا والريح مثل الصيقل

ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى * وشبب بمحاسنها الرواة في كل مغنى * قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف قوس البندق بعد تغزله في الرامي

قد حد القوم به عقبي السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الأوصال * قاطعة الأعمار كالهلال

ثم قال منها وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك * في مصايد الملوك * ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية

كأنها حول المياه نون * أو حاجب بماتشا مقرون

ويعجبني منها قوله في وصف التم مع حسن التضمين

تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت اذيال الدجا

ومنها يشبه الطيور الواقعة على قسي الرماة

كأنها وهي لدينا وقع * لدى محاريب القسي ركع

ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباته اليها قوله

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم في نطع يجمعنا * كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ومثله في الغرابة قوله من قصيدته اللامية التي عارض بها كعب بن زهير في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفايق

ما يمسك الهدب دمعي حين أذكركم * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغاري في وصف زهر الزنبق

وزهرة من زنبق * انوارها وهاجه

صفراء فى مبيضة * كالراح فى الزجاجه

ويعجبنى من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلى مع حسن التضمين

وسامرى أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

وأما التشبيه الذى ولده الشيخ برهان الدين القيراطى فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيدة

والبدر يستر بالغيوم ويجتلى * كنفوس الحسنا فى مرآتها

وقال ابو حفص برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر لأبى بكر محمد بن هاشم ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين على بن أيبك الدمشقى

مبسم العارض غنى لنا * اشياء فى السمع حلا ذوقها

كأنما فى فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعية التى لم تدون فى هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء

كأن صفحتها الخضرا يقشرها الدكاء قرص على أعكان سمراء

ومنها فى وصف سواد السفينة على بحر النيل

نسعى اليها على جرداء جاريةٍ * من آلة كهلال الافق حدباء

سوداء تحكى على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتطرف الشيخ عز الدين الموصلى بقوله فى هذا النوع وان لم يات ببليغ التشبيه

قيل صف هذا الذى همت به * قلت فى وصفى مع حسن المسالك

هو كالغصن وكالظبى وكالشمس وكالبدر وما أشبه ذلك

لطف التشبيه فى قوله وما أشبه ذلك ومن التشابيه التى لم أسبق اليها قولى من قصيد

حين قابلت خده بدموع * اثرت خلت ثوب خز مختم

ومثله قولى من قصيد

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

ومثله قولى من المدايح المؤيدية

ياحامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يعمر بمكة عامر

والله ان الله يحرسك ناظر * هذا وما فى العالمين مناظر

فرح على المامون نظم عسكرا * واطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقفه * يامن باحوال الوقايع شاعر

وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه بموقع وأعجبه غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا * ومن التشابيه العقم قولى فى وصف حمائم البطايق من الرسالة التى عارضت بها الفاضل * كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف خضيب * وانحدرت كانها دمعة سقطت على خد الشفيق لأمر مريب * وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح * فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح * انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن اوردهنا ماوقع فى النظم من التشبيه الذى هو غير بليغ لينفتح ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * تظر المريض الى وجوه العوّد

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة

ترجع العود احيانا وتحفضه * كما يطير ذباب الروضة الغرد

قد تقدّم القول وتقرّر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير امر * وقال ابن رشيق فى العمدة ان طريق العرب خولفت فى كثير من الشعر الى ماهو أليق بالوقت وأمس باهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن * ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها وليجرى الآن بينهما الانس

فتربد من تيه عليه كانها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق مايطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع * ومن التشابيه الغريبة التى جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

التقدير فاصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها * وعدوا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشاعر فى وصف الروض

كأن شقايق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مضيئا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التى تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجرى فى قوله

وما اخضرّ ذا الخد نباتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرايز

وقالوا مازاد الحاجرى على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مضيئا فان فيه بشاعة شق المرايز على خد المحبوب * وبعضهم ما اكتفى بشق المرايز على خد محبوبه حتى سفك عليه الدما بقوله

وما احمرّ ذا الخد واخضرّ فوقه * عذارك الا من دم ومرايز

ومثل ذلك ماعابوه على ابن قلاقس فى قوله

Digitized by Google

أما ترى الصبح يخفى فى دجنته * كأنما هو سقط بين أحشاء

لاشك أن بهجة الصبح فى أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا أن يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك ولندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

وقفت بها والدمع أكثر مدم * كانى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لا ينكر لها جريان الدمع دما فانها حالة لايقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التى هى منازل أحبابه ووجدها مقفرة منهم لاق بحاله أن يجرى الدمع لشدة الاسف دما * ومثله قول ابن قاضى ميلة من قصيدته التى تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بليل رباوالركايب تعسف

نظرت اليها والمطى كانما * غوارب منها معاطس رعف

هذا التشبيه غاية فى هذا الباب وجريان الدماء من غوارب المطى لايق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها لطف الكنايات عن التعسف فى شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحالة فى قوالب الهجو ورصعها الشاعر فى صفات من هجاه كانت أحسن موقعا * وأبلغ موضعا * كقول مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه فى هجو من لا يمكن ذكره هنا من قصيد

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرىء المريع

ولحمها من ورم فاسد * كارئة المحبوس فيها نجيع

هذا التشبيه لم أجد له شبيها فى هذا الباب الا تشبيه ابن الرومى فى هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو وبين المشبه به وشاهد هذا التخييل الغريب عيانا صدق صحة دعواى فى ذلك * ومن التشابيه التى هى غير بليغة قول ابن وزير فى تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى

كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

وتلطف ابن الدورى فى هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر اوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء

أقام يجهد أياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر فى خلال الاغصان لما اثنت

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم فى غيهبه

بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدمامينى فسح الله تعالى فى أجله فى كتابه المسمى بنزول الغيث الذى انسجم فى شرح لامية النجم نقدا كشف به القناع عن عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان فى حالة انثنائها أمام البدر فى الدجى ببنت مليك تطل من شباكها للنظر فى موكبها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر فى حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموى

وحديقة غناء ينتظم الندا * بفروعها كالدر فى الاسلاك

والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل فى هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذى هو غير بليغ فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه فى باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التى هى الحواس الخمس اوضح فى الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثانى وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع فى هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكرر قولى فى ذلك واحسن ما وجدت فيه أعنى تشبيه المعقول بالمعقول قول أبى الطيب المتنبى

كأن الهم منغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل فى عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ومن النظم قول أبى على بن سيناء

انما النفس كالزجاجة والعلـ * ـم سراج وحكمة الله زيت

ويعجبنى فى هذا الباب أعنى تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسى

زعم كتيبة الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم أن هذا القسم عند أهل المعانى والبيان غير جائز وما ذاك الا أن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ووجه الصواب فى تشبيه المحسوس بالمعقول أن يقدر

البليغ المعقول محسوسا ويجعل أصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك أقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التي لها اشراق وبياض والبدع مقام أجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يغتاله مكروه اسودت الدنيا في عيني جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام فشبهه وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق تظرفا لان ظريف العشاق يدعي قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده أصلا في السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القائل

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كانما الخال على خده * ساعة هجر في ليالي الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كان انتضاء البدر من تحت عمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب في هذا الباب قول القاضي التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا

فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * برد فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويعجبني هنا قول الصاحب ابن عباد وقد أهدى الى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

اهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدى له أخلاقه

ومن التشابيه البليغة في هذا الباب قول الشهاب محمود في تشبيه بعض الحصون والمبالغة في علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه في طيها الفكر

وغاية الغايات في هذا الباب اعني تشبيه المحسوس بالمعقول قول أبي نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل درا ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

وادرك

Digitized by Google

وأدرك منها الفائزون بقية * من الروح فى جسم أضر به النهك
وقد خفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله واجاد فيه الى الغاية

وندمان سقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفقت زجاجتها عليها * كمعنى دق فى ذهن لطيف

والذى سارت له به الركبان فى هذا الباب قوله

فمشت فى مفاصلهم * كمشى البرء فى السقم

انتهى ما أوردته من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقريرصوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى أسه شيد اصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمل على ايتلاف اللفظ مع المعنى فتعين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فبيت ايتلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله

كلما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منفض ومنفصم

واتبعه بقوله فى التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جاءت بها يد عمر غير مفتهم

قلت الكمال فى كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن أخيه ما حسن السكوت عليه ولا تمت به فائدة وكيف يصح التشبيه فى بيت واحد وجل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت الثانى والذى أقوله انى لم ار فى البيت الاول المشتمل على ايتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولا على بيت التشبيه الذى بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول والله اعلم ومن غرايب ما ينقل هنا أن العميان ما نظموا نوع التشبيه فى بديعيتهم ونظموا ردّ العجز على الصدر وبيت الشيخ عزالدين الموصلى فى بديعيته قوله فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل للبدر تشبيه اليه نعم * نجم الثريا له كالنعل فى القدم

بيت الشيخ عزالدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين اذ المراد به أن يكون بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت الفاضل فى قصيدته الطائية المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذلك طا

من أين لعقادة الشيخ عزالدين أولغيره أن يقول فى الشطر الاول من بيت قافيته طائية

أما الثريا فنعل تحت أخمصه

ويقول فى الشطر الثانى

وكل قافية قالت لذلك طا

انتهى وبيت بديعتى جمعت فيه بين شرف المديح النبوى وشرف تشبيه القرءان اذ هو

Digitized by Google

المقدم فى هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت فى البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذا النقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى أفق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى أن قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التلميح الذى ما يلمح فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

ورد شمس الضحى للقوم خاضعة * وما اليوشع تلميح بركبهم

التلميح هو فى الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع فى بيت أو قرينة سجع الى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود وسماه قوم التلميح بتقديم الميم كان الناظم أتى فى بيته بنكتة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا أننى مقيم وقلبى * راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز فى أرحل القو * م ولا يعلمون ما فى الرحال

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل أخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن لطائف التلميح قول أبى فراس

فلا خير فى رد الاذى بمذلة * كما رده يوما بسوأته عمرو

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يا بدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

هذا التلميح فيه اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمر مع الرمضاء والنار تلتظى * أرق وأحفى منك فى ساعة الهجر

هذا الشاعر أشار بتلميحه فى هذا البيت الى البيت المشهور الذى ما برح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هى الا واحد غير مفتر

اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد فى الغرا

هذا الشاعر أشار فى تلميح بيته الى قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ماوقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من أنت وكانت ملتفة فى كساء فقالت انا السادس فى السابع اشارت فى تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت انا الكس الناعم فى الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى فى بيتين فقال

رأيتها ملفوفة فى كسا * خوفا من الكاشح والطامع
قلت لها من أنت ياهذه * قالت أنا السادس فى السابع

وهذا غاية لاتدرك فى باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريرى فى المقامات وانى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافانه * وأعددت له اهبة قبل موافاته ومثله قوله فى المقامات أيضا فبت بليلة نابغية يشير الى قول النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والضئيلة هى الحية الدقيقة ومن لطايف التلميح قصة الهذلى مع منصور بن العباس فانه حكى أن المنصور وعد الهذلى بجايزة ونسى فجاء معاودا فى المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلى ياأمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التى يقول فيها الاحوص

يابيت عاتكة التى اتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسأل فلما رجع الخليفة نظر فى القصيدة الى آخرها ليعلم ماأراد الهذلى بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فعلم أنه أشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ماوعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ماحكى أن ابا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبى فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال ابو العلاء لو لم يكن له من الشعر الا قوله

لك يامنازل فى القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ماعنى بذكر البيت فقالوا لا والله فقال عنى به قول أبى الطيب فى القصيد

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن هذا القبيل قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبى أيضا فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما فى مجلسه ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى اشتهى أن الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لاعارضها له ويتحقق بذلك أنه أركب المتنبى فى غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها

لعينيك مايلقى الفؤاد ومالقى * وللحب مالم يبق منه ومابقى

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرايب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا فقال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد ابن الجهم فضحتك قالت أراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بابى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ورسالة الوزير أبى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولابد أن أذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة أنه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى باقه ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وأدب غض ودماثة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من أهل العصر فما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر
وبى منك ما لو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شغفا ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

انا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها
وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فالذى أوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها واكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف أهل عصره من أهل الادب لحسن أدبه ولطف شمائله وتقدمه على اهل زمانه

وكان

وكان الوزير ابو عامر بن عبدوس كثير الهمان بها واجتهد في التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من ثمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها عظم مقامه وسمو رتبته على غيره وتبالغ في التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبنى غالبها على نوع التلميح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة في الافاق وأمسك الوزير بن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن سجعات الرسالة المبنية على التلميح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التلميح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادي الذي يضرب به المثل في العي فيقال فلان أعي من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى أحد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك) هذا التلميح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلي يضرب به المثل في الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعي للسمان ويحمي المهازيل عنها وقال لا أصلح ما افسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدعونه واطلعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه في البحر فان رسب فهو من بني راسب وان طفا فهو من بني طفاوة واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار فرأى ارنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجاني ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطوبى ما ثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التلميح يشير به الى عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته ابو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب في شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار ومن تلميح هذه الرسالة التي هي غاية في هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كسالك محرق البردين * وحلتك ماربة بالقرطين * وقلدك عمرو الصمصامة * وحملك الحارث على النعامة * ما شككت في ابالك * ولا كنت الاذالك) السجعة الاولى تشير في تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السما كان يسمى من شدة بأسه محرقا وقصة هذه التسمية استوفى ابو الفرج صاحب الاغاني شرحها في كتابه وأما قصة البردين فحكي أن الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن الطفيل فاخذهما فائتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب فمن أنكر ذلك فلينا ظرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف

أنت فى نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وبرديه والسجعة الثانية تشير فى تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهى مارية ابنة ظالم بن وهب الكندى زوج الحارث الاكبر الغسانى ملك العرب بالشأم وهى أم الحارث الاصغر وأمها هند الهنود وكان فى قرطيها درتان عجيبتان كبيضتى الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها خذى القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد وفاته والسجعة الثالثة تشير فى تلميحها الى عمرو بن معدى كرب الزبيدى الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب فى الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى أبا ثور والصمصامة سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فأما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحارث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وانتقلت الصمصامة الى سعد بن العاص ولم تزل الى أن صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار محتسبا فى السبيل فقال خمسون سيفا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والسجعة الرابعة تشير فى تلميحها الى فرس الحارث بن عباد الثعلبى سيد بنى وائل سمتها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحارث يكرر قوله فى كل وقت بانشاده

قربا مربط النعامة منى * انتهى

ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعنى التلميح وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع قوله

أن ألقها تتلقف كل ما صنعوا * اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفى الدين هنا أيضا متعلق بما قبله والضمير فى ألقها عائد على العصا فانه قال فى بيت الاقتباس

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وقال بعده فى بيت التلميح أن ألقها البيت ورأيته يسلك هذا المسلك فى غالب بديعيته وهو غير لائق به اذا المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح فى بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان فى بديعيتهم

ويقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح بيد ظهر منهزم

العميان

العميان أشاروا فى تلميحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التلميح لمحة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم * تلميح قصة موسى مع معتدهم

لم أتلمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التلميح لكنه حكى حكاية مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تلميح قصة موسى عليه السلام مع معتدوا الله أعلم وبيت بديعيتى تقدمنى فى تلميحه ابو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلا

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع اعنى التلميح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الاذواق الى بهجة تلميحه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التلميح

ورد شمس الضحى للقوم خاضعة * وما لبوشع تلميح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام بانتقال نور التلميح الى شرف هذا البيت النبوى والله اعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

تشبيه شيئين بشيئين

شيآن قد اشبهاشيئين فيه انا * تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا النوع اعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كثيرة العدد فى التشبيه فان ذلك نوع الف وانشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه يسد مسد المشبه به (ومما حكى) عن بشار ابن برد أنه قال مازلت منذ سمعت قول امرء القيس فى وصف العقاب

كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع حسدا له الى أن قلت فى وصف الحرب

كان مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا الليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كان القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وجمرة الخد أبدت خط عارضه * فخلت كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

شتان تشبيه شيئين انتبه لهما * علم وجهل هما كالبرء والسقم

يعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله في مديحه

هل من مقار به في السير يهدوني * ياطيب التمر بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الداثر وقد سلفنا أنه قابل فيه حلم النبي صلى الله عليه وسلم بالبرء وأما ذكر الجهل في هذا البيت فهو في غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالعت شرحه فوجدته قد قرر حد النوع وفرع من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شتان قد اشبهاشيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق في الديم

هذا البيت البديع في لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلي والموصلي فانه وضعه في محله والنبي صلى الله عليه وسلم أحق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير في مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله اعلم

الانسجام

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعي في مدايحه * بالله شنف بها ياطيب النغم

المراد من الانسجام أن يأتي نظمه من العقادة كانسجام الماء في المحدار ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه أن يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة * وبمحاسنه الغضة بين الاوراق ساجعة * وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه فانهم ما أتقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير ويأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت من الطويل الذي جاء على أصل الدايرة في القرآن العظيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتفعيله القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا ما دمت او غايبا

ومن مصرعه

زعم النعمان ملك العرب * ليس ينجى من عصاه الهرب

وجاء فى بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كقول الشاعر

مابال عينك منها الماء ينسكب

وجاء فى الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألا هبى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا

وجاء فى الكامل من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو المذال قوله تعالى والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر

ابنى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

وجاء فى الهزج من عروضه المجزوة وضربها المحذوف قوله تعالى فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهرى لباغى الضيم بالظهر الذلول

وجاء فى الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادى عيسهم يغنى

وجاء فى الرمل من العروض الثانية المجزوة والضرب الثانى المجزو قوله تعالى وجفان كالجوابى وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل ايات الزبور

ومن مصرعه

اى شخص كابان * عند ضرب وطعان

وجاء فى السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبكم ياسامرى ومنه أو كالذى مر على قرية كقول الشاعر

ياهند يا اخت بنى عامر * لست على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر

زموا المطايا بالواد ما ودعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لا يكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف صبح الله فى أجله كقول الشاعر

ليت ما فات من شبابى يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولا جاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال ابو العباس التابى فى كتابه المسمى بنزهة الابصار فى أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا وأحسبه قاسه وما أدرى ماروى

Digitized by Google

فى كتب العروض امصنوع هو ام مسموع من العرب انتهى كلام العتابى وتفاعيله فى الاصل مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الا مجزوا فبقى مربعا فذا وقع من مخرومه فى الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فعاد فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل قوله مقال

وجاء فى المقتضب من العروض المجزوة المطوية قوله تعالى فى قلوبهم مرض وتفعيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أعرضت فلاح لنا * عارضان كالبرد

ومن مصرعه

غننا على الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر فى القلة كبحر المضارع الا أنه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

هل على ويحكما * ان لهوت من حرج

وجاء فى المجتث من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو قوله تعالى نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء فى المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت ما دخل فيما أوردته من الزحاف وقد اوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم اذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب فى الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب فى عروضه

وخمسة عشر دون ما متدارك * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام فى النظم فقد تقدم وتقرر أن اصحاب المذهب الغرامى هم سكان بيوته العامرة * وكناس آرامه التى هى غير نافره * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلايد هذا العقيان * وقد عن لى أن أذكر هنا ما فرقوا به من وعر التركيب وشرعوه فى أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض فى أثر هذه الابيات بسوابق الفحول فانها ابيات لها حرمة وذمام * وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية وانسم أخبار الهوى العذرى من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذى وقع للعرب وكاد أن يسيل رقه لسهولته قول امرئ القيس فى معلقته

أغرك منى أن حبك قاتلى * وأنك مهما تأمرى القلب يفعلى

وقوله من غير المعلقة

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله فى الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد فى معلقته

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى * فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

ومثله قوله منها

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها

فان مت فانعينى بما أنا أهله * وشقى على الجيب يا أم معبد

ومثله قوله منها

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

لعمرك ما الايام الا معازة * فما اسطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومثله فى لطف الانسجام قول زهير بن ابى سلمى فى معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يفتر يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطا بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأحسن ختامها فى الانسجام بقوله

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها

واذا الامانة قسمت فى معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات فى باب الانسجام قول عنترة فى معلقته

فاذا شربت فانى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم

واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا

اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملأه سفينا

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحارث بن حلزة فى معلقته وهى المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز فى البلد السهـ ـل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التى عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك معطيه الذى أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبيانى

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك أوسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

أصون عرضى بمالى لا ادنسه * لا بارك الله بعد العرض فى المال

أحتال للمال ان أودى فأكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ويعجبنى من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفى الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن خاف القلا متحول

ومثله من لامية العجم وان تاخر عصرها

ان العلى حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث أن العز فى النقل

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى فى قصيدته المشهورة

وقد خبروني ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيف عنا استنقضى * فما للنوى ترمى بليلى المراميا

أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى من شماليا

أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

خليلى لا والله لا أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا

ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وما الهم لا أحسن الله حالهم * من الخط فى تصريم ليلى حبالياً

وددت على حبى الحياة لو انه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا

على أننى راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا

Digitized by Google

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فما لى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

ومن المرقص فى باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

وعدوا من المطرب فى باب الانسجام قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله اركانا

قوله اركانا كذا فى النسخ التى بايدينا والمعروف المشهور انسانا

وعدوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وانت كمين

ومن انسجامات نسيبه التى ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

ومثله قوله

انا والله اشتهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبنى من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أفدى الذين أذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملونى منهم قعدوا

ومثله قوله

لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

ومثله قوله

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله

وسمى بنا واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجعدتهم ليكون غير ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة الفاظهما وهى أنه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الحارة فى يوم واحد فامر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال ياسيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسمى بنا واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياسيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر

Digitized by Google

ان أصحاب الطريق الغرامية هم موالى رقيق الانسجام وتجار سوقه ولولا نسمات أنفاسهم ما تنسمنا اخبار الحمى وتغلغلنا فى سفحه وعقيقه وقد الجأنى ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا ينفرط لعقود هائظام واذا آخرت من تقدم واوردت له غير الطريق الغرامى كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الغرامى قول الشريف الرضى وهو الذى قال فى حقه الثعالبى فى كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبيين قديما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله

نسرق الدمع فى الجيوب حياء * ونباما بنا من الاشواق
لا اذم السراء فى طلب العز ولكن فى فرقة العشاق
يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذى قروح ورشقة من مآق
والثرى منتش يعاقره السير * دما جاريا بأيدى النياق
أمعينى على بلوغ الامانى * وشفاءى من علتى واشتياقى
اينعت بيننا المودة حتى * جللتنا والزهر بالاوراق
كم مقام خضناه حشاه الى اللهو جميعا والليل ملق الرواق
ومزجنا خمر الرضا بين فى الرشف بغير غم المدام تحت العناق
قم نبادر رمى الظلام بين * بسهام الخطوب فى الاتفاق
واغتنمها قبل الفراق فما نعلم يوما متى يكون التلاقى
نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعا فى الحب ضم النطاق
فى جبين الزمان منك ومنى * غرة كوكبية الائتلاق
كلما كررت الليالى علينا * شق منا الوفاء جيب الشقاق
أيها الرايح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق
اقرمنى السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاق
واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبى اليه بالاشواق
واذا ما سئلت عنى فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باقى
وابك عنى فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات

سهمك مدلول على مقتلى * فمن يرى سهمك يا قاتل
ليس لقتلى ثائر يتقى * وليس فى سفك دمى طائل
قد رضى المقتول كل الرضى * واعجبا لم يغضب القاتل

ومثله قوله من أبيات

نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقنى ويرمقه
أذبت دمعى يوم ودعنى * فى مجمن خد ذاب رونقه
واللثم يركض فى سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه

ومثله قوله

خذى نفسى يا ريح من جانب الحمى * فلاقى به ليلا نسيم ربا نجد
فان بذ الحمى حبا عهدته * وبالرغم منى أن يطول به عهدى
ولولا تداوى القلب من ألم الجوى * بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ومثله قوله من ابيات

عارضانى ركب الحجاز أسائلـ * ـه متى عهده بسكان سلع
واستملا حديث من سكن الجز * ع ولا تكتباه الا بدمعى
حزنى أن أرى الديار بطرفى * فاعلى أرى الديار بسمعى

ومن الانسجامات التى ينسجم الدمع لرقتها قول تلميذه مهيار الديلمى

ظن غداة البين أن قد سلما * لما رمى سهما وما أجرى دما
فعاد يستقرى حشاه فاذا * فواده من بينهم قد عدما
يا قاتل الله العيون خلقت * لو احظا فكيف صارت أسهما
اودعنى السقم وولى هازئا * يقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماحى من ريقه * لكان أشفى لى من الماء اللما
وا بابى ومن يبيع بأبى * على الظماء ذا الزلال الشبما
كانما الصهباء فى كافورة * قد مزجت وجل عن كائنما

ومثله قوله

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شئ وهو موهوب
ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ومثله قوله وهو فى غاية اللطف

بطرفك والمحور يقسم بالسحر * أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى
رنا لحظة الاولى فقلت مجرب * وكررها أخرى فأحسست بالشر

ومثله قوله فى اللطف

من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جد بقلبى مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا
يا نداماى بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

منها

وعرفت الهم منذ فارقتكم * فكانى ما عرفت الفرحا

ومثله قوله من قصيد

بكر العارض يحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما

وتمشت فيك ارواح الصبا * يتأرجن بانفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحى * للمحبين مناخا ومقاما
ويجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقر على قلبى السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضا آها على * طيب عيش بالغضا لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا أو ثماما
وابعثوا اشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى ان تناما

ومن الغايات فى باب الانسجام قول الواوا الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا الكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله فى اللطف ورقة الانسجام قول الارجانى

حيتك غادية الهوى من مربع * رجعت عهودى فيك أم لم ترجع
ما أسأروا فى كاس دمعى فضلة * عنهم فاجعلها نصيب المربع
لم يبكنى الا حديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى القيته * فى مسمعى ألقيته من أدمعى

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لا عار أن يتساعد الصحب
قد كان لى قلب ولا ألم * واليوم لى ألم ولا قلب

ومثله قوله

اما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع
فكأننا لما عقدنا للنوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع
فرهينتى معهم فؤادى دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معى

ومثله فى اللطف قول الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارق أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فابت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

والطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فاقيمى فيه واستترى
وراقبى غفلة منه لتنتهزى * لى فرصة وتعودى منه بالظفر
وباكرى ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر

ولا

ولا تمسى عذاريه فتقتضى * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قدرت على تشويش طرته * فشوشها ولا تشفى ولا تذرى
ثم اسلكى بين برديه على مهل * واستبضعى واثنى منه على قدر
وبهينى دون القوم وانتضى * على الليل فى شك من السحر
لعل نفحة طيب منك نائبة * تقضى لبانة قلب عاقر الوطر

ومن برع فى الطريق الغرامية وأينع زهر نظمه فى حدايق الانسجام بها الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله كان الشيخ تقى الدين مع زهده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغنى بشعره الغرامى فى عصره لرقة انسجامه وعذوبة الفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقى الدين يكره مكانا يكون فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر فى المجلس امرأة وكان يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر باد خاله الى النساء يقطعنه ويجعلنه فى الصحون فلما حضر بعد ذلك تقزف منه وقال كيف يؤكل وقد لمسنه بايديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفى بالقاهرة رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة قال ابو محبوبه والله ما أدفنه الا فى قبر والدى فانه كان يهواه فى الحياة وما أفرق بينهما فى الممات هذا لما كان يعهده من دينه وعفافه فمن انسجاماته الغرامية

أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

وما ألطف ما قال منها

يا حسن طيف من خيالك زارنى * من عظم وجدى فيه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات * ولا لسلاف ظلم الحبائب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه الرشفات * وعدوا من المرقص الغرامى فى باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقى

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

وتفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه له من المطرب

Digitized by Google

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلى وعدوه من المرقص

ياليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن تقى وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبنى فى هذا الباب قول النجيب ابن الدباغ وهو معدود من المرقص

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللسوداء والاكوم

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس

واذا حكمت لنا بعين مراقب * فى الحب فلتك من عيون النرجس

وعدوا من مرقصات الطريق الغرامية قول القائل

استغفر الله الامن محبتكم * فانها حسناتى حين القاه

فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن ما يعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامى قول علية بنت المهدى

وأحسن ايام الهوى يوملك الذى * ترقوع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فأين حلاوات الرسايل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تسندعى الحليم الى الوجد

رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات فى هذا الباب اعنى الانسجام الغرامى ما كان يكثر من الترنم به ابو القاسم القشيرى وهو

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كانها * دموع دموعى لا دموع جفونى

ويعجبنى من هذا الباب قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغوانى والتذاذى بالشرب

سلام امرء لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضى الفاضل فى باب الانسجام قوله

ترى لحنينى أو حنين الحمايم * جرت فحكت دمعى دموع الغمايم

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

لقد ضعفت ريح الصبا فوصلتها * فمنى لا منها هبوب السمائم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يغبو بالغصون النواعم

تأخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم
فلا تسمعوا الاحديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله

ياطرف مالك ساهد فى راقد * ياقلب مالك راغب فى زاهد
من يشترى عمرى الرخيص جميعه * من وصلك الغالى بيوم واحد
عاتبته فتوردت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذى فى حريرناعم * وضربت من ذا فى حديد بارد

ويعجبنى من غرامیات البهازهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاء
لعلكم قد صدكم عن زيارتى * مخافة أمواه لدمعى وأنواء
فلو صدق الحب الذى تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسى خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجدباحشاءى
فكونوا رفاعيين فى الحب مرة * وخوضوا لظى نار لشوقى حمراء

وألطف منه واسجم قوله

تعيش أنت وتبقى * انا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
ياأنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
ياألف مولاى مهلا * ياألف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

ومثله قوله

انت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ماعهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * دنعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى اتعلل
نفدت معاذيرى التى * الى بها من يسأل
حتى م أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد اطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ومن اسجاماته التى تكاد ان لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رايتم محلكم * من فؤادى لسركم
لو أمرتم بماعسى * ماتعديت أمركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * انالم أنس ذكركم
وصبرتم وليتنى * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم بجلدى * فى هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ماالذى كان ضركم

ومن اسجاماته التى هى فى غاية الظرف

ياقلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
انى ببابك قد وقفت عسى ترد جوابيه
ياملبسى ثوب الضنا * يهنأك ثوب العافيه
لم يبق منى فى القميص سوى رسوم باليه
وحشاشة ما أبقت الا شواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * انت العليم بحاليه
واليك عنى ياغرا * م فقد عرفت مكانيه
فكانما لك قد قعد * ت على طريق القافية
من لى بقلب اشتريه * من القلوب القاسيه
مولاى ياقلبى العزيز وياحياتى الغاليه
انى لا أطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم على بقبله * هبة والا عاريه
وأعدها لك لاعدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومثله قوله فى هذا الروى

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمايل باقيه
وتفوح من عطفى أنفا * س الشباب كما هيه
ويميل بى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاويه

ومن غراميات الحاجرى فى هذا الباب

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلىّ أن أبكى بدمع قانى
ان الذى رحلوا غداة النحنى * ملأوا القلوب لواعج الاشجان
فلا يعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة قاطنين فلا تسل * ما حلّ بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولى ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * فمن انسجاماته الغرامية لموعود بايرادها قوله

حديثى فى المحبة ليس يشرح * فدعنى من حديث اللوم واسرح
فمالك مطمع ببراح قلبى * عن الحب الذى أعيا وبرح
فكم من لايم أنجى الى أن * تأمل من هويت فما تنحنح
فيالله ما أشهى وأبهى * وبالله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولى قلب يقول الصلح أصلح
سألت سواره المثرى فنادى * فقير وشاحه والله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا انشدت أغز الى ترنح
وحيانى بألحاظ مراض * صحيحات فامرضنى وصح
أعاتبه فلا يصغى لعتبى * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بتسم واعرضتم * ما أمرّها جرعه
هل عليكم باس * فى المقال بالرجعه
قد حجبت مغناكم * لا تحرموا المتعه
ترك سنتى فيكم * سادتى من البدعه
هذه صبابتى * والوصال فى منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يا مليك قلبى خذ * مايليه بالشفعه
واس بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لا تحل عنى قلبى * ليس فيه من فجعه
قد تركت أردانى * من مدامعى نقعه
ما لناظرى كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه تفصيل حالى جملة * فعساه يرق لى ولعله

Digitized by Google

كم تنحنحت اذ تبدى حذارا * من رقيبي وكم تكلفت سعله
ليس لي عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلي او أقله
ركبت في جبلتي نشوة العشـ * ـق وصعب تغيير ما في الجبله
سادتي عاودوا رضاكم وعودوا * عن جفاكم فسابقي في تفضله
ذبت شوقا فعاجلوني بقرب * مت عشقا فخنطوني بقبله
واشغلوني عن لائمي ما أتاني * برشاد أتته آفة غفله
قلت بالله خلني فتمادى * وقليل من يترك الشر لله

ومثله قوله

صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
في حسنكم البديع شغل * عن عاوتلي وعن امامه
من لي بمحب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
اشدو بتغزلي لديه * فيه فيحدثلي خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بطلعتي هلالا * ما كنت رضيته قلامه
والغصن حسبته شبيها * مني بتعطف وقامه
والظبي اذ ارنت لحاظي * لا كيذله ولا كرامه
أفديه بمهجتي واني * لاحسرتي ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
أخبرت بها العذول لكن * ما قلت له كم الغرامه

ومثله قوله

لا تعاتبني فلا عتب علي * خرج الامر وعقلي من يدي
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبي
وأرى لومك يغريني به * لا تزدني او فزدني يا أخي
انا في الحب امام فاذا * صرت من ابنائه فاخضع لدي
لا تسل غيري في شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبي
خلتي اني شحيح بهم * وبروحي لهم حاتم طي
فاختصر في شرح أشواقي فان * رمت اسهابا فوكل مقلتي
سادتي فارقتكم فاستلبت * بنواكم راحتي من راحتي
فاجبروا قلبي بشيء منكم * فلقد أوتيتم من كل شي
صادني منكم غرير أغيد * فيه ما يشغل عند هندوي
قلت قد اضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي
قلت أفديك بنفسي قال مه * ما اليك الامر فيها بل الي

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول

أرالبخيلا يعونى فهبنى * سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو فابكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خمرتى * فدعنى مابين كأسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها * فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من اسجامات ابن سنا الملك قوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ماأبدى * فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خديه ماء وخضرة * فما أملح المرعى وما أعذب الوردا
تلهب ماء الخد أوسال جمره * فياماء ماأذكى وياجمر ماأندى
أقول لناه قد أشار بتركه * لقد زدتنى فيما أشرت به زهدا
فلم لانهيت الثغر أن يعذب اللمى * ولم لاأمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ماعندى اليه صبابة * وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت * وماذقت منها لا سلاما ولا بردا

ومثله قوله ويعجبنى الى الغاية

نعم المشوق وأنعم المعشوق * فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق
ونعم لقد طرق الحبيب وماله * الا خدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكأنما * زفراتهم لقدومه تطريق
وافى وصبح جبينه متنفس * وأتى وجيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية * فالصدر رحب والعناق يضيق

ومثله قوله وهو فى غاية الظرف

لا أجازى حبيب قلبى بجرمه * انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت الى أن سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما * لم تزل من فمى حلاوة طعمه
ان قلبى لصدره ورقادى * ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى * عمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم * فلو رمت ذكرى غيرهم خانتى الفم
تجنوا كأن لا ودينى وبينهم * قديما وحتى ما كأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ماذكرتهم * شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وجنابة * تعلمه ألحاظه كيف يظلم
ألم وما فى الركب منا متيم * وعاد وما فى الركب الا متيم
وليس الهوى الا التفانة طامح * يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه * وعاوده داء من الشوق مؤلم

أظن ديارا لحى مناقريبة * والافنهانفحة تتنسم

ومثله قوله

لاتقف ماقعلت بك الأشواق * واشرح هوالذ فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * فى حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست اول مغرم * فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقى بها * وجدا وللافكار فى احداق
يارب قد بعد الذين أحبهم * عنى وقد ألف الفراق فراق
واسود حظى عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتى احراق
عرب رأيت أصح ميثاق لهم * ان لايصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بتثنى قوامك المسمشوق * وبأنوار وجهك المعشوق
وبمعنى للحسن مبتكر فيـ * ـك وقلب كقلبى المحروق
جد بوصل أوزورة اوبوعد * أوكلام أوواقفة فى الطريق
اوبارسالك السلام مع الريـ * ـح والا فبالخيال الطروق

ويعجبنى فى هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زرشهر فى عام يامن قد غلا فى السوم * اويوم فى شهر أحلى من صدود لدوم
وان عز هذا وهذا ياعزيز القوم * فى الدهر ساعه وان لم ترتضى فى النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله ايضا

لى من هوالذ بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يامن أعيد جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عينى فانك نورها * اولم تكن قلبى فأنت حبيبه
هل حرمة أورحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد فى هوالذ تغزلا * حتى كان بك النسيب نسيبه
لم يبق لى سر أقول تذيعه * عنى ولاقلب أقول تذيبه
دع لى فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فؤدا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتى مسكوبه
والنجم أقرب من لقالذ منالة * عندى وأبعد من رضالذ مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظى منـ * ـك يا أبهى الورى غره
سوادا لخال والمقلة * مع العارض والطره
قديم الهجر هل لفتى * قديم فى الهوى هجره

وكم تلقاه بالايعا * دوالابعاد والنفره
وكم تشكو ولا تظر * ح فى قفته كسره
رأينا من جفاوجنى * ولكن زدت فى كره
فهل تمنح او تسمح بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا املك من صبرى ولا ذره
وقد صيرنى هجر * لنفسى كس اخت من أكره

ومن انسجاماته الرقيقة قوله

حق مع حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والحساد عنا وأنت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت تلسان

ومثله قوله

اعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قلبه هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثلمت الفؤاد الى الشجون
حملت تسهدى والشيب هذا * على راسى وذاك على عيونى

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ما أحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فما تجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرقن
غزال ضيق العينين ينسينى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر الثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لما جن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

ومما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا ما يترنم به

Digitized by Google

قصيدة القاضي المهذب ابن الزبير ووجدت بخط الفاضل غير تامه وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط الفاضل من غرامها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشمال * إذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو * ن إذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فلات صفحة وجهه * حتى اكتسى آسا وورد
فكأنما الفت فيـ * ـه منهما صدغا وخدا
مرّى على بردى عسا * ويزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكسـ * ـو متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسيـ * ـم بمرّهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * به وصلكم ما خنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الفرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيي الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسه وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة وتحافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولاجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد * ويحرك الجماد * سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيي الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بندك * فكم وشيء بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدك
وانت تعظم عندى * أن يمسى البدر عبدك
ولست والله أرضى * أن يحكى الورد خدك
فقائل الله طرفى * فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قلبى * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى انا حتى * جعلت صدى وكدك
وما عشقتك وحدى * بلى عشقتك وحدك
وكم أطعتك جهدى * وكم تجنيت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لا ذقت فقدك

ويحيني فى هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبى * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبى بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتى * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت فى باب الانسجام الغرامى المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من علمانها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة تجمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما درات النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى فاعلموه بفعله فقال له القاضى لاى شئ احرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى * أقل فى الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علمى * ولم يكن ذا من مرادى

فرق القاضى لارتجاله الغرامى وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن القارض هو قايد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله فى هذا الباب الذى ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام * واذا هب نسيمها العذرى تنسمت العشاق منه اخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبى صبا لاحبتى * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرنى العهد القديم لأنها * حديثة عهد عن أهيل مودتى
فلى بين هاتيك الخيام ضنينة * على بجمعى سمحة بتشتتى
محجبة بين الأسنة والظبا * اليها انثنت البابا اذ تثنت
تتيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذاك رخيص منبتى بمنبتى
متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وان أعرضت اشفق فلم أتلفت
وقد سخنت عينى عليها كانها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعى غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتى
خرجت بها عنى اليها فلم أعد * الى ومثلى لا يقول برجعة
فوصلى قطعى واقترابى تباعدى * وودى صدى وابتداءى نهايتى
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى ذى طوى والثنية

Digitized by Google

وضنت ومامنت علي بوقفة * تعادل عندي بالمعرف وقفتي
عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقى * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فاما حسن صبري فخانني * وأما جفوني بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقداري فانكر غيرتي
وكنت بها صبا فلما تركت ما * أريد أرادتني لها وأحبت
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم في نقض توبتي * وقام بها عند النهى عذر محنتي
نهوى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت في الحب عشت بغصتي
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتي
وعندي عيد كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالي ليلة القدر ان دنت * كما كل ايام اللقى يوم جمعة
واي بلاد الله حلت بها نما * اراها وفي عيني حلت غير مكة
وما سكنته فهو بيت مقدس * بقرة عيني فيه أحشاي قرت
ومسجدي الاقصى مساحب بردها * وطيبي ثرى ارض عليها تمشت
مواطن أفراحي ومربى ما آربي * وأطوار أوطاري ومأمن خيفتي
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل اوقاتي مواسم لذتي
فان رضيت عني فعمري كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت داري فعامي كله * ربيع اعتدال في رياض أريضة
بها مثلما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمي رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت احشاي كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبي فما ان كان الا لمحنتي
ألا في سبيل الحب حالي وما عسى * بكم أن الاقي لو دريتم أحبتي
اخذتم فؤادي وهو بعضي عندكم * فما ضركم لو كان بعضي جملتي
وهي جسدي مما وهي جلدي لدى * تحمله يبلى وتبقى بليتي
ومنذ عفا رسمي وهمت وهمت في * وجودي فلم تظفر بكوني فكرتي
وبالي أبلى من ثياب تجلدي * بل الذات في الاعدام نيطت بلذتي
كأني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهدي العيون لرؤيتي
وقالوا جرت حمراد موعك قلت عن * أمور جرت في كثرة الشوق قلت
تحرت لضيق السهد في جفني الكرى * قرى فجرى دمعي دما فوق وجنتي
فطوفان نوح عند نوحي كأدمعي * وايقاد نيران الخليل كلوعتي

ولولا

ولولا زفيرى أغرقتنى أدمعى * ولو دموعى أحرقتنى زفرتى
وحزنى مايعقوب بث اقله * وكل بلا أيوب بعض بليتى
وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * على من النعماء فى الحب عدت
وعنوان مابى ماأبثك بعضه * وماتحته اظهاره فوق قدرتى
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقى لن تحصى ولوقلت قلت
وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتى
هوالحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذا اوخل خلتى
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وها أنت حى ان تكن صادقا مت
وقالوا تلافى مابقى منك قلت لا * اوانى الا للتلاف تلفتى
غرامى أقم صبرى انصرم دمعى انسجم * عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويانار أحشائى أقيمى من الجوى * حنايا ضلوعى فهى غير قويمة
ويا جسدى المضنى تسل عن الشقا * ويا كبدى من لى بأن تتفتتى
ويا كلما أبقى الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى فى عظام رميمة
وماذا عسى عنى أناجى نوهما * بياء النداء أونست منك بوحشتى
فنفسى لم تجزع باتلافها أسى * ولوجزعت كانت بغيرى تأست
فياسقمى لاتبق لى رمق فقد * أبيت لبقيا العزل البقية

ومن غرامياته التى خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب * قوله من قصيدة

اهفو الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم * وكل جفن الى الاغفام لم يعج
لاكان وجد به الاماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية مابقيت من رمق * لاخير فى الحب ان أبقى على المهج
من لى باتلاف روحى فى هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ملابين أهل الهوى فى أرفع الدرج

وما احلى ماقال منها

قل للذى لامنى فيه وعنفنى * دعنى وشأنى وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجين

منها

لم أدر ماغربة الاوطان وهو معى * وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى * بدا فنعرج الجرعاء منعرجى

منها

لهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم فى صباح منك منبلج
فالصنع الركب ماشاء والا نفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وما ألطف ما قال منها

اهلا بمالم اكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

ومثله فى الرقة والانسجام قوله من قصيد

ابق لى مقلة لعلى يوما * قبل موتى أرى بها من رآكا
اين منى مارمت هيهات بل ايسـ * ـن لعينى باللحظ ثم تراكا
وبشيرى لو جاء منك بعطف * ووجودى فى قبضتى قلت هاكا
قد كفى ماجرى دما من جفون * لى قرحى فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلالك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذلتى بخضوعى * بافتقارى بضاقتى لغناكا
لاتكلنى الى قوى جلد خا * ن فانى أصبحت من ضعفا كا
كنت تجفو وكان لى بعض صبر * أحسن الله فى اصطبارى عزاكا
كم صدود عسالك ترحم شكوا * ى ولو باستماع قولى عساكا
شنع المرجفون عنك بهجرى * وأشاعوا أنى سلوت هواكا
ماباحشائهم عشقت فاسلو * عنك يومادعى بهجرى واحاشاكا
كيف أسلو ومقلتى كلما لا * ح بريق تلفتت للقاكا
كل من فى حمالك يهوالك لكن * انا وحدى بكل من فى حماكا

ومن كاساته الغرامية التى سكر العشاق بقديمها وحديثها قوله

ادر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامى
فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام
كأن عذولى بالوصال مبشرى * وان كنت لم أطمع برد سلام

وما ابدع وارق ما قال منها

يشف عن الاسرار جسمى من الضنا * فنوحى بها معنى نحول عظامى
ظريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامى
صحيح عليل فاطلبونى من الضنى * ففيها كما شاء النحول مقامى

منها

فلى كل عضو فيه كل حشا بها * اذا نظرت أغراض كل سهام
ولو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التى يتحرك الجماد لرقتها قوله من قصيد

مالى سوى روحى وباذل نفسه * فى حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها لقد اسعفتنى * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أبهج ما قال منها

ياأهل ودى انتم أملى ومن * ناداكم ياأهل ودى قد كفى
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فانى ذلك الخل الوفى
وحياتكم وحياتكم قسما وفى * عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها * لمبشرى بوصالكم لم أنصف
لاتحسبونى فى الهوى متصنعا * كلفى بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فاخفانى أسى * حتى لعمرى كدت عنى أختفى
وكتمته عنى فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفى

وما احلى ما خاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنفنى

وما اعذب ما قال منها

ياما أميلح كل ما يرضى به * ورضاه ياما أحيلاه بقى

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ما للنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما قطعوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على السهدوى جسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبى والمحبة شافعى * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم على بنظرة * فقد تعبت بينى وبينكم الرسل
أحبای أنتم أحسن الدهر اما أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل
اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل

وما الطف ما قال منها

وماذا عسى عنى يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لى بها شغل
أخذتم فوادى وهو بعضى وما الذى * يضركم لو كان عندكم الكل

وما اظرف ما قال منها

سأله قومى اذ رأونى متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحى عنا بذكر من * جفانا ويعد العز لذله الذل
اذا أنعمت نعم على بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجلت بعل

وما أرق ما قال منها

خفيت ضنى حتى لقد ضل عائدى * وكيف يرى العوّاد من لاله ظل
وما عثرت عينى على أثرى ولم * تدع لى رسما فى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ماذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك ياحبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أحد المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واختر فناءك فى الجمال الباقى
واخلع سلوك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فاجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
اوليس من أحلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

ويطربنى من رقايق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فانى * وخلقك عبدرق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكأسى * فأسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا اجتمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى وبديع بيوته وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتأخر عصرا لئلا يتفرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها أكثر لعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره ومما يستظرف فى باب الانسجام من الطرايق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
قائد انى يقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن ابى حفصة

صحبت ربيعة وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول ابى نواس

فمشت

فمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر * لها محبان لو طى وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها فى البيت لالاء
وارسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها للعقل اعفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح الحسنى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تالق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء وصوته * صعب الذرا متمنع أردانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

وعدوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن المطوى فى رثاء احمد بن ابى دؤاد

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف * ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول ابى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بها غير معذول فداوى خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
مورّدة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فادارها

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

ومن الانسجام المرقص قول البحترى

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متعتب فى غير ما متعتب * ان لم يجد جرما على تجرما

ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب فى سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومى

فالموت ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بنى طاهر

علوتم علينا علو النجو * م فجودوا علينا بانوائها

وعدوا من المطرب قول ابى العتاهية

انته الخلافة منقادة * اليه تجر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله فى المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

اهلا بفطر قد أنار هلاله * فالان فاغد الى المدام وبكر

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبى قوله

واصبح شعرى منهما فى مكانة * وفى عنق الحسناء قد يحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لى مما أراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول ابى نصر بن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقى

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمنها غدير

ومن الانسجام المرقص قول ابى العباس الضبى

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول ابى الحسين اللحام

يا سائلى عن خالد عهدى به * رطب اللجان وكفه كالجلمد

كالارجوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول ابى نصر العتبى

الله يعلم أنى لست ذا بخل * ولست ملتمسا فى البخل لى علالا

لكن طاقة مثلى غير خافية * والذر يعذر فى القدر الذى حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبى الفرج بن هند

عاتبوا لما التحى فقلنا * عبتم وغبتم عن الجمال

هذا غزال ولا عجيب * يولد المسك فى الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالى قابوس

وفى السماء نجوم مالها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كأن أيرى شمع فى رخاوته * فكلما مسته راحتى لانا

ومثله قوله

فاصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى فى خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول ابى العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمايره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازى الذى لا يوجد فى معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا * الذ من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصا مخالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشحناء العسقلانى

ومهفهف علق الغرام بطرفه * وسرى نعيم فى معاقد خصره

مزقت اثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقى وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه

أغار اذا آنست فى الحى أنه * حذار اوخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامى وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضى الارجانى

وما ينزل الغيث الا الان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية

ولو لا نداه خفت نار ذكائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبى عبد الله النقاش البغدادى

Digitized by Google

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفى
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عند ما ينطفى

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضى الفاضل فى وكيله الشريف الكحال

رجل توكل لى وكحلنى * فاصبت فى عينى وفى عينى

ومثله قوله فيه

عادى بنى العباس حتى أنه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتى

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله فى النهر

صدأ الظلام يزيد رونق حسنه * ارأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخارى وقد دخل عليه مملوك وفى يده قوس

نهانى لما بدا عقربه * على خده أن أروم السفر
فقلت وفى يده قوسه * أسير فى القوس حل القمر

ومثله قول ابن ارد خل التكريتى

ألفى القوام عنى أمالو * فقلبى مكسور تلك الامالة

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق فى شوق اليها مبرح * وان لج واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء درّ وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجرى

انى لاعذر فى الارالة حامه الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى باسرها * فغدت وفى أعناقها الاطواق

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فياظبى هلا كان منك التفاتة * وياغصن هلا كان منك تعطف
وياحرم الحسن الذى هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل ياواو صدغه * على فانى أعرف الواو تعطف

وعدوا من المرقص قول محيى الدين بن زيلاق

ومن عجبي أن يحرسك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربي الموصلي في المرقص

انا صب وماء عيني صب * وأسير من الضنى في قيود
وشهودي على الهوى ادمع العين * ولكني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الحلاوي الموصلي

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذاك حرام قمت لفظك بالسحر
فوالله ما أدري أزهر خميلة * بطرسك ام درياوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الازبكي

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا * دون الورى انت العليم بقرحه
وهما بجبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فضحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يا بعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين ابن الحواري

فوالله ما اخرت عنك مدايحي * لامر سوى اني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة * فما ساغ أن أهدي الى مثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبني من الانسجام المرقص قول النجم القمراوي

وحاكت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردي

اذا ما اشتقت يوما أن أراكم * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لابصركم بشيء مثل عيني

وعدوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمي الحلي وقد كتب الى والده

جننت فعوذني بكتبك ان لي * شياطين شوق لا يفارقن مضجعي
اذا استرقت اسرار وجدي تمردا * بعثت اليها في الدجا شهب أدمعي

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفي

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

Digitized by Google

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن السمان

ثقلت زجاجات أتتنا فشرنا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد

سميدع يهب الالاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ويعجبني قول الفضل بن شرف في المرقص

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذي في عيون الغيد من حور

ومثله قوله

تقلدتني الليالي وهي مدبرة * كأنني صارم في كف منهزم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة في المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهملت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا
كأنه جاء يطوي الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكأس رينا آية الصبح والدجا * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان زارها جاء التبسم والبشر
فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضي الجليس بن الجناب المصري

ومن عجب أن الصوارم في الوغى * تحيض بأيدي القوم وهي ذكور
واعجب من ذا أنها في أكفهم * تاج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر في وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتي * كذا عادتي في الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبي اسحاق بن خفاجة

ونمت بأسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

بروحي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا واثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم استطع من أرضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الرقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا

قلنا

قلنا واين الاقاح قال لنا * اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لا تخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم يخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسول أو للاكؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس
واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله

واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت فى باب الانسجام الغرامى ولكن لم يظهر من مكررها غير الحلاوة

وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فياطيب ما تملى عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقتطف السوداء من لمتى * أخذا مع البيضاء اذ تسرف
فتخلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف
حماقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلمسانى

ساروا فيا وحشة الوادى لبعدهم * منهم ولا سيما الاغصان والكثب

ومن الانسجامات المرجزة التى لو أدركها الشريف تطفل على نسيم ابياتها * واعترف أن ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * ارجوزة الشيخ جمال الدين بن نباته الموسومة بنظم السلوك فى مصائد الملوك التى امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهى

انى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك فى الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر * فهى لعمرى هذه الازاهر
قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب
ارض الهنا والسناء والمرح * والامن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقاة الترب * وأمهات عصفه والاب

تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب * فكيف لا والما عليها صب
لله ذاك السفح والوادى الغرد * والماء معسول الرضاب مضطرد
يصوبها الراءى فكيف السامع * ويحمد العاصى فكيف الطايع
اذا نظرت للرباوالنهر * فاروعن الربيع اوعن جعفر
محاسنا تلهى العيون والفكر * ربيع روضات وشحر ورصفر
أمام كل منزل بستان * وبين كل قرية ميدان
اما رأيت الورق فى الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يافلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولاتقل مشتى ولامصيف * فكل اوقات الهنا خريف
كل زمان يقتضى بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ماأذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مرة أحلى الفرص
واخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمى البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار
قد حد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
فى كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * مماثوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار
كانها بين المياه نون * أوحاجب بماتشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقة * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الام * مع أنها مثل الجمار صم
كأنها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واها لها شبه كراة تخطف * شاهدة بالعزم وهى تقذف
حتى نزلنا بمكان مونق * اخوان صدق احدقوا بالملتقى
فياله فى الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير فى مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل فى منزل كريم * نروى حديث الرمى عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ماهر ليل التمام ساهد

كالليث يسطو كفه بأرقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بينا الطيور فى مداها ساهره * اذاهم من عينه بالساهره
واقبلت مواكب الطيور * على طروس الجو كالسطور
فجبذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل تم حق أن نسمى * ضياءه المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامة * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه اوزة دكناء * من دونها لقلقة غراء
تقدمها أنيسة ملوّنه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجتبى بها الآكل خير ما جنى * وأحسن المأكول ما تلوّنا
وربما تر لديها حبرج * كأنه على نضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغير الخلق شديد الايدو * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسراه عقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جلتها المعترضه * تواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
يحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وابيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل فورة مبتسما
يحثه سيطر قوى * معجزه فى الطير موسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه
هذا وكم ذى تظر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
اسود الالمعة فى الصدر * كأنها نور الهدى فى الكفر
فلم تزل قسينا الضوارى * تصيبها بأعين الاوتار
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على الخبير
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم تسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * وكل وجه منهما وجه أغر
يالك من صيد مقر العين * مرضى الصحاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ما وفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه الصباح السافر
ذاك الذى تصبو له الجوارح * فهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح * نعوم فى الاقطار بالسوابح

Digitized by Google

خيل تحاذى الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لا تتبع * وكيف لا وهى الرياح الأربع
تحفنا من فوقها علمان * كأنهم لدوحنا أغصان
تركن تريك فى سماء الملبس * كواكبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سوم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يحرف الهام عن المواضع
على يد السابر منهم زاده * من كل بازقرم فؤاده
قد كتبت فى صدره حروف * تقرأ بما تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب قد همى
بيناتراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عايدا من أفقه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يدا تعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لها ضرام واقد * يكاد يشوى ما يصيد الصائد
كأنما الخلب منه منجل * لحصد أعمار الطيور مرسل
ياحبذا طير رجد ولعب * تهوى الى الارض وللافق تشب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خلف الرزق ليس يمهله * كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير جن يصرع
كم جلبت لطايرمن وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذاك لعمرى حدب للراءى * يعدل ملك القامة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الحله * اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بناب ماضى
كأنه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسائل الجفون * خط كخط الالفات الجون
ما أبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى سلوق * أهرت وثاب الخطا عشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * يا عجبا منه لطاو ناشر
يعض بالبيض ويخطو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى

كالقوس

كالقوس الا أنه كالسهم * والغيم يجلو عن شهاب الرجم
اذا ترا اى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ فى الثور طلع
قاصرة عن يده عيناه * مشروطة برجله أذناه
يشفعه كل عزيز غارى * مغالب الصيد على الاوكار
واهالها من أكلب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
قد بالغت من طمع فى كسبها * فتشت عن أنفس لم تخبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا الصيد ها الطيور
ما بين روضات مددنا نحوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو سطا الجاح * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة صرعى * مجموعة على التراب جمعا
على الربا من دمها خلوق * كان كل نبتها شقيق
ثم عطفنا الوحوش السانحه * واستبقت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العقر على نفوسها * فالطير لا شك على رؤسها
ولكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من نحر لسانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
بعانق الظبى عناق الوامق * ما كان اغنى الظبى عن معانق
والصيد يشتد على الآجال * شد وصى السوء فى الاموال
لا يهمل القصد ولا يخون * كان كل جسمه عيون
والزغاريات خلف الارنب * حقايق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما مرت ظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عثير * تخاط من قرونها بالابر
فاشتدرت اجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سائح تغور * كأنه بعض شهود الزور
كان أقطار الفلاة مجزره * اوروضة من الدماء مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
فقه ذاك المنظر المهنا * أى معاد عن ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر أيدينا * وقد شكرنا فضل ما حبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد

ياحبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها باصله أيوب * فاثمرت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلى * قلت نعم وجده علي
ذاك الذى سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة صحاح الديم * يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
لو لمس الصخر لفاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لا ظلم يلقى فى حماه العالى * الا على العداة والاموال
اما ترى الدينار منه خايفا * اصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر فى سنائه وتمه * والطود فى وقاره وحلمه
مراى يشف عن نفار أصل * ونسخة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم فى جنابه * ان لا تكون الشهب من أطنابه
جناب عزجاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غنيت فى ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر * أروى احاديث عطا عن جابر
يزداد لفظى بهجة ورونقا * كأنه الخمر اذا تعتقا
ان لم أرم ذاك الحمى العالى فمن * ينصرنى على تصاريف الزمن
ياناصر الدين دعاء مادح * ما بين روضات السطور صادح
حسبك مثلى فى الانام شاعرا * وحسب شعرى قوة وناصرا

ومن الاراجيز المرتجلة التى سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردى سقى الله ثراه التى ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين ابو الفداء اسماعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة فى أيام القاضى نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه فى الصفة المعروفة بالشبالية فى جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود فحضر يوما كتابة مشترى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ ارسموا لى أكتبه نظما أو نثرا فزادا سنهرا وهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ما صورته

باسم اله الخلق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن احمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهى جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الارض بالذراع * عشرون فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض ايضا عشرة * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبله ملك التقى * وحائز الرومى حد المشرق

ومن شمال ملك أولاد على * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بأنها قطعة بنت الرومى
بيعا صحيحا لازما شرعيا * ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضة * وازنة جيدة مبيضة
جارية للناس فى المعامله * ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البايع منه وافيه * فعادت الذمة منها خالية
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا فما لاحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذا الفى * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعماية وعشرة * من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربى * على النبى واله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يستدعى أحدمنا برسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر المعقد الصحيح أحمد * ابن رسول وبذاك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطى قوله من قصيدة تائية

اخذت بابل عنه * بعض تلك النفثات
فهو غصن فى انعطاف * وغزال فى التفات
حسنات الخد منه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات
ولسوء الحظ صارت * حسناتى سيآتى
اعشق الشامات منه * وهى أسباب مماتى

ويعجبنى قوله منها

يا بى لحظ غزال * قاتل فى الخلوات
ان للموت باقدا * ح بجفونى سكرات
قلت قد مت غراما * قال لى مت بحياتى

منها

قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
انت مفتاح سرورى * يا سعيد الحركات

ومن انسجاماتى الغرامية المرجزة التى تقدم منى فيها الشيخ جمال الدين بن نباته والشيخ زين الدين بن الوردى قصيدتى الدالية التى كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضى فخر الدين

بن مكانس ووالده القاضي مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهي

ملمعت بارقة من نجد * الاوهزتني رعود وجدى
ولاسرت سحابة مغدقة * الاوكان مثلها في خدى
فيارعى الله زمانا بالحمى * فان لي فيه بقايا عهد
ويارب مصر مراضع الحيا * يرضعك الغيث بذاك المهد
كم ليلة قضيتها وانجم ال * جوزاء فوق صدرها كالعقد
والارض قد حاكت برود وشيها * بحار في صفاتها ابن برد
وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كأني في جنان الخلد
وضد ما تخطر في برودها * الا أملت عذبات الرند
مصرية لكن يماني لحظها * منتسب في فتكه للهند
تهماله من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه في الحد
عبد مناف جدها وانما * قلبي لها قد صار عبدوة
يالامير النحل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد
وثغرها يقول في نظامه * يا يتم أبكار اللالى بعدى
وشعرها الطائل قد قلناله * أنت لنا نابغة يا جعدى
وريقها قال النبلي أنا * وخدها قال أنا ابن الوردى
والغصن حاكى قدها قالت له * ما أنت يا غصن الرياض قدى
يا قد ها ورد فها والا * سكما * ما اشتقت يا نات الكثيب الفرد
سالتها لم صرفت عن ناظرى * وكلفت قلبي بطول النقد
قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد تعودت عن طلاب المجد

لعمري ان الشرح قد طال في نوع الانسجام ولكن ما استطردت بجهوله الا الى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى في هل أتى وسبا * وفضله ظاهر في نون والقلم

انسجام الشيخ صفي الدين في بيته ظاهر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدى ويخبرنا عن سالف الامم

بيت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوي والذي يظهر لي منه أنه اشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدى ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعي في مدايحه * بالله شنف بها يا طيب الكلم

ولقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبوله للاشتراك انتهى

(التفصيل)

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت ياندمى)

التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالات فى نظمه وقد نبهت قبله على عدة انواع سافلة ولكن المعارضة أوجبت الشروع فى نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما اشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتى الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عجزا يفصل به كلامه بعد حسن التصريف فى التوطئة الملايمة والعميان لم يتظلموا هذا النوع فى بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره فى مصنفاتهم غير أن الشيخ صفى الدين الحلى اورده فى بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته فى بديعيته

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له فى قصيدة قافية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح أم ياقونه الشفق * بدت فهيجت الورقاء فى الورق

والبيت الذى أتى بصدره منها واثبته فى بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذى أدب * أوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا فى قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوان وجه رضاءى غير منتقب * ماسر قلبى بلوغى غاية الارب

الذى جعل صدره عجزا وابقاه على حاله فى بديعيته لاجل نوع التفصيل

كسوتنى حللا بين الانام بها * تفصيل مدحك تجميل لذى أدب

هذا البيت كان تفصيل حلله كاملا فى موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا فى بديعيته ظهر فى تفصيله نقص بقوله مع العقادة فى العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا دخلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت ياندمى

فصدر هذا البيت تقدم لى فى قصيدة فائية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا لينه بنسيم العتب لوعطفا

والبيت الذى نقلت صدره منها واثبته فى بديعيتى وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * ولم أهاجر اليه صحت ياأسفا

وهذه القصيدة من غرر قصايدى بل من غرر القصايد منها

مزاج خمرة فيه جاء معتدلا * فراح منه مزاج الراح منحرفا

ومذ غدا جسمه ماء برقته * علمت والله ان القلب منه صفا

منه الغزالة تحارت عينها حسدا * والبدر قد لازم التسهيد والكلفا

والظبى قال انا أحكى لواحظه * فصح عندى أن الظبى قد خرفا

Digitized by Google

ومنها

مذ صار لى قبلة محراب حاجبه * صيرت عابد طرفى فيه معتكفا
ولام فيه عذول قلت من كلفى * قلبى رأى منه قدا فى الهوى الفا
ماضره لو عفا عنى وأظهر لى * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا
اراد منى وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجا وكفى

لم استطرد الى ذكر هذه الابيات هنا الا لان نوع التفصيل لم يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه الى اكثر من ذلك (ذكر النوادر) (النوادر)

(نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فاتنا وهى فى شمم)

هذا النوع أعنى النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتى الشاعر بمعنى يستغرب القلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأى قدامة فى هذا النوع فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا أقرب اليه من اختيار قدامة وابلغ وأوقع فى النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور ليس بغريب فى بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضى الفاضل أنفت نفسه من المثابرة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

ترا أى مرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى الا على أكمه لا يعرف القمر او على هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى ويعجبنى فى باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كانما قلب معن ملء فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفى الدين فى شرحه أن النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر بل من أنواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من انواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظى والذى قرره قدامة وغيره فى هذا النوع وغيره أن الغرابة تكون فى المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

نوادر من جنانى كالجنان زهت * أم هل بدت واضحات الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفى الدين الحلى مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما اشبهه بالبيت الذى أخبر عنه الحريرى فى مقاماته وقال انه أخرج

من

من النابوت * واوهن من بيت العنكبوت * وماذاك الا أنى كررت النظر فى اركان هذا البيت فلم أجد فيه مقرّ النادرة من النوادر التى تقدّم تقريرها فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قال ان جنانى ظهر منه محاسن مدهشة أم بدت محاسن ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهى بشهادة الله عبارته بنصها والذى أعدّه من النوادر ابراز الشيخ عزالدين مثل هذا البيت فى بديعيته ورضاه به وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم

النادرة فى معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر الشعراء من استعماله فى تحمل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه ينشق منه عرف الاحبة اذا هب من نحوهم والنادرة التى أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما نشقت عرف مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتعرّفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بل نكتة لم أسبق اليها فان النسيم أحق باشتراك هذه التورية من غيره لان الشمم لايق به وهذا الذى أشار اليه ابن ابى الاصبع فى أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب فى بابه فيغربه بزيادة لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا قول ابى نواس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
أدّت رسالات الهوى بيننا * عرّفتها من بين أصحابى

قوله عرفتها من بين اصحابى نادرة لم يسبق اليها وقد جاراه مجيرالدين الخياط فى بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يانسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله * مه متى عهده باطلال نجد

بين ولقد رابنى شذاك فى بيت مجيرالدين وبين عرفتها من بين اصحابى معرك ذوقى مايدركه الا من صفت مرآة ذوقه فى علم الادب ولعمرى ان النادرتين يتجمل بهما هذا النوع ومثله قول القائل ويعجبنى الى الغاية

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا الغمامة صحته بنقطها

النوادر فى هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات فى غرابة المعانى المبتذلة ومثله ولم يخرج عن ما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيرين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ويعجبنى فى هذا الباب قول ناصرالدين بن المشد

مسكية الانفاس تملى الصبا * عنها حديثا قط لم يملّ

جننت لما ان سرى عرفها * ومارى من جن بالمندل

وألطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزعارى

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ضائعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندا * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب فى هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فجر

بشرت باللقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ببغداد من دوبيت

مذ صار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما ابرد ما جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت سمات الشغر باردة * بدا بأعضاء ذات الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن ابى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالتسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت رخيصه غاليا وتكسير الجفن ايضا ونسبة التكسير اليه اكثر اهل الادب استعماله فى تغزلهم ونسيبهم ولكن استعارة السمات الباردة للثغر وهبوبها على أعضاء ذات الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله اعلم

(ذكر المبالغة)

(المبالغة)

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا ايضا بردّ النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والردّ الذى ردّه النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا فخر لك ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان او اربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع ولم يفز الناظم الى التخييم عليها الا لعجزه وقصور همته عن اختراع المعانى المبتكرة لانها فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعانى الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا ربما انها أحالت المعانى فاخرجتها عن حدّ الكلام الممكن الى حدّ الامتناع والمبالغة تعاب فى بابها اذا خرجت عن حدّ الامكان الى الاستحالة ويأتى الكلام على حدّها فى موضعه والذى اقوله ان المبالغة من محاسن انواع البديع ولم يستطرد فى حلبات سبقها الا فحول هذه الصناعة ولولا سموّ رتبتها ما وردت فى القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها ولم يعدّها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن اكثر الناس رغبوا فى تسمية قدامة لخفتها وهذا النوع اعنى المبالغة شركة قوم مع الاغراق والغلوّ لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر والمبالغة فى الاصطلاح هى افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة والاغراق وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلوّ وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتى الكلام على كلّ واحد من الثلاثة فى موضعه وقد تقرّر اولا أن المبالغة نوعها مبنى على وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه وحدّ قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم الثعلبى

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر بلغ فيه الى اقصى ما يمكن من وصف الشئ ووصل الى اكثر ما يقدر عليه فتعاطاه ولخص بعضهم عبارة الحدّ الذى حدّه قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمى مبالغة وقال ابن رشيق فى العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن فى وصف الشئ قلت وعلى هذا التقرير فجلّ القصد فى المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح فيها انها ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلوّ وان كان الاغراق والغلوّ ضربين من المحاسن ونوعين من انواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حدّه بحيث يزول الالتباس ويعجبنى من أمثلة المبالغة فى المديح قول القائل

اضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى فى بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب فى قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول ابى الطيب المتنبى فى وصف جواد

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركبه

قال زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ فى مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله وما فوق شكرى للشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره فى عجزه مع قدرته بأن قال فى البيت الثانى ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السايرحيث قال ولكن مالا يستطاع شديد ومن هنا قال ابو نواس

لا تستدين الى معارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن معجز المبالغة فى القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فجعل كل واحد منهم أشد مبالغة فى معناه وأتم صفة وجاء من المبالغة فى السنه النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا أجزى به وقوله فى بقية هذا الحديث والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك فى الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وشرفه وأخبر انه عز وجل يتولى مجازاة الصايم بنفسه مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها عملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة فى تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتاكيد الخبر بأن خلوف فم الصايم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذى هو أعطر الطيب على مقتضى مايفهم من ريح المسك واتى بصيغة أفعل للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمى المبالغة المجازى والحقيقى ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك للمبالغة وهذا النوع اعنى المبالغة يمكن الناظم منه فى المدايح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ فى وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولى من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فرد الفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولى سار جيش وزدت بعد ذلك بما هو ابلغ منه واعظم لقولى عرمرم وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفى الدين فى الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو ابلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان فى بديعيتهم

يمم نبيا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامى الودق مرتكم

المجمع عليه أن المبالغة فى الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ فى مبالغة العميان أن الريح والمزن كان يحب كل منهما أن يتطفل على أنامل النبى صلى الله عليه وسلم فى المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

امدح وجز كل حد فى مبالغة * حقا ولا تطر تقبل غير متهم

Digitized by Google

هذا البيت لم ينتظم في سلك ما قبله من أبيات المديح النبوي ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة ولم يظهر لي في بيته غفر الله له الا وصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطرى فيقبل وما احقه هنا بقول القائل

تمنيتهم بالرقتين وداوهم * بوادي الغضى يا بعد ما تمناه

وبيت بديعي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت في شطر البيت الاول بقولي بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو ابلغ منها قولي والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هي دياجة المبالغتين على هذه الصيغة والله اعلم

(الاغراق)

(ذكر الاغراق)

لو شاء اغراق من ناواه مذ له * في البر بحرا يموج فيه ملتطم

قد تقرر في نوع المبالغة أنها افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعني الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلو وهو في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة وقل من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلو نوع واحد وهنا لم يعمل بقول الحريري

سامح أخاك اذا خلط

وكل من الاغراق والغلو لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما اشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شيء من الاغراق والغلو في الكتاب العزيز ولا في الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الامكان مثل كاد ولو وما يجري مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا يستحيل في العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا اقتريه بكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذي صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذي اظهر حجة شمسها في باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التي تنورها من أذرعات كانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد في باب الاغراق لانهم قالوا لا يمتنع عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حايل من جبل او غيره من عظيم جرم النار ولكن ذلك يمتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها في فكري فلا يكون في البيت اغراق ومثله قول ابي الطيب المتنبي في صباه

Digitized by Google

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كنى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقالوا هنا لا يمتنع عقلا ان يتحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص فى النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمرى ان الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفايس العقود حيث قال

كانى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى

قلت اذا قابلنا نحول المتنبى بهلال الشك الذى أبرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبى أننى رجل لولا مخاطبتى بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى بيته كانى هلال الشك لولا تأوهى لا بد أن يقابله الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهى من ثقل لولا مخاطبتى فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت مابرح طائر فكرى يحوم على ورد هذا المعنى الذى حصلت فيه الموارد على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بأنين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدى التى عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبى أرخوا تلفى * وذلك الطرس فوق الرأس محمول

وقد تجاوز جسمى حد كل ضنى * وها أنا اليوم فى الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة ما استعملت فى الاغراق الا لتنقله من الامتناع الى الامكان وهذا الذى أوردته بغير أداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلوالتى يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن مابى من جوى وصبابة * على جمل لم يبق فى النار كافر

يريد انه لو كان مابه من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية فى الاغراق واورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربى الاندلسى فى شرحه الذى كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى على هذا البيت حكاية لطيفة وهى أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولى من أشد عليك العابد الجاهل او العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو فى قبضتى أدخل عليه فى دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال فى ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل فى سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولى هاهو قد كفر بالشك فى قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان فى القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس هاهو قد

عرفني قبل رويتي فلما خرج قال له ابليس هل في قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل في سم الخياط فقال له أتشك في قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل في سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تعالى ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الاغراق

في معرك لا تثير الخيل عثيره * مما تروى المواضي تربه بدم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع أبرزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغي أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوفيه بأداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا في مطالعها * خرت حياء وأبدت برء محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مقدله * في البر بحرا يموج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبي صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق في مديحه والله اعلم

(الغلو) (ذكر الغلو)

(بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يجفل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها في الرتبة وهو في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما فانه الافراط في وصف الشيء بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لا بد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه في قوالب التخيلات الحسنة التي يدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبي العلاء المعري

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

ويعجبني هنا قول ابن حمديس الصقلي في وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول ابي الطيب المتنبي فى ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا * فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهى أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشى عليه عنقا لامكن والعنق هو المشى السريع وانعقاد الغبار فى الهواء حتى يمكن المشى عليه مستحيل عقلا وعادة الا أنه تخيل حسن مقبول وقد وقع للقاضى الارجانى جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب وهما ما جرى بهما مجرى كاد والتخيل الحسن وذلك قوله

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجا * وشدت باهداب اليهن أجفانى

فقوله يخيل لى هو الجارى مجرى كاد فانه جعل الامر توهما لا حقيقة واما التخيل الحسن فهو ما ذكر من تسمير الشهب وشد أجفانه اليها بأهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى ما فى هذا من التخييل الحسن واما الغلو الذى هو غير مقبول فكقول ابى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة أن يسطو على شعاعها * فيطلع ندمانى على سرى الخفى

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا يظهر لنديمه ما فى باطنه لا يمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشر * ب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لا يمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول ابى نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا الذى قاله ابو نواس ايضا أمر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهى النطف التى لم تخلق لا يمكن عقلا ولا عادة ومن ألطف ما يحكى هنا ان العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له اما تستحى من الله بقولك وأخفت أهل الشرك البيت فقال له ابو نواس وانت ايضا ما استحييت من الله بقولك

ما زلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى ويسع الرأى من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فقال العتابى قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك أعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بى * فى مقلة النايم لم يثقبه

ومثل هذا ايضا لا يقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤول بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لوهوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذى ادعى فيه ابتلى بمرض سكان فيه يخاف

من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

ولو حمى المقدار عنه مهجة * لرامها او تستبيح ما حمى
تفدو المنايا طايعات امره * ترض الذى يرضى وتابى ما أبى

ومثله قول ابى الطيب

كانى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بناء الاسكندر السدّ من عزمى

هذا ايضا من الغلوّ الذى يؤدى الى سخافة العقل مع مافيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة واقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو تظم غير مقبول لاوردت كثيرا من تظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وابى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل أدبه بقوله فى موشحه الذى اوله

دارت على الدوح سلاف القطر

وذلك قوله فى ممدوحه

لو قابل الاعمى غدا بصيرا * ولو رأى ميتا غدا منشورا
ولو يشا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا
امنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى اشار اليه فى موشحه بقوله

ولو اتاه الليل مستجيرا * امنه من سطوات الفجر

فقد تقرر ان الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد ان الله ارسله * الى الورى نطف الابناء فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا يمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدايح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نغمات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

Digitized by Google

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوى وغلوها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها بكاد أحرز قصبات السبق ولا اقول كاد وهذا البيت عندى مقدم على بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعى مورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بلاغلوّ الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يحفل بصبحهم

هذا الغلوّ يرخص عندما انتظامه فى سلك المدايح النبوية كل غلوّ فانه لو كان فى غير النبى صلى الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله ممن نسبته الى غيره فانها تؤدى الى الكفر المحض وحصره فى النبى صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولى عند نظم هذا النوع بلاغلو يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدايح النبوية فنرجو الله ان تشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله اعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديده بالمعنيين بدا * تألف فى العطا والدين للعظم)

ائتلاف المعنى مع المعنى

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول فى الاصطلاح هو ان يشتمل الكلام على معنى معه أمران احدهما ملايم والآخر بخلافه فيقرنه بالملايم واستشهدوا عليه بقول ابى الطيب المتنبى

فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدرى مع العرب لانه يلائمهم بنزوله فى السهل من الارض وينفر من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا زاد به العطش وقل الماء فى البر ومناسبة الحجل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل فى المواضع المعروفة بالشجر والضرب الثانى هو ان يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن بهما ما لا قرانه مزية واستشهدوا على هذا الضرب الثانى بقول ابى الطيب المتنبى ايضا

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كانك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلايم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الا لامرين احدهما ان قوله كانك فى جفن الردى وهو نايم تمثيل السلامة فى مقام العطب ولهذا قرنه الوقوف والبقاء فى موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقترنا الشبلة فى حال هزيمة الابطال والثانى ان فى تاخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف وبمرور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمرى ان الضرب الثانى من ائتلاف المعنى مع المعنى أبدع من الضرب الاول واوقع فى القلوب واقرب الى مواقع الذوق وعليه تطمت بيت بديعيتى ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثانى ايضاحا وترشيح قصد المتنبى فى ترتيبه الذى تقدم عليه الكلام حكى ان سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا ابا الطيب قد انتقدناعليك كما انتقد على امرئ القيس فى قوله

كانى

كاني لم اركب جواد الغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد اجفال

فقال المتنبي ايها الامير ان صح ان البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرء القيس وعلي فان امرئ القيس أحب ان يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد وهو الاول وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس في تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين للبس والشبع قلت واما جواب المتنبي عن قول امرء القيس

كاني لم اركب جواد الغارة * ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من انواع البديع المعلومة وقد تقدم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزدوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرار القول بان المراد من بيت البديعية ان يكون شاهدا على نوعه وان لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وجب ايضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ذو معشين بصحب والعدا اتلفا * للخلق ملأ شهب البازي كالرخم

قلت ان هذين المعنيين لشدة العقادة اتعبت الفكر فيهما على ان يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك والله اعلم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألفا في العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولي ان بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني لكونه ابدع واوقع في الذوق من الضرب الاول وهو ان يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزيد فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم قرنتها بالدين لعظمه فاكرم بها ملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك في قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وقولي في القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين في غاية التمكين والله اعلم

نفي الشيء بايجابه

(ذكر نفي الشيء بايجابه)

لا ينتفي الخير من ايجابه ابدا * ولا يشين العطا بالمن والسام

نفي الشيء بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء والمراد نفي الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون

الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفى الالحاف فى المسئلة والباطن نفى المسئلة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذا هو الحد الذى قرره ابن رشيق فى العمدة فانه قال نفى الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بارض خلاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

فاثبت لها فى الظاهر وصيدا ومراده فى الباطن أن ليس لها وصيد فيسد والطف ما رأيت من شواهد هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه قول مسلم بن الوليد

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفى عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفى الطيب والكحل مطلقا ومثله قول ابى الطيب المتنبى

افدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام ماثلة * أوداكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات والمراد فى باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذو الرمة

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن ام ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولا الى تطرقه بدخول الحمام وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لا يهدم المن منه عمر مكرمة * ولا يسوء اذاه نفس متهم

فظاهر الكلام فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولا يصدر منه لنفس متهم اساءة والمراد فى الباطن نفى المن والاساءة مطلقا فان مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين غفر الله له يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع تواردوا فى حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفى الشئ بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ما هو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى اثبته وأوردوا على ذلك ما تقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التى زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لى فى بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمعة استضئ بها فى ظلمة هذه العقادة الى تقرير هذا النوع فى البيت المذكور فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قد قال مانفى الذم بايجاب المديح كريم الا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذى فعل هذا الفعل المحمود فانه هو الاصل فى الاسباب الخيرية جميعها فما علمت ما مراده فى النظم ولا فى الشرح ولا اين استقر نفى الشئ بايجابه والله اعلم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم

لا ينثنى الخير من ايجابه ابدا * ولا يشين العطا بالمن والسأم

الذى أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغنى عن التطويل فى شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحقه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

الايغال

(ذكر الايغال)

للجود فى السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

هذا النوع ماخوذ من ايغال السير فانه يقال اوغل فى السير اذا بلغ غايه قصده بسرعة ولهذا قالت للجود فى السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك أن المتكلم او الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة او البيت استخرج سجعة او قافية يريد معنى زايدا فى كل منهما فكأن المتكلم او الشاعر قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه وبلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافيته فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زايدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الذى بعده حيث قال

اظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقول كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زايدا ولو لم يات بها لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتى الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أما س اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه غاروا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا ويفيد فيه معنى زايدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكادان ينتظم كل منهما فى سلك الآخر ولكن رايت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه هنا فشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن احسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زايدا قلت وايمرى لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم اراد وهو أعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكى عن الاصمعى انه سئل من اشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيرا وينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زايدا فقيل له نحو من فقال نحو القائح لا بواب المعانى وهو امرء القيس حيث قال

كان عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

Digitized by Google

ومثله قول زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فهذا كلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى فى قوله الذى لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب مافيها من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى فى كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى فى قوله لم يحطم فيها نكتة بديعة غريبة وانا اذكرها هنا تنبيها على ماقرره الاصمعى وماذاك الا ان زهيرا شبه ماتفتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد ان يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز فى ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوى

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بان قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها افادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة فى حسن الجد والذى وقع اتفاق البديعيين عليه أن اعظم ماوقع فى هذا الباب وابلغ قول الخنساء اخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به ائمة الناس وهذا تعميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا ويعجبنى من أمثلة هذا النوع فى شعر المتاخرين قول الباخرزى من قصيد

انا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

ومثله قول الآخر

تعجبت من ضنى جسمى فقلت لها * على هواك فقالت عندى الخبر

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كان مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفى الدين فى غير مستتر وغير مكتتم والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

اضحت اعاديه فى الاقطار طائرة * واوغلت فى الهوى خوفا مع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله له فى شرحه ان الايغال الذى افاد فى بيته معنى زايدا بعد تمامه قوله خوفا مع العصم وذكر ان العصم هى الجوارح من الطيور التى تفترس فى العوالى والله اعلم وبيت بديعيتى اشرفه الى النبى صلى الله عليه وسلم بقولى

للجود فى السر ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

يعنى بيتى انتهى الى قولى عنه صلى الله عليه وسلم حبا الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبى صلى الله عليه وسلم ظهر لى من زيادة المعنى ما اقام قواعد بيتى وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله اعلم

(ذكر التهذيب والتاديب)

قوله العصم هى جمع اعصم وفى القاموس الاعصم من الظباء والوعول مافى ذراعيه أو فى حدهما بياض وسائرها أسود او احمر انتهى المراد منه فاذكره الشيخ عز الدين فى تفسيرها غير صواب اه

التهذيب والتاديب

تهذيب

(تهذيب تاديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منفطم

نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهدا يخصه لانه وصف بمكل كلام منقح محرر وهو عبارة عن تردد النظر فى الكلام بعد عمله والشروع فى تهذيبه وتنقيحه نظما كان أو نثرا وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغى حذفه واصلاح ما يتعين اصلاحه وكشف ما يشكل من غريبه واغرابه وتحرير ما يدق من معانيه واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه لتشرق شموس التهذيب فى سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منعوتا بالمنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها أو لو تقدم هذا المتاخر وتأخر هذا المتقدم اولو تمم هذا النقص بكذا اولو تكمل هذا الوصف بكذا اولو حذفت هذه اللفظه اولو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم فى سلك نوع التهذيب والتأديب وكان زهير بن ابى سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصايد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم القصيدة فى اربعة اشهر ويهذبها وينقحها فى اربعة اشهر ويعرضها على علماء قبيلته اربعة اشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة فى شهر وينقحها ويهذبها فى احد عشر شهرا ولا جرم أنه قلما يسقط منه شئ ولهذا كان الامام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته فى العلم وتقدمه فى النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما احسن ما اشار ابو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة الخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتاليف منبسطا وما قد موا وسط الليل فى التأليف على السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة الا لما يكون فيه من انتباه اكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات * وجرس الحركات * وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدون ذلك ينقسم الفكر ويشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن ابى عبادة البحترى الشاعر قال كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت فى تعريضه عليه فكان اول ما قال لى يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم * صفر من الغموم * واعلم ان العادة فى الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شئ أو حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من اكثار الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم * واذا شرعت فى التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه * واجتهد فى ايضاح معانيه *

فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا * والمعنى رشيقا * واكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجيع الكآبة * وقلق الاشواق * ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمايم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا اخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه * ورغب فى مكارمه * واحذر المجهول من المعانى واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه * والالفاظ الحوشيه * وناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام * وكن كانك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية ابى تمام * وأورد العلامة زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه اوردها ايضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو اللائق بالحال واولها ينبغى لك ايها الراغب فى العمل السائل عن أوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع فى النظم والقوافى قبل الابيات قلت وهذا مذهبنا ثم قال ابن ابى الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروى مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملال فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتاج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت ونذت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه فقد قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زمانا كما روى عن الفرزدق أنه قال لقد يمر على زمان وقلع ضرس من أضراسى أهون على من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعانى وتقصير الالفاظ وتوخ حسن السبك عند التهذيب ليكون كلامك بعضه آخذا باعناق بعض وكررا التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما نظمته الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر انتهى قلت وهذا العمرى هو المراد من النوع الذى نحن فى شرحه اعنى نوع التهذيب والتاديب لا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * ابو أمه حى أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك واما التقديم والتأخير ففى قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسلوك طريق التعقيد فى قوله ابو امه ابوه وكان يجزيه قوله جده وهذا العمرى هو التعقيد الذى بينه وبين التهذيب والتأديب الذى قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولى ان البديعيين أجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات فى هذا النوع اعنى التهذيب

والتاديب

التاديب ولكن رأيت العلامة زكى الدين بن ابى الاصبع قد استحسن من الشواهد اللايقة بهذا النوع قول القاضى السعيد بن سنا الملك

تغنى عليها حليها طربا بها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لو لم تقدم فى صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها فى البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها كان البيت خاليا من التهذيب فان بوجودها حصل فى بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب فانه لو قال

زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

لظهر قلق القافية وتمكين تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن ابى الاصبع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

قد تكرر قولى انى لم اكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم يتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هديه الزاكى ولم يرم

وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تهذيب تاديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة انواع من انواع البديع اولها النوع الذى هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع فى موضعه ولكن فى نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

ما لا يستحيل بالانعكاس

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوى وسماه السكاكى مقلوب الكل وعرفه الحريرى فى مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع اعنى ما لا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما فى حالتى النثر والنظم وجاء منه فى الكتاب العزيز (كل فى فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذى رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريرى فى مقاماته (ساكب كاس) وزاد فى العدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد فى العدة ايضا فقال (لذ بكل مؤمل اذا لم ومالك بذل) قلت هذا الكلام الذى زاده الحريرى فى عدة كلماته صحيح التركيب فى طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق واصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق العقادة وذكروا أن العلامة

قوله ان التكلف الخ غير ظاهر صوابه التكلف غير ظاهر ولعمرى انه ما جاء به منسجما فى النوع بيت ينسجم ان بعض النوع بيت احمد

القاضي فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله برحمته ورضوانه وصل في تركيب هذا النوع الى اكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على شيء من ذلك وانما مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه اخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضي فتح الدين المشار اليه في هذا النوع قبل تيمور لنك وذكر أنه في غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان او نظما غير كثرة العدد والمبرز فيه هو الذي يأتي به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا في حلل الانسجام وممن استوعب هذه الشروط في كلام منثور مولانا قاضي القضاة شرف الدين شيخ الاسلام ابن البارزي الجهني الشافعي نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس) ومن الغايات ايضا في هذا النوع قول العماد الكاتب وقد مر عليه القاضي الفاضل راكبا (سر فلا كبابك الفرس) فاجابه الفاضل على الفور وقد علم القصد (دام علا العماد) وقال الحريري في المقامات ان احببت ان تنظم فقل للذي تعظم

اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم ايضا لا يخفى انه يتجافى على الرقة بغليظ افظه ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع في النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

ومنها

أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذي وقع عليه الاجماع أن ابلغ الشواهد على هذا النوع الذي استوعب ناظمه فيه الشروط التي تقدم ذكرها قول القاضي الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذي نسجت ابيات البديعيات على منواله (اراما الاله هلالا انارا) وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع

هل من يتم يجب من يتم له * بمارموه كن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفي الدين الحلي غفر الله له غير مشكور في نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يات به الا في الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس تستوعب جزأ كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشيء من ذلك جاء بيته في غاية العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لي فيه لمعة أهتدي بها الى فهم معناه واعجب من ذلك ان البيت مبني على مديح النبي صلى الله عليه وسلم والبيت الذي قبله

من مثله وذراع الشاة كله * عن سمه بلسان صادق الرنم

والبيت الذي بعده

هو النبي الذي آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما اجنبي ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المتنسبين

الى

الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس فى سجيته * مدن اخاطم معط اخاندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى يعذر هنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذى استوعب جزآ كبيرا من بينه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بداوذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب فى انسجام هذا البيت ورقة الفاظه وتمكين قافيته علما أن فى انصاف اصحاب الذوق السليم من اهل الادب ما يغنى عن ذلك والله اعلم

(ذكر التورية) التورية

اوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدى وعقد لسانى بعد ذا وغى

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى فى التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر توريه اذا سترته واظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهى فى الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمى هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابى العلاء المعرى

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفى الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به فى تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الريه وبدال اسم الفاعل من إدلا يدلو اذا رفق فى السير وبالرسم اثر الدار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها فى السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالى هو الرفيق ويؤم بها دار اغير المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية فى هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة الفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كقارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعنى التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمرى انهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الادب الى ان دخلوا اليه من باب فان التورية من أغلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب وينفتح بها ابواب عطف

ومحبة وما أبرز شمسها من غيوم النقد الاكل ضامر مهزول * ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول * ومما يؤيد قولى هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى فى ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من تخو البلاغة نحوه فى الخطاب * وتجرى ريحها بامره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشرى وهو حجة فى هذا العلم ولا ترى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا اعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضى الله عنهم اجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن انتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء اراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزال المنام طايرا حتى يقص فاذا قص وقع ففى الكلام توريتان لفظة طاير ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون فى لفظة وقع توريه ثالثة ومنه قول ابى بكر رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهدينى اراد ابو بكر رضى الله عنه هاد يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان أول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب المتنبى بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وانت يمانى

يريد ان كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يمانى فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية مالح قول عمرو بن كلثوم فى معلقته عن الخمرة

مشعشعة كأن الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا فى سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء فى الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شرابا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذى هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولى انه المراد قول الجوهرى فى الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشئ فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا

باموالنا

باموالنا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحمض هو الزعفران على احد الاقوال وهو الذي شبه صفرتها به فان قيل سخما مضارعه يسخو ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز ان يكون سخينا فعلا على هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة انه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف ايضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام وورى بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم واوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا بزمن طويل قال ابو نواس

فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام امتحنت بيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة * وبعضهم لم أجد له اليها الفته * وقال البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد في قوله تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورى به ويحتمل ان يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورى عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله ملية بالحسن واما ابو العلاء فانه أتى في التورية بلعة خفية الايماء شديدة العقادة والتكلف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جلت لمعنى اردته * برتني اسماء لهن وأفعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابي الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين اخي الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين اخي الام والظن ومراده الظن قلت زحوف هذا البيت ايضا لا تخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول الشيخ تقي الدين السروجي

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهي شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته ممن حسنه عمها

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلي

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستعموا ما جرى * قد هام عمي الشيخ من خالي

قلت ولهذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها * ومازجوا بها اهل الذوق السليم لما اداروا كؤوسها * وقيل ان الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع منها فى نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب سترحجابها * وانزل الناس بعد تمهيدها بساحتها وارحابها * وممن شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرايد درره * القاضى السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كاسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان جات بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة فى عقد جمانها * كالسراج الورّاق وابى الحسين الجزار والتصير الحماى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشأم جماعة تأخر عصرهم * وتأزر دهرهم * ولان فى هذا النوع عصرهم * وبعد حصرهم * كل ناظم تودّ الشعرى * لو كانت له شعرا * ويتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا * الاشاب لحسنها الوليد * وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين فى أواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم * ويعز على اذ لم ارهم على تكاثرهم لفوات عصرهم * وتلطف بقوله بعد ذلك ولا تقل ايها الواقف على هذا التاليف لقد افرطت فى التعصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام فى التورية لا غير * ومن هنا تنقطع المادة فى السير * ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والشقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت قد تقدم وتقرر ان التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من العين * وسموها فى البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة * وافكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمة صحيحة * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من الفاضل الى من فضل بعدهم نور مشكاتها * والمتفكهون فى ادواح الادب بثمراتها * فاذا جليت عرايس افكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل * اللهم الا ان يكون سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرايس لم تبرز لتأمل الا من خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتامل طرفه وامسى فى كل وادمن محاسنها يهيم * وتنوعت حلاوات انواعها الذوقه السليم * جرّدت سيف العزم واتت لكل نوع حدا * ونظمت له من أنواع التورية واقسامها فى سلك هذا النوع عقدا * فان الشيخ صفى الدين الحلى لم يذكر فى شرح بديعيته نوعا من أنواع التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذى أجمع الناس عليه وقال هى ان يأتى

المتكلم

المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن اين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقسميها والمبنية وقسميها والمهياة واقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن ابي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من اقسامها مع ان كتابه ماوضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي ان يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احدا حتمالها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله واما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام ايضا وهي ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيأ واذا أردت ماوعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية شرعت في الكلام على أنواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * وبصير لديباجة هذا النوع تفصيل * وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غير بابه * تعين نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذلك طا

ومثله قوله

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله

وكنت وكانا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبله * فها انا قد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خرافي الشط في لجة البحر (ى)

ومثله قوله

عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذا في حريرنا عم * وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا التراب ام خدك لثمنا * فاثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن * اروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندا وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه

ومنه قوله أيضا

بالله قل للنيل عني انني * لم اشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك ان يكون جميلا

ومنه قوله واجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعداء قلت له * كما الفراش على نيرانه يثب
فان ثوب الذي عاداكم كفن * كما يبوت الذي عاصاكم ثرب
بلغتموهم مناهم في ترفعهم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون في الجفون لكم * فانها لغراب البين ترتقب

ومن نثره في هذا الباب قوله في يوم شديد المطر والبرد * والخادم في رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * ويصافح الرياح عاصفة قبل أن تقتسمها الانفاس * ويتلقى الرعد بالرعدة * واذا السماء انشقت استعصاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضي السعيد ابن سناء الملك فمن نظمه في هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

ومنه قوله أيضا

وفي الحي من صيرتها نصب خاطري * فما آذنت في نازل الشوق بالرفع
تنبه بفرع منه أصل بليتي * ولم ار أصلا قط يسعى الى فرع

ومنه قوله

ليس الادمعي الذي من رأى جفني رآه كأن دمعي هدبي
انجم الدمع لا تغيب شروقا * مع أني رأيتها في الغرب

ومنه قوله

صفاتك في كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبي وهو ان صحفوا يصبي
حرست الحشا من ناظريك بصارم * فكسرة ذا الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس في هذا الباب قوله

وفي القلب تصديع وفي الوصل جبره * وفي الخد دينار وفي الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته فقال

في خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سناء الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفني معنى * قلت الفا وكسورا

ولم يزل ابن سناء الملك يتلاعب في التورية باختراعاته ويسكنها في عامر ابياته الى أن ظهر بعده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحامي وتطارحوا كثيرا وساعدتهم صناعتهم والقابهم في نظم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك

وصناعتك

وصناعتك لذهب نصف شعرك فمن ذلك قوله

شعريتي مذ رمدت قد حبست * طرفي عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زادني شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضياء وأجاد

امولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما اغنيت شيأ * وما يغني السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما انا سائر في ليل خطب * تساوى الصبح فيه والمساء
فلا انا مثل ما أدعى سراج * ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فالبسني الشيب هجر الشبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فاطفأ نوري نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راج لي أملي وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راج
ولولا انت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ما علينا ضوء او قد ابطأ الشمـ * ـع فقوض به خيام الدياجي
وتدارك بيتا عليه ظلام * لم يكد ينجلي بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين ببلبك وبدر الدين آق سنقر

لما رايت الشمس والبدر معا * قد بخلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله في هذا الباب

بي اقتدى بالكتاب العزيز * وراح لبرّي سعيا ولاجا
فما قال لي اف مذ كان لي * لكوني اباو لكوني سراجا

ومنه قوله

أقول في يوم شتاء له * من صحبه ما خلف النيلا
خرجت من بيتي سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبي حسين الجزار في عيد الاضحى

اجبت بعيد النحر من كان سائلي * عن الحال في عيدي وقد مرّ ذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

ومنه قوله

الهي لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا لذا قالوا السرج المعمر
وعمم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني ان السراج منوّر

Digitized by Google

ومن اظرف ماوقع له فى هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
فها انا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدد نورا

ومثله قوله

اثنى على الانام انى * لم اهج خلقا ولا هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم اتعبوا ذهنى
يريدوننى وطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير نصير الدين الحمامى وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكى * ابل شوقى واحيى ميت اشعارى
وأنثنى خائبا مما أؤمله * وانت فى روضة والقلب فى نار

فكتب اليه السراج

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * انفاسها بين ازهار واثمار
اسكرتنى بشذاها فاثنيت بها * وكل بيت اراه بيت خمار
فلا تغالط فمن فينا السراج ومن * اولى بان قال ان القلب فى نار

وقال النصير يوما للسراج الورّاق قد عملت قصيدة فى الصاحب تاج الدين واشتهى ان تثنى عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما انشدت بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها

شافنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالجاره
وبقيت اهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحـ * ـنا لاسراج ولا مناره

ومما ورّى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضا فقرطس اذ رمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يجيبنى * باليت شعرى من هو الورّاق

ومثله قوله

ياخجلتى وصحائفى سود غدت * وصحايف الابرار فى اشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى * أكذا تكون صحائف الورّاق

ومن لطايفه فى غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا حملتها

قد كان عندك يافلان صريمة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء
فلو ان الكتاب كان بايديهم لمحوا منه آية الشعراء

وله فى المعنى وأجاد

يابنى الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال فى بحر المنى * وحلت منلفاين الرؤساء

وقال فى المعنى

أصون اديم وجهى عن أناس * لقاء الموت عندهم الاديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب

ومن لطايفه قوله

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما نال أكثرهم * محمودة قلت اخشى أن تخزينا

ومن لطايفه بعد تخزينا قوله

اتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقيل فى ذقنه والنفوس * تعاف المقتله البارده

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى عزلة * فالصفع موجود مع الراحه

وانشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجنا

لاتعجبن من لباسى * فكل أمرى لبس
والله ما ثم مال * وانما ثم نفس

فاجابه على الفور

صدقت ما ثم مال * وانما ثم نحس
وثم اخرى واخرى * فيها وعندك حدس

ومنه قوله

ومعمومة رؤس باكرتنا * بطيب شذا ولاطيب العروس
قصت بمايلين لها فقالت * يحق لك القيام على الرؤس

ومنه قوله

واحمق اضافنا بقلة * لنسبة بينهما ووصله
نحن أقل ادبا من سفله * قدمت فى وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل منى وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى
يقول لى اذ كنت فى معشر * قد عبد والبيضاء والصفرا

هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلا بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدى فما اهتز من * قولى ونادى الناس كم تتعب
فقلت أرجوزبدة قيل لى * فاتك ابن الدبن الطيب

ومن لطايفه أيضا قوله

كان أبراصا رسيرا * يلطم الاكساس سخره
كيف لا يتقرن عنى * ومعى شيب ودره

ومنه قوله

فسر لى عابر مناما * فصل فى قوله واجمل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لاتطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات
قطعت عن المعروف ايديهم وقد * سرقوا العلا نخلت من الراحات

ومن نكته البديعة فى مدائحه قوله

رايت قطوف عفولك دانيات * فنحن على المدى نجنى ونجنى
وكم بات المسىء قرير عين * وسيفك ان حملت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا تحت وعدك واعد أملى بما * يرجوه من ظفر ومن نجح
اذ قال اين الجود قلت أجيبه * مع اين مبنى على الفتح

ومنه قوله

ومبخل بالمال قلت لعله * يندى وظنى فيه ظن مخالف
جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فأجابنى لكنه لا يصرف

وكتبت فى هذا المعنى الى الخواجا شهاب الدين ابن لؤلؤ الذهبى بدمشق المحروسة وقد مطلنى فى صرف دنانير احلت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره
وأنا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض أصحابه يطلب كتابا

لك فى المكارم سنة مالوفة * معروفة الانساب والاسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقوالك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه فى شخص اسمه عرفات

اطنبوا فى عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات
ثم قالوا الى هل وافقتنا * قلت عندى وقفة فى عرفات

ومن اغزاله قوله

وفاتك بجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

خاف على خديه من لحاظه * فبات فى عذاره مزردا

ومنه قوله وهو فى غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الىّ فقلت من الم الجوى
لم لا تميل الىّ ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى ياغصن ان يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد فليله * قدمات عنه تعيش أنت صباحه
واخ سائل أدمعى فحرمتنى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقف * ومالها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختاران يبقى بلا حاجب

ومنه قوله

ولناساق جواد كفه * وكفت بالراح سحبا بعد سحب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لاغرو لساق فوق كعب

ومنه قوله

ياساكنا قلبى على انه * بوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها ياقرى برزة * سعيدة الطالع والغاربه
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجبه

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسالها الصدا

ومنه قوله

وبى من البدو كلاء الجفون بدت * فى قومها كفتاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يمدد بأوتاد

وأوقدت وجناها النار لا لقرى * لكن لافئدة منا واكباد
فلو بدت لحسان الحضر قن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الورّاق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هنا هو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى سمين التورية قوله موريا فى صناعته

الا قل للذى يسا * لعن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
ترجيهم بنو كلب * وتخشاهم بنو عجل

ومثله قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضئ بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله

أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله

أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشا فاذبحنى
خلا فؤادى وفى فمى وسخ * كانى فى جزارتى كلبى

وظريف قوله

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظا وارفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقلبه ايضا وقال

لا تعبنى بصنعة القصاب * فهى أذكى من عنبر الاداب
كان فضلى على الكلاب قصير * تا ديا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله

معشر ما جاءهم مسترفد * راح الا وهو منهم معسر
انا جزاروهم من بقر * ما رأونى قط الا نفروا

وقال متهكما على المتنبى

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامى موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يدارى من لا يدارينى

أعرف

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والخطوط تختلف
والعبد مذ صار فى جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته فى يوم فرح

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خمول
أتيت لبابك ارجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدى منه قطرا

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انى * لارجولها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

لجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وتلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبنى من تغزلات أبى الحسين الجزار قوله

تكلف بدر السما اذ حكى * محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذرى فيك العذار * فاجرى دموعى لما وقف

ومنها قوله

حمت خدها والثغر عن حائم شبح * له أمل فى مورد ومورد
وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فاعرب عن تفصيل نحو المبرد

ومن لطائف مجونه فى التورية قوله

تزوج الشيخ أبى شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها فى الدجا * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها فى فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
وقائل قال ما سنها * فقلت ما فى فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت ابا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلانى فقال لى الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فانشدنى لنفسه وكتبت عنه.

من منصفى من معشر * كثروا على وأكثروا
صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل فى الطرو * س ومحوه يتعذر
واذا أردت كشطته * لكن ذاك يؤثر

ومما شرح الصدور والقلب من قول الحماى

وكدرت حمامى بغيبتك التى * تكدر فيها العيش من كل مشرب

فما كان صدر الحوض منشرحا بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله

لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الورّاق على يد مليح ولسانه

عبدك يا مولاى وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من اغنى الورى * وطائرا بالفرح
الخمر عندى ذهب * أكاله بالقدح

وقوله

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
أخربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدوّر

ومن لطائفه فى تغزلاته قوله

مازال يسقينى زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظننى حيا رويت بريقه * فاذا دعا قلبى يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته وتقوّى عليه بالسيف فقال

أدعو السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت لماه جاوبنى الصدى

ومن لطائفه فى مداعباته قوله

رأيت شخصا آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محبا لها * قلت من الايمان حب الوطن

وممن انتظم فى سلك الجماعة واتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وجرّدت مع فقرى وشيخوختى التى * بها اليوم نومى عن جفونى مشرّد
فلا يدّعى غيرى مقامى فانى * انا ذلك الشيخ الفقير المجرّد

ومن نكته الغريبة فى التورية قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله

اقول لنوبة الحمى اتركينى * ولا بك منك لى ما عشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لا شئ لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من جحره * قالوا صدقت لذا ينفق من سعه

ومن لطائف ماوقع فى توريه السعة قول أبى الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قد دخلوا كالايراجعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم ان يقف على الباب وينادى أدخل ياخصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السعة ومنه قوله

ومكرش أضحى يحلق سفله * لعساه لايشكى اليه ويشكر
ويقص لحيته فان فاديته * لبالك وهو محلق ومقصر

ويعجبنى من لطائفه قوله فى داره

ودار خراب بها قد نزلـ * ـت ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلافرق مابين انى اكون * بها أوا كون على القارعه
تسار رها هفوات النسيم * فتصغى بلا اذن سامعه
واخشى بها أن اقيم الصلاه * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ماقرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جودوا لتسجع بالمديـ * ـح على علاكم سرمدا
فالطير أحسـ * ـن مايغرد عند مايقع الندا

ومن بدايع اغزاله قوله

ومابى سوى عين تفطرت لحسنها * وذالك بالجهلى بالعيون وغرقى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لى رأس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
واذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه أيضا فى توريه المطوق قوله

أنت طوقتنى صنيعا واسمعتك شكرا كلاهما ما يضيع
فاذا ماشجالك سجعى فانى * انا ذالك المطوق المسموع

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباته سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

ومبت بمهجتى بحرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه
فهرول دمع عينى فوق خدى * وماحصلت له مع ذالك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لى الواسع صفلى * مثل ما أعرف وصفك

أين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهى الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا * بانها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

بخالد الاشواق يحيى الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
نخذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عينى انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوخذك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزال (لى)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى بتره
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قلت لسقم الجسم منى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى يا سقم ما لم يكن * تلبس والله عليه الثياب

ومن حصل الجلاء لعيون التورية بلا طفته الحكيم شمس الدين بن دانيال فمن لطائفه قوله

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * واضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قيل لى اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

ومن لطائفه أيضا قوله

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد يعت عبدى وحمارى معا * وصرت لا فوقى ولا تحتى

ومن لطائفه أيضا فى جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * لنقره بنان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج ممتزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

ومن اختراعاته البديعة قوله

أيا سائلي عن قد محبوبي الذى * فتنت به وجدا وهمت غراما
أبى قصر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فأضحى بين ذاك قواما

ومن أحيى رسوم التورية وأظهر خفيها القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى فضلها تشاركنا
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مباركنا

ومن لطائفه قوله

لا ينقل الروض احاديثه * عن عين غمام غدت خافيه
فانه ينقل أخباره * الى أعين عنده صافيه

ومثله قوله

يا قاتلى بلحاظ * قتيلها ليس يقبر
ان صبروا عنك قلبى * فهو القتيل المصبر

وقال

ان لوزى جلق * واهن الحيل والقوى
لم يكلفك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظمى فى هذا المعنى فى المشمش السلطانى بحماة

قال سلطانى حماة عندما * اجلسوه مذ اتاهم فى الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد اضحى وزيرى

ومن لطائف القاضى محيى الدين قوله

شكرا لنسمة أرضكم * كم بلغت عنى تحيه
لا غرو ان حفظت احا * ديث الهوى فهى الذكيه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يا طيب نشر هب لى من نحوكم * فأثار كامن لوعتى وتهتكى
أهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا نشر ذكى

وأشار الى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة و قبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه فى الريح

ومن نكته البديعة الغريبه قوله

لا تسلنى عن أول العشق انى * انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارخت * غراما بمستهل وغره

وتطفل الشيخ عز الدين الموصلى على هذا المعنى ولكن سبكه فى قالب حسن بقوله من قصيد

فيا هاجرى عاما لقد ضل عاذلى * وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق

هذى القطيفة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببردياس * فلاجل ذا الحشو نقلا

ومن لطائفه قوله

ضفر الشعر وألقى * خلفه كالقطن وفره
قلت ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله فى معشوقه المعنى المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى اتلولهم ياليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يامن غدا الى من عوا * صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم ارخى * وفرة وفرت عليه الحميلة
ان شكا الخصر طولها غير بدع * لنحيل يشكو الليالى الطويلة

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمامه * ذوايبا تعبق منها الغوالى
فقلت والقصد ذؤاباته * ياسهرى فى ذى الليالى الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لابد ان يرد على المتأمل فى مواضعه ويعجبنى قوله

وبروحى هويته عجميا * لى لذت الفاظه الغنمية
كم حلا عجمة فقلت لخلى * خلنى والحلاوة العجمية

ومن لطائف مجونه قوله

واعور العين ظل يكشفها * بلا حياء منه ولا خيفة
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لاتزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لى العلق وقد جئته * اريه ايراقا فى حسنه
ايرك هذا مامات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

ويعجبنى من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى الكا * س مجاز والكاس فيها حقيقة
اتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة قنم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتورية قوله

بابى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين

كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبهدت بالتى هى أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى الذوازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

والم به الشيخ عز الدين الموصلى وماخرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد سلونا عن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغنى * فتنبى بالوجد من ليس يدرى
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق الغنى ولى زيق فقرى
ماتراها قد حدثت خاطر النهـ * ـر بما قد جرى ومامنه يجرى

ومن لطيف كلامه قوله

وبطحاء فى وادير وقد روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بادمع * يرقرقها منه هنالك محجر
اذا فاخرتها الريح وهى عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيى وهو لاشك جعفر

وقال فى مليحة اسمها وردة

بابى وردة مولدة الحسـ * ـن دعوها بوردة البستان
فى التصاوير مثلها ليس يلقى * فيقولون وردة كالدهان

ومن نوادره الغريبة فى الموالياتى مليح مشطوب

لك طرف احور حمى من حسنك السرحه * كم قد اغار على العشاق فى صبحه
لما علمت بانو سابق النعمـ * ـه عليه خفت فشطبتو على سحه

ومن نكته الغريبة فى اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابى
ولاعجب اذا ماقيل هذا * له صدغ زمرذه ذبابى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

كتبت لكم من اعين القصب التى * لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فان اطرب التشبيب فيما ذكركم * فكم اطرب التشبيب من اعين القصب

ومن هنا اخذ المعمار فقال

هو يتيه مشبها * جماله برح بى
تيم قلبى باطخا * زمن عيون القصب

ومن مخترعات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالى من علا وخفتها * فقد اصبحت محشوة بمكارمك

ختمت عليها بالثريا فقل لنا * اهذا الذى فى كفها من خواتمك

ومنه قوله

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله

ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
ساب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشتكوه بالاوراق

ومنه قوله

يارب كاس صرت من شربها * من بعد شربى ريق معشوقى
ملتهب الاحشاء نارا لان * شربتها منه على الريق

ويعجبنى منه قوله

انت من وجه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباته ولم يسبكه فى غير قالبه فقال

افدى حبيبا الى الى * مرآه طول الدهر فقر
فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصارى الحموى سقى الله ثراه أما بعد حمد الله الذى اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك مافيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذى اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين فى سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعا فى التورية من الحلاوات القاهريه * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشاميه * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما يظهر به مزية الثمرات الحموية * وقدرة السلطنة فى الادب وناهيك بالسلطنة الشيخيه * فاخترت من ابيات قصايده ومواصيل مقاطيعه مايحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يتاهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن يخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نومى المشرد * وآه من شملى المبدد
ياكامل الحسن ليس يطفى * نارى سوى ريقك المبرد

منها ووصل الى المخلص وهو فى غاية الحسن قوله

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر بكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصايم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد

لنا من ربة الخالين جاره * نواصل تارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحلى ساوى * ولكن ليس فى حلو مراره

ومنه

ومنه قوله وهو مطلع قصيد

حروف غرامي كلها حرف اغراء * على أن سقمي بعض افعال اسماء

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعالك يا اسما باحشائي * واحيرتي بين افعال واسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال في القلب والطرف

يلوح لعيني ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقي على ذلك الحرف

هذه النكتة اخذها ابن الوردي بقافيتها وغالب الفاظها ومعناها فقال

يابدر تم نوره باهـــر * منزله في القلب والطرف

صدغك حرف النون في مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمري انها سرقة فاحشة ومنه قوله

اقام لخده النارى عذارا * ومذ أقصى عذاري وهو ثلجي

حمى مرح العذار بمقلتيه * فامسى الناس في هرج ومرج

ومنه قوله في التورية مع بديع الاقتباس

يانظرة ماجلت لي حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتني على وجل

عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلعا لقصيدة فقال

انسان عيني بتجميل السهاد ملي * عمري لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ماشاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزمجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب

قدسدت يارب الجمال الذى * الف بين النون والعقرب

وقال وتطلف ماشاء واظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب

بوجنة ما اتم ربحي * وقد غدا وردها نصيبي

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره وقول الشيخ جمال الدين ابن نباتة

قد بتك غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن في الدنيا بكل غريب

تفتح في وجناته الورد احمرا * فيا ليت ذاك الورد كان نصيبي

ومنه قوله

لاتنس وجدي بك ياسادنا * بحبه انسيت احبابي

مالي على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله

مرضت ولى جيرة كلهم * عن الرشد فى صحبتى حايد
فاصبحت فى النقص مثل الذى * ولا صلة لى ولا عايد

ومن هنا اخذ الشيخ عز الدين الموصلى وقال

اهل دمشق قد مرضت عندهم * وما قصدت نحوهم بمسئلة
مع علمهم بانى انا الذى * ولا اتانى عايد ولا صله

ومنه قوله

قالوا أما فى جلق نزهة * تسيل من انت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرا من منتزهات دمشق المشهورة ومن هنا اخذ الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا وقال

سالتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطه الخضرا
قفا واقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

ومقرا ايضا من منتزهات دمشق وحسن بعد هاذكر سطرا ومنه قوله واجاد

سبحان مورثه من حسن يوسفما * لم يبق فى الحجر لى والصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم فى دبيب النمل من قصص

ومنه قوله

ولقد عجبت لعاذلى فى حبه * لما دجا ليل العذار المظلم
اوما درى من سنتى وطريقتى * انى اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه اخذه وزنا وقافية وقال

اهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبنى الهوى بمنعم
ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله

اكملت ستا واربعين بها * اخلت همومى من راحتى ربعى
وجزت فى السبع خايفا وجلا * لانى جائز على سبع

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن نداماى راح * خطيت من سماعهم بلحون
لم تكد فى الكووس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم فى العيون

ومن لطائف مجونه قوله

سالته من ريقه شربة * اطفى بها من كبدى حره
فقال لى اخشى ياشديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا اخذ المتأخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة

كملت لطفا ووقارا على * ما حزت من أوصافى الحلوه
من اجل هذا صرت اهلا لان * اجالس السلطان فى الخلوه

ومن اجاد رقيق التورية من غلط العقادة الامير مجير الدين ابن تميم فمن ذلك قوله

لما لبثت لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
اجريت واقف ادمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

ومن لطايف نكته قوله فى كتاب

ياحسنها نسخة يلهو مطالعها * بها لما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتنا جميعا وبات لثمى * له حمى ثغره مباح
غنات منى الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله فى سجادة

اياحسنها سجادة سندسية * يرى للتقى والزهد فيها لوسم
اذا مار آها الناسكون ذووا لحجى * امامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباته وقال

ان سجادتى الحقيرة قدرا * لم يفتها فى بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردى ايضا فقال

سجادة اذكرتنى * منك الذى كنت اعلم
اهديتها لمحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف اغزاله

ياحسن اهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يامرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله فى مليح جرح جبينه

بكوا لجراحة شقت جبين الحبيب فقال ماضر الجراح
اليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطايفه قوله

وعيرنى بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسى المشيب بهجركم * ومهما اتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة ايضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا ومن لطايف نكته ايضا قوله

ونهر خالف الاهواء حتى * غدا طوعا لها فى كل امر
اذا سرقت حلى الازهار الفت * اليه بها فيأخذها ويجرى

Digitized by Google

ومثله قوله

سرق النسيم حلى الغصون بسحرة * لما اتاها وهى فى اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها * فى صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدايع نكته

وليلة بت اسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطايف نكته فى اغزاله قوله

خليلى قد صاد الفواد بحسنه * غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * الم تعلما ان العيون جوارح

ومن لطايف نكته فى اغزاله ايضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فاضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ما قد رأيتم * فان صح ذا الخط فهو مزور

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاده نكتة اخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * واتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اشتد فى قتلى * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

اياذا الذى قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذا الذى سائغ
اتخشى سهام الفقر ما دمت منفقا * نصيبك والنعمى عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يحب الروض اصبح مغرما * يروح ويغدو دائما بوصالها
اذا بعدت عنه شكى بخريره * جفاها واما سى قانعا بخيالها

ومن لطايف مجونه

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه ولطف * يقود بلا زمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة فى باب التورية قوله

لما جستك بالمديح ولم اكن * ادرى بانك خامل فى الناس
نا ديت لما ان جستك بالهجا * اكليب خذها من يدى جساس

ومنه قوله

هذا لحظ المنثور طوف الترجس المزور قال وقوله لا بد فتح
فتح عيونك فى سواى فانى * عندى قبالة كل عين اصبع

ومن لطايفه فى هذا الباب قوله

أياحسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولا بها كادت تعد ضلوعه * لكثرة ما يبكى لها ويثور

النكتة فى يدور وفى ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبى بقوله

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع نشرها * دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدى ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع بخده * وانا عليه دايرِ

وبعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

ايدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وانا ادور عليه

وزاد الشيخ جمال الدين بن نباته الدور نكتة اخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * واضلعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبى لانى فقدته * وما دموعى فهى تجرى على جسمى

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم ايضا بقوله

قامت لنا بالعذر ناعورة * ادمعها فى غاية السكب
تقول لما ضاع قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمى كله اعينا * يدور فى الماء على قلبى

ومثله قوله

ناعورة مذ ضاع منها قلبها * ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلاجل ذا * جعلت تدير عيونها فى الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردى بالدور فقال

ناعورة مذ عورة * ولهانة وحائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دايره

وعلى ذكر نورية الدور يعجبنى قول المقر المرحومى الفخرى ابن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكى يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور فى ساقية الهمائل

دورة البدر فى سواقى الهمايل * تركت ادمع العيون هوامل
آه من الرياض نور اديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجو * دو أغنى عن الولى الهماطل
زاد علما على ابى نور لكن * قال بالدور تارة والسلاسل

انتهى ولم يخرج عن نورية الدور

ياسعيدا اثرى من النظم والنثـــر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض ياشيخ بالدو * رفها غصنها من السكر مايل

ومن نظمى فى توريـة الدولاب ايضا قولى من قصيد

ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش البيت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه السبط

وعلى ذكر توريـة الدولاب تسلسلها هنا نكتة لطيفة وهى انه اتفق ان الشيخ نجم الدين الفجيرى سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا ايها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
ابن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الدولاب لانه اراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت فى الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التوريـة وهذا الكلام فى غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كنا فيه من لطايف ابن تميم فمن ذلك قوله

لم لا اميل الى الرياض وحسنها * واعيش منها تحت ظل ضافى
والزهر يلقانى بثغر باسم * والماء يلقانى بقلب صافى

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى ونسبا ايضا لمحيى الدين بن قرناص فى مواضع كثيرة والله اعلم ومن نكته اللطيفة فى التوريـة قوله

روحى الفداء لمن ادار بلحظه * صهباء فى عقلى لها تأثير
فاعجب له انى يصون بلحظه * مشمولة وانا وهاما مكسور

ومنه قوله

انى لاشهد للحمى بفضيلة * من اجلها اصبحت من عشاقه
مازاره ايام نرجسه فتى * الا وأجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

الا رب يوم قد تقضى ببركة * اقمت بها فيما جرى متفكرا
بعينى رايت الماء فيها وقد هوى * على راسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

ياحسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من ابصرا
مازلت انذره عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتوريـة تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

ومن لطايف نكته قوله

قالوا رأيناك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء
فقلت انى فتى قنوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله

حاذر اصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما القاه فى بحر الغضا * الا الدعا باصابع المنثور

ومن لطايف نكته وقد تقدم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذا يدور

وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدنى ابو الخير الازدى لبحير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من المسلمينا
قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقايق فكرتى فى كنهه
ادى الشهادة لى بأنى فارس ال * هيجاء حين جرحته فى وجهه

ومن لطايف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جيته * يبادرنى باللحظ والصفع
اروم ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد احكمت علم النجو * م واتقنت سحر البيان
فاذا حساها الشاربو * ن وأوقعتهم فى الامان
بدأت باخراج الضمير وبعده عقد اللسان

ومن لطايف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم ارفى البرية شبهها
وغدت تمانعنى فقمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

ساهجو أناسا يبتغون تقيصتى * وقد رضوا فى بحر جهلهم رسخا
واسلخهم لا فى اوان مغيبهم * ولكن اريهم فى وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله

بعث النسيم رسالة بقدومه * للروض فهو بقربه فرحان
ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه * مضمونها مالت له الاغصان

ومن لطايفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم احسن منه

أراق دمى بسيف اللحظ ظلما * وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبى لثارى * لدار عذاره فزر داعليه

وقال فى غلام وقاد

لا مواعلى الوقاد فى حبه * وحبه باللوم يزداد
لو لم يكن فى حسنه كوكبا * ما كان امسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله فى اجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال فى وقاد ايضا

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا يعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بنده الازرق لما * شده من قد سبانى
جدول فوق كثيب * دار يسقى غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله فى وكيل بدار القاضى بدمشق المحروسة

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذى وجهه * على نجاح الامر اقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ما ساءه * وافرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطايفه قوله يصف روضة

ارض كساها القطر خلة سندس * رقمت لها طرز من الغدران
وفدا النسيم اضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين ابن النحاس وكيل بيت المال بدمشق المحروسه وهى من نكته المخترعة

كمال الدين يا مولاى يا من * يغير البحر فى بذل النوال
اتيت لحاجة فاغنم ثناءى * عليك بها وشكرى وابتهالى
ولا تجعل سوالك لها فانى * عليك بنجحها وقع اتكالى
ايجمل ان يقول الناس انى * اتيت لحاجة لم تقضها لى
واصبح بينهم مثلا لانى * اتانى النقص من جهة لكمال

ومن لطايفه نكته قوله

لم انس قول الورق وهى حبيسة * والعيش منها قد اقام مقصا
قد كنت ألبس من غصونى اخضرا * فلبست منها بعد ذاك مقصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحميا غير مفتكر * فيها وفى شربها اللذات والطرب

فارجع

فارجع فقد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فانشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم

فاليوم اعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى الم به شرف الدين النصيبي واستعمله ارق واسجم بقوله

ولوك اذ علموا بجهلك منصبا * علموا بانك عن قليل تبرخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعدما * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه في كثرة تجريده له

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردني دون الرفاق تعمدا

رآني حساما ماضيا فاقامني * مدى الدهر في وجه الاعادي مجردا

ومنه قوله

مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير

بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

واحسن منه قوله

ومذ قلت للمنثور اني مفضل * على حسنك الورد المنزه في الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأومى الى وجهي

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * في روضة للزهر فيها معرك

ما بين منثور وناضر نرجس * مع الاقحوان وصفه لا يدرك

هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الي وثغر هذا يضحك

ومثله قوله

كيف السبيل لان اقبل خده من * اهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومي نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله

روض الحمى يهوى لقاك وانه * من فرط شوق لا يزال قريبه

لم يهد نرجسه اليك وانما * لغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطايفه في أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خده نخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه

ان لاح في خده نبت فلا عجب * الله انبته والعين ترعاه

ولورية النبت والرعي تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته في هذا

الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتي * لم تعتلقها للمطيّ عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها الفاو تحتي نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلي لحذ طير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
وما يومي كامس وذا الثاني * اكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكلّ مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت * في حرة الخد بسطه
فقلت تشوى اوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اخترعاته التي لعب الناس بها بعده

قد هجرت الراح حتى * ليس لي فيها نصيب
وعلى الراووق مني * طول ما عشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثي الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر * عليكم ولا جفني يجف له غرب
وافلاك ذاتي تعطل سيرها * وهل فلك يسري اذا عدم القطب

ومن غريب نكته في اغزاله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * ابدى الجمال به عذارا اشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله في الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم تقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * من ارضكم فلها علي جميل
خاضت دموع العاشقين وعرجت * عنهم الي وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقف عليه لغيره والله اعلم من السابق ولعمري ان الآخر اجاد بقوله

وصباصبت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفواد البالي
خاضت مياه النيرين عشية * واتتك وهي بليلة الاذيال

ومن لطايفه قوله

لولم اعانق من احب بروضة * اخذاق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيرا وقال في اهداء مهرة حمراء وهي من مخترعاته

اهديت لي يا مالكي مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
موخرها والعنق قد اوقعا * قلب الاعادي في العريض الطويل

قد لبست من شفق حلة * تخبرنا ان اباها اصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيبي وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار
وما كان هذا الوعد انها غيرانها * علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا اخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم من اجالها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعه قوله

لما رأت عيني مناطقك التي * اخجلت بشعرك دايما تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة * وتحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر ضاع نحافة * فلذا تدور رجوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

وشاح من احببته قال لى * وهو الذى فى قوله قد صدق
قد ضاع منى الخصر لما انثنى * اما ترانى دايرا فى قلق

وقال فى شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

تو عدت يا عثمان بالهجو شاعرا * سيولبك هجواعاره ليس ينجلى
فخذها قصيد اقداتت من مجمد * بكلكود صخر حطه السيل من عل

ومن ابدع فى اتق التورية ونظم عقودا لآلئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى فمن لآلئ عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده * فاضرهم الوانهم خبروه
هل ذا لغير نبات خد قد حلا * لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر يا ندمى * ومل الى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام * والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها * وتمشت نسمة الصبح اليها
طالعت اوراقها شمس الضحى * بعد ان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقف على هذين البيتين نكتة التوقيع هنا اليق بابن عبد الظاهر لكن طلع واطلع عليه البدر * وحفظ سره لما اضاءه ذلك الصدر * ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال من قصيد

وكان ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
فاذا تكسر ماؤه ابصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبني قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالوادين فنبهت اشواقي
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاقي
قامت تطارحني الغرام جهالة * من دون صحبي بالحمى ورفاقي
اني تباريح جوى وصبابة * وكآبة واسى وفيض مآقي
وانا الذي املى الجوى من خاطري * وهي التي تملى من الاوراق

ومنه قوله

هلم باصاح الى روضة * يجلو بها العاني صداهمه
نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

ومنه قوله

ادر كؤوس الراح في روضة * قد نمقت ازهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال في نواعير حماة من طرديته

ذات النواعير سقاة الترب * وأمهات عصفه والأبه
تعلمت نوح الحمام الهتف * ايام كانت ذات فرع اهيف
فكلها من الحنين قلب * وكيف لا والماء فيها صبه

وقال ابن نباتة في مطلع قصيد

دمعي عليك مجانس قلبي * فارث على الحالين للصبه

ونكتة الصب تطفل عليها ايضا الشيخ صلاح الدين الصفدي ولكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب مني الى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى * فانكر دمعي ان جرى وانا صب

ويعجبني قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها في الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه استسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحر ورتمام
ونسمة الريح على ضعفها * لها بنا مر والمام
فعاطني الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام
واكتم أحاديث الهوى بيننا * فني خلال الروض نمام

ومن هنا اخذ الجميع حتى الشيخ صفي الدين الحلي مع لين التورية غير مذهبه فقال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام
اياربّ حتى في الحدايق اعين * علي وحتى في الرياحين نمام

ولكن ما اخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة ليلا يخرج عن مذهبه فقال

واهيف ينهب ارواحنا * ووجهه كالروض بسام
تمم خذاه بقتل الورى * فخده ورد وتمام

واخذها ابن الوردي ايضا ولكن زادها نكتة اخرى بقوله

ان قال صف لي عذاري وصف مبتكر * ووجنتي قلت خذ يا صنعة الباري
هذا عذارك تمام ومسكنه * نار بخديك والتمام في النار

ومنه قوله

الروض احسن ما رايت اذا تكاثرت الهموم
تحنوا علي غصونه * ويرق لي فيه النسيم

ومنه قوله

البرد قد ولى فمالك راقدا * يا ايها المتزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلي * لما بدا في خده الاحمر
فشاقني ذاك العذار الذي * نباته احلى من السكر

ومثله في اللطف قوله

شوقي اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاي وقصرت اقلامي
واعتلت النسمات فيما بيننا * مما احملها اليك سلامي

ومنه قوله

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى احوى المراشف اشنبا
وقالوا بداحب الشباب بوجهه * فما حسنه وجها الى محبيا

وقد تقدم القول ان ابا تمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله

وذي قوام اهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

وبمهجتي المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا اخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قلت مذ غنى حجازا * ليتنا في اصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفتر عن * برد وسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه * كم حوله عين تحوم كصاد

وهذا المعنى أيضا تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين امالى اذا استجمعت * انى الى مورد لقيالك صاد

ويعجبنى قوله من قصيدة ورّى فى بيتها الاول باسمه فقال

قد انحلتنى الغوادى غير راحمة * ومحقتنى الليالى بعد ابدار

فكم اوارى غراما من جوى وأسى * زناده تحت اثناء الحشا وارى

جيرانا كنتم بالرقتين فذ * بعدتم صار دمعى بعدكم جارى

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحى جيرة ابقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى

كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة فى الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من التورية فقال

سارت لتقتص من قوم فغار بحت * فى حث كاس على الاوتار دوار

فالقوم من بعض قتلاها وما ظلمت * وانما أخذت منهم بأوتار

من هنا أخذ القاضى امين الدين الحمصى كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يصمى كأن له * مطالبات على قلبى بأوتار

ويطربنى قوله من قصيد

فلما تفرقنا كانى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فاتبعته قلبا مطيعا على الغضا * وخليت لى جفنا على السفح اطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا

وافاك سائل دمعه * فرددته فى الحال نهرا

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلى فيه قل لى * اذا بدا كيف اسلو

يمر بى كل وقت * وكل ما مر يحلو

ومن لطايف اتفاقه ونكته الغريبة قوله فى نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك ام فى الجوانح

كيف يرجى خلاصه * وهو فى كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العانى ترى * من جارح يغدو به ويروح

ولقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله فى الخمرة

ابدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان حرّر من ميم ومن هاء

قديمة ذاتها فى روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستهدت دوحها المخضل واقترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده فى لفظة العرش اشتراك التورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم معروفة ومنه قوله فى مليح نجار

بروحى نجار حكى الغصن قده * رشيق التثنى احور الطرف وسنان

يميل على الاعواد قطعا بما جنت * وما سرقت من قده وهى اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس وقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع فى اغصان خلاف

فقال لى عندها ثار تحدثه * لانها سرقت من لين اعطافى

وممن أحيى ما درس من رسوم التورية القاضى محيى الدين بن قرناص الحموى تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقيا له روضا قد ود غصونه * تختال فى الابراد من اوراقها

جنت به ورق الحمام صبابة * أو ما ترى الاغلال فى اعناقها

ومن لطايف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار

حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كمه صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدى الغصون ثمارا * اخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وتلطف ما شاء فى جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار فى وصفه العيون

لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

اياحسنها روضة قد غدا * جنونى فنونا بافنانها

اتى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله

تثنى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه

فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة ويمسله اليه

ومنه قوله وتلطف ما شاء

ويوم قد قطعناه بروض * يضاحك زهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا * صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

انعم فان الدوح يا مالكي * جل من اجلك مالا يطيق
يرقبك الطير على وكره * واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزنا وقافية فقال

والترجس الغض غدا شاخصا * فلا يخلي عينه للطريق

ومنه قوله ولطف ما شاء

لو كنت لذنا دمت من احبته * في روضة اطيارها تترنم
لرأيت نرجسها يغض جفونه * عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنه قوله في معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * واشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة نارنج فقال ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت في منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كان موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

ومنه قوله

وروض قد اتت فيه معان * يطيب به الندامى والمدام
يسامره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف انهارها * وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم اغصانها ان رقصت * فهي ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه في اغزاله قوله

هويت في مكتب غلاما * قلبي بهجرانه جريح
اهيف اضحى قبيح خط * وانما شكله مليح

ومنه قوله في مليح مؤذن

ومؤذن اضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى شحيح
ابدا اموت بهجره لكنني * من بعد ذا عيش بالتسبيح

ومنه قوله

قبلت خط عذاره لما بدا * وعصرت لين قوامه المياس
وطلبت لي من خده المحمر ما * يشفي قواي فجاء في بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحوي قلب هذا القاسي * كم اذكره وهو لعهدي ناسي
اشكو سقمي لعارضيه وكذا * يشكو دنف سقامه للآسي (س)

وتطفل عليها بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدى فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف فى صحة القياس
وطب آس العذار جرحى * فصح أن الطبيب آسى

وابتذل المتاخرون بعدهم جابها وظلمتها انا ولكن زدتها نكتة اخرى من جنسها فترشحت وازدادت حسنا وهى قولى

مذ جفانى ممرض القلب ولم * الق للضعف وللكسر انجبارا
قلت للعارض يا آسى اذا * درت دارى مرض القلب فدارى

ومن لطائفه فى اغزاله قوله

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره
انزلتهم فى مقلتى * فاذاهم بالساهره

وهذه النكتة ايضا ابتذل المتأخرون جابها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البند قالت * معاطفه جنانا لا يحل
وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور ونزل

وسبك ايضا دورية الدور فى قالب آخر وجاء فى غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فعالها * كما زعموا مثل الارامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس واجاد

ادور لتقبيل الثنايا ولم أزل * اجود بنفسى للندامى وانفاسى
واكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن اجل هذا القبونى بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين ابن ابى حجلة وقال مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسى العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس (ى)

ويعجبنى قوله وقد اهدى مجموعا

يا ايها الصدر الذى وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبى يحبك وحده * ها قد بعثت لسيدى مجموعى

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التى لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا * ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بفصها فقال من قصيد

يا غصنا فى الرياض مالا * حلتنى فى هواك مالا
يا رايحا بعد ما سبانى * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه فى مليح رسام قوله

قلت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم * قال متى اذيبه * فقلت حين ترسم

ومن لطائفه واختراعاته قوله

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت بأجمعها لتغـ ـزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبي * وما الذى فيه ما كان

ومن لطائفه ايضا قوله

انى لاشكو فى الهوى * ماراح يفعل خده
ما كان يدرى ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى فقال ولكن زاده نكتة

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله

قد تعشقت خلا * فيا ولى فيه معانى
كلما جادلنى العا * ذل فيه ولحانى
جئته من عارضيه * بدليل الدور ان

ومن اختراعاته اللطيفة قوله فى مليح خيالى

خيالى اخاف الهجر منه * ولست أراه يرغب فى وصالى
وكنت عهدتنى قدما شجاعا * فمالى صرت أفزع من خيالى

وقال فى زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل فى حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله

تمشى بمعصم الجامع الشادن الذى * على قده اغصان بان النقى تثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذى الحلاوة فى المعصم

وقال

ياذا الذى نام عن غرامى * ونبه الوجد والجوى لى
جفنى خراجيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبثم على المحبوب حمرة شعره * وا ظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب مضمخ

وقال فى مليح زجاج

قولوا

قولوا لزجاجكم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذا خبرة * وكان معروفك لا ينكر
فالاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها تكسر

وقال ايضا

كف الفؤاد بظبية عجانة * ما كنت يوما آمنا من هجرها
عجنت فؤادى بالغرام فخاؤها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن ما برح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش وأجاد

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جسده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره رد الى عين
وذا لمن اطف بعشاقه * ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعه بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح بدوى

بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح بالهلال * ولحاظ تقول بالسنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الغرام يحقق
هى مثل ما قد قيل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبو اليه * بجامع حلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباته ورايتهما فى ديوانه والبيت الاول بفصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا مليحا * تكاد بان تعانقه العروس

وقال فى مليح منير

منير وجدى به * أكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا ينير

وقال ايضا يصف بساطا

بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما يرضى الصدورا

وقال دوبيت

العب بحبكم عراه الوله * فى طوع هواكم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكمله * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضا

افدى عربا حلوا بوادى الجزع * ياوحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بحثوا عندى فى فرقتنا * انشأت لهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله

يقول وقد رنا عن لحظ ظبى * وهز القصن فى ورق الغلائل
اقتلكم بطرفى ام بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين ابى حيان وسماه مجانى الهصر من ادب اهل العصر انشدنى الشيخ أثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالبكى اصبح لكن * شغلوه بالقدور (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدنى الشيخ أثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خليلا لى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نارا لخليل
يارد فعبرت على خصره * وقلت به ملانت الانقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد اجتنب بعض أصحابه عنه

ولقد اتيت الى جنابك قاصدا * باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احيى بها * فرددت ياعينى هنالك بحاجب

هذه النكتة أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لا اعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا * الفيتكم مغلقين بابا
سعى الى بابكم جنون * عليما استأهل الحجابا

ومن لطائفه فى اغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين قواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتعالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفى الدين الحلى وليته لا قال

وما

ومافيه شئ ناقص غير خصره * ومافيه شئ بارد غير ريقه

ومنه قوله

أيسعدني ياطلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل

ولو أن قساوا صف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

الذي يظهر لي أن النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف فاني لم أجد أحدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ماسبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيي فصيح الوقت نبت عذاره * وعيرقسا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي ماصبر عنها حتى قال

وبي أغيد من حسنه البدر خائف * على نفسه والنجم في الغرب مائل

فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل

ومن لطائفه قوله

ياخاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى

كف عن العاشقين مقتصرا * هل أنت الاحويرس الخضرا

ومن نكته اللطيفة قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجا عن القمر

وبت من صدغه وبسمته * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بعناها وقال

ومليح قال جهرا * يانفوس الناس عيشي

من رضابي وعذاري * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

وأتى بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء

وبعقلة خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح

فقلت بعيب كيف لم يذهب الدجا * وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة السكلا * والوجنة والكاس

ساق يربي قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (كه)

ومن لطائفه أيضا قوله

ياباعثا شعره انتشارا * بقامة مالها نظير

الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

مالك قد أحل قتلى برمح الشقد منه وراح قلبى طعينه
ليس يفتى سواه فى قتل صب * كيف يفتى ومالك بالمدينة

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلى ثغرا وأطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله

يأبى شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين فى الاشراق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

البيت الثانى بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل حجاب هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

قد جارا عتدالا * فله قتل ونسلن
سلب الاغصان لينا * فهى بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى
كوى القلب منى بلام العذا * رفعرفنى انها لام كى

ومن لطائفه قوله

كأننى واللواحى فى محبته * فى يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف يطلب صلحا أو موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التى تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبى أفدى حبيبا * تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال

لو لم تكن ابنة العنقود فى فمه * ما كان فى خده القانى أبو لهب
ثبت يدا عاذلى فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

أخذه ابن نباتة وقال

حمالة الحلى والديباج قامته * ثبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف أغلى من ديباج ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية والله أعلم وهذه النكتة أيضا أغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكى حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * ثبت وقد أصبحت حمالة الحطب

وممن أحسن المباشرة فى نظم التورية سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

مسكيه الانفاس تملى الصبا * عنها حد يثا قط لم يمل

جننت لما أن سرى عرفها * ومانرى من جن بالمندل

ومن لطائفه قوله

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * على النداما سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبي وذكرت من أغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن أورد فى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
أصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم أقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * اهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله

فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله

أذن القمرى فيها * عند تهويم النجوم
فاثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله

لين صرفت وحاشا * لفؤادنا ان تصرف
وما اعتقلت كريما * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله

الحمد لله فى حلى ومر تحلى * على الذى نلت من علمى ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

توريه الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين ابن نباته فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ماتخيرته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت

العصائب الفاضلية * وصار لها من بعده في نظم التورية أعظم رتبة * وقدمت امامهم الذى صلت الجماعة خلفه وهو القاضى الفاضل وبعده القاضى السعيد بن ستا الملك والشيخ سراج الدين الوراق وأبو الحسين الجزار ونصير الدين الحماحى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التى تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدى كيف أخل فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى وهو أشهر من قفانبك فى نظم التورية بل هو أمر وقيسها وكنديها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها * وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبى الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحماحى لسنة اثنتى عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم ابن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد محيى الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصارى سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبى سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان علاء الدين الوداعى عاصر الجماعة أو عاصرهم وقد تقدم قولى فى باب التوجيه ان الشيخ علاء الدين الوداعى سبك التورية فى قوالب لم يسبقه أحد من هذه الجماعة اليها * ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذى مشت ملوك الادب قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعى ومعانيه * وعلى الانواع الغريبة من تواريه * واوردت هنا له من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها حق من حقوق التورية وصل فى تقدمه الى غير مستحقه بحيث ان الطالب اذا أراد أن يفرد هذا النوع أعنى التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما أوردته من أنواع التورية فى غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه واشبابه * وقد عن لى انى اذا فرغت من هذا الشرح ان افرد بابا للتورية والاستخدام واجعلهما صنفا مفردا واسميه كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه لم

يشفه

يشف القلوب بترتيبه * ولا تفقه في بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعي التي تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

انثنت عينها الجراح ولا اشتم عليها لانها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعي وهو في عنفوان شبابه * ولمعان سيوف اداب * وقد تقدم مولد الوداعي ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفي سنة ثمان وستين وسبعمائة فمدة حياته اثنتان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند وفاة الوداعي ثلاثين سنة والله أعلم ومما نعطف به على ما تقدم قول الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كحلة ياعاذلي
فاعلم يقينا انني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزناوقافية وقال

أفدي الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل
تملي بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السعيد مع السعيد
تجمعنا كانا ضرب خيط * علي في علي في علي

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزناوقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيالله من حسن جلي
كأنكم الثلاثة ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لو ذقت برد رضاب من مقبله * ياحار ما مات اعضاءي التي ثملت

مع ان الشيخ جمال الدين قد عرض الفاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعي

قبل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا

قلت ما يقطع الاله بحر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لى خلى تزوج تستريح * من اذى الفقر وتستغنى يقينا

قلت دع نصحك واعلم انى * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محصنين أصدق من يقين ابن نباتة فى مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعى مضمنا

ياعاذلى فى النكاريش اطرح عذلى * واعذر فعذرى فيهم واضح حسن

فالمرد ان حاولوا حربى بهجرهم * اذا القام بنصرى معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذنتنى عذالى بحربهم * اذ فى النكاريش قد أصبحت هيمانا

اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

عذب مقبله وحلو لحظه * أو ماتراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل ينعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة أطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت به ساجى اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مبخل يشبه ريم الفلا * باطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مليح أعمى

بروحى غزال راح فى الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد

اذا ما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

افديه اعمى مغمدا لحظه * ليرتمى فى خده الوردى

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين بن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث توريه بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى الملون بعد فرقة حبه

لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف مليحا من المغل

وما يبرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل اشكو نحوه الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يا ند يمى والذى عاهدنى * انه عن شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تخل عندها سمعا لشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن مقلتى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يا ربوة اطربتنى * وحسنت لى هتكى

اذ لست ابرح فيها * ما بين دف وجنك

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

يا جنك من مغنى دمشق حمايم * فى دف اشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها الشجى بكأسه * غنت عليه بجنكها وبدفها

Digitized by Google

وتطفل أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى على الوداعى فى جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات مايكفى
فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعى أيضا الشيخ زين الدين بن الوردى وتزاحم هو والصفدى على العود

دمشق قل ماشئت فى وصفها * واحك عن الربوة ماتحكى
فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

فى حشاه للشوق نار تلظى * وبفيه حفظا لسرك ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسنا

فيا عجبا منى لانسان مقلتى * يحدث اخبارى وفى فمه ماء

ومن لطائف الوداعى ونكته فى العود الذى أخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى واستعملاه بلا اوتار قوله

والروض يهدى مع نسيم الصبا * نشر خزامأه وريحانه
وراسل القمرى ورقاءه * شدوا على اوتار عيدانه

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله مشيرا الى رأس العين ببعلبك

ياحادى الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه
فاقرأ تحياتى على نازل * فى محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

ياجيرة بالغور قد نزلوا * الله من جيرة ونزال
ماعطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه واكشفوا عن الحال (ى)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبرى حتى استحالا
فآه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعى وأجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فضحاها وشوقا
مارأينا مقصرا طفا * قبل هذا مطوقا

ومثله فى نوريه المطوق

ياجنة كوثرها * رضابه المرقرق
وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

قد يت من مبسمه * زهر لغصن قده

وصدغه

وصدغه مطوق * فى روضة من خده

النكتة فى المطوق من اختراعات الوداعى وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى فى تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله

طوق جود الوزير جيدى * فلست عن مدحه اعوق
أسجع بالمدح فى علاه * لاغرو أن يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

لى من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع فى صحيفة خدى * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعى كثيرا وسبكه فى قوالب كثيرة واظنه أخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذى ماأراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان تخط الدموع فى الخد خطا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

قلبى مطيع فى هواه وأتى لى * من بين دوح الحسن غصن خلاف

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى مطلع قصيد

قاسى الجوانح لين الاعطاف * اهواه فى الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

كيف اقوى لحمل سخط وبعد * بعد ما كان من رضى وتدانى
فتكرم بعطفة والتفات * مثل ما فى الاغصان والغزلان

أخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ونكته الغريبة قوله

قال لى العاذل المفند فيها * يوم واقت فسلت مختاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

ياغزالا أهدى السلام الى المغـ * ـرم لاتنكرن حالا لديه
كيف لايدعى النبوة فى العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

وأخذه الشيخ صفى الدين الحلى فقال فى ثلاثة ابيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبى واسترابت * قلوب صدهم عنه ضلال
ورد هم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
فقد سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

قوله الى صحفه على

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى أيضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق اسمه عمر وقد هام بملبح فى احدى اذنيه لؤلؤة

Digitized by Google

كم قلت لما مر بى * مقرطق يحكى القمر
هذا ابو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا فى مليح اسمه سعد

اذا ما كان قتلى يا حياتى * مرادك من يردك أو يصدك
ففوق سهم طرفك نحو قلبى * فداك أبى وامى وارم سعد

ومن لطائفه أيضا فى مليح بدوى

أقبل من حيه وحيا * فاشرقت سائر النواحى
فقلت ياوجه من بنى من * فقال لى من بنى صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعى * بيضا وراحت كالدم القانى
لا تعجبوا طرفى رب الهوى * فكل يوم هو فى شان

ومن نكته البديعة الغريبة أيضا قوله

وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبى كاثريا فى اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى أن حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة أيضا قوله من دوبيت

ياغصن نقا أينع بالازهار * ياألطف من نسمة الاسحار
ريحان عذارك الذى تيمنى * من ورده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دوبيت أيضا

لما حجب الكرى عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقى * ياغصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين

أرى من الواجب أن يصرف الـ * ـعطار بالصد وبالزجر
فأى تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة أيضا من مديح قصيدة

ياطالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لا ثما عتبات ساحته * تظفر اذا بمكرم الحجر

وهذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعى

ومن لطائفه قوله

ياعز والله العزيز الذى * قضى على نفسى باذلالها
ماخطرت من نحوكم نسمة * الا تعرضت لتسآلها
ولا سرت منا الى أرضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

لنا شاعر قد هذب الطبع شعره * وأصبح عاصيه على فيه طبعا

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * يحق لشعر قاله أن يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقى فيه خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذاره * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدم بها قوله

كلما رمت فيك انكار حبى * من عذول يزيد فى تعنيفى
عرفته لام العذار غرامى * بك واللام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعيذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بجم

وما أحلى ما قال بعده ولم يخرج عن مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى وأغن للقسم
قالت خلا خله أيمكنى * نطق وماء الساق مل فمى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكأن ريق النحل ريقتها * فيها الشفاء لمهجة نحلت

ومن لطائفه قوله

ويوم لنا بالنيرين رقيقة * حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله

وذى دلال اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رق بمصر وبسكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وارولنا ياسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات ليلا
خلعت علينا سكرة * بدوية كا وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى
وما فى ذا من بدع * سهام الليل لا تخطى

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

وأغيد كل شئ فيه يعجبنى * كأنما هو مخلوف على شرطى

اجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لا تخطى

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله من قصيد

أهل نجد هل تنجدون محبا * صاد بالغوير ظبى ملول

كم دماء مطلولة فى هواه * وبها روض خده مطاول

وحديث عن السقام صحيح * قد رواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشا لك ان تختار لى رحبة * لست اليها الدهر بالسالك

لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التى ما حام فكر غيره عليها قوله

وفى أسانيد الاراك الحافظ * للعهد يروى صبره عن علقمه

وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية فى علقمة وفى عكرمة أيضا فانه اسم للعمامة ومثله فى الغرابة أيضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقاء لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقاء وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

أتيت الى البلقاء ابغى لقاءكم * فلم أركم فازداد شوقى وأشجانى

فقالت لى الاقوام من أنت قاصد * لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى ومن غرائب نكته البديعة فى باب التورية وأيدت سمو رتبته بطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدايعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما أغار الشيخ جمال الدين على الوداعى ودخل الى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدى فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بقا من ابيانه العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولم يغير فيه غير الحرور بما عام به فى بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا الفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه خبز الشعير يعنى انه مأكول مذموم واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت أنا فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال) وكنت أوردت من خبز الشعير نبذة فى أوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا بايراده هنا كاملا لانه حق من حقوقها فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك

قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراك (ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عند ما رمى * الكرا كى غزال للبدور يحاكى

فقلت

فقلت ارجعي ياعين عن ورد حسنه * الم تنظريه كيف صادكرالك (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

اسعد بها يا قمري برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبي فتركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

وبهجتي رشا يميس قوامه * فكأنما نمنمشوان من شفتيه
شغف العذار بخده وراءه قد * نعست لواحظه قدب عليه

أخذه الشيخ الصلاح الصفدي وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياغادر ابى ولم اغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت أشكو حين وفر في الضنى * قسمي وأسلمني الى البلوى وفر
حتى تأثر من شكايتي لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

وأحسن ماوقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة أنه قال

بروحي عاطر الانفاس المى * ملئ الحسن حالي الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

بروحي خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي الغوازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها * لما تبدى بالتي هي أحسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما بنصهما للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ولكن

رأيت العزالموصلى نسبهما فى تذكرته للصلاح الصفدى من جملة خبز الشعير والله أعلم
قال الشيخ جمال الدين قلت

فديتك أيها الرامى بقوس * وطرف فاض فى جسدى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جرحى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

قلت أظن ان الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين ونظم هذين البيتين ما كان
فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وليته تلفظ
بالانجذاب بل قال عقيق دمى جرى فأصاب خدى قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أضحت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من ماء وطين * وأى صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

أحاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا أجد الصبر المحاول يعذب
وألقى به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول الفكر لى دنست ثوب الشباب وفى غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * وما ينقى لان الطبع اغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

أسفت لشاشى الذى قد مضى * وفازبه سارق حاشه
ووالله مابى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذى لم يكن * شاشى على رأسى لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت أنا

اشكو الى الله ما اكابد من * دمامل مسنى بها الضرّ
فالليل عندى من حالها سنة * فما لليلى ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امور * تمر عيشى لما تمرّ
ودمل مع دوام ليل * مالهما ما حييت فجر

فتظم

وتظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى أيضا فى ابيات معناها الوعظ يحببنى الى الغاية وهى

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك رواية * فكأننى بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت أنا

بروحى فاتر الاجفان ساج * كان الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو قسان التثنى * فيا لله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

واهيف حاز قدا * قد حار فيه المعنى
تراه فى الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت أنا

بروحى جيرة أبقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى
كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

اسكنت شخصك طرفى * حتى أوارى أوارى
فحين جاورت دمعى * جعلت جارك جارى

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى أول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

سألت النقا والغصن يحكى لناظرى * روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول ردف حبيبى * وعطفه المتثنى
ما أنت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

لك يا أزرق اللواحظ مرأى * قرى اضحى على الخلق ينهى
يا لها من سوالف وخدود * ليس تحت الزرقاء أحسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

ألبسوه عمامة للنصارى * قد روى اللازورد فى الحسن عنها
وجلا طلعة كبدر تمام * ليس تحت الزرقاء أحسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت أنا

يا مجرى دمعى وموقف لوعتى * من جسمى المضنى على الاطلال
يا من اذا سألوه عن بدر الدجى * والمسك قال أخى الشقيق وخالى

Digitized by Google

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق
اذا عاين الروض المديج خده * يقول لنا هذا أخي وشقيق

قلت الشيخ صلاح الدين ماشم لمسك الخال رائحة والله أعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت أنا

هيهات بين ذوى الاسى لايستوى * دمعي ودمعك أيها المتواجد
لحديث دمعي عن تلهب اضلعي * ذاكي اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت حتى لان بعد قسوة * ورحت ابكي وهولي يساعد
وقال ها نحن سواء في البكا * لايا حبيبي ما بكانا واحد
لايستوى دمع حكى بحر الغضا * اذا بحرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباته قلت أنا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولود لكم ما أزهره
من قبل ما عملت لديه عقيقة * عملت له المدح الجوارى جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ايا أندى الورى كفا ووجها * وأقومهم الى العلياطريقه
لقد جاءتك جوهرة المعانى * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

عذول لست أسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
وان كان عذالى عموا عن جماله * فلى اذن عن كل ما نقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

جرى من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما أسد وارشق
كلما قلت يفتح الله بالوصل رمانى من سحر عينيه بغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

سهام طرفك اصمت * قلبي ولم تترفق
ما يفتح الجفن الا * ورهن قلبي بغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

تأملت في الحمام تحت مآزر * روادف بيض ماسناها بغائب
كأني من هذى وهاتيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

تبدى حبيبي فى السواد فراقنى * وماراعنى لما أتى بالعجائب
وشبهت ذاك الجيد فى طوق برده * بياض العطايا فى سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

لقد كنت فى لذات ثغرك هائما * ليالى لم يمنع على عاشق ثغر
فأما وستر دونها من شوارب * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الا فأسقنى من خمرة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قلت قد أوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدى من حدائق الروض النباتى ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبنى أحد الى تحمل راجعته الى النقل * وان وافق وتحقق الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقسماء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتى تجمها الاذواق * وها أنا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر * لذلك وما كابر * ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الاجازة * وأطال وقوفه على ذلك الباب العالى الى أن حصل له الفتوح وأجازه * وها أنا أذكر سؤال هذا السائل الذى وقف قبل العطاء أن يدفع بالتى هى أحسن * واشرح كرم المسؤل الذى نثر على سائله الدر جزافا علما بأن عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباته رحمهما الله تعالى الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة أهل الادب * قبلة ذوى التحصين فى التحصيل والدأب * الذى تبيث شوارد المعانى صرعى تحوله للطافة تخيله * وتمسى الالفاظ العذبة طوع محوله فى التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذى يضحك من العباس فى رقته * ويقيم صريع الغوانى الى مقته بعد مقته * والغزل الذى يشيب له فؤاد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخا لصيد النجوم * ولو تعاطاه حميد جريح لقيل له ألم تسمع آلم غلبت الروم * والمديح الذى لو بلغ زهيرا لقال ما أنا من هذه الحدايق * او اتصل نبأه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذى تقص عنده أبو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ماتفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذى سقى الفاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالازهار * واذهله حتى صحت له القسمة فى الخيل والخيال بين المراقب والمرافد فأخطأت معه فى المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التى تغدو الطروس بها وكأنها رياض محبرة أو سماء بالنجوم زاهره * ان لم ترض أن تكون فى الارض رياضا مزهره

أدب على الحصرى يعلو تاجه * وله ابن بسام بكى الوانا
وترسل سحبان من قد زاده * منه واعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها فى وضعها * ليس ابن مقلة عندها انسانا
فلكم أخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

Digitized by Google

جمال الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات أهل الادب فى درجة هذه الدولة * ولم به شعث ابنائه الذين لا صون لهم ولا صولة * وأقام به عماد ابيات الشعر التى لولاه لما عرفت دارسية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله له فى مدته برواية المصنفات فى الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعهما * وتباين أجناسهما وأنواعهما * بحسب ما يؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع أو اجازة * أو وصية أو وجازة * من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم واجازة ماله أحسن الله اليه من مقول نظما أو نثرا أو تأليفا أو وضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم وأجازة ما لعله يقع بعد ذلك اجازة عامة على أحد القولين فى المسألة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درها * واثبات ما يحسن ايراده فى هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة والابيات اللائقة وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا فى ذلك وكتب كتبه خليل بن أيبك بن عبد الله الايكى بالقاهرة المحروسة فى مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيبا السؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمدا لله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب أجاب وأجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم فى كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضى سجع الحمائم لطارحته نوعا من الاطيار * ولا قبل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع نمز حواجب الاحبة برد القلوب الهائمة فى أودية الافكار * ولكن نقول الاكابر والاولياء تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت أيها الراقم بروده هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت أرباب العقول عقائله * وأقام المسؤل مقاما ليس من أهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يبارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قعله الدر الاكبارا * وذا اليد البيضاء فيه الذى طال ما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة * ورئيسه الذى لو طارح ابن المعتز وقت ولايته لكان أمير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تنبح العبدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافه منه القلم وجها جميلا وقدرا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا * فهو الغرس الذى يقصر عن أمالى وصفه الشجرى * ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثمرى * كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل * وكم بد اللسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده ووده حتى كاد يطل قول الاول دليلا * على أن لا يدوم خليل * ود الشهب لو كانت حصباء غدير

طرسه * وتغار الافق اذا طرز براع درجه بالظلماء أردية شمسه * وتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليل الصفا هل أنت بالدار عائج) ان كتب اغضى ابن مقله من الحسد على قذاه * وحمل ابن البواب لخجله عصا القلم قائلا ما ظلم من اشبه أباه * وان نحا النحو لباه عشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظة الامثلة فلاغرو أن ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظا ابن عصفور حذرا من البازي المعلل عليه * وان شعرهامت الشعراء بذكره في كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما بلد لبيدا * وولى منه شعرا ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان تترقا الدر اليتيم الا تحت حجره * ولا الزهر النضير الا ما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظما * وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحمد وله (خليلي هبا بارك الله فيكما) هذا وكم اثنى قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بد أنني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحملت كاهلي من المنن مالم يستطع * وضربت لذكري في الآفاق نوبة خلبية لا تنقطع * وسالتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك * وأوازن بمثقال كلمي الحديد ابريزك * واقابل لسنك المطلق بلساني المحصور * واثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور * فتحيرت بين أمرين أمرين * ووقع ذهني السقيم بين دائن مضرين * ان فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالي * والصدر الحالي * ومن أنا من ابناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطالب مع اقتارعلي بأن أمدح وأجيز * وأنى لمقيد خطوى هذه الوثبات * وأنى يماثل قوة هذا الفرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد أسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني * واهملت الطاعة التي اقرع بعدها بريح القلم سني * وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الافق وقال قطني * ثم ترجح عندي ان أجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تهكم سائلي * معظما قدري كما قيل بتعاقلي * منقادا الى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي * وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * وأجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتنضيد وتفويف * وماض ومتردد * وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد * وجميع ما تضمنه استدعاءك فأجمع ما يكون من لفظه المتبدد * كاتبا لك بذلك خطي * مشترطا عليك الشرط المعتبر فلبك قبولك يا عربي البيان جواب شرطي * ذاكرا من لمع خبري ما ابطأت بذكره وارجو أن أبطئ ولا اخطي * فاما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا برقاق القناديل * وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصري البغدادي والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي محمد اسحاق الابرقوهي * وأما ذو والاجازة في مصر وغيرها من الامصار فكثير * وأما الفضلاء والادباء الذين

Digitized by Google

رويت عنهم ورأيت منهم فنهم القاضى الفاضل محيى الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى * والشيخ الامام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبى النحوى * والامير الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين ابن اسماعيل ابن المنتبى اقترح على ان انظم له فى زيادة النيل فقلت

زادت أصابع نيلنا * وطمت فاكدت الاعادى
وأنت بكل جميلة * ماذى أصابع ذى ايادى

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصرى من أهل منية بنى خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدنى الى أن انشدته قولى

ياغائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش و لا والله لم يطب
ذكرت والكأس فى كفى ليالكم * فالكأس فى راحة والقلب فى تعب

فقال اتعب والله جدعك القرح والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر أنشدنى لنفسه

لا أرى لى فى حياتى راحة * ذهبت لذة عيشى بالكبر
بقى الموت لمثلى سترة * يا الهى أنت أولى من ستر

فانشدته لى

بقلك وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذى كنت أملك
ياعذار الحبيب دعنى فانى * لست فى ذا الزمان من خل بقلك

*والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصرى سمعته ينشد لنفسه

واخجلتى وصحايفى مسودة * وصحايف الابرار فى اشراق
وتوقفى لموبخ لى قائل * اكذا تكون صحايف الوراق

*والاديب الفاضل نصير الدين المناوى الحامى انشدنى لنفسه

أحب من الدنيا الى وماحوت * غزال تبدى الى بكأس رحيق
وقد شهدت لى سنة اللهو أننى * أحب من الصهباء كل عتيق

فانشدته لى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت الفاظ المليح وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

*وجماعة يطول ذكرهم ويعز على أن لا يحضرنى الآن الاشعرهم *وأما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمعها *ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تحبرها ما استخرت نصبها ورفعها فهى كتاب مجمع الفرائد *القطر النباتى *سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون *منتخب الهدية من المدايح المؤيدية *الفاضل من انشاء الفاضل *زهر المنثور *أبرار الاخيار *شعار البيت *التقوى *لم تكمل الى الآن *الارجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصايد الملوك *اجزت لك اعزك الله روايتها عنى وروايه ما ادونه وأجمعه بعد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك ونمقه *ونسخه وحققه * وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به

فمنك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكما نالك الجزلة وكرمك الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل الملتجئة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب والآداب من اسمك وسميك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن ابى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقى الحذاق ثم المصرى عفى الله عنه انتهى ما اوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقايق الدرجتين فى النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الله نباته ورعاه * ومتع اهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تاخر فى السبق عن فحول المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم بديعه وغريبه بيانا وبحرا * وتفقه فى الطريق الفاضلية لمذاهب ماسلكها المتقدمون وها نحن نستجدى من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم فى سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا * وان قيل ان الفاضل اجل من تمذهب بهذا المذهب فذهبى وانا استغفر الله انه وصل فيه الى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتادب فان هذه الطريقة ما امها ناظم ولا ناثر فى الايام الاموية * ولا ابتسمت لهم ثغورها فى الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى الفاضل اتى بهذه الفضيلة الغريبة واظهر منها الزيادة المستفادة * واعتادت بلغاء المتاخرين بها بعد ما شهدوا بسبقه فأكرم بها عادة وشهاده * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة اهل غرتها * وشرف باصل شجرته النباتية نسبتها * واسكن فى أبيانه من بديع النظم كل قرينة صالحه * وأمست سوانح انشائها على فروعه النباتية صادحه * وقد عن لى ان أورد نبذة من مفرداته التى حصل الاجماع فى الغرابة عليها * واشار المصنف بقوله اليها *

اصغ لما قال اخو وقته * وخل عنك اليوم ماقيلا
واسمع مقاطيعاله اطربت * ولا تقل الامواصيلا

فمن ذلك قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم أحصه
لولاه ماعلم الرقيب فيالله * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

قلبه خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى ان الخال لا يرث

ومنه قوله

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين اوادنى

وقوله

بروحى مشروط على الخد أسمر * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

Digitized by Google

وقوله

واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مايل
عذاره لايجيب دمعى * وسائل لايجيب سائل

ومن نكته البديعة فى هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لايقاتله
وسال عذارفوق خدّيه جايز * على مهجتى فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردى غفر الله له

تعجبت من نهديه لوان لامسا * اراد انقباضا لم تطعه أنامله
وسال عذارلو نحا نفس صبه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومنه قوله

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * ياكثير المحاسن المحتاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومنه قوله

قبلته عند النوى فتمزرت * تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمته عند القدوم فخبذا * رطب الشفاه السكرى بلانوى

وقوله

افديه لدن القوام منعطفا * يسلّ من مقلتيه سيفين
وهبت قلبى له فقال عسى * نومك ايضا فقلت من عينى

ومنه قوله

يارب لص ناهب سالب * وهو من الحسن ملئ غنى
يرنو الى سرب الظبى لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله

مبقل الخدّ أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن احمر المشروب ماتنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

ومنه قوله

كم قلت باللثم وبرد اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد
وقد صدى قلبى ودع عاذلى * فى الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله

بروحى معسول اللمى متحجب * اذا لم يزرلم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المنّ بالاذى

ومنه قوله

ياكعبة الحسن الممنع لاتطل * بينى وبينك للجفاء حجاز
حاشى لها من قامة ألفية * يثنى لقاها كاشح همّاز

ومنه قوله

ياواصف الخيل بالكميت وبالنهـ ـد أرحنى من طول وسواسى
لانهد الامن صدر غانية * ولاكميت الامن الكاس

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل فى الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله

قلت ولى فى هوى حبيبى * قلب رقيق عليه يدهش
بالجفن والصدغ ياعناءى * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله

نقطة خال فى وجنة جعلا * فى اللهولى بعد وبقى غبطه
فيالها وجنة معشقه * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله

اذا سألونى عن هوى قد كتمته * سكت اراعى واشيا ورقيبا
وجاوب عنى سائل من مدامعى * فلله دمعى سائلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قد أقبلت * ورأت لقلبى عشقه يتجدد
قالت وقد رات اصفرارى من به * وتنهدت فاجبتها المتنهد

ومنه قوله

وتاجر قلت له اذرنا * رفقا بقلب صبره خاسر
ومقلة تنهب طيب الكرى * منها على عينك ياتاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردى وزنا وقافية ومعنى وقال

قوله دائر فيه ان الحرب مؤنث

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا * قلت على عينك ياتاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقى العصرى الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردى وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

قوله دائر فيه ان الكاس مؤنثة

وتاجر أسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سرا قلت اسقنى * جهرا على عينك ياتاجر

ومنه قوله

افنى جفاكم كثير دمعى * لكن بقى فى القليل نشطه
وكنت اروى عن ابن بحر * فصرت اروى عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصر الحبيب ثم ابتلانى * بعذول يزيدنى تعنيفا
ليت لو كان فى الملامة مثلى * فى هوى الخصر يوثر التخفيفا

Digitized by Google

ومنه قوله

وكنت اظن العشق يترك مهجتي * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرق
فلما بدا مع أسود الشعر أبيض * اتى العشق يغزوني على الف ابلق

ومنه قوله

ياحبذا خد الحبيب وقد أضاء شريقه
ان لم يكن في الحسن نفس الروض فهو شقيقه

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا أبصر الروض المدبج خده * يقول لنا هذا أخي وشقيقي

ومنه قوله

ياحبذا يومي بوادي جلق * وفرحتي مع الغزال الحالي
من اول الجبهة قد قبلته * مر تشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله

آها لحاذق ذهن * يقول في الحب من لي
قال العذار لخدي * ما انت من خل بقلي

ومنه قوله مع التضمين للمثل

في الناس من يشتاق للمرد ولا * يزال في هجر وشوق يظنه
وأخرشا خوا وما يتركهم * ذا يشتهي التين وذا يقطنه

ومنه قوله

يامن يقول البدر او شمس الضحى * كعذبي لا كيد للقمرين
ابوجه ذاك ووجه تلك تقيسه * قسما لقد أخطأت من وجهين

ومنه قوله

نسبوه حسنا للهلال وعينه * للظبي تنسب لا رميت بينه
فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومثله ومن خطه نقلت

يرنو ويشرق حسنه * في ناظري ولهانه
فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدي عن هذه النكتة فاخذها بعينها وقال

بسهم اجفانه رماني * وذيت من صده وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

ومنه قوله

دعوني في حلى من العيش ماثسا * ومر تقبا من بعده عفو راحم
أمد الى ذات الاساور مقلتي * واسأل للاعمال حسن الخواتم

ومنه

ومنه قوله

لما تبدى فى الحنين تحاربت كبدى وعينى
فاعجب لها من وقعة * جاءت ببدر فى حنين

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال

بدت روادف حبى * تحت الحنين بعين
فقلت يا بدر هذى * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعواشبيه الغزال برمى * فى مهجتى بالنفار جرا
تالله لا فاتنى لقاه * وعين كيسى عليه حرا

ومنه قوله

بأبى نائم على الطرق راحت * فى هواه وليس يعلم روحى
فاتح فى الكرى فماسكر يا * ياله من مسكر مفتوح

ومنه قوله

ملأت انسان عينى عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف ارنى فاثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله

ومن الشقا ان الجفا وتشوقى * لا ينتهى هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله

سلت مهجة قد كان صدعها الاسى * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالى بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله

من الترك اثنى سلوتى مع انها * صواب وافتى فيه وهو من الخطا
اما والهوى لاحلت عن عطف اغيد * ولابت فى رمان صدر مفرطا

ومن نكته البديعة فى المدائح قوله

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * فننشى له لفظا وينشى لنا معنا (معنى)

وقال فى صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى ثباتها * فى الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسما لو استطاعت اليك جسومهم * بعثت دروح الحمد من أوصالها

وقوله

لا عدمنا لابن الاثير براعا * تجاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس فى المهارق كالغصـ * ـن رايت الندى على الاوراق

Digitized by Google

وقوله فى كمال الدين بن الزملكانى

يفديه قوم تشبهوا حسدا * به وليسوا له باشباه
ان نطقوا بالجميل أو فعلوا * فلاريا والكمال فيه

ومنه قوله

لعمرى لقد احكمت بالفضل منطقى * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزانى فاثنى لسانه * فلازلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

فديتك من ملك يكاتب عبده * باحرفه اللاتى حكتها الكواكب
ملكت بها رقى وانحلنى الاسى * فهانا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التى * وجدنا بها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان وأهله * ولم لا ومن اطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضى جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة * لها منك شهم فى اللقاء وتيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا * وأول هاتيك الجنائب سيس

ومنه قوله فى جواد

وادهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجايب
يقصر سعى الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العلياء لن حاولها * سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالى انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله

قصدت معاليك ارجو الندا * وازجى من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنئ محتسبا

تهنأ بها حسبة ادركت * بايام فضلك ما ترتقب
فانك من اسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بامثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلايد أنعم * واحسن ما تبدو القلايد فى النحر

وقوله

كذا أبدا يا أرفع الناس همة * غوادى الندا من راحتيك غزار
أقدم أطراسا وتمنح انعما * فنى أوراق ومنك ثمار

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي بهاء الدين بن ابي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقا بمكارم * أورثتها عن سادة انجاب
لاغرو أن أعربت عن أحسابهم * فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي شمس الدين البهنسي

يارب امدد بالغنى يدسيد * في يومه يهب الجزيل وفي غده
فالبحر يسعى خادما في بابه * والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

على ديون من ثمالم أقم بها * فيا عجبا لي في ازدياد من الفضل
واعجب من ذا أنك الشمس أشرقت * وها انا منها حيثما كنت في ظل

ومنه قوله وقد ارسل اليه شرف الدين خالد القيسراني هدية جليلة في وقتها

لك الله ما ازكى واشرف همة * وأحمد صنعا حيث تبلى المحامد
فانت الذي قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد

وقال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداه عفوا * بريئا من سؤال أو مطال
فيالله من عادات بر * أتتني بالتمام وبالكمال

وكتب الى الصاحب تقي الدين بن هلال

هنئت ما اوتيته من رتبة * حملتك في العينين من اجلالها
في مقلة الانسان نمت فقل لنا * انت ابن مقلتها ام ابن هلالها

وقوله

قد نالك يا ابن المحسنين مجودا * يا قلامه او جائدا بمكارمه
فخاتم عند الجود في بطن كفه * ويا قوت عند الخط في فص خاتمه

وقوله يهنئ بالعيد

تهن بعوده عيدا سعيدا * وعش ما شئت يا كهف البرايا
فحربت به جميع عداك فاخر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كتابي * عن لساني قول الخويدم حقا
انا عبد مكاتب غير أني * لست ابغي من مالك الرق عتقا

وقال وقد انعم عليه بنصفية

سور الذكر سهلت * لي نصفية علت
فبياسين عوذت * وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من انعم عليه بالنصفية بقوله

ياسيدي نصفيتي قد فصلت * وعجزت لما غبت عن تبطينها
ما حلت فيها عن ندانعمايدي * ك ولا اتخذت بطانة من دونها

Digitized by Google

وكتب الى القاضي شمس الدين البهنسي

شكرا لله ايادي التي * انعشت حالي بشمسي الهبات
انت بالمعروف قد احييته * وكذا الشمس حياة للنبات

وقال يهنئ قادما من الحجاز

قالوا سررت زائدا بقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله او جاهه * قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا رديئا غالبه نوى

ارسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى احباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * يتلا في قصة تقضي لمثي
كيف اثمار حديثي عندكم * قلت فصي والافهو فتي

وقال يهنئ ولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمري بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * يا ابن السراة الاكابر البره
اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من اكابر العشره

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

والله ما عجبي لقدرك انه * قدر على باغي مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * في هذه الدنيا وانت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهاني

اخا العلم ان الشمس بادر ضياؤها * فسر بسناها حيثما انت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله

وصلت الى باب المعز وظله * وفارقت ذلي اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا * ولا بد للجندي من طلب الخبز

وقوله في الجامع الاموي بدمشق

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعبته ومجونه واعراضه ونكته اللطيفة في باب التورية قوله

يا ايرلا تركن لعلق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغاري مضمنا قوله

يا غائبا عن مجلس قد شانه * ندماه واشتعلت عليه الاكؤس
نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

ومنه قوله فى مليح اسمه الياس

أفدى مليحا فى البرايا لم أزل * طول الزمان عليه فى وسواس
قالوا أتقطعه كثيرا قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله

لهفى على فرسى الذى * اضحى قريح المقلتين
يكبوا ملك رقه * نعثر فى الحالتين

ومنه قوله

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وحذا حسن الجملة
فيا له من متجر رابح * ما نفقت فيه سوى بغلتى

وقوله

ميزانى العاطل المحلى * قال له الفقر قف مكانك
لا تذكر المال عند هذا * ولا تحرك به لسانك

ومنه قوله يداعب صديقا له يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هايم الفكر معنى فى صحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقا للقضاء

ومثله قوله

لقد اصبحت فى حال * يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض اصحابه

لفلان فى الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما محزومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

ومن لطائفه قوله يهنئ شارب دواء

امط بالدواء ثياب الاذى * وطب بالرواح به والغدو
وكرر احاديث بيت الخلا * ولكن على رغم انف العدو

وكتب الى صفى الدين الحلى مداعبا له

اوقعنى ودى مع هاجر * بخل بالدرج وبالوصل
والله لا غررت من بعدها * ولا جعلت الود فى حل

ومنه قوله

وقالوا احاطت ذقنه بخدوده * ووجدك لا ينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفى بقلبى نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مليح حسن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

Digitized by Google

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برك تزهو * بوجوه جميلة مستجادة
كل عرف يروق حسنا وانى * ارتجى ان تكون عرفا وعادة

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لا برحت * هباته ذات تاسيس وايناس
واصل رجاى بعرف الديك مقتبلا * لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كم لما ضعفتم * فلا والله ما وافيتمونا
اقيموا فى ضناكم أو أفيقوا * فان عدنا فانا ظالمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

ايا ابن نباتة جار الزمان * وزلت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلا أوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

احمد الله كم أجود فى الخلـ * ـق مقالا وما يفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * انا والسحر باطل بطال

وقوله

لقد اصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكا دوقتى
من الاولاد خمس حول ام * فواحرباه من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تخرج القابهم عن العادة
الا نت الغادة التى امتنعت * فصح أن العجوز قوادة

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من اى ارضيك نلت ايثارا
قلت من النبك ما زأى بصرى * بخيرا ولكن رأيت منقارا

ومن لطائف مجونه

أرى ايرى تكبر فى جلوسى * وفى عمر واعطى اللوم قومه
فامشى لا يقوم لزاير به * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امرأة جميلة

لى صاحب ترك المليح وعاد فى * حب الملوحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب

لقد اضحت سعاد تعاف ايرى * ويحوجها الضرورة ان تجامل
فتمسكه بلا قلب لديها * وتاخذه باطراف الانامل

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا لخجلتي لما دنوت واذلالي
وقلت امعكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله

محبوبتي دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الايرزمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله

باع صديقي لجام بغلته * ليشترى الخبز منه والأدما
واهاعليه راحت جرايته * فهو على ذاك يعلك اللجما

ومن لطائف مجونه قوله

يا ملاذى الغوث من عايلة * ليس من تكليفهم لى مهرب
طلبوا فى أرجلى شيأ وقد * نقبوا راسى بما قد طلبوا

ومنه قوله

جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتها وقتى
وكثرت عندى ما اشتهى * فالتين من فوقى ومن تحتى

وقال يداعب صديقا له طلق زوجة تسمى دنيا

قل لابن بغلان الذى اصبحت * كرته بين الورى خاسرة
ظلمت دنياك وفارقتها * ورحت لا دنيا ولا آخرة

وقوله

تبسما لشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة * ان يضحك الشيب على ذقنه

ومن اعراضه اللطيفة فى اهداء كتاب قوله

ارسلته نعم الجليس اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا ويقنع بالنظر

وقوله

لله تصنيف له رونق * كرونق الحبات فى عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة فى جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضى بدر الدين لامر

أهلتنى للعتب حتى لقد * لذ لسمعى وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتنى لذلى * وسرتنى انى بيدر شهيد

وقال يداعب جنديا من اصحابه عرض ولم يقبل

ظننا طوله يجدى * ليوم العرض او يرضى
فلا والله ما أجدى * وراح الطول فى العرض

Digitized by Google

ومن لطائف مجونه قوله

صغا لون شيبي ثم كدر عيشتي * فيا عجبا للشيب من كدر صافي
وصار على الاكتاف يضحك من يرى * فآه له شيبا يقطع أكتافي

ومن اعراضه اللطيفه قوله

كانت للفظي رقة * ضن الزمان بما استحقته
فصرفتها عن قدرتي * وقطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله

قالت اريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجاتها وأوغلت
فقلت هذي قدرة ياستنا * من قبل أن تمسها النار غلت

ومن لطائف مجونه قوله

دعاني صديق لحاجاته * فاوقعني في العذاب الاليم
كلام يزيد وماء يقل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله

مازلت اقلع شيبة نسخت بها * فسواد عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آية * لاناسخ فيها ولا منسوخ

ومن مراثيه البديعة قوله يرثي الملك المويد صاحب حماة

الا في سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا في باطن الارض مغمدا
على الرغم منا ان اتى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

وقوله وقد توفي له ولد لم يبلغ حولا

يا راحلا من بعد ما أقبلت * مخائل للخير مرجوة
لم تكمل حولا واورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوة

ومثله قوله في ولده عبد الرحيم

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا * شوقي اليه ويا شجوي ويا داءي
في شهر كانون واقاه الحمام لقد * احرقت بالنار يا كانون احشاءي

ومنه قوله فيه

آها لشمل قد وهى سلكه * وكان ذا درّ بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدرّ درّا يتيم

وقال يرثي جاريته له

يقولون قد اخلقت جفنك بالبكى * نعم ان جفني بالبكاء حقيق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فاني عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهنئ بالعشر بعد تعزية بميت

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين في يوم من الدهر وافد
هنا وعزا لاعيب فيه لانني * اهنئ بعشرا ذا أعزى بواحد

وقال

وقال يرثى الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * وصحت على رغم العداة وفاته
وماماتت اذماتت بحزن نساؤه * وماتت باحزان البلاد حماته

وقال فى رثاء طفل

بدا وفى حاله نوارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ماعملت الا * دموع عينى لها عقيقة

وقال فى رثاء ولده ايضا

قالوا فلان قد جفت افكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات تظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ماوقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرايب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه فى باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولى ان الراية الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومسك ختامها * وقدمت ايضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سنا الملك الى الوداعى * ولما رفع العلم النباتى كانت هذه الفرقة التى مشت تحت هذا العلم اكثر عددا واشهر ذكرا * واعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لى ان اذكرهنا لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتى وتحلى بنكته الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التى حلاوتها فى الاصل نباتية * ليظهر صدق قولى فى تفضيل الصحابة المحمدية * واشرع بعد ذلك فى ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكاس بحيث تسلسل دوره الى اهل هذا العصر والاوان * والعصابة التى مشت تحت العلم النباتى وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى * والشيخ برهان الدين القيراطى * ومذهبى انه اقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصايغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة * والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغارى والشيخ يحيى الخبازالحموى والشيخ شهاب الدين الحاجبى وممن ادوكهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وانشدوه وانشدهم من اهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن الجمى * عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضى فتح الدين بن الشهيد صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقى والشيخ جلال الدين بن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير باين المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب الخدومى * وسيدى ابو الفضل بن ابى الوفاء قدس الله روحه ولكن مارأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ماحضرته والشيخ جمال الدين ولكن مارايته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المتنبى المصرى والفرقة التى اطال الله بقاها وامست قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة واخلصوا فى العمل ففازوا فى الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضى بدر الدين بن الدمامينى المالكى المخزومى عفسح الله فى اجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب

الدين بن حجر العسقلانى الشافعى رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله تعالى ونبدأ بمن تقدم ذكره اولا فاول لاحسن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية رحمه الله قوله

افديه ساجى العيون حين رنا * اصاب منى الحشا بسهمين
أعدمنى الرشد فى هواه ولا * افلح شئ يصاب بالعين

ومثله قوله

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتى * كما أن رأسى شاب من موقف البين
فان كنت ترضى لى مشيبى والبكى * تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله فى تورية العين قوله

سالتم عن منام عينى * وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لى عليه عين

ومثله قوله

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يامر السهد فى كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادى * لاتسل ما جرى على الخد منها

ومنه قوله

وفقيه قلت صلنى * فالبكى قرح عينى
قال لاتفخر بشئ * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد اعرض عنى ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لاتطمعى يانفس فى وصله * وياد موع العين لاتسألى

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقنى تصدق بالكرى * ليزورنى فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقرى لوصلك واغتنم * أجرى وقل للدمع قف ياسائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعى ضنا وعفه
أليس لقد فى كل يوم * يمر مع النواسم الف عطفه

وقوله ايضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * به قلب صب بالجوى يتضرم
كستنى ضنى جسمى سهام جفونه * فبرد سقامى فى هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق فى وسط فؤادى نبال
ويقطع الطرق على سلوتى * حتى حسبنا فى السويدا رجال

والم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

من قال بالمرد فانى امرء * ميلى الى النسوة ذات الجمال
ما فى سويدا القلب غير التسا * ما حيلتى ما فى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف قرى حده * قلوب قوم فى الهوى أسرى
ومن عجيب نصر الحافظه * وجفنها المكسور قد فترا (ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * له جار فكرى اذ رأى كل معجز
قرات مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة للحريرى * وشرحها للمطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى احسن واقعد ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * رك قد علا عندى وعزا
مات السلو تعيش انـ * ـت اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا احكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم فقوا وتربصوا
انا ما اصدق ما عليه كلفة * فاذا احكى شيا يزيد وينقص

ومنه قوله

من شافعى يوما الى مالك * فى امر روحى القبض والبسطا
صوب راى الناس فى حبه * وشعره فى الارض قد خطا

ومنه قوله

يقول اذ أنكرته قبلة * غصبتها فى زورة الطيف
هذا عذارى وجفونى فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذا ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله

اذا قلت قد اسرفت فى التيه قال لى * تقل فى جمالى فى الورى غير ما جرى
وابيض طرفى واقف عند حده * واسود شعرى قد تواضع للثرى

وقوله

محياه له حسـ * ـن بديع * عذاروض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى * مذهبة فزمكها وشعر

وقوله

أقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدى به فى الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدى فعهدى به فى الشام وهو عليل فى غاية اللطف ومنه قوله

كؤس المدام تحب الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سوادج من نقشها * فاحسن ماذهبت باطلا

وقوله

قلت لما شوى اوزا حبيبى * واكتسى باللهيب ثوب سناه
لو يعيش الجوازمات غراما * فى معانى محاسن الشواء

وقوله

كاف بيد رصايغ * كالبدر فى جو السماء
سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله

شوى الاوز فاضحت * فى حمرة الخد بسطه
فقلت تشوى اوزا * ام كنت تشرب بطه

ومنه قوله

قل للعذول يستريح من عذلى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله

أقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح ورد والعذار تخرجا

وقوله

اصبحت نابغة الغرام لصبوة * فى غادة بجمالها متفردة
كم قد جلت من خدها وسيوف مقـ * ـلتها الى النعمان والمتجردة

وقوله أيضا

انفقت كنز مذايحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شاره
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

وقوله

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده
قلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

وقوله

سكن البدو من أحب فقالوا * زاد أهل الغرام فى البعد بعدا
قلت بالله هل سمعتم بيدر * غاب عن عاشقيه لما تبدى

ومن نكته الغريبة قوله

سال العذار فسل سيف جفونه * حتى غدت مهج الورى افلاذا
ياصدغه والله كافى غنى * عن أن نرالة السائل الشحاذا

وقوله

أقول لقاض سهم مقلته غدا * يصيب الحشا لاتبغ قتلى ولا توذى
وان كان قلبى عنده غير تائب * فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

وقوله

أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت ان بعادكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وقوله

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منى انفسا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكرا ان وصلكم * وقلت لدمع العين يفعل ماجرى

وقوله

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * وقال لقد تعذر قلت صبرى

وقوله

تقول له الاغصان اذ ماس قده * اتزعم ان اللين عندك قد ثوى
فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا مع الهوى

وقوله

تناءى الذى اهوى فمت صبابة * فقال عجيب كل أمرك فى الهوى
صبرت لطرفى اذ رمتك سهامه * ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

وقوله

أتانى وقد اودى السهاد بناظرى * يمزق جنح الليل بارق فيه
فناديته ياطيب الاصل هكذا * أخذت الكرى منى وعينى فيه

وقوله

ياسيف الجفون قتلت نفسا * مبرأة عن الشكوى زكية
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البرية

وقوله

جاء بقد قد ثنته الصبا * ورنحت اعطافه السامة
ومذ غدا فى لينه واحدا * كانت له ريح الصبا ثانية

وقوله

وفى القلب من هاجرى لوعة * بغير تلافيه ماتندمل
فيا شعره بعض هذا الجفا * ويا ردفه أنت ماتحمل

Digitized by Google

وقوله

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان أبحت بما * تخفيه وجدا سقطت من عيني

وقوله

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تطاول في الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردي عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

كيف انسى لشعر حبي يوما * وهو كان الشفيع في لديه
شعر الشعر أنه رام قتلي * فرمى روحه على قدميه

وقوله

ان قلت زرني قال لا * بحاجب ما أظلمه
فجاءني جوابه * الا بنون العظمة

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطي على هذه النكتة وزنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه * أجابني بحاجب * لكن بنون العظمة

ويعجبني قوله

اضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشي الهوينا في ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا عينا وجباها

ومثله قوله

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بمعبدها الزاهي الرفيع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد * وما قصبات السبق الا لمعبد (ى)

وقوله

لما زهى زهر الربيع بروضه * وغدا له فضل ينير لديه
قام الحمام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير فخر بين يديه

وقوله

قالوا علا نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب في بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن اعراضه قوله

رب طباخ به نضجت * مهجات غير مرحومه
ساوتى عنه مزورة * أبدا والنفس مغمومة

وقوله

احببت بابا حسنه بارع * سبى من الناس البابا

اغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى أفتح البابا

وقوله

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
أرأيت عمرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا فلم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجدلى بسرج * وحده واللجام دأب النفوس
واذا لم تبعثه فى أول الامـ * ـر اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من اهدى له صحن قطائف قوله

أتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر
فلا غروان صدقت حلو حديثها * وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

الجماعة تجاروا فى هذه الحلبة وأجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائفا حلت * جناها قطرها الغامر
فسكرها ابوذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا وجمع بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر ياغاية المنى
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعمانك التى من أقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر
أمدلها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبنى هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطى مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو
تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * فكلى ان حدثكم السن تتلو

وأما تورية القطر فالقطر النبانى معروف فمن ذلك قوله

شكرا لبرك ياغيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

بجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر ارجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبنى هنا قول ابى الحسين الجزار

ياعلم الدين الذى جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن اصحلت ارض الكنافة انى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

قلت الشئ بالشئ يذكر ذكرت هنا الغزالى فى لوزينج كتب به مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن

الادمى رحمه الله الى علامة العصر القاضى بدر الدين بن الدمامينى رحمهما الله

يامن له فى عروض الشعر أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى لفظه ائتلفت * والثم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زعاف الحشو قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يافرد يارحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من جله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * ياقاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأى مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كافيه مما أختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية فمن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يامولاى لابد أن * تأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدير بطيبتى البيضاء كأسى * بكيس زايدمنى وفطنه
ألم ترنى وعفو الله راج * ومن شرهى أصفيها بقطنه

وقوله

وبرة قدموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذ هز لى ذقنه * ولام فيمن همت فى عشقها
تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

وقوله

وعاذل بارد المقالة لا * يعى صوابا وزاد فى نكدى
وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يابردها على كبدى

وقوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لاتهلك اسى وتجلد

ومن نكت المجون التى تواردوا هو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

اذا ما قام أيرك فى الدياجى * وعندك من تحب فلا تحابى
ومل نحو الطواشى واعتنقه * فمثلك لايدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين

أرى لصواب يا أيرى صفات * تحث على التعشق والتصابى
فبارده فانت به خبير * ومثلك لايدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

ياساحبا ذيل الصبا فى الهوى * ابليته فى الغى وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة يرضيان لرغبتهما فى الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير القالى من نظمه واختياره واختيارى ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردى فى باب التورية ومقاطيعه التى هى أحسن من مقطعات النيل * واحلى فى الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لى الغصن ساجد
او قلت ريقك ثلج * قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله

يا سائلى تصبرا * عن لثم فيه لاتسل * ما تستحى تبدلنى * بالصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله

وملیح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمانى

وقوله

امام فى الركوع حكى هلالا * ولكن فى اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قلت الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يشفع فى شعره * اذ مال عن قبوله * فهو على أقدامه * ممتد بطوله

ومنه قوله

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ومن لطائفه قوله

اذا تعذر حبى * فخله يتعذر * فجيده أصل مابى * والجيد لايتغير

ومنه قوله

وتاجر ماطلته دينه * لاجتليه قال ما أمطلك
قلت له جيدك لى اولمن * فقال هات المال والجيد لك

Digitized by Google

وقوله

قالت اذا كنت تهوى * انسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * أجور نادیت جورى

ومنه قوله

انكر حبى مدعى * وقال هذا من هوى * فقلت لا بل من فتى * اصاب عينى بنوى

ومن نكته اللطيفة فى تضمين المثل السائر قوله

وسمينة كانت لها * فى القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أى ناه * نهالك عن حسن نوجك
قالت نهانى زوجى * فقلت روحى بزوجك

ومن اغزاله قوله

أقول اذ قال لى حبيبى * علام فارقتنى علاما
خدلك كان الصفا ولكن * قد اصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالى فقلت لى شغل * عن كل خود تريد تلقانى
قالت كأن الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القانى

وقوله

ابصر وادمعى تخافوا * قلت لا تخشوا بكاءى
ما عليكم من دموعى * غير امطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة * فاعينهم اعين ضيقه

وقوله

لما شتت عينى ولم * ترفق لتوديع الفتى
اديتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقاضمة * منعشة للكلف الهالك
قالت تمسك والا فا * هذا الشذا قلت بأذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قلت استعن بمثال * فقال مالى مثال

ومنه قوله

وأغيد

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر * مثلهما لي مسرعا * فقلت انت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده الفاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد اذا ما اثنى * يقول لا تخش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

قولي لمن خده تقبيله * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الاصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجنتاها فقل * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دوبيت

يا روضة حسن ليتها لي وحدي * الشركة فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك ان تسقي بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيها عذاب مذاب
رأسي بنى شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله

قلت وقد عانقته * عندي من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله

تقويم قدك مال يا من ثغره * درّ يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك وفي أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله

رام ظبي الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك
عند ذاك الورد المربي * قال فاني قلت خدك

وقوله

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوه
كفلي اضعف خصري * فاعينوني بقوه

وقوله

قلت لغراء ثري أدمعي * وزاد صدا وطال هجرا

قد فرّ صبري وفرّ نومي * قال نعم مذ عشقت فرّا

وقوله

رغيف خبازكم قد حكى * من وجهه التدوير والحمره
اذا رأى ميزانه المشترى * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله في مليح عبري

اغيد عبريّ له عمة * حكت من العشاق الوانا
لقد سبى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله

ووعدت امس بان تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى

وقوله

اعور كالبدر له مقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظري * وقال ما جئتك الا بعين

وقوله

بابي أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * فله في الحسن حظ الاثنين

ومنه قوله

رأيت رشيق القد اعور فاتنا * له مقلة اعتمه عن حسن اثنتين
اذا قال غصن البان انت ابن قامتي * ينادي به بدر التم انت اخو عيني

وقوله

بجنكية شاهدت عشاقها * وهم بها في الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا يا ليتني جنكي

وقوله

تغسل عيني وجنتي * بدمعة هاطلة
فوجنتي قائلة * عدوتي غاسلتي

وقوله

ناديت صاحبة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لا تصلحون لصالحه

وقوله

هويت حصادا حكت قامتي * من طول ما يهجرني منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاي أنت الشمس في السنبله

وقوله

أنا في حالي نقيض * يا شموسا في البروج

هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله

قال لى بند خضره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرديه * لك شدو لى نظر

ومن اغراضه اللطيفة قوله فى صديق له بالمعرة يقال له شمس

لى بالمعرة شمس * رضاه غير مرادى
فلا تذموه انى * أدرى بشمس بلادى

وكتب اليه فى رقعة له

ياشمس اشعلت شمعا * على سنك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلى * الشمع فى الشمس ضائع

ومنه قوله فى آل النصيبى بحلب

فؤادى الى آل النصيبى مائل * ووجدى لهم فى محضرى ومغيبى
فبينى وبين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبى

وقوله

للمقدسى بقلبى * حب خلى الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدسى خليلى

ومن لطائف اغراضه قوله

ياشيخ خل التصابى * فالزهد بالشيخ ألبق
ولا تحث كيتا * فان فؤدك أبلق

وقوله

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أتدرى كيف اصنع بالخلق
اذا احمروا وجهى ومايضوا يدى * ازرق لهم رجلى ولو خضروا عنق

ومثله قوله

لى صاحب واسمه سراج * ماقر لى عنده قرار
لسانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

ومن اغراضه اللطيفة قوله

تجادلنا اماء الزهر ازكى * لم الخلاف ام ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه

يامن تولى قاضيا * هذا قضاء ام قدر
غدروك فى بستاننا * ان القضا يعمى البصر

ومن اغراضه البديعة قوله

قدمات شيخى فاظهروا * بحر به اوسلمه

عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه

ومن اغراضه البديعة قوله

لاتحملونى على انتقام * فالجاه يحكى خيالك طيفه
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوى وجفن سيفى

ومن اغراضه قوله

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلهم بتقبيل
يامن يراهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والنيل للنيل

ومن لطائف مجونه قوله

حمامكم قيمه اسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمى اظفاره * ياقوم هذا أسود سالخ

ومن لطائف اغراضه قوله

يامن غدا فى طلاب المجد مجتهدا * لم يثنه عنه لامال ولاولد
لاتبسطن لتقليد القضاء يدا * ايرتضى رتبة التقليد مجتهد

وكتب الى قاضى القضاة شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحق عالم دهرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر

انى عدمت صديقا * قد كان يعرف قدرى
دعنى لقلبى ودمعى * ياصاح أجرف واذرى

ومن لطائف اغراضه وقد ولى قضاء شيراز قوله

انما شيراز نار * وبها القاضى مخلد
قلت لاامكث فيها * انا من حزب محمد

ومن اغراضه قوله

مرض الفؤاد وصح ودى فيهم * وأقام تذكارى وصبرى نازح
انسان عينى كم سهادكم بكى * ياايها الانسان انك كادح

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله فى آل البيت عليهم السلام

ياآل بيت النبى من بذلته * فى حبكم روحه فاغبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث لنا

ومن نكته الغريبة قوله فى محتسب

من ولى الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر

وقوله

قد عجبنا لامير * ظلم الناس وسبح

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

وقوله فى مدينة حلب

عليك بصهوة الشهباء تلقى * بجوشنها محاربة الزمان
فللعرفان فى الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله

كل يوم رتبوا اربعة * لك فازددت علينا صعصعه
فلو استفتيت فى سيدنا * قلت يستأهل قطع الاربعه

ومن لطائفه قوله

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره * الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

ومن نكته الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * فى اخذ عرض المجد اشبهاها
ان اباها وأبا اباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان لمستها فيما جرى
تقول كل ظبية * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوء امن قناة تساق من * دماء الرعايا او بسخرة مسلم
ستشرق فى يوم الحساب ندامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تأليفى الذى وسمته بتحرير القيراطى رحمه الله تعالى قوله

البدر طلعة وجهه * وعذاره هالاته
وخفوق قلبى فى هوا * ه سعيدة حركاته

وقوله

اجريت دمعى فاذا فنيت ابحره * اجريت منى باسياف الجفون دمى
ان ملت عنى برمح القدر أملى * لتقرعن على السن من ندم

وقوله

اسدى ثم ألحم تحت طاق * له والدمع يجرى كل وقته
وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما تبدى قوام قامته * وحاجباه لناظر العين
رأيت موتى بسيف ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه
وأطربت فى العود قمرية * وكيف لا تطرب عوديه

Digitized by Google

وقوله

ارتاح للاقفار وهى طوالع * وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى رجل الطيور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

ياأمير الجمال قل * فالمراسيم تسمع
أنا مملوك الذى * لك قلبى غدا تبع

وقوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح اسبق لى من العذل
ويخطر والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استهلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشا وكلا

وقوله

هو بيت طباخا له نصبة * نيرانها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا مارنا * لها على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هى زادتنى جفاء وتباعدا
ويحجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقوله

اباح لى نرجس الحاظه * فى مجلس مافيه ماانكره
فقلت وردا خذ جدلى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

وقوله

قال لى بالحمى غزالى لما * لم أجد من ظبى الحضون ملاذا
كيف جاءت اليك اسياف جفنى * قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله

فى وصف خمر الثغر منك نوادر * تزرى بحسن نوادر ابن عتيق
ولذا وصفت رشيق قتلك عندما * هز القوام لنا خا ابن رشيق

وقوله

جفنى وجفن الحب قد احرزا * وصفين من تيك يامصر
جفنى له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجى له الكسر

وقوله

خدمت بالاغزال ابوابه * لما تبدى حسنه الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية اطلقها الناظر

وقوله

وقوله

الدمع والجفن فيه * لي شاهدان يحرزني
فالجفن يسقط دمعي * والدمع يجرح جفني

وقوله

عبد لئيم من جفا وصدوما * درى بصب يموت بالكمد
جرى على الخد من مدامعه * في الحب ما لا جرى على أحد

وقوله

في خد من همت به شامة * ما النـد في نفحه نذها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعني الا بياعبدها

وقوله

ومخائل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لما رآني قانعا بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسوّد

وقوله

مال الى الهيئة ذو هيئة * فاتنة البابنا باهره
بخاله في خده نقطة * عذاره اضحى لها دائره

وقوله

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسبخة حسن لمن * قد راحت الارواح فيه غلط

وقوله

جزت النقا فحويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * في افقه بتمامه وكماله

وقوله

ويوم والى القطر فيه فجاءني * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فما نقت لما مال عسال قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله

يا من تبرمك صبه في عشقه * بالروح لا تبخل فعشقي زائد
بالفضل جد لي ان دمعي جعفر * والوجد يحيي والتشوق خالد

وقوله

يا هاجرا اوقعني هجره * وصده في حالة صعبه
أخذت قلبي بالتجني وما * تركت لي منه ولا حبه

وقوله

قلت له لما زها حسنه * على بدور التم ما احسنك
وقلت للائم يا لائمي * في خده الناعم ما اخشنك

ومن لطائف مدائحه قوله

اوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى النجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث الندا عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله فى البجانق الموقت

شهاب الدين ذو فكر يسمت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا فى العصر شيخ الوقت حقا * وفى اوضاعه ملك البسيطه

ومن اغراضه قوله

قناطر الجيزة كم قادم * عليك يلقى فيك اقصى مناه
أتاك قوم لاطة فانحنى * ظهرك للوط وصب المياه

وقلت فى هذا المعنى

وقالوا كيت النيل يجرى وقد غدا * عليه حلوق السبق قلت كذا جرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * تجرّا عليها معجبا فتقنطرا

ويعجبنى من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * فى الفقر طول مكثه
وكل ثور سارح * زيد له فى حرثه

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

ياصلاح العلا صفاء ودادى * لا يرى عن أبى الصفا تحويلا
فدع العتب انى لست ممن * لا يراعون فى الانام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تأمل فانى طاسة صح نقشها * وفاق على نقش الغوانى التى تسبى
وواصف حسنى اطرب السمع قوله * كانى فى الكاسات داخلة الضرب

وقلت فى المعنى

انا طاسة قدرى سما وبروضتى * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارح القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشى قاعد

وقلت أيضا

أنا طاسة بيضت وجهى عندكم * وصفا لكم قلبى بماء رائق
عذبت موارده يبارق بهجتى * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة فى باذهنج قوله مضمنا

بروحى أفدى باذهنجا موكلا * باطفاء ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على انى راض بان احمل الهوى

ومن اغراضه قوله

اطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

وقوله

وقوله مضمنا

درب الحجاز لقد شرفت منازلا * قدر المنازل من سواها نازل
كم سرت فيها نحو مكة منشدا * للّٰه يا منازل فى القلوب منازل

ومما اختترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة فى ضحاها
يا حسنه فكانه القمر المنير اذا تلاها (هى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلى بخطه بيتين للمعمار وذكرانهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف فى هذا الباب

لما تبدى عذاره الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه ايها الجانى
ولا تخشن فما فى الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فساديته * ما انت يا مشروط الا رطب

وقوله

تملك قلبى خادم قد هويته * من للهند معسول اللمى اهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

وقوله

لثمت عذار محبوبى الشرابى * فقال تركت لثم الخد عجبا
حفظت الانسيون كما سمعنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله

صاد فؤادى من بنى العرب فتى * له من الحسن اقتال ونسب
فصحت فى الحى وقلبى طاير * يا عربا أهل ذمام وحسب
عساكم أن تنشدوا حشاشة * فى حبكم ضلت وراحت يا عرب

وقوله

رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان اصعب
املتهم لن يرجعوا * والموت لى من ذاك اقرب
جئت الحى لارى الحيا * ء فلم يلح فى الحى مضرب

ومنه قوله واجاد

كانى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

ومنه قوله

رب جزار هواه * صار لى الخلود ما
فزت بالاليه منه * وامتلا قلبى شحما

وقوله

سكت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فانهم الحاكم لحظاله * تحقق الفتنه من عنده
مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبى مال مع قده

وقوله

اصاب قلبى خطاءى * بلحظه اشقاءى
فرحت من فرط داءى * اشكو الى الحكماء
قالوا اصبت بعين * فقلت من علم داءى
ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطاءى

ومن لطائفه قوله

رحت يوم الفراق اجرى دموعى * حسرة اذ قضى الزمان بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عينى

ومن لطائفه قوله

شكوت للحب منتهى حربى * وما الاقيه من ضنى جسدى
قال تداو بريق ثغر * فقلت يا برد ها على كبدى

ومن لطائفه قوله

قلت له لما وفى موعدى * محتفيا من حاسد معتدى
رب كما فرحتنى بالوفا * أسبل على الستر يا سيدى

وقوله

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله

لو انصفت لاشارت بالسلام على * متيم ما قضى من وصلها وطره
باصبع انما عضت أناملها * حتى ولا واحد يصفو من العشره

ومثله قوله

لو رأى دور ثغره * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

وقوله

فى خده من احبته * ورد به المأجنه
وشامة ذقت لها * حلاوة فى محنه

ومن لطائف قوله مع التضمين

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم اولا

ومن بديع مديحه قوله

لابن فضل الله فضل * غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو علىّ * علم السر وأخفى

وقوله

أيا بدو المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله

قسما بما أوليت من احسانه * وجميله ما عشت طول زمانى
ورايت من يثنى على علیائه * بالجود الا كنت أول ثانى

ومن أغراضه قوله

ما مصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رخص
وراح يخبر انه للنيل يبصره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله

حزن الخزان لما ان رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت * سنبلات ذات حب فاختيل
وبكى اذ مدت اعينه * زادها الله عروقا وسبل

وقوله

وسمعت يوما سيد مصر يقول * النيل وافى زايدا عندى
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت أربه عن السدى

وقوله

لا بى فى الشباب دع عنك لومى * لست ممن ترومه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لى * أى عيش يحلو بغير الشباب

وقوله

وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفا يتى من ريقه شربة * واحسرتى منه على جرة

ومن لطائف مجونه قوله

شهر الصيام تولى * فراقه يوم عيد
فقيل شيع بست * فقلت ايضا وسيدى

وقوله

قلت هلال الصيام ليس يرى * ظلا تصوموا وارضوا بقول ثقه

فغالطونى وحققوا ورأوا * وكل هذا من قوة الحدقه

وقوله

أيرى مع الرد خاب متجره * مذ عاملوه معتر النصبه
فضيعوا راس مال حاصله * اذ كسروه وقام بالثقبه

وقوله

أيرى اذا اندبته * لحاجة تختص بى
قام لها بنفسه * ماهو الا عصبى

وقوله

تأخرت لعذرها * قلت لها تقدمى
أيرى هذا عصبى * يدخل معك فى الدم

وقوله

لى أير فيه كبر وجفا * وهو منى بالقوى والى
كلما أغضبنى أرضيته * واذا أرضيته قام على

وقوله

أيرى مغرى باللواط الذى * يقبح لاسيما على مثله
أوقف حالى لاتسل ماجرى * وصرت خلف الناس من اجله

وقوله

وبحت ايرى اذ جاء ملتثما * بذا الزمن غفلة فما اكترثا
بل تحال فى حين لمته قسما * ما جزت حمام قعره عبثا
كيف وفيها طهارتى وبها * أطلب ماء وارفع الحدثا

وقوله

يا ليلة قضيتها * فهل ترا هاعائده
عمود أيرى قايم * وهى عليه قاعده

وقوله

وصغيرة كلفتها * أيرى فقالت ويك باعد
ما خلت يحمل ذا العمو * دمن النسا الا القواعد

ومثله

صغير نام على وجهه * وقال حكك قلت لا فائده
قم أدخل العامود ياسيدى * فقال لا تخرم القاعده

وقوله

عميرة قام يبتغى كدى * جلسته ثم قلت يا ولدى
ها أنت فى قبضتى تطاوعنى * وان عصانى خصاه تحت يدى

وقوله

قوله عميرة هو كسفينة وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا انه كناية عن الذكر وفى شرح القاموس انه كناية عن الكف والذى غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد ففهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اه صحيح

وقبه

وقحبة ذات حرابيس * يحمل كالسندان رصعي الشديد
تقول قم طرقه لي لاتنم * فقلت مالي زبرة من حديد

وقوله

اطعمت ابرى كي ينا * م وقلت قرنا استقر
بل قام يسعى قايلا * أنا من اذا طعم انتشر

وقوله

قد ذبت من كربي لفقد النسا * افور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لي بان * أحمل بالجود على جاريه

وقوله

لو رأى فقحة حبي عاذلي * وهي تجلى في ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا * وتفاصلنا على بيض نقيه

وقوله

سالت وصال حبي قال دعني * فانك في افتقار لاتجابه
فقلت له حبيب القلب أدعي * بذي فقر وفي وسطي نصابه

وقوله

وصاحب انزل بي صفعه * غضبت اذ ضيع لي حرمتي
فقال في ظهر لما جاءت يدي * فقلت لا والعهد في رقبتي

وقوله

سالته في صفعة قال لي * جناية الصفعة ما منه بد
صاع من التمر احلي به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله

يلح العذول ولا مني * فيمن أحب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت تاسفا
لكنني زلقت يدي * وقعت على اصل القفا

وقوله

جيت خل يلاطف الجرحى * قلت له يا اخا الرضى صف لي
في عنقي دمل به ورم * قال تداوى بمرهم الخلي

وقوله

قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * ياتي على وجهه مليح

وقوله

بدا بخد الحبيب شعر * وصفله يا اخي تسالم
فكان كالخوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعر وناعم

وقوله

ومما جن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذذاك فتى
سلمته عنق الدقيق فراح يخله يغبن
ما ان اذنت له رضى * لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له * لامرته بالكف عنى

ومثله قوله

ومازحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطنى لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها * وقلبى مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لى صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين واكدت * مددت قفاى فسحة ليمينها

ومن بجايبه وغرايبه قوله

بات يخدين كالبجين * فقلت ماذا سوى لحيتى
ذات حر واسع عميق * كانه ترعة اللبينى
عليه شعر لو نسجته * لجاء مسحا لراهبين
وفاض ماء فقلت لما * عاينت منه غسلى بعينى
تقول لم لا تجرا لفا * اجبتها باسط اليدين
ان كان قصدى عليه جرا * غرقت فيه بجرتين

قوله جاءت الابيات هى من مخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن ست مرات وهى على ماتراه هكذا فى جميع النسخ وهى وان كانت للمعمار الان الطبقة الاولى من بيته الثالث والثانية من بيته الرابع خراب لانه حين وزنها كان ميزانه مخلعا اه مصحح

ومنه قوله

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد عنه غنايم
ولا تك ممن يتهمهم بحشمه * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله

فلان والجماعة عارفوه * وان ابدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حى * الهى لا تمته على الشهاده

وقوله

لما جلوا لى عروسا لست اطلبها * قالوا اليهنك هذا العرس والزينه
فظلت لما رأيت النهد منتفخا * رمانة كتبت باليتها تينه

وقوله

ابيت من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدونى العشق قهرا وساونى
وقالوا تحب البيض والسمر قلت لا * احبه من الالوان قبيحة اللون

وقوله فى الموالبا

طرفى لمح حسن رايس قرحوا تقريح * اوسق بصدى وسمى الهجر بالتصريح
قذف لعرضى وخلانى من التبريح * دمعى انحدر والعواذل تقذفوا فى الريح

وقوله

وقوله

مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت أهى على قبلة بعض الخد
فسل سيفو من الحاظو لقتلى حقد * قلت انتهى الامر يا جبى الى ذا الحد

وقوله

رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت مضنى قلق اخشى حلول الحين
وكنت قبل خلى لم اشك وشك البين * سالم من العشق حتى صابنى بالعين

وقوله

يقل لها زوجها لاتحتشى من لوم * ولاتقى كل من فى الارض وانا الكوم
وأتينى واطعمينى ابق من ذا اليوم * انعس وارقد ومثلى لايرى فى النوم

وقوله

قلت لمن تركتنى بالجفا ناحل * وصلك بكم وارحمى ذا العاشق الناحل
قالت بميتى جمل قلت انا راحل * مالى جمال ولكن نخل فى الساحل

وقوله

قالت لى اخبرورقى قلبى الظامى * واصدقنى اعطيك ماخلق وقدامى
عهدى بايرك رقيق خرط لاقلامى * وقدنما قلت ايرى لم يزل نامى

وقوله

قالوا توق الشتاكم قد صرع اعيان * يصدمك نعمى وذا شى يعرفوا العميان
انهض تحلل ودع لعبك مع الصبيان * قلت يجى انى لومنحنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفى رحمه الله تعالى فى باب التورية

قوله

من هجر سلمى ماسلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لاتغترر يوما بحلو رضابها * فلقد بدا من ثغرها مران (نى)

وقوله

وشادن ظلت غصون الربا * لما رانه مقبلا ساجده
سالته من ريقه شربة * فقال ذى مسئلة باردة

وقوله

تنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع أصلا

وقوله

ركبت فى بحر هواكم مركبا * قذفت فيه يد التبريح
فاتحدرت مدامعى واقبلت * عواذلى واقلعت فى الريح

وقوله

هجرت فاحشا مى تو قد جرحتا * هذا وليست فى المحبة فاتره

وتظل تحرقني بنيران الجفا * ومن الذي يقوى لنار الهاجره

وقوله

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال اني استعرت اليوم نيرانا

وقوله

يقول عذولي للدموع وقد جرت * على اثر محبوب بري مهجتي بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتني حريا

وقوله

قد زاد في التقييد لي عاذلي * على هوى من لم اطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * ففر لما ان رأى عينها

وقوله

لا تنكروا أني تركت معذرا * اضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذا الشعر البتسريح

وقوله

عارضني العذال في عارض * قالوا بلطف بعد ما اطنبوا
ما آن للعارض ان ينتهي * قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله

قاس الورى وجه حبيبي بالقمر * فجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل بفرقه * وبعد ذا عندي في الوجه نظر

وقوله

لما ثنى العطف ثنى مهجتي * اليه ظبي في الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * يا ثاني العطف عسى واحد

وقوله

قال العذول عندما * شاهدني في شغلي
بمن فتنت في الورى * فقلت دعني بعلي

وقوله

يا ايها الخلين بالسلام جهدهم * من ذا رايتم شح يوما بالكلام
لا تمنعوا عني السلام سادتي * فانتم قصد المعنى والسلام

وقوله

يا ملحا رووا لنا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغي ان تكون في الدهر معنا (معنى)

وقوله

اميل اليه كي يميل فينثني * ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى

ويطرحني

ويطرحني عن باله لا يعدني * فيلبسني من طرحه حلة الضنى

وقوله

وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها عبتها
بت مع المعشوق في روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

وقوله

لست انسى رقة العيش الذي * زاد في الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله

بدا ليل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا في الكمال
فلا تطمع عذولي في سلوي * فعشقي لا تغيره الليالي

وقوله

بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن انا في الدنيا فافديه بالمال
تبارك من اخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن في ذلك الخال

وقوله

راحت مني روحي فهذي مهجتي * من بعدها وجدا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما * هي مهجة رحلت علي من راحت

وقوله في القاضي علاء الدين بن فضل الله

لقد اعطى علاء الدين مالم * توف بشكره المداح طرا
تخلفنحو الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت فرا

وقوله في القاضي تقي الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقي الدين اصبح دهرنا * رقيق الحواشي معلما بالمدايح
فيا دهر ان حزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل اكباد الورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وتزايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكته اللطيفة وقد اهدى له بعض الوزراء في عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد الف عيد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت في الاضحى بكبش * ملي بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل اضحى يصفي وقد * حنت له راووق جريال
سالته كاسا أطفي بها * نيران احشاءي فصفى لي

وقوله

قلت لبزاز على خلوة * واصل فتى ينسب للخرقة

Digitized by Google

وخلنى اصفق ولو صفقة * فانت ماتخسر فى صفقتى

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * اروى من الماء لدى الحائم
أورث خلى اكله هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاء نحوى معذر * بعد ما عز مطلبه
قلت ذا الا يرميت * ظل يبكى ويندبه

وقوله

تطلبت بحرا فى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حية دأبه البحر
فناداني البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين احمد بن ابى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجلة
ماهو بغا كما يقال لنا * بل هو ثور يد وربما حجلة

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * تملأ الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد والمنخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فاهدى لى مزوره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مثالا
فشاب راسى انتظارا * وما بلغت احتلاما

وقوله

ياهلالا قد تسامى * وله الصدغ عمامه
اشتهى لو نلت حظا * منك مقدار قلامه

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبله * من بعد نفرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يامنزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهر * بجمرة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على حسن من الترف

لو يخدم البدر انقى البدر من كلف * لكنه لم يزل ما بى من الكلف

وقوله

قلت نبت من عوارض خده * فهانا فى قيد الغرام أسير
ولا كان لى بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جلوا الى كلمى * بها حباب منظم
علمت ان زمانى * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقود ك الفاخر فى كرمه
اياك ان تتركه ساعة * يزبب النحس على أمه

وقوله

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجا لها لطيفا * اورثه الانتظار صفره

وقوله

أطرب نا مشيب * من غير جعل سأله
يا حسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبنى قوله

غنت فاغنت عن كؤوس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيجنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك ان تقطعها ساعة * فاحسن الاقصاب موصولها

وقوله

فاحت حمام البان لم تاهت أسى * لم ادر ما عناؤها من شوقها
بجماء لا تظهر حرفا من شجى * كانها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا فقلت لها * سواد قلبى يا ورقاء فى حنقك

ويعجبنى قوله

يا ليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت يا ليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة فى الشطرنج قوله

تامل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما

Digitized by Google

محرصكها بلق وتفنى جميعها * وبعد الغنا تحيى وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

اميل لشطرنج اهلى النهى * واسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابه * وتابى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت فى الشطرنج فى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح فى الاقران لى بيدق * تموت منه الشاة فى جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شباب الحبيب فقلت اهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكلفا
والا رقام ولم يمل لمشيبه * فالراية البيضا عليه فى الوفا

وقوله

كم جار صرف الدهر فى حكمه * وضرنى من حيث لى يعتنى
البسنى من شيبتى حلة * قلت له والله عزيتنى

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

فله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من اصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشايره

وقوله

النيل ألبس حلة * حمراء فى تخليقه
وله اصابع زينب * قد ختمت بعقيقه

وقوله

نادى منادى الوفاء مصرا * اذ علقوا سترة علامه
من الغلا قد سلمت حقا * فبت فى الستر والسلامه

وقوله

كانت لمصر سترة * بالنيل مذ ولى خلت
كانه زوج لها * فبعده ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد فى الاقسام مكتوبه
فقلت للخطى لا تستطل * كلا كما للخط منسوبه

وقوله

ولائم زاد لوما * فى أسود اشتهيه
وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه فى مليح فقال قوله

انا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل

يطوف

يطوف باقداح العوافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وقد تقدم قولى انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بى من غدا ظهرى عليه المنحنى * ولحظه لحظ ظبا مرامه
كم قلت من عذاره وقد بدا * لى خطه يا كاتب السلامه

وقوله

يقول لى الحبيب أرى عذراى * يذب الحسن من وجهى اليه
تكلم فى وظيفة حسن خدى * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله

وعاذل قد زاد فى لومه * وقال لما هاج بلبالى
يعارض المحبوب ما تنتهى * قلت ولا بالشيب والموالى

وقوله

ياسائلى عن حالتى ما حال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صبر فى لا يرق لحالتى * قد متحن جور الزمان وصرفه

وقوله

اصبحت ما بين الورى * كالوالة المصاب
من هجر ذا القيطى الذى * ما كان فى حسبانى

وقوله

يقول جارى من بعد جور * وقد رأى حرقتى وتارى
دمعك ماشانه ومن ذا * عليك قد جار قلت جارى

وقوله مضمنا

أقول لصب قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك فى ابن السكرى والذى ارى * مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقوله مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله فى غلام يدعى مقبلا

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل حين يسأل
من لى بيوم فيه تقبل باللقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

وقوله فى جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فى الباذهنج والفانوس ولكن نختار منها

Digitized by Google

ما يحسن نظمه فى هذا السلك من ذلك قوله فى فانوس مع حسن التضمين

وكانما الفانوس نجم نير * منع الظلام من النجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدم فيه مجير الدين بن تميم فقال واحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو وتلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن ابى حجلة واجاد مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما استملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به اجفانه

ويعجبنى قوله مع حسن التضمين

انا فى الدجا القى الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعة
فكانتى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

ويعجبنى ايضا هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * فى حلة من هواه ليس ينكرها
راى الهوى مضرما ما بين اضلعه * نارا لجوى ففدا بالثوب يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فى الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا فى الجو منظره * من فوق مخبره يبدو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء ياسكنى

وقوله

يا باذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
ابديت حقا زايدا * ورفعت راسك للسما

والطف منه قوله مع حسن التضمين

يا باذهنجى لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان سمه ابدا على سل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة فى باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بابيكم

يا شاعرا قد حاز حسن بديهة * وتطيعه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال لقصده * وتقول يا ابن الزين ابيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يا معشر الادباء قد اتشيبكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافاكم ابن نباتة فتفقهوا * اقواله بسكينة وتأدبوا

وقوله

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * امسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا اوراهبا

ومن قنص شوارد التورية بجبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزعارى فمن ذلك قوله

قالت وقد انكرت سقامى * لم ارذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيرى * فقلت لا عين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفنى * سياجا ما له قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى ان * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذ رايت اشهارتم * بمن بدور السماء للطرف تلهى
أى وجه اضللت قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل لحتفى كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادنى فى دجا * شعر فقر ادوليل طويل

وقوله ايضا

افديه فى الا لكن يرمى دايما * وسواد قلب الصب من أغراضه
اطلقت لحظى نحوه فأجابنى * سهم وما عاينت كشف بياضه

قوله فى الا لكن كذا فى النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

وقوله مضمنا واجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير انى * ارى خلل الرماد وميض نار

وقوله

فتنت باسمر حلوا للمى * لسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبى ومارق لى * ودمعى يرق وما ينقطع

ومنه قوله فى مليح بيده قوس حلقه

وبدا العشية اغيد فى كفه * قوس كأنها سهام جفونه
فسالته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله

وافى كتابك يا خليلى بعدما * حكمت على بعدك الايام
لكن ارى نارا شتيا قى لم تكن * بردا على وفيه منك سلام

ومن نكته الغريبة قوله

اما ترى النهر كالحسام غدا * ينسل بين الغصون والورق
وليس فى الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

Digitized by Google

ومن غاياته البديعة فى هذا الباب قوله

سرت من بعيد الدار لى نفحة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعة
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله

اعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من ادمع الراوق لما انسكبت
لم تزل البطة فى قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطفا بزيادة نكتة اخرى

يا من يلوم فى التصابى خلنى * فأذنى عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات فى شورابى * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال

انا القليل العقل فى صرف الذى * أملكه فى كف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات فى شورابه

ومن مجونه قوله

يا صاحبا مازال من انعامه * لشباب راجيه المؤمل رافى
قد قطعت فرجيق حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافى

وممن اتى فى دقيق النورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموى فمن ذلك قوله

قال عذولى والقوم قد رحلوا * وقصده فى مقاله حينى
اطلق دموعا مازلت تحبسها * وطلق النوم قلت من عينى

وقوله

لم انس طيف زارنى واثنى * عنى وقلبى بعده يحترق
وما كفى حتى دموعى غدت * من خلفه تجرى وما تلحق

وقوله مضمنا

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وانت تلوم

وقوله

لقد تعشقت فتى سائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدى فلم يرتبط * وراح كل المدح فى السائب

وقوله

تعذر من اهواه واسود وجهه * ورام وصالى بعد ما لم يكن خلقى
وقال حكى صدغى نباتا اجبته * صدقت لهذا عاد يصلح للحلق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

قلت لمن يقتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعور الذقن من نتفها * فانى شيخ احب العتيق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

اصبحت فى العالم اعجوبة * عند ذوى الالباب والفهم
جدى حوى فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابى امى

ومن لطائفه قوله

عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد فى الكؤوس كالنيران
وابن ماء السما زوجه راحا * اذكرتنا شقايق النعمان

ومن رقيق اغزاله قوله

لضعف اجفان حبى * بالفتك فينا عدوه
فيالها من جفون * تزداد بالضعف قوه

ومن مجونه قوله

كسبت مملوكا ومن لطفه * يسير بالطف على سيرى
سميته خيرا وان يدخل الا * يكن خيرا على خير

ومن مماجناته مع الشيخ حسن الزغارى المذكور قوله

حسن الزغارى احمق * يائس من يوافقه
خنقته هجوا وما * لكلب الا خانقه

ومثله قوله فيه

نبح الزغارى عند نظم موشح * وكمال نظمى بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا لما عوى * فاصبت مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه

قل للزغارى الذى من جهله * أمسى باقوال الاكابر هازى
هذا ابن قرصة قد سمعت هباءه * من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجبى تغمده الله برحمته فى باب التورية ولم اظفر له الا بما قل من مقاطيعه مع انى كثير الفحص عنها فانه ما يجارى فى انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه فى هذا الباب قوله

لها عين لها غزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

وقوله

وصفت خصره الذى * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

وقوله

عود والصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرا * وقلبه ماله قرار

وقوله

Digitized by Google

لاتبعثوا غير الصبا بتحيتي * ماطاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر في باب التورية مطلعها

عما جرى من ادمعي لاتسألوا * فدامعي اخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع

وخذوا حديثا قد ألم بمهجتي * وازداد حتى أهملته العذل

منها

ثاني المعاطف كنت اول عاشق * في حبه ولكل ثان اوّل
يرنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميل منه شمائل لم أدر من * شمولة اوحركتها النسأل
متلوّن الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله واظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيجود لي دهر يطيف خياله * واظنه برجوع ذلك يبخل
ام كيف يأتي الطيف جفنا بابه * بالفتح من ارق الصبابة مقفل

وقول الشيخ جمال الدين

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبي قوله

ياساكنين السفح كيف هجيتم * عن ناظري البدر الذي لا يأفل
وفعلتم بي مايسرّ عواذلي * ماشئتم ياأهل بدر فافعلوا
لاتحجبوا بيني وبين غزالكم * فعلى مجاز الصدّ مالي محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

ياصاح عللني بكأس مدامة * عن ذكره ان الحبيب يعلل
صهباء ان جن الفتى بخمارها * فهي الشفاء وفي شذاها المندل

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام الصبا والنجاح
ذاك زمان مرّ حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز علي ان تحجب عني عرايس الحاجبي في خدور الاوراق فاني لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن الحجي في باب التورية قوله

سهل الخدود عزيز وصل من يرم * يوما جنى وجنانه لم يستطع
كم رمت ثم الخد منه فقال لي * لاتطمعن فكل سهل ممتنع

وقوله

وقوله

حبى يمين فى يمين الهوى * فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ماملت وولى وكم * قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

وافى وفى كمه ورد احمر * حبابه مذهب تحت لثامه
فرشفت خلو الراح من خرطومه * وجنيت ورد الخد من اكمامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت * امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا فى طروس خطها * قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله فى القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

ياعمرى الاصل أنت مالكى * ونافعى بجوده دون البشر
اذا رفعت سندى فى حكمكم * لنافع لمالك لابن عمر

وقال وقد اهدى له حلاوة سكب

لفضلك ياقاضى القضاة مزية * على السحب لاتخفى على من له لب
فاقل جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم اوله سكب

ويعجبنى من زهديا ته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوى * خيفة من عقاب عقبى التجرى
واذا لاح نهج بر ترانى * فيه أمشى أبغى ثوابى وأجرى

وقد عن لى ان اورد هنا يذة لهمن المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحب قالوا معناك الذى اذ بلتو * جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر بدا فى هدو * فى روض وجنتك يحدو للصبابة حدو
والوهم ماضر خدك يارخيم الشدو * الا لان حشيشو قد طلع فى بدو

وقوله

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ملهوف لاحمل يعنينى ولا تجميل
والعين قد حلفت يابدر فى التكميل * لاتكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله

ياحسن على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفانى وعنى فر
يحل لك ان قلبى ياغزير الدر * مالوقرارود معى البحر وانت البر

وممن فتح له هذا الوصيد * القاضى فتح الدين بن الشهيد * رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك اينعت ثمراته * واها لغصن قوامك المياس

في صدره ريحان نهد زانه * حلي يوسوس في صدور الناس

وقوله

الهدى التي ساقت حروب الهوى * بحسن ساقيها المشتاقها
جادلت عذالي على حسنها * فقامت الحرب على ساقها

وقوله

قال لا تخش رقيبي فلمن * حبق في زورتي او في نصيب
قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودي وعمى عيني رقيبي

وقوله في عين بعلبك

ولقد أتيت لبعلبك فشاقني * عين بها روض النعيم ضمخ
فلاهلها من اجلها أنا مكرم * ولاجل عين الف عين تكرم

وقوله

قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها * شتان بين عروسنا وحماتكم

فاجبته في ذلك التاريخ عن ذلك بقولي

والله ان حماة شامكم * وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعذارها الثلجي قد * وات شبيبتها وأمست باربده

ومن لطائف القاضي فتح الدين بن الشهيد قوله وقد احضر له عوادا يسمى طائر بغا بسفارة الحاجب توكل

نهاري انس كله بمنادم * على عوده يغزو الحشا بتبلبل
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكنني حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون وطربه

غنى على القانون حتى غدا * من طرب يهتز عطف الجليس
داوى قلوبا من عليل الاسى * وكان فيها من هواها وسيس
فصاحت الجلاس عجبا به * ياصاحب القانون انت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التي هو أحق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام قوله

كنت فتاتي لنظم بيتي * قرينة برة امينه
بكيتها والحمام قامت * بالسجع في ندبها معينه
من علم الورق أن سجعي * ليس يوازى بلا قرينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض اصحابه رسالة القلب وهي ما لا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر

رسالة القلب بها خدمتي * تقدمت في الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السكر في الواجب

ليعلم

ليعلم المخدوم انى امرؤ * اخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فلافتح ابوابى وصدرى للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتى * ومن اجل ذا دار الطراز على كمى

وكتب على الرفرف

رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * ازين سماءى بل ازين سماحى
فلابدع ان الناس يهوون بهجتى * ويعشون فى ظلى وتحت جناحى

وكتب على مجلس بيته

يامن يئزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت امثالى
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر مقامى المجلس العالى

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلى فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا قراوغصنا * حباه حسنه هيفا بلين
تفتق مسك اصداغى جلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله

وحاجم فى الكأس اجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق
لكنه خالف فى شرطه * وحكم الكأس على الساق (ى)

ولعمرى انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفنى فاعدمنى الكرى
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبنى قوله فى باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العين بياض المشيب قد أورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

وقوله

حديث عذار الحب بادوساقه * له اوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى انتابنى الى الحسن كلما * فابدى لنا ذاك الحديث وساقه

وقوله

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت ثارك
وأنت باوجنتيه * لاتحرقينى بنارك

وقوله

حديث عذار الحب فى خده جرى * كسبك على الورد الجنى مسطرا

فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

وقوله

عيني افاضت دموعي * من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت * رأيت غسلي بعين (ى)

وقوله

عاتبت حبي على تأخره * وقد تعنى برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرني * عن سرعتي لانقطاعه خلفي

وقوله

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا تجافى المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقوله

هجروا البيض لما * نصل الصبغ فضرته
كشف الدهر المغطى * ياجميل الستر ستره

وقوله

ذو حور اصابني * بعينه لما نظر * فليس قتل صبه * الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبي ناتف للعارضين يقول صف * نبات عذار زان في الحسن منظري
فناديت ياحلو الشمائل ما الذي * يقول لساني في النبات المكرر

وقوله

لما جفا المحبوب ناديته * فابات حبي منك بالبغض
فعندها نام على وجهه * وقال وجهي منك في الارض

وكنت اظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلي الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين في هذه النكتة

عاتبت محبوبي وقد نكته * بطعنة فاجمى بخلا معضي
فقلت در بسني وخل الحيا * فقال وجهي منك في الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة * كواه ذا التلقيب في القلب داغ
وهو غراب البين في شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله في تمنع المدمشقي

وذي أدب لطيف الذات جدا * طلبت الوصل منه فما تمنع
وديب لاخذ أيري قلت من ذا * فناداني باشفاق تمتع

وقوله

حدثنام أبرى قال لى * القه يحظى بالوصول
فقلت فيه قصر * فقال ذا شئ يطول

ومن عاصر الشيخ عز الدين الموصلى ومشى تحت علم التورية علاء الدين بن أيبك الدمشقى وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به ولعمرى ان هذه المناظرة ما صدرت ممن له نظر فن نكته البديعة قوله وقد اجتمع بمليح فى منتزه من منتزهات دمشق يعرف بالسلطانى

سلطان حسن اقتديه بناظرى * واعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارنى * قضيت ذاك اليوم بالسلطانى

وقوله

احببت من حياله وجنة * مشرقة حمراء شبه اللهب
تعالوا الشهيدية اعطافه * فقلت والرد ف تليل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبى * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل حزح الغوانى * وان اوجعن منك الظهر دقا
وجيدك ان تلق الصفع فاصبر * فان الجيد فى الدنيا ملق

ومن نظم الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا فى باب التورية قوله

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخبرة عن الطبى الجموح
يسرك ان اروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومن لطائف مجونه قوله

يا معشر الاصحاب قد عن لى * رأى يزيل الحق فاستطرفوه
لا تحضروا الا باخفا فكم * ومن تثاقل منكم خففوه

وقوله

تصفحت ديوان الصفى فلم أجد * لديه من السحر الحلال حرامى
فقلت لقابى دونك ابن نباتة * ولا تقرب الحلى فهو حرامى

الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى أراد بالسحر الحلال الذى ما وجده فى ديوان صفى الدين التورية لا غير وماذاك الا أن الشيخ صفى الدين كان اجنبيا منها ولهذا لم انظمه فى سلك النوم الذين مشوا فى نظم التورية تحت العلم الفاضلى والعلم البهائى وغايته انه رضى بالشعر الساذج المنسجم وتعرض للتورية فى بعض المواضع ولكن سبكها فى غير قالبها لانه لم يكن فى طباعه ويأتى الكلام على ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له

والمعنى فى مراده مفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دجا * لايجيئون فى قيام الساعه
فيهم اعور وقد صح بالبر * هان أن جا كواحد من جماعه

ويجئ قوله فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد حظيت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما انشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤوسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * فلا تسقى الانام سوى الحديث

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

وملیح لاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجا تلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما * ان رأى الوجد علانى
أنا ابقى وبوجدى * فيك ياأحدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التأجر استحقها الشيخ جمال الدين بن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر اسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سرا قلت اسقنى * جهرا على عينك ياتاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذ ذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له ما يكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو مثيره * فاظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان ازهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذ ذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارق * ونطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فتصرهن محقق

ولعمرى

Digitized by Google

ولعمري ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على اقرانه في ذلك العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم أحل في عيش العداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمزان
واذا تعانقت الكماة بمحفل * كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوباني

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لي به قولي

أنا في الخط ان تحمر نقطي * فكتابي مقاتل الفرسان
وقوامي اذا تثنى ففرد * ماله في تفرق الجمع ثاني
وسناني كالبرق بل صار منه * قلب سيف البروق في خفقان
رمحه للردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حمل الدواة فرمتها * منه مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلماني الها فنا * لبنا ماله ثمن
بيض الله وجهه * كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التي سارت لديها الركبان قوله

أنا دواة يضحك الجود من * بكا راعى جل من قدبراه
دلوا على جودى من مسه * داء من الفقر فاني دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبي * ملجما بالعذارى الغيد أزرى
فلما ان تعذر مال عنه * فؤادى والجوانح نحو عذرا

ومن مدايحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضي القضاة علاء الدين بن القضامي الحنفي نور الله ضريحه وقد مر على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في محفة قوله

محفة المجلس العلاءى * تنشر جدواه في المشاهد
تقول هذا قفي واعطى * وج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين أن يكتب على قبره من نظمه ما قرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبرى * لاحظى بالترحم من صديقي
فيا مولى الموالى أنت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قرر به للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوه مضاجعي تحت الدجا * حجبوه عن عيني حتى أسهرا

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما اتيت المشعرا

وقوله

وملمحة راودتها فتعللت * بالحيض وهي تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكتي * فمواضعي ليست تعد ودوري

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية لحاله

قالت لي الغروة قم دفني * حتى ادفيك بقلبين
قلت لها بالله ما تشتهي * قالت غشا قلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي

البشتكي المكدي * ذو أبنة ليس تخفى
قد مد للنيك رجلا * وللخلايق كفا

وقوله

يا معشر الحب مني اسمعوا * مقالتي وكسوا من يتكي
الا فالعنوا آكلي الحشيش * وبولوا على شارب البشتكي

وقوله

البشتكي البدرلحية * كلحية الراهب مشعوره
قال أنا اشعر هذا الورى * قلناله فاستعمل النوره

ويعجبني من مدائحه قوله

تهنأ بنصف كم به من حلاوة * وجدلي بفضل لا يضيع ثوابه
فان لساني صارم وفي له * قراب وارجو أن يحلي قرابه

ومن شعر عيسى في مؤلفه من قصيدة

صيغ دعاويه ما تنقضي * ويخطئ في القول لا يشعر
تفكرت فيه وفي ذقنه * فلم ادر ايهما أحمر

وقوله

يارب الجناب الرحب جدلي * وكثر في العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لي من خشكان * نهار العيد كبراوفهلل

وقوله

لفضلك يا ابن فضل الله اشكو * برأسي البرد في يومي وامسي
وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصر به الشيخ شهاب الدين بن العطار الآتي ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي لم أجد في اغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هي فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار قوله

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

فان

فان تحيل فى رزق بمدحكم * ابو محمد البطال لا عجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبت رزقا فقيل رح ناظرا * جيوش سيس قلت رأى تعيس
لو أن ذى الحكام فى سلطة * ما طلبوا انى ابقى بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا
وما رأيت انا سا * لكن حمارا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى * خلوة تحيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
قد اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * واظهر لى اضعاف ما تظهر العدا
نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نذل لئيم * اقترب وعدى غلطا وانكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصاجريثا * يحن الى الجناية كل ساعه
وما قطعوه بعد الوصل الا * أرادوا كفه عن ذى الصناعه

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ همت وجدا * بخدّ خلت فيه الشعر نملا
أيعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم اهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فاباشذا العطر

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما اتيت المشعرا

وقوله

وملمحة راودتها فتعللت * بالحيض وهي تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكني * فواضعي ليست تعد وورى

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية لحاله

قالت لي الغروة قم دفني * حتى ادفنك بقلبين
قلت لها بالله ما تشتهي * قالت غشا قلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي

البشتكي المكدى * ذو أبنة ليس تخفى
قد مد للنيك رجلا * واللغ لايق كفا

وقوله

يا معشر العجب مني اسمعوا * مقالي وكس ام من يتكي
الا فالعنوا آكلين الحشيش * وبولوا على شارب البشتكي

وقوله

البشتكي البدرلحية * كلحية الراهب مشعوره
قال أنا اشعر هذا الورى * قلناله فاستعمل النوره

ويعجبني من مدائحه قوله

تهنأ بنصف كم به من حلاوة * وجدلي بفضل لايضيع ثوابه
فان لساني صارم وفي له * قراب وارجو أن يحلي قرابه

ومن شعر عيسى في مؤلفه من قصيدة

صيغ دعاويه ماتنقضي * ويخطئ في القول لايشعر
تفكرت فيه وفي ذقنه * فلم ادر ايهما أحمر

وقوله

يارب الجناب الرحب جدلي * وكثر في العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لي من خشكنان * نهار العيد كبر او فهلل

وقوله

لفضلك يا ابن فضل الله اشكو * برأسي البرد في يومي وامسي
وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الآتي ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي لم أجد في اغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هي فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار قوله

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

ولعمري

فان تحيل فى رزق بمدحكم * ابو محمد البطال لاعجب .

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبت رزقا قيل رح ناظرا * جيوش سيس قلت رأى تعيس
لو أن ذى الحكام فى سلطة * ما طلبوا انى ابقى بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا
وما رأيت انا سا * لكن حمير اوعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى * خلوة تحيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
قد اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * واظهر لى اضعاف ما تظهر العدا
نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نذل لئيم * اقر بموعدى غلطا وانكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لايذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصاجريثا * يحن الى الجناية كل ساعه
وماقطعوه بعد الوصل الا * أرادوا كفه عن ذى الصناعه

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ همت وجدا * بخدك خلت فيه الشعر غلا
أيعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم اهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فاباشذا العطر

Digitized by Google

يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللاف والنشر

وقوله

علقتها معشوقة خالها * اذعمها بالحسن قد خصا
ياوصلها الغالى وياجسمها * لله ما اغلى وما أرخصا

وقال وأجاد

ان الهواءين يامعشوق قد محبنا * بالروح والجسم فى سرّ وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فى كفن

وقوله مضمنا

ومقلة ظبى يرشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به ألهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله

عارض المحبوب من فو * ق صفاء الخدّ فاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله فى مجونه مضمنا

قلت يالايمى على بذل مالى * فى هوى الحب دع كلام الفشار
فعلى فلس ذا يناح ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله

شكى الى اليتم اذ نكته * مراهق فيه حلى هتكى
بت اسليه على يتمه * وكلما سليته يبكى

وقوله

سكر الشيخ وطابا * ولشتهى الشيخ شبابا * حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندرى وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبّر حيث بالقوم احتمى * انت السراج بعينه * لو شلت انفك للسما

ومثله قوله فيه

ياذا السراج اشترى أيرى فانت به * اولى وذلك للحق الذى وجبا
سكندرىّ وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال فى الصاحب بن النشو الوزير وقد انشأ سيلا بالجامع العمرى

انشا القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره
بالجامع العمرى سيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمحال قابل * ما سلسلوا مطلق كل جدول
واصبح الدولاب فى رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

Digitized by Google

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

أرى ولدى قد زاده الله بهجة * وكله فى الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربى حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع امداحه قوله فى المشهد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام المرتضى على بن أبى طالب كرم وجهه

يا ابن عم النبى ان اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
انت للعلم فى الحقيقة باب * يا املما وما سواك مجاز

ويعجبنى من حسن خواتمه قوله

واسوءتاه اذا وقفت بموقف * ما مخلصى فيه سوى الاقرار
وسواد وجهى عند أخذ صحيفتى * وتطلعى فيها شبيه القار (ى)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله نعمده الله برحمته قوله

وأغيد بث منه * بنار عشقيه اقلى
رمى من اللحظ سهما * به غوت ونبلى (لا)

وقوله

قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فليج * بين السيوف والقنا

وقوله

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومناكم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قدره وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقوله

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عنى * يوما رحت تهجره وامسك

وقوله

قال خلى لحبيبى صل فتى * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قلت ان فاز بثغر اولما

وقوله

يا لايمى ان فقدت الصبر فى قسرى * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
كلت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله

من مجيرى من سادة الفوا الهجر لعشاقهم وزادوا النفارا
سأل الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا فى حينا لن يجارا (ى)

ومن اختراعاته اللطيفة

تـأمل مناشذا ازهار روض * تحير ناظري فيه وفكري
فقلت نبعث الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

بحقا الذى نظم جيم من البغا * ويثير فى هجو الكرام عجاجا
اقصيته عنى فظل يسبنى * ومنعته ايرى فذم وهاجا (ى)

ومن مدايحه يهنئ والده بعوده من السفر

هنئت يا ابتى بعودك سالما * وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدايحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه ايضا وقد اهدى له هدية حسنه

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * ولولاك كنت الدهر فى الغى سارية
واهديت لى ما حير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما ارضى الاله وحرضا
فاقلعت عن ذنبى واخلصت تائبا * وامسكت لما لاح لى الخيط ابيضا

ومن كلام الشيخ ابى الفضل بن ابى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا واظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محتا * جاشكى فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التورية مع بديع التضمين قوله

ما حادم واسمه فى درج مجسمه * الا اغن غضيض الطرف مكسول
وريقه مع تناياه التى انتظمت * كانه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحما (حمى حمى)

ومثله قوله

ارسلت عينى بدمعهما * بين يدى من قد تمادى جفاه
أسأله فى فمه قبله * فلم يمكنه ولم يعطفاه (يعطفاه)

ومثله قوله

سألتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو
قالت فصفى ارتجالا * فقلت بعد التروى

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

اذ كان وردك جرى * فيه فصار مربى

ومن لطائفه قوله

الا تلومونى فلست بمقلع * اذا انحدرت من كأسها الراح فى حلقى
سأروى الى بحر من الخمر مترع * احط المراسى عنده فأمل لى واسق (وسق)

وقوله

ذكرتك فى اللوم مستحسن * واللوم عندى غير مستحسن
كم قلت للمعرب فى لومه * ان جئت نحوى قط لا تلحن (نى)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل سمته صفعا بمال * فقال توازعوه يا صحابى
اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله

تعنت دهر لج فينا بخطبه * وذللنا من بعد عز وانكانا
قسى وانثنى يحتال فى جبروته * وجر راذيالا علينا واردانا

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتنبى قوله فى مليح اسمه حمزة

ترى يبدو لحمزة بعض مابى * ويرثى لى ويتطرفى بلاءى
ولشيخى بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكساء (ى)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدمامينى المخزومى المالكى قوله

قلت له والدجا مول * ونحن فى مجلس التلاقى
قد عطس الصبح يا حبيبى * فلا تشمته بالفراق

وقوله

يقول بديوان المحبة ورّدوا * محاسن حبى فهو فى الحسن مفرد
فورّدت فى الديوان عامل قدّه * فقال وذا الخد قلت مورّد

وقوله

وبى جنة حمراء زاد صفاؤها * وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لا يمى ينهى عن الحب جهده * فما انا بالسالى صفاها ولونها (نهى)

وقوله

يا عذولى فى مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
كم تهز العطف منه طربا * عند ما تسمع منه وترى (ا)

وقوله

اذاب احشاءى هوى صائغ * قلت له والقلب رهن لديه
انى على فيك أرى خاتما * فهل ترى يقعد نقشى عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى * وخاف من مراقبه

فقلت هذا قاتلي * بعينه وحاجبه

وقوله

المتيم انت ياسليم * ماشله في الزمان ثاني
فكيف تبدي جفاك خوفا * وانت في غاية الامان (في)

وقوله

وعزيز الجمال اوجب ذلي * وهواه على اصبح فرضا
فهو في الحسن والجمال سماء * صرت ياصاح منه بالذل ارضا (ضى)

وقوله

تناسبت اوصاف من وصله * ينتي عن القلب جميع الكرب
في الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله

لاما عذاريك هما اوقعا * قلب المحب الصب في الحين
بجدله بالوصل واسمح به * فضيك قد هام بلامين

وقوله

قلت لعطاربه صبوتي * محمودة والصبر لايستطاب
اسقيتني كاس غرام به * ذبت ومن غيك برا في الشراب

وقوله

لله منه ملثم اشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالي لاتعجبوا * طيب الهوى مازال في الملثم

قوله في الملثم هو في النسخ بالثاء وبهامتم التورية والمعروف في الريح التي تهب من ناحية الشمال التاء وعليه فلا بورية اهـ

وقوله

بتي ليلة البدر راقني * حبي فقرت مقلتي
وقال لي يابدر قم * فقلت هذي ليلتي

وقوله

قم بنا نركب طرف للهوى سبقا للمدام
واثن ياصاح عناني * لكميت ولجام

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اقول لخل جن من فرط ماله * ورابي فاسق الناس كاس عذاب
صفاتك ياهذا لعمري تناقضت * فانك ذومال وانت تراب

ومن مداعبه ما كتب به الى قاضي القضاة ناصر الدين التنيسي قوله

قد نلت ياقاضي القضاة مطالبي * بكنوز جود منك اورثت الغنى
وأمنت في الدهر الظلوم لغدرة * بي داعيا لجناب جودك أمنا

ومن مداعبه فيه قوله وقد ولاه وظيفة العقود في مبادي العمر

يالحسكما ليس يلقى * نظيره في الوجود

قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وكتب الى برهان الدين المحلى

يا سريا معروفه ليس يحصى * ورئيساذ كا بفرع واصل
مذ علا فى الورى محلك عزا * قلت هذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين الفارقى

قل للذى اضحى يعظم حاتما * ويقول ليس لجوده من لاحق
ان قسته بسماح اهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبنى من اغراضه البديعة قوله

لين عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفى الهم والهم زائد
فنحن شهود فى المقام لعقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت صدوده قدنوت منه * على مهل بشى عزاد حسنا
وعاجلنى الرقيب فخاف أيرى * وانزل اذرأى خوفا وامنا (امنى)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة ابو الفضل احمد بن حجر العسقلانى روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى فى باب التورية ورسم لى ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطه الكريم فى كراسة واتحف بها العبد لانظمها فى عقود هذه الاسلاك وكتب فى ديباجة الكراسة قوله

يا سيدا طالعه * ان راق معناه فعد
وافتح له باب الرضى * وان تجد عيبا فسد

وقوله

سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا
فقوق السهم من لواحظه * وانقوس الحاجبان واقترنا (وقترنا)

وقوله

سالوا عن عاشق فى * قربا دسناه * اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

وقوله

اتى من احباءى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت أعد وصالا قال كلا * فهانا ذبت من ردا الجواب (الجوى بى)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فخبسته لا صون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقوله

ياعاذلى وسهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خده قبسى
ان تستطع لنجاتى فى الهوى سببا * فاستنبط السلم لى من اسهم وقس (قسى)

وقوله

ولم انس اذ زار الحبيب بروضة * ففارت من المعشوق اعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسها غضا

وقوله

يامبدعا فى حسنه واصل اخا * هم له عام وما واصلنا
فقال هل صيف فى مشتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما وفت وتفتت

وقوله

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله

نحن اهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وامان
وشربنا خمر الهوى كل حين * بكؤوس قد ترعت واوان (نى)

وقوله

ورشا مذ نشا وعينا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خدا وعينا

وقوله

سرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى بحوى بنارك
أغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله

وبدر تم جميل * محجب بالدلال
اذا هممت بانى * اسلوه امد الى

وقوله

نهانى حبيبى ان أطيع عواذلى * لكى اتهنى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ار نهيا منه اهنى ولا أمرا

وقوله

واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
اداربى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملال (لى)

وقوله

وقوله

تجرد من احب فقال لى من * يلوم واظهر الحسد المكتم
اجادلك الحبيب بلا جسيم * له كالخز قلت نعم وأنعم

وقوله

تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ما تحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكوا الى الله مابى * وما حوته ضلوعى
قد طابق السقم جسمى * بنزلة وطباوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع المكرمانى

نظرت لما سطرته من فوائد * لها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فلله ما سطرت منها لخاطرى * فلم يكف طرفى منه شئ ولا اجزا

وقوله

قد جئت فى علم الاصول لنا وفى * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت فى هذا وفى هذا على الـ * ـاقران بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبنى من وعظياته قوله

ياأيها الشيخ المطيع هواه دع * هذى الدعابة قد اتى داعى الردى
وخيوط هذا الشيب لا تنسج بها * ثوب التصابى فهى ما خلقت سدى

وقوله

خليلى ولى العمر منا ولم تتب * ونتوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وما تبنى (ا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله فى هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرف الحسن قدره
فى شمسه كل صب * يود يبذل بدره

هذا الذى ظفرت به من اغزاله فى هذا الباب ومن مجونه قوله

وافى بذقن بعد أن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وايـ * ـرى فى استه وهم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العمشان

اقول لناتف خديه مهلا * اترضى اللايطين مدى الدهور
فدع تلك العوارض عنك كيما * تنال بلحية مثل الحرير (ى)

ومثله قوله فى الشيخ بدر الدين بن الدمامينى المخزومى

تالقاض جار فى أحكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع نفى وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (ى)

Digitized by Google

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نايلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا * يمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأنا نصوم * ولا نشتكى من اذى الصوم غما
ونسغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فاجابه بقوله

الا ياشهابا رقى فى العلا * فامطرنا نوءه العذب قطرا
الى فقرة منك يا فقرنا * ونستغنى ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء وفى مناهل التورية قولى

هويته اعجميا فوق وجنته * لامية عوذتها أحرف القسم
فى وصفها السن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
انا فارضى فى الغرام بخته * فغدا مقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو لطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ما سلمت من العوارض

وقولى

دوبرة العارض عنى حميت * برشقة من جفنه مشتقة
فاترك ملامى يا عذولى انى * قتلت بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب مت ولم اجد * سبيلا الى برد الحشايا أخا الصنا
فقال ارتشف من خمر ريق نهلة * الم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من احب تعذر الصبر الجميل فلم اطق ان اصبرا
قال العذول الصبر اعظم مسعد * فى العشق قلت أما تراه تعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت تناخلت * فقدت مطوقة بما تخلت به

وقولى

وقولى فى مدح حماة

ذكرت احبتى بالمرج يوما * فقوّت ادمعى نيران وهجى
وبت اكابد الاحزان وحدى * وكل الناس فى هرج ومرج

وقولى فيه ايضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ نمروذ دمشق لذا * فقلت لا افكر فى غيظته

وجلست يوما فى قطاف السفرجل على عين الغيضة الموصوفة بست الشام مع جماعة من اهل العلم والادب فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولى

تقول ست الشام لما غازلت * بعينها فانعشت حياتى
وانتقشت بمرجها وأبرزت * نهدا حلا لانه نباتى
خذنى بغير ضرة فانى * بديعة فى الحسن والصفات
واستجلنى عروسة يتيمة * شاميتة وعش بلاحماة

وقولى فى وادى رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادى رشعين مفتوحة العين لها نقطة على النيرين
ما حللنا هنالك الا وقالت * اجلسوهم على محاجر عينى

وقولى بوادى المنافس بظاهرها ايضا

وادى المنافس من مغنى طرابلس * بطيب انفاسه أبدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وابلقها * فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وقولى برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا ببعلبك تفكهت * عيونى واذواقى وصلت على البين
وطالبتها يوما برؤية مرجها * وخضرته قالت على الرأس والعين

ومن اغزالى البديعة قولى

ماس فى الروض وانثنى * بخدود مورّده
فرأينا غصونه * وهى خشب مسنده

وقلت موريا ومقتبسا ومكتفيا

قالوا وقد فرطت فى تصيرى * ومابرى بوصله سقاما
اصبر عسى تسقى بماء ريقه * قلت لهم ياحسرتا على ما

وقولى

ارخت لنا ذوائبا من شعرها * عشرا وفرق الفجر فيهم يسرى
فقصرت بالفجر لها معوّذا * لما بدا بين ليال عشر

وقولى مورّيا مع بديع التضمين

سرنا وليل شعره منسدل * وقد غدا بنومنا مضفرا
فقال صبح ثغره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

وقولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * اترى درى هذا الرقيب بما جرى

وقولى

كم صحت فى ظلمة الليالى * ويلاه من نومى المشرد
والدمع فى وجنتى ينادى * اواه من شملى المبدد

وقولى

يقول معذبى حسن تخير * سواى فقلت قد عز اصطبارى
وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

وقولى

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فصرت من خصره وريقته * أهيم بين الفرات والرقه

وقولى

ابصروا عندوداعى عقدها وهو مقرط
لمتها فى ذاك قالت * برح الشوق وافرط

وقولى

تجددت جفونى هيبة لما بدا * محراب حاجبه بغير حجاب
لله اكبر وهو يفزو مهجتى * جريا ولم أخرج عن المحراب

وقولى

طلبت منه قبلة فقال لى * وقد بدا يشرع فى الاعراض
نسيت فعل سيف لحظى قلت لا * يا قاتلى وكيف أنسى الماضى

وقولى

قيل لى لما عرتنى شدة * وتناءى فرج عنى مده
يا اخا الاشواق ماذا تبتغى * قلت أبغى فرجا من بعد شده

وقولى

عذ جفانى بمرض القلب ولم * الق فى الضعف وفى الكسر ا بخبارا
قلت للعارض يا آسى اذا * درت دارى بمرض القلب فدارا

وقولى

طلبت تقبيل من احب وقد * أنكرت فى الخد نقطة حسنه
فرق لى قلبه وقال اذا * قبلت خدى لا تنكر الحسنه

وقولى موريا ومضمنا

حثثت عزمى شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى أن الوم حظى

وقولى

وقولى

تجاه بصبح ثغره مبتسما * يمشى بليل الشعر فى دلال
قلت له دمت لقلبى هكذا * مادامت الايام والليالى

وقولى مرتجلا فى جبهة دمشق من دوبيت

لما ملأ الجبهة بالانوار * لمناه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سئمت من بلدتكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى

مذ اظهر ورده لنا ريحانه * ناديت لتلك المقلة الكسلانه
تقدب عذاره على وجنته * قومى انتبهى قالت انا نعسانه

وقولى

أحببته متأدبا ونظمت فى * حسن ابتدائى فيه نظم المرقص
واشار فى حسن الختام أجبته * حسن الختام يكون بعد تخلصى

وقولى

يحاضرنى بابيات ولكن * يعيرنى اذا طال اجتماعى
فان انشدت اشعار السلام * يطار حنى بابيات الوداع (عى)

وقولى

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقولى

قال أرالك الحى تعوض * بغصن قدى اذا جفاكا
فقلت من بعد قدحبى * والله ما أشتهى أراكا

وقولى

رمت يوم العيد منه وقفة * ليرى من بعده حالى وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يلمعنى ما لعيد الفطر وقفه

وقولى

قال نهد الحب صفنى مذغدا * قاعدا فى الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ يزر فى تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى

اسياف لحظ قاتلى * لما تعدت حدها
وعربدت من سكرها * قلت استحى وردها
وقال لى موريا * لابد أن أجدها

وقولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكا نشفا

Digitized by Google

فقال لم أروكف الدمع قلت له * حسبك الله يابدر الدجا وكفا (وكفى)

وقولى

قالت وقد قبلتها فى جيدها * تصبو الى غيرى وتخلص من يدى
فاجبت حين تقلدت بمدامعى * ياهند خوضى فى دمى وتقلدى

وقولى

بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب ياعاتبى
قدملت للنقطة بعد التقى * وقلت يالمشروب والشارب

وقولى

ارداف من اهواه قد تثاقلت * لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلونت * وساقه والله ذو وجهين

وقولى

برامة لى ظبى * تخشى الاسود مرامه
كم هام قلبى فيه * بين العذيب ورامه

وقولى

هويت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد
قالت لواحظه انا نسود على * بيض الظبا قلت انتم اعين سودوا (د)

وقولى

قلت له ان جفن مقلتـه * يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من القتل رحت أملقه * سابقنى مدمعى جرى ملقه

وقولى

فى سويدا مقلة الحب نادى * لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا ما فى السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

وقولى

بروحى أفتدى ظبيا نفورا * يحق له بروحى ان يفدى
جلا لصدا قلبى فرد يوم * يوصل منه ثم جفا وصدا

وقلت مورّيا مضمنا

ومذ كلمت جسمى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

وقولى

جاد النسيم على الربا * بنداه يه وقال لى
انا ما اقصر عن ندا * وكما علمت شمائلى

وقولى

رأيت مع المنشور بعض وقاحة * ولم ادر ما بين الغدير وبينه

تلون

تلون منه ثم مد أصابعا * الى وجهه قصدا وخضر عينه

وقولى

حبابها عاصرها فى كأسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

وقولى

لما غدا حباب كأسى شاعرا * لنظم خمريانه يحرر
اوقفت ساقينا على نظامه * فقال لى والله هذا جوهر

وقولى

لما غدا راحى نحيلا باليا * وكاد أن لم يك فى الزجاج
وجاز بالماء الى بحرانه * ورق قالوا صنه بالعلاج
فجئته مستقصيا أعراضه * وجدته معتدل المزاج

وقولى

فى حب كأسى لامنى * من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى انى * وجدت فيها راحتى

وقولى مما جنا

أعنابكم ان حرموا ماءها * وحرفوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ * أعشقه بالقلب والقالب

وقولى

أدخلت أبرى فيه * اصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه * فقال والله داخل

وقولى

العلم ابن الكوير قال معى * لطف وظرف حواهما الكرم
وقامتى بانة مهفهفة * فقلت لا بانة ولا علم

وقولى

قالوا صفى الدين اشعاره * ما للورى فى طرقها مشى
وهكذا انشاؤه مسكر * قلت لهم والله ما انشا

وقولى

ديوان نظمى جاء وهو محرر * برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدا لا تستقلوا حجمه * وحياتكم فيه الكثير الطيب

انتهى ما اوردته فى باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى ان ارتفع العلم الفاضلى واوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المحمدى الى ان اتصل هذا السند باعيان اهل العصر قلت ولولا الحياء من العصابة النباتية وأنامنها لعززت العلمين من الوداعى

بثالث * فاوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغنى عن المثانى والمثالث * فانه أحد ائمة هذا المذهب * واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب * وعلى كل تقدير فغرسان العلمين المشهورين القاضلى والنبانى هم الذين ابرزوا عروس التورية من خدرها * وحققوا للناس من تسامح عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها * ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمودا لحشمة فى الفاظه على كل ناظم وناثر * الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها فى نظمه ونثره من النوادر * وتمذهب بها القاضى شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه فى هذا المذهب ولا حرره * ولا ابدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت ليالى سطورها بنظمه غير مقمرة * ولهذا خدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وانشدوا من رضى بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده * فقل انا وزان وما انا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التى وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاءوا بانواع من الطيب لنا * تحملها معشوقة ممشوقه
قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تاخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما اكتست * خضرة أذناب الطواويس
عاينوا الفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسى

قلت وقد عن لى أن اورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه * لاجعلها فى مهالك الاشكال وموانع العقادة جل مطلبه * وما على ممن تأخر عصرا أو تقدم * فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو ينظم من شعر بها لمنظم * وما خفى أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكليف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفى الدين فانها كانت غير مذهبه * وحاولها مرارا فاتى بها مغصوبة * ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبايل فكره مطلوبه * كقوله

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
املكه قيادى وهو رقى * واقديه بعيتى وهو ساقى

قلت لا شك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساق الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر ان يكون هذا الساقى ساقا للشيخ صفى الدين وهو غير ممكن ولعمرى ان هذا مما لا يسوغ له فى باب التورية مدخل وهذه النكتة ابرزتها معلمة الطرفين وانا اذ ذاك مبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدى * ولا ثبت عند قضاة الادب رشدى * بقولى مورياً ومضمنا

ياحسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم تكيفوا بأحداقى
شمر عن ساقه لنا وسقى * قامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفى الدين فى هذا الباب بيت بديعيته الذى نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * فى الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

قلت ومن نوادره التي يستشهد بها على رفضه ولا بد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة ادبه قوله

اذا شاهدت عينا لـ وجه معذبي ✽ وقد زارني بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلقيه مرحبا ✽ وسيف علي في لحاظ ابي بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي ناظم البديعية كان عن نظم التورية بمعزل ✽ ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل ✽ وبيت نظمه في بديعيته شاهدا على هذا النوع في غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين يحكوم ✽ بل يخفض الرأس قولا هالـ فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن أن تكون من محذورات هذا البيت ولكن اورده الشيخ ابو جعفر في شرحه الذي كتبه على بديعيته ما هو منقول في هذا الباب وهو قوله

وقفت للوداع زينب لما ✽ رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعي وحلو ✽ سكب دمعي على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفي الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ✽ ولكن التورية ما دخلت الى بيت من بيوته الا خرجت غير راضية ✽ ومن التواري التي وقعت لنا ظلمها عفوا بل مجرا من غير كد قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني ✽ قياس جهل بلا انتصاف
قد الـ غصن الخلاف يدعى ✽ وانت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برد يد انفاسه ✽ تخمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده ✽ لو ان نار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ورب ليل تاه فيه نجمه ✽ وقطعته سهرا اطال وجعا
وسالته عن صبحه فاجابني ✽ لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه ✽ غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت ادمعي ✽ فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين بن البارزي

يا حبيبا الحب التـ ✽ طال لها تلفتي
هل انت مسك التركـ او ✽ هل انت مسك تبت

ومثله قول امين الدين السلماني

اضيف الدجا معنى الى لون شعره ✽ فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت ✽ على شرطها فعل الجفون من الكسر

Digitized by Google

ومنه قول محاسن الشواء

ولما اتانى العاذلون عدمتهم * وما منهم الا اللحى تعارض
وقد بهتوا لما رأونى ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومنه قول سعد الدين الفارقى

قف بى على نجد فان قبض الهوى * روحى فطالب خذ لبى بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين بن ابى الحوف

اقول لعقد اذ هل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودى
اخذت نظاما راق معنى فقال لى * وما زلت فى عمرى أدور على الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطى

يارب كأس لم تشج شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومنه قول مجير الدين بن حيان الشاطبى

تؤمون الحجاز وما علمتم * بان القلب بينكم العتيق
والغاطى العذيب واضلعى المنحنى ودموع مقلتى العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضى الجماعة بغرناطه وهو

حدائق أنبتت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفضل البرد فى الجو احتكام
فاذا ماسألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوى

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا
ما زارها وشكت اليه فاقة * الا وهز لها الشمائل بالندا

ومثله فى الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله ايامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف قلبى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدى

ان الذى فى وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
عقلته فى وسط قلبى غدت * ارملة تاكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فيد الغمامة صححته بنقطها

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فمتى اراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامك التى نحن فيها * أى ماء لها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخار (ى)

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دوبيت

ان ضرّ منى بجذوة التذكار * حيى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لا عقل له * ما ابلد عاذلى وأذكى نارى

ومنه قول القاضى علاء الدين بن الجوينى صاحب الديوان ببغداد

ياطيب مبيتنا بوادى السمر * فى بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بغراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحدّ والقنا تعتقل

ومثله قوله

يا غاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لى يونسنى * من بعدك صليت على الرواق

ويعجبنى من نظم المواليا فى هذا الباب قول القائل

حبى ومحبوبتى مذ بان يوم البين * زاروا عشاليلة الاثنين قبل الحين
قصرت انظر الى زينه وألمح زين * واقول ياقلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله فى اللطف قول الآخر

سمعتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجر ودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها اختها قصدى بسمعنا * ما النحو قالت لها نحن بأجمعنا
للرفع والنصب انا واتى ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء للمعنى

ومنه قوله

ستى الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشى افشخت لونا من كلمه * راحت عين القواقيه على قرمه

Digitized by Google

ومثله فى اللطف قول القائل

يامنيتى زدت لهواتى تشفها * واحرمتنى الشفة الحمراء ارشفها
تحب بيضا واجفانك تحشفها * بالله انظر ظلاماتى وكشفها

ويعجبنى قول الشيخ حامد الحكاك

ثار الغرام الذى فى مجهتى خامد * وسال دمعى الذى كنت اعهده جامد
وانا ببغداد والمحبوب فى آمد * مصيبتى عظمت وانالها حامد

وقد طال الشرح واوردت فى باب التورية من المحاسن ما يكفى قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ماوقع فيها من النظم عفوا وتكلفا وقد تعين على ايراد ما وعدت به فى ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تتقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالقريب فيوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمى هذا النوع ايهاما (والتورية اربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيأ ولا من لوازم ذلك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه الى بدر وقد قيل له ممن انتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء واراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهدينى اراد ابو بكر هاديا يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق الذى هو الدليل فى السفر ومنه قول القاضى عياض فى سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كان نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدى والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد فى الغزالة والجدى والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم المورى به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من أوصاف المورى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدى والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدى والحمل ومنه قول القاضى محيى الدين بن زيلاق وقد اهدى لصاحب الموصل حملا

يا ايها المولى الذى * يباب كل امل * لو لم تكن بدر الما * أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منهما لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج فى السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان

لو سنبله خلف ظهرو * ناظرها المشترى
ولو دنب ما يقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

ويطلع من وادى روقك حسنه * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الاربعة ظاهر

النوع الثانى التورية المرشحة وهى التى يذكر فيها لازم المورّى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به ثم تارة يذكر الملازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهى بهذا الاعتبار قسمان فالقسم الاول منها هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية واعظم امثلته قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فان قوله بايد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * اتخنا فخالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن اغضينا الجفون على وقر

الشاهد فى الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد قدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل ان تكون جفون السيوف أى اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم ومن الطف ما وقع فى هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * وصنعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * ياخذه من اعين الناس

الشاهد هنا فى اعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين وهو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورّى عنه وهو مراد الناظم الكاحل انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذ همت من وجدى فى خالها * ولم أصل سنه الى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ما جرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

اقلعت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل الراحة التى هى من اسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ماذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ماذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدّم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن احسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أما فى جلق نزهة * نسيلك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران بمنتزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن امثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن ان الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل ان يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرّح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لاتقع فيها التورية ولا تتهيأ الا باللفظ الذى قبلها أو باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه

التورية من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فينا سيرة عمرية * فروحت عن قلب وافرجت عن كرب
واظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية القسم الثاني من التورية المهيأة وهو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعد ومن امثلته نثرا قول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الاشعث بن قيس انه كان يحول الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورّى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبا في جنابك خدمة * لاكون مندوبا يقضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورّى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبي الحسين الجزار

ياعذولي دعني من العذل ان النصح في مذهب الهوى تحريض
مت لما ناى فيها أنا مندو * ب فراق وحبه مفترض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذي قبله القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين لو لا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمرو بن أبي ربيعة المخزومي وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

الشاهد في البيت الاول في الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورّى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورّى به ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح ان تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية واللفظ الذي ترشح به واللفظ الذي تتبين به أن اللفظ الذي تقع به التورية مهيأة لو لم يذكر

لما تهيات التورية أصلا واللفظ المرشح والمبين انما هما مقويان للتورية فلو لم يذكر الكانت التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد فى الخلق فان الثريا كانت مشهورة فى زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هى شامية الدار وسهيل يمانى انتهى الكلام على التورية المهيأة وهى أخر انواع التورية وهنا تنبيه فيه فائدة وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كالمغات التى تدور على الالسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا أن أحدهما اسبق الى الفهم من الاخر وقد عن لى ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسكا ختامها وبدرا تمامها وهى ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافا ولم يترجح احدهما على الاخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك فى درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا فى سر افق * أرانا العلم من بعد الجهالة
فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرته بالغزالة

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدرارى من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله فى تقرير ان اللازمين اذا تكافا ولم يترجح أحدهما على الاخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما الشاهد ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا فى سر افق فالتفكر فى سر هذا الافق الذى أراه العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن لنجوم الدرارى وهى أيضا مما يرشح جانب الشمس عند طيها الذى أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدرارى ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح والله اعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت اسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعى من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعى نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهى مثل استعارة الشبك والدرارى والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى فانها اجنبية من رعى نرجس الظلم الذى هو عبارة عن النجوم والله أعلم وقد تقدم قولى على الشاهد الذى أوردوه للبحترى فى التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيه نظر وهو قوله

ووراء لسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافا وهو اقرب الى المجردة وماذا الا أن الشاهد فى قوله تملح يحتمل أن يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب ويحتمل أن

يكون

يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملية بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذى اختاروه أن يكون قسما ثانيا للتورية المجردة وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردى

قالت اذا كنت تهوى * انسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * أجور ناديت جورى

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

حلت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم أحصه
لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافآ فى التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ما هو أشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع بين طرفى هذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضع كل شئ فى محله فانى كشفت له اللثام عن وجه التورية وأما ابيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

المشاكلة

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة فى اللغة هى المماثلة والذى تحرر فى المصطلح عند علماء هذا الفن ان المشاكلة هى ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك والاصل تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما عندك فان الحق تعالى وتقدس لا يستعمل فى حقه لفظ النفس الا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أى فعاقبوه فعدل عن هذا لاجل المشاكلة اللفظية وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى فنجازيه على جهله فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثله قول الشاعر وتلطف ما شاء

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هذا النوع اعنى المشاكلة اللفظية أن يأتى المتكلم فى كلامه باسم من الاسماء المشتركة فى موضعين فتشاكل أحدى المشاكلتين اللفظيتين الاخرى فى الخط واللفظ ومفهوم مهما مختلف ومن انشادات التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وامثاله داخل فى باب التجنيس قلت قول الشيخ زكى الدين ظاهر ليس فى صحته سقم وهذا البيت الذى انشده التبريزى من أحسن الشواهد على الجناس التام ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية تخلصوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة تعددت حكم الالتزام فى نظم هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله عن النبى صلى عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ماء اذ سقى ذهبا * فغير كفيه ان أمحلت لا تشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئه للمسيئة * معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

الجمع مع التقسيم

(جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

هذا النوع اعنى الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم كقول ابى الطيب المتنبى

الدهر معتذر والسيف منتصر * وارضهم لك مصطاف ومرتبع

للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتاخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * او حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فاولال أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فليت المال ما جمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين مسخ فى هذا الباب قول ابى الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا الرجاء وذا للبيش معين ظمى

وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا لغمر وهذا نفع مغترم

وبيت بديعيتى

جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

الجمع مع التفريق

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان ابد واظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع اعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضئ نهارا وهذا يضئ ليلا فوقع الفرق فى الشئ الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها ابيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعدلنا * تعجب راءى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه قلق حيث قالوا

فلذ بمن كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عز الدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابد وظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

الاشارة

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الا نصار معنى به فازوا بنصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما اخترعه قدامة من ايتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره باشارة اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى اشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى الفاظ كثيرة ولا بد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض ومطر السماء وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولو لم يكن

Digitized by Google

كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح ايها المتأمل كلما تميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين في اختلاف المرئيات * لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعاني التي لا تحصر عددا * ومنه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير في هذا النوع

فاني لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة لقاء

يعني قابلت كل منكرة بمثلها ومن امثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عززت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظركم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلا شكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفي قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها في الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم وما في ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله في صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا وان

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذي يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الافانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولا حث وهذا كمال الوصف ولو عدت هذه المعاني بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة الى الفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته

يولي الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عداما في نفوسهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ما نشتهي النفس يدري في اشارته * يعطي فنونا بلا من ولا سأم

وبيت بديعيتي

ومن اشارته في الحرب كم فهم الا نصار معنى به فازوا بنصرهم

النوليد

(ذكر التوليد)

(توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد ملهم)

قلت هذا النوع أعني التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعاني فالذي من الالفاظ تركه اولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذا الا أن الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره فينتضبها ويضمنها غير معناها الاول في شعره كقول امرئ القيس في وصف الفرس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فاستعذب ابو تمام قيد الأوابد فنقلها الى الغزل فقال

لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو في خفارته الحب

والتوليد من المعاني هو الاجمل والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معاني من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله في بيت من قصيدته فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا

عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد قال ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير أغرب ما سمعت في التوليد قول بعض النجم

كأن عذاره في الخد لام * ومبسمه الشهي العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم * فيالعجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل في البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع

من سبق لا يرى سوط لها سملا * ولا جديد من الارسان واللجم

بيت صفي الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر عليه هذا النقد في كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذي قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين وياتي الكلام عليه في موضعه ولكن هو أقبح ما يكون في البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفي الدين مولد من قول أبي عبد الله ابن الحجاج

خرقت صفوفهم بأقب نهد * مراح السوط منعوب العنان

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

مالي بتوليد مدحي في سواه هدى * لمعشر شبهوا الهندي بالجلم

بيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا الهندي بالجلم فانه ذكر في شرحه أنه ولده من قول أبي الطيب المتنبي

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا

ثم قال في الشرح ما شبه السيف بالمقص الا أعمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالجلم مولد من بيت المتنبي والفاظه ومعانيها ظاهرة للمناقل وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

توليد نصرتهم بيد وبطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد ملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبي تمام

والنصر من شهب الارماح لامعة * بين الخميس علا في السبعة الشهب

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعي مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد في التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع وبين التذييل بقولي بعد تتمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

الكناية

(قالوا طويل النجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم)

الكناية هي الارداف بعينه عند علماء البيان وانما علماء البديع افردوا الارداف عنها والكناية هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومي اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى ان القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

قوله ابوها كذا في النسخ بالرفع وهو ان لم يكن محرفا خبر مبتدأ محذوف اه

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * ابوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء ستيرا

كنت عن الافراط في الجود يخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ في هذا الباب والابدع أن يكني المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز في ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك ما يكون بين الزوجين وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من تحتها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

قال أعني قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استطاع امرؤ القيس لعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفي السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصى عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز ان العرب كانت تقول لمن به اينة أنت تحت العصا وأنشد

زوجتك

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القران العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس فى معلقته

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أى بيضة خدر يعنى امرأة كالبيضة فى صيانتها لا يرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني * هناة ذالك تكرهه الكرام

وليس بنا أحل الله بأس * اذا هو لم يحل لطمه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكنى بهما عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن الطف الكنايات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته عن الكناية قوله

كل طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالأوتار والنغم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

داع كثير رماد القدر أن وصفت * كناية بطنها والظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر فى ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسيم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتى

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة وبكثرة الرماد عن كثرة القرى ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التى كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

الجمع

(ذكر الجمع)

(آدابه وعطاياه ورافته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع أعنى الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر فى حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون فى الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر فى الحسبان وجمع بين النجم والشجر فى السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا فى سربه معافا فى بدنه ويروى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم فى حوز الدنيا بحذافيرها وهى النواحى والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أى مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة فى المفسدة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى الجمع

Digitized by Google

قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان فى بديعيتهم

قد أحرز السبق والاحسان فى نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للعلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفضل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو لفظة يرى فى بيت الموصلى اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتى

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

(ذكر السلب والايجاب)

السلب والايجاب

(ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم)

هذا النوع أعنى السلب والايجاب ذكر ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابى هلال العسكرى تقريرا حسنا على هذا النوع وهو ان بنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة واثباته من جهة اخرى والذى قرره ابن أبى الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها فى أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها الممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء فى أخيها

وما بلغت كف امرء متطاولا * من المجد الا والذى نلت أطول

ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيك افضل

قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وما هنا ابلغ وعلى هذه الرواية رسمنا هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثانى ولكن لم يتمكن منه الا فى بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

هذا كله عين كلام الخنساء ولكن فاته وان أطنبوا فى بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها ابو نواس والفرق بين وانت الذى نعنى وبين الذى فيك افضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا الا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

أغر لا يمنع الراجين ما طلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتى

ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم

التقسيم

(ذكر التقسيم)

(هداه تقسيمه حالى به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو فى اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفى الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها فى الايضاح وقال السكاكى هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا اجزاء بن او أكثر ثم يضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ما هو فى حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر فى اول برقة ولا يحصل الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تتنجع فلا تخطئ المغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سبوق عدى لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع فى أول برقة أتى بذكر الخوف فى الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى بذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجئ الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التى يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضى والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضى وما بين ذلك الحال وفى الحديث النبوى قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت او تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذى من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميرا واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات واقسام أحوال الانسان بين الفضل والاكتفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم فى المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت

لنا لا تمنعونا وان كانت لله فعرفوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن العزيز ما ترك لنا الاعرابي في واحدة عذرا ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال رحم الله من تصدق من فضله اوواسى من كفاف او آثر من قوت قال الحسن ما ترك الاعرابي في واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن ابي سلمى في معلقته

واعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم

ونقل ابو نواس جد زهير الى الهزل فقال

أمر غد انت منه في لبس * وامس قد فات فاله عن امس

فانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس يابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد في تقسيمه

ثمانية لم يفترقن جميعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر

ضمير لك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لي صفها فانت بوصفها * خبير أجل عندي باوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وانشد سيبويه بيتا بديعا على هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ما ندري

ويعجبني قول الخاسي في هذا الباب

وهيهات كشي لم يكن او كازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

ويعجبني قول ابي تمام في مجوسي احرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل او هارب او أسير

وبيت صفي الدين الحلي ماخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افي جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل وماسور ومنهزم

وبيت العميان في بديعيتهم

غيثان أما الذي من فيض أنمله * فدائم والذي للمزن لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين

تقسيمه الدهر يوما امسه كغد * في الحلم والجود والايفاء للذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرر ان الاثنين في التقسيم لا يمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لا يجوز ان يكون لها رابع وقد تقدم في الاثنين قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع في المطر وتقدم في تقسيم الثلاثة قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأبقيت ولا رابع لهذه الثلاثة ورايت باب الزيادة في بيت الشيخ عز الدين

مفتوحا

مفتوحا فانه يحتمل الحلم والجود وايفاء الذم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جرا وتقدم ان بيت صفى الدين الحلى ماخوذ من بيت عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل اوهارب اوأسير

فهذه الثلاثة لا تحتمل رابعا وكذلك بيت صفى الدين فانه ماخوذ من هنا وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

هذا تقسيمه حالى به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة ايضا لا يمكن ان يكون لها رابع وهذا النوع ليس فى تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عز الدين والذى اقوله انه لم تضق عليه المسالك الا بالتزام التورية فى تسمية النوع والله اعلم

الايجاز

(ذكر الايجاز)

(اوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم)

هذا النوع اعنى الايجاز اعتنت به فصحاء العرب ويلغاؤها كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز أتوا بالفاظ استغنوا بواحدها عن الفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك فقولك اين زيد مغن عن قولك ازيد فى الدار ام فى المسجد الى ان تستقرى جميع الاماكن وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد او عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن قولك ليس فيها زيد ولا عمرو فغالب كلام العرب مبنى على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وعظ فى ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع اقسام المعروف والمنكر والبغى بالطباق اللفظى والمعنوى وحسن النسق والتسهيم وحسن البيان والايجاز وايتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة ومن ذلك قول الشاعر

يا ايها المتحلى دون شيمته * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقى عليه كقوله تعالى واسال القرية التى كنا فيها وكقول الشاعر

ورايت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

اى ومتقلدا رمحا ومثله قول الشاعر

* علفتها تبنا وماء باردا *

أى وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه ويأمره * بعزم مغتنم فى زى مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله فى زى مغترم ولكنه ما تحته فى بلاغة الايجاز كبير امر

Digitized by Google

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وقول الشيخ عز الدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عز الدين ايجازه وسل زمانك أى أهل زمانك واما بقية البيت فلا افهم له معنى فان البيت الذى قبله متعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ماش فى اثر الابيات التى قبله واما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله اعلم واما بيت بديعيتى فهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

اوجز وسل اول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير فى لفظة فيه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب فى قولى وسل اول الابيات فانه اشارة الى اول بيت وضع للناس والايجاز الثانى فى قولى وسل مكة أى رسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجازان بليغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير ايضا بين الايجاز والمدح والاثبات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

المشاركة

(ذكر المشاركة)

(بالجر سادفلانذ يشاركه * حجر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع اعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن ابى الاصبع ثلاثة اقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا اصليا او فرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ما توهمه السامع كقول كثير عزة

وانت الذى حببت كل قصيرة * الىّ ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم ارد * قصار الخطا شر النساء الحبائر

فانه اثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه اراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف او تصحيف او تذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لا تعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى ترشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه اراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

وللغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عز الدين اضمر احد الركنين واظهر الآخر وهذا احد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى اول

البيت

البيت واضمر الغزالة الشمسية فى الشطر الثانى وهذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عزالدين فى الشطر الثانى بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويتحقق ان المراد الغزالة الشمسية او بالعكس كان نوع الاشتراك فى بيته خالصا مع مافيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه اظهر لفظ الغزالة الثانية فتحتم انه صار جناسا معنويا ولعمرى انه احسن من بيته الذى استشهد فيه على الجناس المعنوى فى اول بديعيته

وكافر نعم الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فانه اظهر فى اول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذى هو الليل وتالله ان بيته الذى نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى استحقاقا ذوقيا وهو اسجم من هذا البيت وارق للمعنى واوقع فى الاسماع وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالحجر ساد فلا ند يشاركه * حجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعتمد عليه فى هذا النوع ولا يخفى على اهل الذوق السليم ما فى تركيبه والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت عزالدين تقرر ان الجناس المعنوى احق به واشتراك بيتى فى لفظة الحجر فانى قلت فى اول بيتى بالحجر ساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت فى الشطر الثانى حجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

التصريع

(ذكر التصريع)

(تصريع ابواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع اعنى التصريع هو عبارة عن استواء اخر جزء فى صدر البيت واخر جزء فى عجزه فى الوزن والروى والاعراب وهو اليق ما يكون بمطالع القصائد وفى وسطها ربما تمجه الاذواق والاسماع وهذا وقع فى معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال فى اثناء هذه القصيدة

الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس فى نوع التصريع كبير امر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا فى الرخص رغبوا فى الكثرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لاقاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

لا زال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير فى القمم

وبيت بديعيتى اشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصريع ابواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح هو فتوح

فى هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

الاعتراض

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع اعنى الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة فى معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا فى المقبول منه حشو اللوزينج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة فى غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتى لاقامة الوزن لاغير وفى الاعتراض من المحاسن المكملة للمعانى المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة ومن معجزه فى القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التى زادت المعنى فائدة فى غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وامثلته كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فان من انقذ الرحمن دعوته * وانت ذا الذلة الجار لم يضم

فقوله وانت ذا الذلة هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى فائدة وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

فلا اعتراض علينا فى السؤال به * اعنى الرسول لكى تنجو من الضرم

فقول الشيخ عز الدين اعنى الرسول هو الاعتراض الذى اراده وبيت بديعى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فتولى بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان فى قول عز الدين اعنى الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر فى مخلص مديحه اعنى فلا يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من المخالص الواهية ولم يخف اليه الا عوام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله اعلم

الرجوع

(ذكر الرجوع)

(ومالنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع اعنى الرجوع ذكره ابن المعتز وابو هلال العسكرى وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هى عليه من الدروس فقال بلى عفت وعليه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول ابي البيداء

ومالي انتصاران غدا الدهر جائرا * علي بلى ان كان من عندك النصر

واما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذي أقول ان هذا الرجوع لا فرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول أبي هلال العسكري ان السلب والايجاب هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة اخرى وقال القاضي جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لائق بالنوعين وللمتأمل أن يتطرق في ذلك ليحسن ذوقه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

اطلتها ضمن تقصيري فقام بها * عذري وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان

قلوا بيد رفقوا اغرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمى

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ليس في بيت الشيخ عز الدين رجوع الا عن حشمة الالفاظ ونخامتها في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن في أوصافه ويعجبني قول ابن نباتة في لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحت جم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين أن يقول في النوع البديعي الذي هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض في الشطر الثاني وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

ومالنا من رجوع عن حماه بلا * لنا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم في ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ في مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك والله أعلم

الترتيب

(ذكر الترتيب)

(ترتيب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم)

هذا النوع أعني الترتيب من استخراجات التيفاشي ذكره في كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يخرج الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد عليه في الذهن أو في العيان كقول مسلم بن الوليد

هيفاء في فرعها الليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفي الدين الحلي

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى مائه أرض الوغى بدم

Digitized by Google

ترتيب بيت صفى الدين على العناصر الاربعة وهى الماء والنار والهواء والتراب والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش فى الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ما قرره التيفاشى وبيت بديعتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر فى الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهى حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لا ينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقى الحيوان وبقى الانسان وهذا حده والله أعلم بالصواب

الاشتقاق

(ذكر الاشتقاق)

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبين اشتقاقهم

هذا النوع أعنى الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكرى وذكره فى آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بأنه قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد فى نفطويه

لو أوحى النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه

احرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صياحا عليه

وهذا النوع ما ذكره القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود فى حسن التوسل ولا نظمته العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وبيت بديعيته التى ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عند هذا الحصن والاطم

الشيخ صفى الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابل بضده وهذا هو الغرض الذى أراده الناظم وبيت الشيخ عز الدين فى المعارضة قوله

ميم وحا فى اشتقاق الاسم محوعدا * والميم والدال مدا الخير للامم

هذا البيت يشق على ان أشرح اشتقاقه واذكر ما فيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشى على طريق ابن دريد فى الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وماذا الا أن اسم نفطويه سداسى قسمه الناظم فى الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثانى صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو فى محمد باقى من أين للشيخ عز الدين غفر الله له هذا حتى تصح معه لفظة محو مع انى راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيهما محو لاعدائه وأيضا فلم نجد أحدا استشهد فى بيت من بيوت بديعيته وصدر بيتيه بقوله ميم وحا فى اشتقاق الاسم محو عدا الا الشيخ عز الدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من العقادة ليصح الاستشهاد به

على

على ذلك النوع وبيت بديعي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير أبي هلال العسكري في هذا النوع وهو ان يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده والغرض هنا ان كلا من محمد واحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

الاتفاق

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو ان يتفق للشاعر واقعة واسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلقه العمل في نفسها اما بالمشاهدة أو بالسماع فان السبق الى معاني الوقايع يشترك الناس في مشاهدتها وفي سماعها فضل لا يجحد وان حصل للشاعر في ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادي والملاح به كما اتفق للرضي بن أبي حصينة المصري في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

وأحسن من ذلك وابدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي * حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق ان المذكورين كانا وزيرين وان المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن السلعاتي وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج

دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ومنه قول ابن أبي الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف بن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا * الم تر موسى فيه قد لقي الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعية فاني انشدته وقد كسر النيل في شهر مسرى وبلغه في يوم الكسر ان نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

ايا ملكا بالله اضحى مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تميز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر ايام نيروز

الاتفاق البديع الغريب في هذا البيت ان كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزي ولم يبق بعده كسر واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو ان المقر التاجي نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه براءته فانشدته

بالحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضى الزائد وهو قولى

سبع وجوه لتاج مصر * تقول ما فى الوجوه شبهى
وعندنا ذو الوجوه يحيى * وانت تاج بفرد وجهه

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم امه نعتا لامته * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف بشاكله فى اسمه العلم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضى الله عنه

ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى حسن وحسن الوصف هو أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى الحسن رضى الله عنه وقال ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين انتهى

(ذكر الابداع)

الابداع

ابداع اخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افاسجع بها وهم

الابداع هو أن يأتى الشاعر فى البيت الواحد بعدة أنواع أو فى القرينة الواحدة من النثر وربما كان فى الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكى الدين ابن أبى الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعى وأقلعى * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * فى قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * فى قوله اقلعى * والاشارة * فى قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة والتمثيل * فى قوله تعالى وقضى الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * فى قوله تعالى واستوت على الجودى فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه اقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * فى قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وايتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة باقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعى يقتضى آخرها * والتهذيب * لان مرادات الالفاظ

موصوفة

موصوفة بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقى مجموع الآية الشريفة هو * الابداع * الذى هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وسهوت عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لا يتوقف فى معرفة معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على الابداع قوله

ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل فى علم وفى كرم

الشيخ صفى الدين فى بيته من أنواع البديع التجنيس والتسجيع واللف والنشر والكناية عن الكرم فى قوله ذل النضار وايتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى ذكر فيه ستة عشر نوعا ما امكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا روض عدل بعد طولهم * واترعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ابداع اخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افصح بهاوهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وايتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثانى فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر فى البيت بكماله والابداع الذى هو المراد هنا والله أعلم

المماثلة

(ذكر المماثلة)

فالخير مماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم

هذا النوع أعنى المماثلة هو أن تماثل ألفاظ الكلام او بعضها فى الزنة دون التقفية كقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية فى هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

كأن المدامع وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وأما الشاهد الذى هو على أصل هذا الباب فى الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح كريم رزين * اذا ما العقول بداطيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالى الكلمات المتزنة وتفرقها فى المناسبة قلت هذا النوع أعنى المماثلة ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع السائل فى اسلاكها وما أعلم وجه الابداع فيه ما هو ولا نرى من استخراجه وعده بديعا غير الكثرة وقد حسن أن انشدها هنا

* وكثر فاربت ولو شاء قللا *

وبالله ما اختلج فى فكرى من حين تأدبت ان اوصعه فى قصيدة من قصايدى ولكن حكم

Digitized by Google

المعارضة أوجب ذلك * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

سهل خلايقه صعب عرائكه * جم غرايبه في الحكم والحكم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يبدي مماثله يعطي مناسبة * يجزي مجانسة في الكلم والكلم

وبيت بديعيتي

فالخبر ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

(ذكر حصر الجزئي والحاقه بالكلي)

(الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع وهو ان يأتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصرا الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلي بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال التمدح وما تسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذي ادراك فتمدح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة في ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وامثاله من النظم قول الشاعر

البك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ومدح يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر اقسام الجزئي أما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئي فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك في نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فاز العميان من نظمه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

شخص هو العالم الكلي في شرف * ونفسه الجوهر القدسي في عظم

الشيخ صفي الدين جعل الجزئي كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لا يسع جميع القيود وبيت الشيخ عز الدين

فالحق الجزء بالكلي منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لامور وبيت بديعيتي

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كليا العلو مقداره وعظمه فقولي عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلي للعظم لا يخفى ما فيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن افهام كثيرة وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له في هذا الباب نظيرا وما أوضحه وزاده طلاوة وحسنا الاتشريفه بالمديح النبوي

الفرائد

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتي الناظم او الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمي فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها ومنه قول عنترة في معلقته

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فعمي صباحا فريدة في مكانها وروى أن أبا ذر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلنا ما هو خير منها فقال ما هي قال السلام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

قوله ذي سلم في نسخة من سلم اه

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه اورق بجزاء ذي سلم

الفريدة في بيت الحلي هي الجزاء والجزاء هي العصا المعقدة والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

كم حصحص الحق اذ وافت فرائده * وفي الوطيس بدا ثبتا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس وأما برم فما برم فيها أمر او بيت بديعي أقول فيه وأنا مستمر على خطابي لمن رام مديح النبي صلى الله عليه وسلم فاني قلت في البيت الذي قبله

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

الترشيح

(ذكر الترشيح)

(يس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه في نون والقلم)

هذا النوع أعني الترشيح هو ان يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامي في مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

فلو لاذكر الشفير لما كان فى الرجاء توريه برجا البئر ولكان من رجوت الامر لقوله اولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره فى باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية اربعة انواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هى التى يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به قبل لفظ التورية او بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورّى به وتقدم هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثالهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من انواع البديع ما لايحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لايختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب الاترى الى قول أبى الطيب المتنبى

وخفوق قلب لورأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم للمطابقة ولو قال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

اذا مارأيت النسر عزى بن دأية * وعشعش فى وكريه طارت له نفسى

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ان حل أرض اناس شد أزرهم * بما أباح لهم من حط وزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو ابقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ماتنظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

فى الفتح ضم من الانصار شملهم * جبر الكسر بترشيح من الرحم

الترشيح فى بيت الشيخ عز الدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بسر زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم

فذكر لقمان رشح بس للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عز الدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم احتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

العنوان

(ذكر العنوان)

(به العصا اثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع اعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم

Digitized by Google

أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا للاخبار متقدمة وتخصيص مبالغة كقول أبي تمام لاحمد بن أبي دؤاد

ثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لدى حرب وبين بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر في البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ما جرى بين بني عبس وبين بني بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

والعاقب الخبر في نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عالم النصارى حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وكان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم متحضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم اجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فاني أرى معه وجوها لو أقسم على الله ان يزيل بها الجبال لازالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

بشرى المسيح اتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

به العصا اثمرت عزا لصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية في العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لانها اسم النوع الذي هو القصد هنا وأما قولي به العصا اثمرت فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب

التسهيم

(ذكر التسهيم)

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم ونجا من حزنارهم

هذا النوع ماخوذ من الثوب المسهم وهو الذي يدل احدى سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على ما دون العجز وتعريفه ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات اخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فاقسم يا عمرو لو نبهالك *

يقتضي أن يكون تمامه

* اذا نبهامنك داء عضالا *

دون غيره من القوافي لانه لو قال مكان داء عضال الليث غضوبا أو افعى قتولا أو ما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما يمكن مغالبته والتوقي منه والداء العضال لا دواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبهاليث عريسة * مقيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا

* فكنت النهار به شمسه *

يقتضي ان يتلوه

* وكنت دجا الليل فيه الهلالا *

ومنه قول البحتري

احلت دمي من غير جرم وحرمتي * بلا سبب يوم اللقاء كلامحة

* فليس الذي قد حللت بمحلل *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه

* وليس الذي قد حرمت بحرام *

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

كذا يونس ناجى ربه فنجا * من بطن حوت له في اليم ملتقم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تسهيمه في الوغى حسم لمتصل * تسليمه في الرضى وصل لمحتشم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم في العكس فتشوش اذ صار كل من النوعين يجاذبه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم في هذا البيت انحصر فيها ثلاثة أنواع أحدها تسمية النوع والثاني الاستعارة البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر في دلالة الاول على الثاني

التطريز

(ذكر التطريز)

(شملي بتطريز مدحي فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم)

هذا النوع أعني التطريز هو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره وقدره في تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرروا تحاد لا عدد تغير كقول ابن الرومي

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

ومثله قوله

كان الكأس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

ومثله قول ابن المعتز

فشوني

فثوبي والمدام ولون خدي * شقيق في شقيق في شقيق

وابدع من الجميع والطف قولي من قصيدتي المصغرة

لحيظك والمقيلة مع نظمي * سحير في سحير في سحير

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل مرتكم * في ظل مرتكم في ظل مرتكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون للعبادة فيه بعض تراكم والعميان ليس في بديعيتهم تطريز وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى في بديعيته قوله

الدين والنقع تطريز لمحترم * في نصر محترم في نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذي هو اسم النوع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شملي بتطريز مدحي فيه منتظم * يا طيب منتظم يا طيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذي هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

التنكيت

(ذكر التنكيت)

وآله البحر آل أن يقس بندا * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم في اسلاك البديع ويغار عليه أن يعدم المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون اشياء كلها تسد مسده لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى وانه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شيء لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن ابي كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفي النجوم ما هو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه في معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمي والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرني طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

خصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التنكيت

وآله امناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها تصريحا بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

فني براءة تنكيت بمدحته * معناه في الشرح يشفي داء ذي البكم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه ان النكتة المقصودة في بيته في سورة براءة هي قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

وآله البحر آل ان يقس بندا * كفوفهم قافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت في هذا البيت بديع وغريب في بابه فاني خصصت النداء بالذكر عند مقايسته بالبحر في قولي ان البحر عند ندا كفوفهم كالآل والآل هو الذي يحسبه الظمأن ماء ولو قلت انهار كفوفهم أو جدا اول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسد بزيادة زائدة ولكن في النداء نكتة ليست فيهما وهي الغلو في أن البحر يصير عند هذا النداء سرابا وهذا الذي أوجب تخصيص النداء بالذكر دون غيره وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو المقصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

الارداف

(ذكر الارداف)

(وفي الوغى رادفوا السن القناسكا * من العدا في محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شيء واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وانما ائمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بطاوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وتعددت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول أبي عبادة البحتري يصف طعنة

فأوجرته اخرى فاحلت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر أنه عبارة عن تبديل الكلمة برديفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك الانتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بفتية اسكنوا أطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته الى أن نزع قلبه من صدره بل جل قصده في ارداف

هنا القلب وكان الواجب العدول عنه لشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

للطعن والضرب ارداف يحل به * فى موضع العقل يحكيه ذوو الحكم

وبيت بديعيتى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله البحر آل ان يقس بندا * كفوفهم فافهم واتنكيت مدحهم

واردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى رادفوا السن القناسكا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى اسكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

الايداع

(ذكر الايداع)

واودعوا اللثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو ان يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات * ابثهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو أن يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد ان يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت باجمعه له وأحسن الايداع ماصرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا أو صدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكاملها وينظم لها المودع صدورا لغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر أن الاحسن فى هذا الباب أن يصرف الشاعر ما أودعه فى شعره عن معناه الذى قصد صاحبه الاول ويجوز تضمين البيتين بشرط أن ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة اخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جرو كلب وهو سكران فاخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

ياأهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بخزية البسته العار فى البلد

ابدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد

فانشدت امه من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الاحد

أقول للنفس تاساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من اودع شعره بيتين وكل بيت منهما لشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

Digitized by Google

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واشجانى وشربى المدامع
وخلى يعاطينى كؤس ملامة * ويفشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قلت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول فى الايداع الى معنى آخر ان كان فى بيتين او بيت واحد او نصف بيت ولكن الفرقة التى مشت تحت العلم الفاضلى وتحلت بالقطر النباتى وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية أو ما يناسبها من انواع البديع ومما يؤيد قولى هذا قول القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص وأحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه وممن أبدع فى نقله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين ابن نباتة رحمه الله تعالى بقوله

أتانى على البانات منشدا * فيالك من شعر ثقيل مطول
مكرر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله فى مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب اخلى منزلا * به كان فى عرس المسرة يجلى
فيا صاحبى الذكر قد لذ بالبكا * فقلبك من ذكرى حبيب ومنزل

وما يشك من عنده ذوق أن المقطوعين فى الايداع تميزا لمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع اعناق الرجال فى ايداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته فى غاية الحسن وهذا هو المذهب الذى انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وهو

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
الستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

وقولى

ومذ كلمت قلبى سيوف لحاظها * شكوت اليها قسوتى وهى تبسم
فلم أر بدا راضا حكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا بخلق لما دنوت واذ لالى
فقلت امكنيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقولى

طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
خلالى السهاد مذ طال ليلى * ياخليلى من ذوابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدى الى ايرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله برحمته ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة فى ايداعه واتفقا فى معناه والمعنى فى البيتين المذكورين قبل وأما الترشيح فعندى ان التورية فى بيتى المقر الناصرى أرجح وهما قوله

أقول وقد أبى عن أخذ ايرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذى ترجح عندى ان قوله وجاوزه أقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كله والذى أقوله ان كلا منهما فى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد فى منازله * هل بالطلول لسائل رد

ومثله قولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ايداعاتى الغريبة قولى من اعجاز الملحة

تنكر الحال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل
فعنه سلنى ان ترد تعريفه * فانه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذى يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضى القضاة ولم يزل مستمرا على غرر المدائح اللائقة بالقاضى الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردى نبذة من اعجاز الملحة ولم يفرغها فى غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات فى هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان فى ذلك العصر سيج وحده ومن المعلوم ان الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ برهان الدين القيراطى وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاواته النباتية وقد عن لى ان أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على اصحاب الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين فى المطلع

صرفت فعلى فى الاسى وقولى * بحمد دى الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى فى المطلع

ياسائلى عن الكلام المنتظم * هو الذى فى لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من الايداع الذى قصر فيه باع الشيخ زين الدين ابن الوردى فانه صدر مطلعه بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز وسبج ايداعه على هذا المنوال ومن اغزال الشيخ جمال الدين البديعة فى هذا الباب قوله

أفدى غزالا مثلوا جماله * فى مثل قد اقبلت الغزاله

ما قال مذ ملك قلبي واسترق * كقولهم رب غلام لي ابق
للقمرين وجهه مطالع * فهي ثلاث ما لهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل في دار الهنا * مثاله الدار وزيد وأنا
لا يحتشي تلاعب الظنون * والامر مبني على السكون
في خده التبري هان نشبي * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تسام * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالي فصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النوني ما انصفته * وان تكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ما تكتبه لا يختلف
يأتي بنقط الخال في الاعجام * وتارة يأتي بمعنى اللام
للحظه المسكر فعل يطرب * مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تسلم فيه عو يشقا تلف * ولا سكير ان الذي لا ينصرف
جسمي وذاك الخصر والجفن الدقف * هن حروف الاعتلال المكتنف
فيا ملياً عنه أخرت القمر * اما لا هو ان واما لصغر
كررفا حلى بسمعي السامي * قولك يا غلام يا غلامي
وارفق بضنك فاسوى اسمه * ولا تغير ما بقي من رسمه
وقد حكى العذار في الوقوف * فاعطف على سائلك الضعيف
وانخر بمعنى لحظك المشوق * في كل ما تانيه حقيق
يالك لحظا بسعاد أزري * وجاء في الوزن مثال سكري
يا ناصبا أوصاف ذاك الصبي * تم الكلام عنده فلتنصب
هيهات بل دع عنك ما أضنى وما * وعاص اسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح في علي * قاضي القضاة الطاهر النقي
بكل معنى قد تناهى واستوى * في كل شتى رواها من روى
بادر بناذاك الحمى العالي وصف * اذا اندرجت قائلا ولا تقف
دونك والمدح زكيا مجبا * نحو لقيت القاضي المهذبا
فالجود والعلم عليه ارسى * وهكذا أصبح ثم امسى
واهرع الى قارقراه نافع * وافزع الى حام حماه ما نع
يقول للضيف نداه جب وجل * ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل
وان ظفرت عنده بموعد * تقول كم مال أفادته يدي
لله ما اليه عند العطا * وما أحد سيفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرا بيا * وقام قس في عكاظ خاطبا
وان سخا أتى على ذي العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد

معطل

معطل السمع عن العذال * فما له مغير بحال
الفضل جنس بيته المهنا * ونوعه الذى عليه بنى
سام به أهل العلا جميعا * وارفع ولا رد ولا تقريعا
وان ذكرت افق بيت قدما * فانصب وقل كم كوب تحوى السما
بيت عظيم المجد والعلاء * عند جميع العرب العرباء
اذا اجتليت فى العطا جبينه * اوا ستترت للرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قد خلت الهلال لايحا * وقد وجدت المستشار ناصحا
كم بالغنى عنه تولى راجل * وواقف بالباب اضحى سائل
قال له الشرع امض ماتحاوله * وا قض قضاء لايرد قائله
وأنت ياقاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد
ولاتقل كان غما ماورحل * كان وما انفك الفتى ولم يزل
باب سواه اهجر عدالعيب * وصغر الباب وقل بويب
جوده أنسى احاديث المطر * فليس يحتاج لها الى خبر
خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت فى البحر ابتغاء الدر
حتى ملا عينى نداه عينا * وطبت نفسا اذ قضيت الدينا
دونكها معسولة الآداب * ممزوجة بملحة الاعراب
مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم
فافتح لها باب القبول تجتلى * وان تجد عيبا فسد الخللا
لازلت مسموع الثنا دامنى * جائلة دائرة فى الالسن
ما لعدالك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

فى صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت الشيخ جمال الدين تقدمه فى هذا البيت بالايداع وهنا بحث لطيف ابحثه مع حذاق الادب قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خديه خط) ومراده بذكر الحرف هنا مخالفة القوم له على انها ليست باحرف وانما هى حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (فى خده للحسن آيات تخط) فلم يبق لقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل وأين الآيات التى تخط من اللام ولعمرى ان هذا الايداع على هذا التقدير يصير بينه وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ايداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله أعلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذ الف الوصل متى يدرج سقط
بسيف جفنه قتلت نفسى * فانه ما ض بغير لبس

Digitized by Google

فساغزال ان ابنت ما اعتدى * فاسقط الحرف الاخير ابدا
قلت لمذكر لحى خل القتد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الابداع أيضا نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه فى غير قالبه وأين هذا من قول الشيخ جمال الدين فى اشارته الى قاصد ممدوحه

وأنت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عذلك فى المؤنث * فقل لها خافى رجال العبث

منها وأجاد الى الغاية

قوامه اشبه شئ بالالف * كمثل ما تكتبه لا يختلف

ومثله فى الحسن قوله

يا حصره من ردفه فز بالمنح * ولا تسل أخف وزنا أم رجح

تركيب هذا البيت غاية فى هذا الباب لانه قدم ذكر الالف فى الاول وقال فى عجز بيت الملحة كمثل ما تكتبه لا يختلف بخلاف قوله فى ذلك البيت آيات وقوله فى عجز بيت الملحة وقال قوم انها الالام فقط وقال

عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تغير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل واين قول الشيخ جمال الدين

* وارفق بضنا لثغا سوى اسمه *

حتى يقول بعد التوطئة

* ولا تغير ما بقى من رسمه *

من قول الشيخ زين الدين

* عذاره الرقيم فز بلثمه *

وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خضرة يسيره * كما تقول نار ه منيره
دينار وجهه به شحت * وكم دنيئ به سمحت
يا ليته يعطف بالوصال * والعطف قد يدخل فى الافعال
لا ما حلا لى فى هواه العذل * لشبهه الفعل الذى يستقبل

منها وأجاد

عيناه افتن أكثر العشاق * وهكذا تفعل فى البواقى
فى ثغره جواهر غوالى * جلوتها منظومة اللآلى
صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن
وخل عنك يا عذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت أيضا منسوخ من ابداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال الدين اعتذر للممدوح فى آخر القصيدة فى التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

فافتح لها باب القبول تجتلى * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد فى هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخللا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله أعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله قوله

حتى رثى لى وألان القولا * والحمد لله على ما أولى

ولعمرى انى اختصرت من ايداع الشيخ زين الدين بن الوردى جانبا لم ارضه له ومن الايداعات التى برزتها الشيخ زين الدين ابن الوردى قصيدته التى امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمن فيها اعجاز قصيدة أبى العلاء المعرى وبعض صدورها وهى القصيدة الرائية التى امتدح بها ابو العلاء المعرى ابن القصيصى ونقلها الشيخ زين الدين ابن الوردى الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لى ان أجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه اظهر فى ايداعه العجائب وأتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الايداع وهو

أدر أحاديث سلع والحمى ادر * والهج بذكر اللوى أو بانه العطر

ومطلع الشيخ أبى العلاء المعرى

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكرنى لساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال فى ايداع صدر مطلع أبى العلاء

اذا تبسم لبلا قل لمبسمه * يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر

قال أبو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بنى مطر

وقال أبو العلاء فى قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح وأجاد الى الغاية بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت اسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال أبو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

عذبت ورد افلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

قال ابو العلاء يخاطب محبوبته

قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وما احق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت نجت * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

قال الشيخ ابو العلاء

أقول والوحش ترمينى باعينها * والطير تعجب منى كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب منى كيف لم أطر

قال أبو العلاء

فى بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كأننى فوق روق الظبى من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولى ذنوب متى اذكرسوالفها * كأننى فوق روق الظبى من حذر

قال ابو العلاء يخاطب صاحبيه

لا تطويا السير عنى يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولى ذنوب

ومطمعى انها الاشرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال أبو العلاء

ياروع الله سوطى كم أروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولى فؤاد متى تفخر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحدر

قال أبو العلاء فى المخلص بعد روع الوجناء

باهت بعهرة عدنانا فقلت لها * لولا القصيصى كان المجد فى مضر

قال الشيخ زين الدين لله درّه

والله لو ان أهل الارض قاطبة * مثل القصيصى كان المجد فى مضر

قال أبو العلاء مشيرا الى ممدوحه واساء الادب

وقد تبين قدرى ان معرفتى * من تعلمين سيرضينى عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردى الى المديح النبوى صلى الله عليه وسلم وقال بحق

يانفس لا تيأسى يوم المعاد فلى * من تعلمين سيرضينى عن القدر

قال أبو العلاء وكذب عن القصيصى فى قوله

ولو تقدم فى عصر مضى نزلت * فى وصفه معجز الآيات والسور

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وقال رحمه الله حيث قال

واين شعرى من الهادى الذى نزلت * فى وصفه معجزات الآى والسور

قال الشيخ ابو العلاء يخاطب ممدوحه

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم وسبى العقول بقوله

وأنت فى القبر حى ما اعتراك بلى * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

والبيت

والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه وكأنه كان معد القصيدته حتى يبرزه فى محله من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو

لله قولى لعبد الله والده * قولا الى فص علياه على قدر

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من أعين الشهب لا من اعين البشر

قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه

سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

كم راقبت امم منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر

قال أبو العلاء يخاطب الممدوح

لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لا تنقل الاضحى الى صفر

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

سل تعط واشفع تشفع ما ترده يكن * لو شئت لا تنقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء فى ختام قصيدته

ولا تزال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين فى ختامه

وارتج بك من ذى العرش عافية * فى الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها بديعة فى باب الايداع انتهى وأما أعجاز قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من أهل الادب تابروا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها فى قوالب مختلفة الانواع كتب الى مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة فى صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخى ذكرى حبيب ومنزل

واهدى اليها من سلامى معطرا * بمسك سحيق لا بريا القرنفل

واذكر ليلات بكم قد تصرمت * بدار حبيب لا بدارة جلجل

شكوت الى صبرى اشتياقى فقال لى * ترفق ولا تهلك اسى وتجمل

وقلت له انى عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولى

سرت نسمة منكم الى كأنها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقلت لليلى مذ بدا صبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجل

جنت ما حلا ذوقا فقلت تقربى * ولا تبعدينا عن جناك المعلل

ورقت فاشعار امرء القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقلت قفا نضحك لرقتها على * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا فى جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال

الدين تنازل فيها الى الغاية فقال

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين فى معنى العتب المفرط

انى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وترمى على طول المدى متجنيا * بسهميك فى اعشار قلب مقتل

فأمسى بليل طال بحنى ظلامه * على بانواع الهموم ليبتلى

واغدو كأن القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل

تطير شظاياه بصدرى كأنها * بأرجائه القصوى انابيش عنصل

وسالت دموعى من همومى ولوعتى * على النحر حتى بل دمعى محملى

اذا عاين الاخوان مابى من الاسى * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول

ولى فيك ود طال ما قد شددته * بأمراس كتان الى صم جندل

ولى خطرات فيك منها جوانحى * صحين ملافا من رحيق مفلفل

كان أمانيها كؤوس مدامة * غذاها غير الماء غير محلل

سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسلى

واجلو محيا الود فيك لاهله * متى ماترق العين فيه يسهل

فكر على جيش الجناية عائدا * بمجرد قيد الاوابد هيكل

تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل

وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجمل

حملا وذاك الماضى وان لم تعد أعد * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متهكما فى المطلع والتهكم فيه غاية لاتكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولاءى ثم اقبلت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل

بروحى الفاظ تعرض عتبها * تعرض اثناء الوشاح المفصل

فاحييت ودا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تعنى رياح العذر منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل

نعم قوضت منك المودة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل

أمولاى لاتسلك من الظلم والجفا * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

ولا تنس منى صحبة تصدع الدجا * يصيح وما الاصباح منى بامثل

صحبتك لا ألوى على صاحب عطا * بجيد معم فى العشيرة مخول

وحاولت من ادناء ودك مانأى * فانزلت فيه العصم فى كل منزل

يقلب لى وجدى به سوط سائق * ولرخاء سرحان وتقريب تنفل

وكم خدمة عجلتها ومحبة * تمتعت من لهو بها غير محجل

وكم

وكم اسطر منى ومنك كانها * عذارى دراری فی ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الود همه * الا ايها الليل الطويل الا انجلى
وكم ناصح كذبت دعواه اذ غدت * على وآلت حلفة لم تحلل
ولحية لاح غاظها ضحكى على * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
ترى بعر الآرام فى عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفل
نزعت لنكرى ساحبا من صبابتى * على اثرها اذيال حرط مرحل
الى أن تبدى عذره متمطيا * وارد ف اعجازا ونآ بكلكل
فلاطفته فى حالتيه ولم أقل * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وضن باسطار كأن يراعها * اساريع ظبى او مساويك اسحل
ويقرع سمعى من معاريض لفظه * مداك عروس او صلاية حنظل
وعدنا لود يملأ القلب عوده * بشحم كهداب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عتبى اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن اشهر فيلمن * فقانبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذى أقوله ان المهيع الذى اخترعه الصاحب فخر الدين ابن مكانس ومشى عليه فى تضمين هذه المعلقة يعد من المعلقات فى بابه * فانه ضمنها فى مداعبة رجل من اصحابه * كان كبير الانف وأتى بما لا اختيل فى صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغزال تغزلى * بلحية انف ذى عقاص ومرسل

انظر أيها المتلدب ما الطف تأنف هنا والطف منه قوله بلحية انف فان العقاص جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر والمرسل الشعر المسترخ ومراده ان لحية هذا الانف غزيرة الشعر مسترخة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جملة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فيا قبح شعر فوق أنف معرقص * اثيث كقنو النخلة المتعثكل

الاثيث الكثير والمتعثكل الذى دخل بعضه فى بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذى شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمرى ان هذا الايداع من السحر فى نقله الى هذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا فى شعره فكأنه * كبير اناس فى بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من المخترعات فى بابه فان امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال

كان ثبيرا فى عرانين وبله * كبير اناس فى بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ما عظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين فى ايداعه الى الانف لما فيه من الشعر الابيض

والاسود الذى انتسج فى انفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل أى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقلص كلتا الجانبين كأنه * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كأنه حب فلفل

وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى أنابيش عنصل

فذالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل

وكم قلت اذ أرخى ذوائب انفه * على بأنواع الهموم ليبتلى

ألا ايها الليل الطويل ألا انجل * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة ما يزيد على الوصف وأما قوله بعد ما أرخى هذا الرجل ذوائب انفه الا ايها الليل الطويل الا انجل فان هذا نوع من السيجريل السجع بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن النسا ان قيس مع ريح انفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معوّل

كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجاز وناء بكلكل

وجرّد شعر الانف منه وجاءنا * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين بن تميم يخرج الى نوع الابداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

اطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيرى

اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

افدى الذى اهوى بفيه شاربا * من بركه راقت وطابت مشرعا

ابدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

وشبابة قد كنت اهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ما بنت انفر

وها أنا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

واورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة

وهما

وهما على طريقتهم ولكن اعجبانى وهما

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكى الدين بن أبى الاصبع وقد جعل مطلع ابى الطيب عجزين لبيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من نخامة التحمس الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى * مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عاينت فى الحمام اسود واثبا * من فوق ابيض كالهلال المسفر
فكانما هو زورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال فى الفانوس

يقول لى الفانوس حين أنوابه * وفى قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدى لكننى اتستر

وله

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسام

وقال

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس فى امواهها الألاء
لرأيت اعجب ما ترى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه فى غير هذا القالب

لو كنت فى الحمام والحناء لى * اعطافه ولجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال

يا من يقول بان رشفك لى الحبايب لم يرق
وغدا يعنفنى به * دع عنك تعنيفى وذق

وقال

لما رأيت البدر فى ساعدى * ونرجس الانجم قد صوّحا
اخفيت رشفا فيه ريق الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله

بصهباء ريقته رشفت سلافها * وتغلبت فعجزت ان اتكلما
واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لاعلم ما تقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

توارت من الواشى بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر

Digitized by Google

فدل عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده توريه بقوله

تطلبت حجرا فى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حية دأبه الحجر

فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ويعجبنى من تضمين ابن أبى الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل

له من ودادى مثل كفيه صافيا * ولى منه ما ضمت عليه الانامل

ومن قده الزاهى ونبت عذاره * صدور رماح اشرعت وسلاسل

وقوله

هذا الذى أنا قد سمحت بحبه * كرما بأؤلؤ دمعى المنتظم

لاتحرمونى ضم اسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله

من حاتم عد عنه واطرح فيه * فى الجود لا بسواه يضرب المثل

لو مثل الجود سر حاقال حاتمهم * لاناقة لى فى هذا ولا جمل

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله

قالوا غدا تندم عن لثمه * فى خده اذ يغلب السكر

فقال لى مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وقال

جلا ثغرا واطلع الى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا

وأنشد ثغره بيتى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التى تطفل الناس عليها بعده قوله

ان تاه ثغر الاقاحى اذ تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب

فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن تضامين القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم

سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدى قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر رسمه * وما أحد فى دهره بمخلد

اذا عاينت كتبى الجديدة جلده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال

قل للرقيب يستريح من عذلى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى

وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

وقال مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر

وسوف أحظى بوصل * واول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي

وعلق يرى للترك فيه تحسن * يقود عليه احدب ويعاشره
اذا جاءه اللوطي يطلب وصله * ثنى طرفه نحو الحسام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب سلمها من الديب

وقال

نادمت قوما الاخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا سمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

لحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي اجاد فيها قوله

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحا حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الى الشيخ سيف الدين الآمدي

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نجي
وان يكن علمه فرعا لعلمهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان اتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق انباء من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ومما جاد به الشيخ برهان الدين القيراطي في تضمينه

قل في اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانشر من الاغزال في ارداقه * حللا فواصلها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من اهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن أيبك الدمشقي البديعة قوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبي * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء ولي ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

قوله أحث كذا فى النسخ التى بايدينا ولم اقف له على معنى مناسب وقوله بلثم شفاهى الخ لثم الشفاه هو تقبيل المبسم فلا معنى للبعدية اه مصححه

لقد قال لى اذ رحت من خمر ريقه * احث كؤسا من الذ مقبل
بلثم شفاهى بعد تقبيل مبسمى * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

وظريف فى هذا الباب قول الشيخ بدر الدين ابن المنجى

ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فينا عن الشرب
تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ما ء تيمم بالترب

ومن تضامين شهاب الدين بن أبى حجلة البديعة قوله

يحكى سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تالق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه

وقال فيه

أنا فى الدجا الفى الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأننى فى الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت علية دموعه

وقال وأجاد

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس (ى)

ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطى

تجمعت من لطف ذاته * حتى بدا فى قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وقال مضمنا فى قطائف

لقد نطقت زهر الثنا بقطائف * تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * وكلى ان حدثتكم السن تتلو

وله فى باذهنج واجاد

بروحى افدى باذهنجا موكلا * باطفاء ما القاه من حرق الجوى
اذا فتحت فى الجر منه طوابق * أتانى هواها قبل ان اعرف الهوى

وقال فيه

ايا باذهنجا صح فيه لنا الهوا * صفاتك ما وفى بهن خطابه
وما شئت الا أن أدل عواذلى * على ان عشقى فى هواك صوابه

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة واجاد

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبنى من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطى قوله

وموسوس عند الطهارة لم يزل * ابدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفى شاربا

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

ولما

ولما بدا والليل اسود فاحم * قد انتشرت في الخافقين غياهبه
اضاء بدر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغاري وأجاد

وبي ساحري مرتبي في عمامة * قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
مورّدة دارت بوجه كانما * تنا ولها من خده فأدارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي

وساحري أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

ومن تضامين محيي الدين بن قرناص الحموي

افديه اغيد زارني تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجي
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشي في الدجا بسراج

وقال أيضا

سقى الله روضا قد تبدّى لناظري * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نفحت خدّاه من ماء ورده * وكلّ اناء بالذي فيه ينضح

وقوله في كاحل

دعوا الشمس من كحل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم اذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * امسيت تمشي في المسرّة راكبا
ومتى طرقت عشيّ آنس ديرها * لم تلق الا راغبا او راهبا

وقال ابن الوردي تعجبت من اشتهار بيتين ما احكمهما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما وهما

مقامات الغريب بكل أرض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من مقامات الغريب بكل أرض واوقدت فكرتي فذاب الثلج وانهدمت البنايا المستحقة للنقض وجعلتهما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فتلت

مليح ردفه والسا ق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده الفاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

قلت وقد سألني بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذي لم تصل افواه البلغاء الى لثم اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجدوا طاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فكنا طويق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

Digitized by Google

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردى ماذكره فى ديوانه انه كان له صاحب يدعى بالمجد حصل له اذية مفرطة من زوجته وابيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * فى ثلب عرض المجد اشباها
ان اباها وابا اباها * قد بلغا فى المجد غاياتها

ومن تضمينى الذى ماحام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه * ولا سبقنى جواد من فحول العربية اليه * قولى مداعبا

نصبت أيرى اذ نحوت نيكه * وهو يريد رفعها الى ابتدا
وبعد ذا للجر قد اضفته * وفى المضاف مايجر أبدا

وأنشدنى من لفظه الكريم قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضى القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ما تحتها طائل

وقال أيضا فى المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ سامه المليح قلى
وقال اذ عاتبوه معتذرا * تلهى الضرورات فى الامور الى

ومن تضامينى الغريبة

حثثت عزمى شوقا اليكم * فلم أطق مكثة بارض
وحيث لم أحظ بالتلاقى * فغايتى ان الوم حظى

وقولى

يقول معذبى حسن تخير * سواى فقلت قد عز اصطبارى
وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

وأنشد المقر المرحومى محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن الوردى والاصل للحريرى صاحب المقامات

لوجنة صياد كم نسخة * حريرية ملحة فى الملح
يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت فى ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالى بالقصر * وماشك أحد ان ابابكر مقدم على عمر *

غدا طير أفراخنا سانحا * يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا لدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضامينى الغريبة ماضمنته قول عنترة فى معلقته

واذا سكرت فانى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندا * وكما علمت شمائلى وتكرمى

فقلت

سجاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
أنا ما اقصر عن ندا * وكما علمت شما يلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع

اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم

الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى

* وماسراه على خف ولا قدم *

وبيت العميان

واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول

* ماض من العيش لو يفدى بذات له *

وبيت الشيخ عز الدين

ايداعه الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على المديح النبوى تابع لقولى وهو

وآله البحر آل أن يقس بندا * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

وفى الوغى رادفوا السن القناسكا * من العدا فى محل النطق بالكلم

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول

* ولا تشك الى خلق فتشمته *

ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستحلى محاسن هذا النوع والله أعلم

التوهيم

(ذكر التوهيم)

(والبعض ما نوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم)

قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله

حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ما صلت الاسياف فى القمم

فذكر صيام الخيل هنا يوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله والشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا يوهم السامع ان المراد بالنجم أحد النجوم والمراد به النبت الذى لا ساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

ترى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

فانه اوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس بطابق اذ الاحمر لا يطابق الاخضر وفزع منه ضربا آخر فقال هو ان يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام ان المتكلم أراد تحريفها ومراده خلاف ذلك كقول أبى الطيب

وان الفئام التى حوله * لتحسد أرجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهى الجماعات الكثيرة هكذا روى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه أقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلى

ياسائرا مفردا اعربت لحنك فى * توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حل معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ولم أزل فى حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهى رأس الثدى ويحصل فى جلد الشاة دود فتقول العرب حلمت وحلم أديمها أى وجد الدود فى جلدها ثم قال ومعنى البيت انى اخاطب سائرا فى الطريق منفردا بنفسه عن الناس لا يرغب فى مرافقة أحد فقلت له وانت تتوهم بتركك اجتماعك بالناس معنى لا تظهره كما يوهم الراعى بمنع رضاع الشاة ان جلودها حلمت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الا حيرة فى تفسير هذا الشرح والذى اقوله ان الشرح والنظم فى العقادة وعدم الفائدة كفرسى رهان وبيت بديعيتى تقدم قبله وهو

وأودعوا اللثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده فى التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت فى البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد أدارتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا فى التقبيل وفى السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن فى الافواه التى تنزل هنا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح فى غاية الحسن فانهم شبهوا سنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبنى هنا قول ابن المزين فى الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل بى عيش الغداة لانى * نوديت يوم الجمع بالمزان

واذا تفاخت الكماة بمحفل * كلمتهم فيه كل لسان

(ذكر الالغاز)

الالغاز

(وكلما الغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعنى الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهى أعم اسمائه وهو ان يأتى المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر فى افق الحلى غير وجه التورية وأما تعسف الفرقة التى ليس لها الملم بالتورية فى الالغاز فامرهم مسلم اليهم وأما علماء هذا الفن فانهم ما قرروا غير ما قررناه فمن

ذلك

ذلك قول أبي العلاء في ابرة

سعت ذات سم في قميصي فغادرت * به أثرا والله شاف من السم
كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حرازفي خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ماهدى الله الانام اظلت

قلت لغز ابي العلاء ولغز محيي الدين لم تسفر فيهما الوجوه الحسان الامن وراء ستور التورية
ومنه قول ابن حرازفي من اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف بقي ثمان

ومن الطف الالغاز في القلم

وذي خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع في خدمة الباري

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير

وذي اذن بلاسمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب * فقل ماشئت في الصب

ومن لطائف ماوقع في باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والده ملغزا في باب بقوله

ماواقف بالمخرج * يذهب طورا ويجي
لست أخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب

ذهاب ومجيء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في باب

اي شئ تراه في الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو في اكثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وهو في القلب يستوي وتراه * بان تعصيفه لمن يترمق
فاجتنبني عنه يقيت مطاعا * لست في حلية الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج وأجاد

اهواؤنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
في شامخ بأنفه * على العوالي ألفه
وذي جناح لم يطر * وكل طير الفه
جناحه طول المدى * يبدي علينا رفرفه
في الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه
وروحه لطيفة * وذاته منحرفه

Digitized by Google

عن قبله الدين أرى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * اعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ الفه
وكلما اسرف فى * بذل شكرنا سرفه
انفاسه كم اودعت * مجلسنا تلطفه
كم رنحت من غصن * وقامة مهفهفه
معتله هو الصحيح * عند من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزا فى قرى

ما معمى ورأسه * فى عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من مسحر
كم خواف له بدت * لا لتماح المبصر
كله معجم وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحومى الامينى صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ملغزا فى فاختة

وناطق يهوى الرياض تنزها * ويسرح فى افنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له افعى تبين وتشهد
وفيه أخ أن تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمى وأجاب عنه بقوله

ايا من له مجد اثيل وسودد * عداد دون مرقاه سماك وفرقد
تفيد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد
وتجذبنى بالطوق عند نشيدها * لنحو التصابى لا أطيق افند
ومذبان منها الطرف أمست لعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثانى الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها * لنافاه بالمعنى الذى فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن بالعكس فى ذاك يجحد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزا لواؤك يعقد

وقال ملغزا فى درة

أى شئ من الجمادات يلفى * وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * غاليا منه رصعوا تيجانا

وترى الروح منه فى حيوان * ذى جناح ويألف الطيرانا
واذا ماشدا على العود يوما * فوق دف يحرك الاغصانا
او بدا فى مقفص فابن برد * عند أسجاعه يصير مهانا
كله طائر وفى ثلثيه * للذى اربع مع العكس بانا
كله عاطل به تتحلى * كل خود وتستقل الجمانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتححيفه حقيرا مهانا
عكسه فى تصحيفه زد بنقص * فالمعمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف ذره * للذى فيه فهو يدرى البيانا
وبتحريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
ثلثاه درّ نفيس وفى فيه اذا جاء يعجب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو فى البر تا فر واذا ما * حضروه قد يألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد بانا

وعلى ذكر القمرى والفاختة اوردت هنا ما الغزته فى القفص وهو قولى

اى مغنى اعواده بيت شدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولجموعه النباتى حسن * فزت من بعضه بسجع المطوق

ونقل الشيخ جمال الدين الدميرى فى كتابه حياة الحيوان لغزا فى بجع

ما طائر فى قلبه * يا لوح للناس عجب
منقاره فى وسطه * والعين منه فى الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدمامينى الى المجدى فضل الله بن مكانس ملغزا فى قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه بالبدر حليف للشموس * ان قلب كان لقلبه من العين مكان المناسبه * اوسقط قلبه مع الفعل كان ضد اللاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس انباعن الذكاء وهذا غاية الشرح * وان غير ثانيا علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح * حاشيتاه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراح باقيه قواما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال اوله كان العكس عقابا لمتعاطى اثمه * اوصحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحق عند تصحيفه الآخر منافيا لاسمه * مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب المجدى الجواب والغز فى ورد بقوله يقبل الارض التى اطالت بالجفاء حرمانه * وتدارکته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالين شانه * وانتهى المملوك الى اللغز الذى تمتع بلحه * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح الفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * مجتهدا فى التوصل بما جاز الى الرؤس * وكتب فى الجواب لغزا * وخالف نفسه اذ قالت لا ينبغى مجاراة هذا الجواد لزا (وهو) ما عاطل يتحلى به المجالس * ويتفكه به فى المجالس * تحمر وجناته من الشرب * وتحمد آثاره فى البعد والقرب * ان قابلته وجدته تاجا * وان

تركته على حاله زاد لذاتها ابتهاجا * يعذب بالنار وغيره الجانى * ويزيك ان بدلت أوله بردا الامانى * يستخرج وهو داخل * ويرى دمعه من نار قلبه هاطل * لا تبرح به فى غبطه * ولا تجد فيه مع انهماله نقطه * فان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا فى ثانيه رأيت ما بقى مولدا للمحبة بين الاحباب * وورّ ان حذفت آخره كمن ورى * وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما أجاب * ولا طرق بعد فقد ابيه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى القلوب بوروده * واللغز الذى نسى بوروده بان الحما وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العاتب والعائب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل المجدية خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا * او صاحب زهر الادب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يمر بذوقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق أن مولانا اوسع المملوك فى مقام الادب بفضله اينا سا * وتناول منه قدحا أعاده بالفاظه المسكرة كأسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الله يا من فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
الغزت فى اسم عاطل حليته * فينا بدر اللفظ أو قطر الندا
ان أورد التصريف فى اثنائه * قد كان للشانى هلاكا اوردى

وقال مجيبا له أيضا عن الورد

لله لغزك يا مولى فضائله * قد عطر الكون منها طيب انفاس
انى بورد غنيانى على قدحى * به وابهجنى ما بين جلاسى
وقد اسا جرح كسرى حين اقبل لى * روحى الفداء لذكر الورد والآس (ى)

فاستحلى المملوك بالتحريف ورده * وود لو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ورده الى ذل القصور عاريا عن ملابس عزه * وأنشد قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه *

اذا منعتك اشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الرأى الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لا تخرج الا من تلك الخضره * وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا أغصان اقلام لها باليد المخدومية بهجة ونضره * وتمثى المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقة * ورأى كل ورقة فاحمرت الوجنات الحمر فتحير أهى وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر فى صحيفتى طرسه *

ان كنت تزعم ما فى خده عجبا * فانظر الى الورد فى خديه منثورا

فلقد طفرت من نفسه الوردى بالعنبر الورد * وعوّدته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتى نكتة برد الامانى * فانعقد لسحر البيان لسانى * وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تصحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول قر * وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحر الفضائل رويه * وان

الخاطر

الخاطر لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قوية * وقلت للذهن رد بعضه لتنتهل شرابا سائغا * وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا * وتمتعت من ورد بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى ولولا انا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وتمر هجر بهذا الخشف الملتقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن أن نورد هنا لغزا فى المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه

وماشئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا مازال آخره فجمع * يكون الحذ فيه والمضاء
وان أهملت اوله ففصل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين ابن النجمى الغزه فى الماء فاعجبنى وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير أن يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجهه قائده فى التراب قسرا * مذكر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع الفيض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر * يتشعب وينكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خسون عينا واكثر * يحمل القناطير المقنطره * ويعجز عن حمل ابره * سريع الاستحالة * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاءه ورداءه بالاكدار * ويسكن فى تخوم الغبرا * ويتم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحميم * يجود بالخمر الحلا * ولا يرد من نداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا وأخاف سبيلا * وكم طفى واحترق * واظهر الجفا وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصدا * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وأرسله رحمة للعباد * ويحسبنى فيه قول أبى الفضل بن الخازن

وحل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصى فى حشاه مصورا
واودعته سرى فافشاه للورى * فيا حسن ما أفشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يسارى الرياح الذاريات اذا جرى
تزر عليه الريح ثوبا موردا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا لغزا فى القربة كتب الشيخ بدر الدين الدماميني الى المقر الامينى امين الدين الحصى كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام لغزا فى قربة تزاحم سرب الاديب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلاء وكان يكون رواية عنها * وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما اتاه اللغز ريه مصعب
فديتك ماذات اطلعكم بها * ويبحث فى الاسفار عنها وتطلب

تشدوكم فى الارض قارا مالها * وصدق اذا ماقيل تملى وتكتب
وماهى فى التحقيق راوية وكم * لها خبر فى الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفى وقت لها يتجنب
وتبلغ منها للحياض حقيقة * ولكن رأيناقلبها وهو طيب
تزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبو
لها اربع لكن بساق رأيتها * على السعى فى الاحياء بالنفع تدأب
وما نال اثما فى تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وشم فوها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وترضع احيانا وما حان رضعها * وكم من فتى فى حلها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تعجب
وكم من خليع شمته اذ تعتقت * يعد اليها الراح لهوا ويطرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتصحيفها يا جبهة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد فى الافلاك عالية لها * ويألفها بعض الجوارى ويصحب
ويا من لرق الفضل اصبح مالكا * فعالى الا نحو علياه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد اتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا فى قرية السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوا * كان بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين فى القربة فنسيج وحده وماذاك الا انه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا ولم يسبكه فى غير قوالب التورية وقد اذكرنى لغزا ألغزته فى قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشدنى بعض المخاديم وهو المقر المرحومى الشهابى الدنيسرى لغزا فى قصب السكر أيضا وهو

وحاملة درا حكى الخمر لذة * ونشرا يروى شربه ويقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فهجتها فى اثر ذاك تفوت
فلم ترعينى مرضعا فى مثالها * من الخلق تسقى درها وتموت

وقال بعد الانشاد ولا اعلم فى هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز فى يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهى داخلة الصدر
عمشقة هيفاء حلو مذاقها * به يطرح المران فى المهمه القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بان تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلا * اذا ما تثنت فى غلائلها الخضر

يلذ قبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من اليم الجوى يبرى
وان سقيت ماء سقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وينبت حلو الثغر حلو نباتها * فيرشف اريا قا الذمن الخمر
وان لمعت فى ثغرها وتبلجت * دع ابن جلا يقرع تناياه فى الثغر
على عودها كم للربابه مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبهت به * اولو الذوق تشبيبا شفاغلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فتجزم ما للفارسى من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أميلت جائز لك يا مقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان أفرغت فى قوالب * يقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من هاهنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه معها يرى * كسيرا وكم قد اوردته لظى الجمر
فيا من حلا ذوقا وحل بدائعى * وفى عقد الالغاز يا نافث السحر
تاملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد اشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يا بحر قد أتت * فلا تنهروها فهى فى حيرة البحر
سعت من أبى بكر لاحمد خدمة * واحمد من أولى الورى بابى بكر
فلا زلت فى حل وظعن مؤملا * لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت وبعد قصب السكر يحلو ان نورد هنا شيا مما الغزوه فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * الفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير امرا محكما * يمضى على الالغاز جمعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * اكرم به لغزا يروق طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا وأجنحة ولست اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض المجاعة امه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يا فاضلا نثرا لمحاسن نظمه * وللغزه قد ذل عجزا خصمه
وتطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لأعراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس درصح فينا يتمه
فاذا اضفت القلب منه لاصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهو ان * اعربت لحن ليس يجهل حكمه

قد كانت الاذهان منه خلية * فحوت به شهدا لذيذا طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورأى بعين لغزك الحلو الجنى * حلوا لمذاق فحار فيه فهمه
واعاذه بعلى أمير النحل اذ * اضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سائل * ياطالعا فى خير أفق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو أيضا أن نورد هنا ما الغزه مولانا المقر المرحومى القاضى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى فى سكر نبات وكتب به الى وهو

ياقاضى الادب احكم لى فذا أدبى * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين
واقبل شهادة ما أهديته ترمن * تعصيف معكوسه ثان يزكينى

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل لغزا زائد الحلاوة فى قطر وهو

اهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فانحل مذ حل فى قلبى بتمكين
وفزت منه بشكر فى صحيفه * وجاء منه بثان قلت يكفينى
تعصيف معكوسه من غير تزكية * وحكمه ثابت عندى بتبيين
حماة منبته لكن بصرله * من به تزدرى نبت الرياحين
فحل منه لنا للغز امجانسه * يحل احشاء ارضينا فيرضينى
يرادف اسم رباب فهو يطربنى * هذا وتعصيفه فى العيد يأتينى
حلو رقيق بلا حشو لذائقه * لان قطر النباتى عنه ينسينى
فلا برحت برغم الكسر تجبرنى * وكلما مر لى عيش تحلينى

قلت وعلى ذكر القطر يحلو أن نورد هنا شيأ من بديع ما الغزوه فى الكتافة والقطائف من ذلك ما الغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى فى النوعين وهو قوله

هذان لغزان قد حلا يابك يا * قاضى البرية ماهذان خصمان
اسمان كل خماسى اذا كتبت * حروفه فهما لاشك حرفان
تباينا فى الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما فى الاصل مثلان
هما الى الصين منسوب مقرهما * ان أحضرا فى مكان بين اخوان
لذا كنى وهو بين الناس ليس له * من كنية ما انتمى فى ذلك اثنان
فى البر يلقى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر ملقى خمسه الثانى
نبت أرى النار قد أبدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيى اذا ما سقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
ذو رقة فاذا محقته ظهرت * كثافة منه فاستره بكتمان
هذا وكم من بدور فيه قد طلعت * فى آخر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر ابيض عجل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى
واللغز الاخر فى اسم ذات السنة * لم يبد منها لنا بالنطق حرفان
ياحسنها السنا اضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان

بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففتحنا بالدخول بها * أبوابها فتلقتنا باحسان
حسناء اجمع اهل العقد كلهم * والحل منها عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة اخماس لها وجدا * شيأ يجىء بايضاح وتبيان
وماذكرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * فى مكة يرتجى فوزا بغفران
مامل راو من القالى أماليه * عنها وماخاطر القالى لها شان
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
بالحل انعم سقى القطر المواطى من * اقدام سعيد من ارواه ظمآن

وكتب مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى رحمه الله الى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني رحمه الله ملغزا فى لوزينج وأجاد الى الغاية وهو

يامن له فى علوم النظم أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمها ائتلفت * والنلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يافرد يارحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحله المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغاية والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مامونا

والله تعالى يمن على افواه شاكريه بما هو أشهى من اللوزينج وأحلى * ويحلى أعناق المنادين من كلمه بما هو أنفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه أيضا لغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحومى الامينى المقدم ذكره وهو هذا

كتبت واعذارى اليك تقرر * وقطمى بها يا كاتب السر يجهر
أتتك أبيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر
وحليت اهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فعليك الآن يعقد خنصر
وما أنت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يبحر
فما كلمة افديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عراها تغير

ويحفظها ذو السر وهى التى وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
وما مسها الا وجادت بنفسها * وصحف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر
مؤنثة كم ذكرتنا بلونها * عهود الصبا والشئ بالشئ يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * يلذبه فى الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت لها الجهال بالعى تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر
لقد احكمت والنسخ مازال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهى الا ذات مترية غدت * وكم ذى غنى عن قصدها ليس يفتر
ولسنا نراها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانعم بحل اللغز يا خير منعم * فانت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الاقلام تسعى لشكركم * على رأسها طول المدى لا تقصر

فكتب المقر المرحومى الامينى الجواب بعد ايام وهو قوله

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه بسج وحده * فيا حبذا الاسكندرى المحرر
تشق على الافهام شقة شأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرا * حماها من العلياء لا يتسور
تشير الى الحبلى التى عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
يناموا لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان ارشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشى ويعثر
وأما اذا اعتموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما أراه فى المنام يعبر
تطاول سمر الخط انى تشامخت * سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بنى الآداب تلقى بيوتهم * تقام بها بين الانام وتعمر
فاكرم بما قد ولدته وانشات * وربت ويكفيها بذلك مفخر
تحية وجهى ان جلست ووجهها * تجاهى وجاهى عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأنى استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زلتم اهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلى فهو حظ موفر
بمدحكم الاقلام يضحك سنها * بحق وافواه الدواة تقطر

ويعجبنى من الالغاز فى التورية قول شهاب الدين الغزاوى فى قوس وهو

ما عجوز كبيرة بلغت سنا طويلا وتتقيها الرجال

ولها

ولها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما اعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى كون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتى فى ورق وهو

وشئ بلا جرم يصلب تارة * ويقطع حينا فى حضور واسفار
ومن قدم قد بيض الله وجهه * على انه ما انفك يوما عن القار (ى)

ومن لطائف الشيخ شمس الدين بن الصاحب فى هذا الباب قوله فى سهم

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض * لكنه فى لحظة * محصل للك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا فى قلم

مولاى ما اسم لنا حل دنف * وما به علة ولا سقم
لسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا فى على

امولاى ما اسم جلى اذا * تعوض عن حرفه الاول
لك الوصف من شخصه سالما * وان قلعت عينه فهو لى

ويعجبنى فى هذا الباب قول ابن المرجانى ملغزا فى مشط وهو

يا اماما سألته حل لغز * شط منه مزار اهل الذكاء
اهمل الثلث يا غناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبنى قول الشيخ صلاح الدين ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه
خسه اثقل الجمادات وزنا * فتجب له وباقيه ريشه

ويعجبنى لغز ابن منقذ فى الضرس وهو

وصاحب لا امل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فذوقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التى لم تدرك فى هذا الباب قول القاضى صدر الدين بن الآدمى رحمه الله ملغزا فى كشتوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا * ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

واستظرف قول بعض مواليا ملغزا فى بدرة

محبوبتى وجهها يغنى عن المقياس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس
ان تعكسوا تجدوا ضدين فى الاجناس * هذا نفور وهذا يقبل الايناس

وسألنى جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصريه ان انظم لهم لغزا فى كرمة واطلق لهم عنان القلم فى ذلك فقلت

اخبرونى عن فاضل باصول * وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنونى * تحته ان أتانى الموت عاجل
كم لينا قد مد كفا نديا * صير العيش اخضرا فى المنازل
نقط الطل فوقه وضحته * عند توقيعها به وهو عاطل
ما تندى لنا بعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكره احرف الكل تبدى * كرما والندامن الكف هاطل
او تؤنثه يقبل الهاء فى الحا * ل ومن بعد ذا يرى وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه مسه * لك هم بالعكس عندى حاصل
هو حلو وفيه مرلك يبدو * عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر حاصل
وهو خشب مسندات ولكن * حاز نجلا يبدو رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمى * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فترطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالى * فرحار اح ساريا فى المفاصل
قد تراه يوما عقود بلخش * نظمت سلكها بغير انامل
وتراه يبدو عقود جمان * مالها غير ثغر حبى مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدر الحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغنى علينا * أعجمى به تهيج البلابل
لك منه فواكه وشراب * كل غض اليك تلقاه واصل
وحلاوانه بها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حامل
وترى وصله بمصر قليلا * وهو بالشام لا يزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فى نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فى المخيم بالغو * ر رأينا له أصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد أتى مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل
واقسم تحت ظله فهو لغز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز فى الحل والعقد غنيا اذا أتى اللغز سائل

قلت ومما ألحقوه بالالغاز ما حكى عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاءوا اليه بغلامين غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من أبوك فقال

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم فى عينه وقال هذا أبوه من بيت كبير وقال للآخر من أبوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهى صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان فى المجلس رجل نبيه فقال للوالى الشاب الاول كان ابوه فوق الاوالثانى كان ابوه حجاما فاعجب الوالى منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وبيت الشيخ صفى الدين على الالغاز فى بديعيته

حران ينقع حر الكر غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمى

الشيخ صفى الدين الغز هنا فى السيف فانه يروى فى حر الكر بالدماء واذا دخل القراب الذى كنى به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ان المنافق الغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله له لم يات فى بيته بغير الجناس المقلوب فى لغز وزغل وأما التعمية بالارزة الرزم فما علمت ما المراد منهما حتى نظرت فى شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزه شجرة الصنوبر فما ازددت فى التعمية غير تعمية وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وكلما الغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر أن أحسن التعمية فى اللغز ما اسفر بعد الحل عن تورية بديعية فى بابها وهذا البيت أيضا بديع فى هذا الباب فان اللغز فى الرمح والتورية فى لسن لان اسنة الرمح لسان القائل فى التورية للتكاليم وفى التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح وأما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فحاسنها لا تخفى على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

سلامة الاختراع

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقده باختراع سالم الف * يبدو بترويسه من رأس كل كمى)

هذا النوع اعنى سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة فى وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ينازح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تامله المتأدب وتخيله فى فكره يجده غريبا فى بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التى أعاد الضمير اليها فى قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من

الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل اجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع اليد والتقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انتهى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه قرن الخشف

يزجى اغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز

لم انس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رويتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

واجمعوا على ان قول أبى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حلفت وفيا ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت أما أبو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تاخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى وخفت ان يقع اختيارى على معنى أعدته لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تبحر فى اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فاضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى نظمى من سلامة الاختراع التى لم اسبق اليها ولا حام طائر فكرى عليها فمن ذلك قولى من قصيدة رائية

وحمرة الخد ابدت خيط عارضه * فخلت كأس مدام وهو مشعور
ومذ بدت نسمات التغر باردة * بدا باغضاء ذا الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تبسير
بل اسمر عينه السوداء يلحظها * وهدب اجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محاربه سود العيون فان * دنت أياديه فهى الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خلت ثوب خز منمنم

ومنه قولى فى وصف جناة من قصيدة طائية

ينظم بالشطين درة ثمارها * عقودا لها العاصى رأيناه كالسمط
وقد مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

لو بنا خلا خيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقة الشط

وقلت من قصيدة اخرى

وعاص رحيب الصدر قد خر طائعا * ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقلت من قصيدة اخرى

وهززت فيه كل عود أراكة * اضحى بها تبكى الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم اسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدايح المؤيدية

قرح على الملهون تظم عسكرا * واطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطا الدوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا مددت يراع رمحك ماله * الا قلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الا جماجم من قتلت محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح مشطوب

بالصدغ ابدى شطبة * من شكله محوط

سالته عن أمرها * فقال زاد اللغط

قلت بدالى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذا غلط

ولى من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيد

الف القد مدها لى بعزه * وعليها من عطفة الصدغ همزة

وقلت من قصيدة فائية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مدها من فوقه تتكوف

ولعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدرا وافيا بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ما تطفلت بالنسبة الى على على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام الموارد قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

كادت حواقرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاجحال بالرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفتيه وكانه يقول ان هذه الفرس لسرعة جريانها اتصلت أجحالها الى شفتها فتشابهها فى البياض والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علا همسى * اسمى وفعلى كحرف عند رسمهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو معدود من حروف الجر قلت لو ألحق الشيخ عز الدين ما قاله هنا بالالغاز لكان أقرب واليق فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح بقولى

وكلما الغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

ولم اخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا يعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز وهو

وقده باختراع سالم ألف * يبدو بتر ويسه من رأس كل كمى

تقدم قولى انه كان عن لى ان أورد هنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الا انى خفت ممن تجرع على فى المطالعة فيورد ما اثبت من المعنى المخترع لزيد انه مسبوق اليه من عمرو فاردت ان اخلص من هذا الاعتراض واورد هنا نبذة من مخترعات ابن حجاج فانه منوال ما نسج عليه غيره * وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج * وأما أشعار أبى عبد الله الحسين ابن حجاج فانه امة غريبة تبعت وحدها * وذرية تبلغ باتقان اللهو رشدها * فمن ذلك قوله

يا ديمة الصفع صبى * على قفا المتنبى
وأنت يا ريح بطنى * على عذاريه هبى
ويا قفاه تقدم * واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك الفا * فلا تقولن حسبى
وقد تعشقت معنى * طر طورك المتعبى
بالحية هى عن جهل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى * فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله

كأنما باب سور مبعسرها * عنقود كرم مزبب العنب
كأنما الابر فوق عصعصها * راكب حمارة على قتب

ومنه قوله

جارية قد سمطت فيشتى * بوهج حمى سرمها الصالب

أخذت فى الليل مجس استها السماعى وقد نامت الى جانبى
اوجب اخراج دم فاسد * من عين قيفال استها الضارب
لبظرها الاسود دنية * تصلح للقاضى أبى السائب
خطبت بالامس عليها استها * فأنعمت للخاطب الراغب
وبات ايرى رافضى الخصى * يعطى قفا مبعرها الناصب

وقال أيضا

قوموا اقتصوا باب اسرمها وبلوا * فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين استها لرؤيتكم * بالليل فوق الفراش تختلج
ان لم يسعكم ثمر عصعصها * فثم بالطول تحته ازج
و فى استها خاتم للولبه * طوق محلى وفصه سبج
اذا الخصى صافح استها خريت * تحتى وبالبيض تعمل الحجج

وقال أيضا

يابى من تمكنت من فؤادى * فانا الدهر كله فى اجتهاد
قدها فى القياس من قوم يأجو * ج ولكن بظرها قوم عاد
وقفت لى فبستها من قعود * بوسة بردت غليل فؤادى
ولها شعرة ولا زيد البحـ * ـر بياضا وعصعص كالمداد
وحراشيط العذارين الحى * فيه سمت النسا والعباد
بظرها فوقه كدنية الما * كم يوم انحداره فى السواد
ما توهمته و حقك الا * بعض اصحابنا بنى حماد
يوم ساملتها فلما أحست * فى خراها بمثل شرط الفصاد
جذبت لحيتى وقالت اياشيخ ترى انت كافر بالمعاد
انت ممن يبغى خلافا على الله ويسعى فى أرضه بالفساد
قلت كفى انا وجدنا على هذا ابور الاباء والاجداد
عرفينى وخبرينى متى كا * نت سيوف الخصى بلا أغماد

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

مولاى يدعوك شيخ لا وقار له * حتى القيامة سكران ومخمور
ما فيه للشيب اكرام فيزجره * عن الخمور ولا للسن توقير
يقول بالامرد المصقول عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير
وبالفتاة التى تنور مدخلها * بعد العشا لشوى الخصيان مسجور
وبالعجوز التى فى أصل عنبلها * غداة بعث الخصى ينفخ الصور
زبال زرع استها يسقى بدالية * وبظرها واقف فى الزرع ناطور
لها حراشيط قد شاب مفرقه * عليه بظر طويل فيه تدوير
كأنه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المحلوق طرطور

Digitized by Google

هذا الاستطراد فى البيت الاخير استطرد فيه الى أبى الطيب وهو فى غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطوره فى الابيات المتقدمة البائية ومن اختراعاته فى هذا الباب قوله

أحب من الكأس تقبيله * اذا كان فى شفتيه لعس
ويعجبنى منه انى اذا * نقرت انفه بقصدى عطس
وواسعة السرم تشكو استها * اذا مسها النيك ضيق النفس
فتاة لدرب استها حاوس * يعلق من خصيتيه جرس

ويعجبنى قوله من قصيدة

فى استها سدرة اذا نفضوها * جعوا لى من تحتها كف نبق
وهو نبق بلا نوى اسود اللو * ن اذا لكنه تحمض شدق

التفسير

(ذكر التفسير)

(وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم)

هذا النوع أعنى التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما فى البيت الآخر أو فى بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى أوله والتفسير يأتى بعد الشرط وما هو فى معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدا الذى يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا * فمن بديع التفسير الذى وقع فى بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * اسد ومزن وأقمار وأجبال

فانه احسن الترتيب فى عجز البيت كله وجعل المفسر فى الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ما وقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حامل ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراء لشزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق ما راعى حسن الترتيب فى بيته فان عند هم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص حسن الكلام البليغ الا ترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والمجرور فى باب التفسير قول شرف الدين القيروانى

لمختلق الحاجات جمع بيابه * فهذا له فن وهذا له فن
وللخامل العلياء والمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدا قول ابن الرومى

اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا ادلهمت نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا ابلغ ما وقع فى التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة * ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب فى المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شبآن حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبى والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ما جاء فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع * فذكر سبحانه الجنس الاعلا اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل مادب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم ما يمشى على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع وما يمشى بغير آلة اعجب مما يمشى بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما لمقصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فالذى يمشى على رجلين وهو الآدمى والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولما فى الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه من الكثافة الارضية وثلث بما يمشى على اربع لانه أحسن الحيوان البهيمى واقواه فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المحاسن وهى صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال * وبيت صفى الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام ويغتدى * باب الظلام وبهمى صيب الديم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

ذكر الامام وابنيه يفسره * على والحسنان اكرم بهم كرما

الشيخ عز الدين ما أفادنا فى التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض لم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه فى الشطر الاول من البيت الا بتفسيره من الشطر الثانى على الترتيب * وأما ذكر الامام على كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهما السلام فى بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله اعلم

(ذكر حسن الاتباع)

حسن الاتباع

(ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع اعنى حسن الاتباع هو ان يأتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من الوجوه الزائدة التى توجب للمتاخرين استحقاق معنى التقدم اما باختصار لفظه او قصر وزنه او عذوبة لفظه او تمكين قافيته او تتميم نقص أو تحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع ابى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

فنقل ابو نواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس فى بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة فى حسن الاتباع قول منصور النمرى فى زينب اخت الحجاج واترابها وهو

وهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومى بقوله

ويلاه ان نظرت وان هى اعرضت * وقع السهام ونزعهن اليم

قلت وقع السهام ونزعهن بعد ويلاه فى بيت ابن الرومى تركت بيت النمرى اطلالا بالية وقال ابو عبادة البحترى

اخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبرّاح وهو جفاء

واحسن ابو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقيه فى شرف سببه وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة امه بقوله

ان فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بامه * ورام شقى ظلما * سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه أحسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه عمل معنى عنترة الذى جاء به فى بيت تام من الكامل فى بيت من المجتث وأتى بالمطابقة المعنوية فأما قوله سكت عن نصف شتمة ففيه من التأدب الدينى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجى منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا الا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجى اتباعه بقوله

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكأنما * تطر العدو مقاتلى من جنتى

فلا نفضن يدى يأسا منكم * نفض الأنامل من تراب الميت

ويعجبنى هنا قول القائل

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى

سد السداد فى عمايريكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

واحسن زكى الدين بن ابى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت فما السكات ضر ورقى * اهجى لكل مقصر عن منطقى

وقال سليك بن سلكة

وتبسم عن المى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب

كان على أنيابها الخمر شجها * بما الندا فى آخر الليل عابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال السموءل

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فاحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال

* أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع *

وقال الاسود ابن يعفر

يسعى بها ذو بوء مين كأنما * قنأت أناملها من الفرصاد

واحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال

تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعناب

استوفى ابو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الوأواء الدمشقى من أبى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله

وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء مشكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما * يجرى سهام الموت فى النفس

نقل أبو هلال العسكري في الصناعتين عن الصولي انه قال حدثني ابو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبي قال كنا في حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل كان يتبع معاني فيأخذها فقال له رجل في مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الي بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لاحق

فاخذه أبو تمام وقال

واذا امرء أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل احسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما احسنت وان كان أخذه منك فقد اجاد فصار اولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام وقال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتي وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو ماخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانح * الى مسقط الافق من خنصر

وقال أبو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليه الا أنه أتى بعكس المعنى وما يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

* وخلا الذباب بها فليس ببارح *

فانه ما نوزع في هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح وتقرر ذلك في بيته سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الاثار في الاكم

بيت الشيخ صفي الدين ماخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف في جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

والجزع حن اليه بعد فرقته * حسن اتباع لتلك الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه اتبع الفرزدق في قوله في مديح الامام زين العابدين علي

بن

بن الحسين بن علي عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتي تقدمه قولي في حق الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور في دجى الظلم

ثم اني قلت بعده في حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقني اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت في صغري اترنم به وهو قوله

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو من جوه عذلي بخصام

الشيخ شرف الدين قرران ذكر محبوبه يحلو ولو كان في محل خصام من العذال وقولي ابلغ في حق الصحابة رضي الله عنهم لان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من اجسامهم وأين الطرب في هذا المقام من يحلو في ذلك المقام وأين المخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التي ما على حسنها من مزيد قولي لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ماشان حسن السيوف وذهاب الانفس ماشان حسن اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية في حسن الاتباع الذي هو المراد من تسمية النوع محاسنها لا تخفى على المنصفين من أهل الادب والله أعلم

الموادرة

(ذكر الموادرة)

(كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها وارونه في سيوفهم

هذا النوع أعني الموادرة هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه فان كان أحدهما أقدم من الآخر واعلى رتبة في النظم حكم له بالسبق والافلكل منهما ما نظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافسا في ذلك واحضر طرفة ابن العبد خطوط أهل بلده في أي يوم تظم البيت كان اليوم الذي تظم فيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أو دونه في بيت يخالف وزن البيت الاصلي وبيت الشيخ صفي الدين على الموادرة قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حدیدها كان اغلالا من القدم

وبيت الشيخ صفي الدين ذكر في شرحه أنه نظم بيتا من جملة ابيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيه فتحسبها * تؤذلوا أصبحت اغلال من أسرا

فاسقط البيت الذي له فلما تعددت عليه الانواع في نظم البديعية ووصل الى الموادرة الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما في سلك شواهد بديعيته بحيث لا تخلو من هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

ليت المدايح تستوفى علاه ولو * توارثت فى مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه توارد هو وأبو الطيب المتنبى عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ومعنى الموارده فى بيت بديعيتى انى كنت مدحت تمر بغاء الافضلى الشهير بمنطاش ورياحين الشيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الادب وكان المشار اليه اذذاك كافل المملكة الحموية بقصيدة رائية سارت ببديع محاسنها الركبان واحتوت على معانى لم أسبق اليها وتمثلت فى غصون نظمها بين يدى شيخى وهو مولانا قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على القضامى الحنفى رحمه الله وقد علق بخاطرى منها ابيات فانشدته فى ذلك الوقت ما علق بخاطرى وهو قولى منها

له مطالعة فى الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان راسل القوم انشا فى رسائله * مجمعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطى له قلم * والرسل أسهم حتف توضح الخبرا
ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه ببديع الحسن لف لنا * شملا ولكن لارقاب العدا انشرا
وخط من فوق الواح الصدور لهم * بابا من الخوف فى احشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندى ويجمع بالسمطى فعل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * وبالتريسة غصنا حاملا قمرا
ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

وصرت كلما أنشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لى باعادته حتى انتهيت الى قولى

كأنما الهام أحداق اضربها * سهد وأسيافه فى الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم للابيات التى قبله وقال أبو الطيب هو أبو عذرة هذا المعنى ولكن احسنت الاتباع بقولك اضربها سهد وبقولك فى الشطر الثانى طيب كرى فان فيها زيادتين حسنتين فالتزمت له بعين انى ما ملكت ديوان المتنبى يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت فى ذلك الوقت اطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباته وديوان الشيخ صفى الدين الحلى فتعجب مولانا قاضى القضاة من ذلك وبالغ فى الجبر والثناء ولكنى اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت بديعيتى الى نوع الموارده الجأت الضرورة الى نظمه فى سلك أنواعها * وبيت المتنبى الذى حصلت الموارده به قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتى

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

والترشيح أيضا هنا ظاهر فى قولى مسهدة والترشيح فى تورية الموارده بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

الايضاح

(ذكر الايضاح)

هذا

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم)

هذا النوع أعنى الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه فى بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنا والحلم والعلم والجهل

فالقائل عن مكروهها متنزها * والقائل فى محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وماذاك الا انه يقتضى المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقائل عن مكروهها متنزها * والقائل فى محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح فى الوصف الذى لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول اشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغنى النديم عن الخمر فازال اللبس فى البيت الثانى واوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفى الدين قوله

قادوا النواذب كالاجبال حاملة * امثالها ثابتة فى كل مصطدم

والعجب ان ما تنبهوا لهذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

للخير والشر ايضاحا به فبذا * أمر وعن ذا الثنى حب نصحهم

والذى أقوله ان الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح فى بيته غير الاشكال وبيت بديعيتى تقدم قولى قبله فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت فى الموارد

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

ثم انى قلت بعده فى الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة فى وصف الصحابة رضى الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التى هى فوق الوصف فما قلت فى هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا فى كل معترك ظهر اللبس فاوضحته بقولى من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذى هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

التفريع

(ذكر التفريع)

(ما العود ان فاح نشرا أو شدا طربا * يوما بأطرب من تفريع وصفهم)

هذا النوع أعنى التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم مبنى بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المبنى باحسن أوصافه المناسبة للمقام اما فى الحسن واما

فى القبح ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بافعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بافعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفى قد ينفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك باحسن من اخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ها هنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ما روضة من رياض الحسن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * موزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقد يجئ الفرع والاصل فى بيت واحد كقول أبى تمام

ما ربع ميية معمورا يطيف به * غيلان ابهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * اشهى الى ناظرى من خدها التربب

قد ذكر فى البيت الاول الاصل والفرع وكذلك فى البيت الثانى فالاصل هو الاسم المنفى مع ما ذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به ويعجبنى فى هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى من قصيد وهو

وما وجد اعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يجئ فهشت للسلام وردّه
بأعظم من وجدى بموسى وانما * يرى أننى اذنبت ذنبا لوده

ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود فى هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد * فى بعض البيد * فى أرض موحشة المسالك * قليلة السالك * قد لمع سرابها * وتوقدت هضابها * وصرخ بومها * ونفر ظليمها * وحضر سمومها * وغاب نسيمها * فلما خافت على ولدها من الظمأ الهلالك * أجاسته الى جنب كثيب هنالك * ثم ذهبت فى طلب الماء للغلام * لئلا يقضى عليه الاوام * فانتهى بها المسير * الى روضة وغدير * وآثار مطى بوارك * تدل على أن الطريق هنالك * فعادت الى ولدها مسرعه * وكل أعضائها اليه عيون متطلعه * فلما شارفت جنب الكثيب * رأت ولدها فى فم الذيب * يا كثرة حسرة وتلهفا * وأعظم منى حرقة وتاسفا

وأعز ورد معا عند ما قيل لى الذى * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فالغيته أيضا والشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذى نحن بصدده أحلى فى الاذواق وأوقع فى القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات فالغيت أيضا ما اخترعه ابن أبى الاصبع رحمه الله ويبت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ماروضة وشع الوسمي بردتها * يوما باحسن من آثار سعيهم

والعميان ماظنوا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين في بديعيته قوله

ما الدوح تفريعه بالزهر متسق * نظما باطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

ما العودان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما باطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع الذي هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

حسن النسق

(ذكر حسن النسق)

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم في حلبة الكرم)

هذا النوع أعني حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو ان يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتالية متلاحمات تلاحما سلسا مستحسنا مستبهجا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا افرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيرواني

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به واتظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير

*ومنه قول ابي نواس

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق هنا الامرين بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كانهما فن واحد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي قوله

والذئب سلم والجنى اسلم والسعبان كلم والاموات في الرحم

والعميان ماظنوا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي في بديعيته قوله

فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتنسيق رتب في تصديق حكمهم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولي

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم في حلبة الكرم

التعديد

(ذكر التعديد)

(تعديد فضلهم يبدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم)

هذا النوع أعني التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازي وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع اسماء منفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية في حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من

الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن امثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

ياخاتم الرسل يامن علمه علم * والعدل والفضل والايفاء للذمم

والعميان ماتظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين في بديعيته قوله

تعديد أوصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والمجد والهمم

وبيت بديعي أما مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديد اوصافهم يبدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم

(ذكر التعليل)

التعليل

(نعم وقد طاب تعليل التسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن امثلته الشعرية قول البحتري

ولو لم تكن ساخطا لم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر * ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين ففي الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يذكر علة للتيمم الا بعد ذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف في استخراج علة مناسبة لاحرج عليه في ايرادها وقد يتقدم المعلول على العلة في هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا انها فرحت * اذ ظلمته فابدت حسن مبتسم

وبيت الشيخ عزالدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بانه نال بعضا من ثنائهم

وبيت بديعيتي اقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في اثار تربهم

التعطف

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم ابدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في مصراع آخر قلت وهذا النوع أيضا من الانواع التي تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع اعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولي ان القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخيص والشروع في المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع اعني التعطف بقول أبي الطيب المتنبي

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحبه من لهم فخرا اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلي في بديعيته قوله

تعطفوا برضى احبابهم وعلى * اعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي

تعطف الخير كم ابدوا المذنبهم * والخير مازال في أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيرا اليهم

الاستتباع

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى اثره وفي الاصطلاح هو أن يذكر الناظم او الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من اغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن كقول أبي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله

الى كم تردّ الرسل فيما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فمدحه بالشجاعة ايماء والغرض في ردّ الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما الفاظه من ماله

Digitized by Google

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنو العرض صون الجار والحرم

وبيت العميان

تجرى دماء الاعادى من سيوفهم * مثل المواهب تجرى من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين

يستتبعون ببذل العلم بذل ندا * ويحفظون المعالى حفظ عرضهم

وبيت بديعيتى

يحمون مستتبعين العقوان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الطاعة والعصيان

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فخانسه بمدحهم)

هذا النوع أعنى الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعرى فى شرحه الذى سماه معجز أحمد عند نظره فى شعر أبى الطيب وهو قوله

يريد اعن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يريد اعن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تطيعه المطابقة فى قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن فى ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعى وقيل ان هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبى العلاء ولا بعده فى سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبى نادرا قلت أنا تابع فى هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال * وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال * فان القوم اضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكى الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعرى وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم مامر عليه فى هذا البيت اذ ليس فى البيت شئ أطاع الشاعر ولا شئ عصاه ودليل ذلك قول المعرى ان المتنبى أراد مستيقظا ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقا فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول فى هذا الوزن وهذا محال لان المتنبى لو أراد أن يقول يريد اعن ثوبها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبى قصد أن يكون فى بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوى وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوى كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبى ترجيح المعانى على الالفاظ ولا سيما وبالعدول عن الطباق اللفظى حصل فى البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا افضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبى الى ما ذكره المعرى لفاته

هذا

هذا الفضل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شئ ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله

لهم تهلل وجه بالحياء كما * مقصوره مستهل من اكفهم

فانه ذكر في شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فاطاعه الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه انتهى قلت والذي قرره الشيخ صفي الدين أيضا محال ولو قال

لهم تهلل وجه بالحياء كما * لنا الحيا مستهل من اكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة في الاذواق وخلا من العقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

اطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناوى لذى الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر في شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فاتى بلفظة ناوى فاطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذي قرره الشيخ عز الدين أيضا هنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجمشع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراد من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجمشع الانس والنعم التي زلزلت اركان بيته وأما قوله اطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذي هو المراد هنا وجل القصد أن عصيان الوزن في بيت ابي الطيب وبيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين محال وبيت بديعيتي اقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو بجانسه بمدحهم

هذا البيت اردت أن اجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم اراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوي والعصيان ما نظموه في بديعيتهم والله أعلم

المدح في معرض الذم

(ذكر المدح في معرض الذم)

(في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعني المدح في معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح كقولك لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف * وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

ولاعيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومنه أيضا قول الشاعر

ولاعيب فى هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخدّ منعم

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لاعيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وبيت العميان فى بديعيتهم

لاعيب فيهم سوى أن لاترى لهم * ضيفا يجوع ولا جارا يهتضم

قلت بين قول الشيخ صفى الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم * وبين قول العميان عن الضيف انه لايجوع بون بعيد * وبيت الشيخ عز الدين

فى معرض الذم ان رمت المديح فهم * لاعيب فيهم سوى الاعدام للنعم

وبيت بديعيتى

فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لاعيب فيهم سوى اكرام وفدهم

(ذكر البسط)

البسط

(هم معشر بسطوا جودا سقاه حيا * فاخضر العيش فى اكناف ارضهم)

هذا النوع أعنى البسط من مستخرجات ابن أبى الاصبع والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة كقول النبى صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة ليفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى اذ تمامه لايكون الابذكر عامة المسلمين فاتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحترى فى الخيرى وهو المنشور الاصفر

قد نفض العاشقون ماصنع الهجر بالوانهم على ورقه

فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيرى فبسط اللفظ الذى لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما فى البسط من حسن ادماج الغزل فى الوصف بغير لفظ التشبيه ولاقرينه اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه الوان المهجورين وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لاولن ولم

والعميان ماتظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ذو بسط كف وخلق زانه خلق * اثنى عليه اله العرش بالعظم

وبيت بديعيتى أنا مستقر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

هم معشر بسطوا جودا سقاه حيا * فاخضر العيش فى أكناف أرضهم

(ذكر الاتساع)

الاتساع

(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالى اتساع فى عليهم)

هذا

هذا النوع أعنى الاتساع يتسع فيه التاويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل الفاظه من المعانى كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تاويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبى الاصبع وهو أنور الوجوه * ومن ذلك فواتح السور التى أقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها اسماء للسور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لا عاريد نسهم * شم الانوف طوال الباع والاهم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعالى فى الصحابة كال * فاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالى اتساع فى علیهم

جمع المؤتلف والمختلف

(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

(جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم)

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرره ويطابقه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين ابن أبى الاصبع والذى تحرر عنده أن هذا النوع عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فخصت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى اهلية الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فخصت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى اباه فابلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر

وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا على وكر

حتى اذا نزلت القلوب وقد * لزت هنالك العذر بالعذر

وعلا طباق الارض ابيهما * قال المجيب هنالك لا أدرى

برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى

أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

Digitized by Google

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله

هم هم في جميع الفضل ماعدموا * سوى الاخاء ونص الذكر والرحم

قلت الحلي اساء الادب في نظم هذا البيت وكان يجب أن يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال ان الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله هم هم في جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيرا الى هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ماعدموا * ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في بيت الصفي غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

جمع لمؤتلف فيهم ومختلف * في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب أن لا يستشهد على هذا النوع بغيره فاني قلت فيه عن الصحابة رضي الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(ذكر التعريض)

التعريض

(تعريض مدح أبي بكر بقدمتي * في سبق حلمهم مع موصليهم)

هذا النوع أعني التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن أن يكني المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت أن تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للآخر لم تكن امي زانية يعرض بأن امه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت ان أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي فانه من الامثلة البديعة وليس في هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أتى ساجدا لله ساعته * ولم يكن ساجدا في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

تطويل تعريض شانتهم بعظمهم * والرفض أقبح شيء موجب الاضم

وبيتي الذي اطنبت في وصفه هو قولي بعد

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم
تعريض مدح أبي بكر بقدمتي * في سبق حلمهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

الترصيع

(نعم ترصع شعري واعتلت همم * وكم ترفع قدري وانجلت عمم

هذا النوع أعني الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو ماخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات * يطبع الاسجاع بجواهر لفظه * ويقرع الاسماع بزواجر وعظه * وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أو مقابلة أو جناس كان ذلك زيادة حسنة * ومن أمثلته الشعرية قول أبي فراس

وافعال النبل للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهابه

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من منافٍ منافق * ويا ليلها كم من موافٍ موافق

والمبرز في هذا النوع هو الذي يخلي نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التي ليست من الترصيع بحيث لا يأتي في صدر بيته بلفظة الا وليها اخت تقابلها في العجز حتى في العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدي * ورحيق خمرة سيبه للمعتفي

فهذا البيت وقع الترصيع في جميع الفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدي والمعتفي وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثاني كرر فيه ناظمه حرف النبداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الترصيع قوله

من جاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفي الدين فاته في هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تساهموا فيهما ولكن الغاية ما قرروه في نظم هذا النوع وأيضا فان الشيخ صفي الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى في بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب * وناهيك ان العميان تبصروا له ونظموه في بديعيتهم وهو

فهجر ربعي لذا الربع مغتفي * ونثر دمعي لذا الجمع معتصمي

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع في جميع الفاظ البيت ولكن ذلك في مقابلة ذلك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فللنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

كم رصعوا كلما من درّ لفظهم * كم ابدعوا حكما في سرّ علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى في العروض والضرب ولكن كرر في بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفي والكمال لله وبيت بديعيتي اقول فيه بعد قولي في بيت التعريض

نعم ترصع شعري واعتلت همتي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع في نظمه * وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله

فى بيته وقد تميز بيتى على بيت ابن النبيه أيضا فى ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فانى قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة باربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا فى تسمية النوع الذى هو الترصيع ولعمرى أنها لورية مارصع فى العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

(ذكر السجع)

السجع

(سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم)

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن اسجاع أولا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة أقسام المطرف والموازى والمشطر *والمرصع * القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتى المتكلم فى أجزاء كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا * وكقولهم جنا به محط الرحال * ومخيم الامال * ومن الامثلة الشعرية قول أبى تمام

تجلى به رشدى واثرت به يدى * وفاض به عمدى وأورى به زندى

الثانى الموازى وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى سرر مرفوعة واكواب موضوعة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعط منفقا خلفا * واعط ممسكا تلفا * ومنه قول الحريرى فى المقامات * الجأنى حكم دهر قاسط * الى أن اتجع أرض واسط * وقوله وأودى بى الناطق والصامت * ورثى لى الحاسد والشامت * ومن أمثلته الشعرية قول أبى الطيب المتنبى

فمن فى جذل والروم فى وجل * والبر فى شغل والبحر فى خجل

القسم الثالث المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه قلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف لنشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التى أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر * قم فانذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * وامثال ذلك كثيرة فى القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله * كبت نهد * كان راكبه فى مهد * يلطم الارض بزبر * وينزل من السماء بخبر * لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما ورد منه متزائدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الاوليين وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على

الثانية

الثانية فلا باس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * فالثانية أطول من الاولى * ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا * اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا * واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا * ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين * طاروا واقين بظهورهم صدورهم * وباصلابهم نحورهم * فالظهور بمعنى الاصلاب * والصدور بمعنى النحور * ومنه قول الصابي * يسافر أيه وهو لا يبرح * ويسير وهو ثاو لا ينزح * ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك ومن فوائد الانشاء التي يطول بها باع المنشئ ان السجع مبني على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده الا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك * ما أبعد ما فات * وما أقرب ما هو آت * للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك أن السجع مبني على التغيير فيجوز أن تغير لفظة الفاصلة لتوافق اختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد فمن ذلك الامالة فقد يكون في الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى والضحى والليل اذا يغشى اميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ما هي من ذوات الياء لاجل الموافقة وكذلك والشمس وضحاها اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما هي من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة * ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة * ومن كل عين لامة * والاصل عين بلمة لانه من ألم ولكنه لاجل الموافقة قيل لامة * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات * غير مأجورات * الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم * واتركوا الترك ما تركوكم * الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا في أحكام الفواصل * ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال * واطالة من غير املال * والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد * وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد

المفرد فانه يقال للقصيد كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ فمن الانشاء الفصيح البليغ قول ابن عباد وقد قيل له ما أحسن السجع * فقال ما خف على السمع * فقيل مثل ماذا * قال مثل هذا * ومنه ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد * فابتوا ريثما تنجلي به هذه الغمره * وتصمو هذه السكره * فينصب السيل * وتمحى آية الليل * ومنه قول أبي نصر العتبي * دب الفشل في تضاعيف احشائهم * وسرى الوشل في تفاريق اعضائهم * فخيوب الاقطار عنهم مزوره * وذيول الخذلان عليهم مجروره * ومنه قول الصابئ نزغ به شيطانه * وامتدت في الغي اشطانه * ومنه قول بديع الزمان * كأني الى البصرة ان لم أره * وقد سمعت خبره * والليث وان لم القه * فقد تصورت خلقه * ومن رأى من السيف أثره * فقد رأى اكثره ومنه قول القاضي الفاضل رحمه الله * ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب * وعقاب في عقاب * وهامة لها الغمامة عمامة * وانملة اذا خضبتها ايدي الاصيل كان الهلال لها قلامه * ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية * لا زال في مقاصده أخف من وطأة ضيف * وفي مطالبه أخفى من زورة طيف * وفي ثنقله أسرع من سحابة صيف * واروع للعدا من سلة سيف * ومثله في الحسن قوله في صدر مثال شريف سلطاني * اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها * والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب تشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد اضرمت الحمية للدين نار غضبها * وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها * والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه * والابطال ما فيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه * قلت ما أوردت كثيرا من الانشاء ها هنا الا لان يطيب للمتأمل تنقله من شطوط البحور * الى التنزه في رياض المنثور * فمن ذلك ما انشأته في تقليد مولانا المقر الاشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الشافعي بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي * وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب المعالي * ورقيناه الى درجات الكمال علما أن الكمال ما خرج عن بيته العالي * فانه المنشئ الذي ما للصاحب دخول الى ديوانه * ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه * ولا للشهاب محمود أن يباهي كماله في طارفه وتليده * ولا للقاضي الفاضل شرف البارزي وتميزه ولو بالغ في كثرة شهوده * ما نثر في كمام طرسه زهره الا وأرانا ذيول زهر المنثور * ولا قرع أبواب المصطلح الا فتحت ودخل بيتها بغير دستور * ولا تسنم منبرا الا أجاد بالفاظ كان مزاجها من تسنيم * وقالت البلغاء للفصاحة المحمدية ما ثم الا الرضى والتسليم * ومنه ما أنشأته في تقليد ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالي عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولي * فانه من البيت الذي وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت * وطاحني

أن امامكم الاعظم أول من راعى حقوقه وبادر الى رفع مثاله وشرع فى رفع قواعده وتشييد كماله ولهم هذا الفرع الذى زكت اصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر * وقد انبته الله نباتا حسنا والنبات الحلوى حسنه لا ينكر * غاب نظيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ما أبهاه * وبلغنا الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله * وسلكناه فى حياة والده فكان لمشيختنا الشريفة نعم المريد * وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وها هو فى البيوت البارزية بيت القصيد * والكناية دون كماله ومحاسنه تجهل أن تقابل بمثال * وان كان الكمال زها بحاشيته فحاشيتنا زهت بهذا الكمال * وكان والده عقد افرط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه * وقد نظمناه فى عقد ملكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه * وامتدت السن الاقلام الى ثغور المحابر فقبلتها * وانشرحت صدور الاوراق وعلق فيها عنابر سطور فحملتها * وقالت لحبر أقلامه أهلا بالعرسيات التى ليس لها الا الايدى الجهينية غرر * ومرحبا بعد النوبة بقهوة الانشاء فان شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر * وجاء الامام الذى ان كتب تقلدا قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده * وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه ومأمونه ورشيده * ان تحمس فى انشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا * أو استطرد الى وصف روض ممرح زاد هرجا ومرجا * أو ترسل غراميا فاحديقة زهير عند زهر منثوره * أو كتب عنا تهديد اسال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه لسقطت مع الحصى عند خريره * فانه المنشئ الذى ما اعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه * الا قال كل منشئ دخلت اصبع قلمى من دواتى تحت رزه * ولا حز لمن دوح أقلامه فرعا الا تساقط بين الاوراق ثمرات شهمه * فلو أدركها الصاحب لقدمها وآخر الفواكه البدرية * ولو ناسبه الفتح لقابله المؤمنون بالقتال * وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف اسجال * فانه الامين الذى ان تصرف فى مزررتنا الشريفة فقد ثبت ان توثيق العرى لبيته العالى * أو أملى فى ديواننا الشريف كانت امالية أمالى المحب لا أمالى القالى * ولولا خشية الاطالة لاوردت هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء لنسيج وحده ومنه ما أنشأه عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك الناصر صاحب اليمن * وهو لازال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن * وسيفه اليمانى لم يرض بمجانسة سيف ابن ذى يزن * والامة بأجمعها تهنأ بجنات عدن فى عدن * ولا برحت صنائعه بصنعاء محبرة حتى فى سطور الطروس * وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها شيب الرؤس * وتحيانه المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم * وبدور مودته سافرة فى ليالى سطورها بين بديعى التكميل والتتميم * أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته وكتب * واثبت مقدمات الاخلاص فحكم له قاضى المحبة بالموجب * وأودعناها من السلام ما تعمه رحمة الله وبركاته * ومن طيب الثناء ما يتأرج بين أدراج ذلك المندل الرطب نفحاته * ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن المخلص من طيب اعرافه حسن الختام * ومن سجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام * ونبدى لعلمه ورود المثال العالى بطيب تلك المعادن التى ودائع النسيم أن يقيدها وتحتبس * ولقد رافقها الاكتساب

اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس * فاكرم به مثالا أرانا خفر الملك على كل قرينة لها من حجب البلاغة ستور * وخدامها من مود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور * ورد صحف الصفاء صقيله فتمثل فيها * وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول نجنيها * وقدم من ذلك الحرم الاحمدى فكان اكرم وافد قوبل منا بالاكرام * وفتح أبواب الدخول الى السلام فسلمنا وقلنا لحواصنا ادخلوها بسلام * ولقد تملنا بكاس انشائه وهو بحضرتنا الشريفة دائر * وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والفاضل لا ينسب الا الى الناصر * وتغزلنا فى محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بحيرة العلم * وراعنا تحمس بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب سيف وقلم * وودّ كل دوح أن يملأ طروس اوراقه بريحان سطوره * وتطفل كل روض أريض عند وروده على زهر منثوره * وقالت فصاحته وتلك البلاغة التى جاءت بسحر البيان هل يفتى لنا بصدق المحبة فقال لهما القلب قضى الامر الذى فيه تستفتيان * فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين * وهذه سلامة انشاء داوت سلطانيتها فانشأت اهل الخافقين * وهذا سحر صدقت عزائمه فى العواطف والقبول بين الملكين * وابطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر الملكين * واشتمل على نظم ونثر وأبيات اشعار السلطنة عليهما عيانا * كان البلاغة قالت لهما قد بما سنجعل لكل سلطان * فياله من مثال تدوع زرد ميمانه فقلنا الاطعن فيك لطاعن * وتشرع طبيانى بديعه فكانت على اكناف النيل من أثره مساكن * وأطرب بانفاس علمنا أنها من يراع مابرح بالسعادة موصولا * وطاف فى حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا * ولقد أكثر هذا المقال فى كتابه المبين من ايناس الخطاب * وقصت به الوحشة أحلها فقلنا لكل أجل كتاب * وهذا الجواب أيضا لولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان اليمن ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم ومنه ما انشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز رحمه الله وهو * لا زالت سيوف عزائمه فى الجهاد ماضية الضرب * ولا برح جوده واقدامه متطابقين فى السلم والحرب * نخصه بسلام هو لنار الشوق برد وسلام * وسقايه وداد مازمزم تسنيم قبولها الا تعالى ذلك المقام * وتحيات تنطق بها عند مواظبة الخمس السنة الاقلام * وثناء يقلد بخالص عقود جيد الزمان * وينسى قلايد العقيان * ومحبة يقمر صدقها فى ذلك الافق الغربى ويشمس * وتزيل وحشة من سلا عن غيرها فى المغرب وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحاج المغرب فبادرنا الى قبول ذلك * فان هذا قد يتبرك من النجب السائرة به بالمبارك * وقد اعدناه محصوبا بالسلامة وحداته تطرب بنغمتها الحجازيه * وتهيم اشتياقا عند تشبيبها بذكر الطلحة المتوكليه * واعدنا جواب ذلك على يد رسولكم الذى لم يقابل منا بغير القبول * ليكون خالص ودنا متمسكا بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالى الناصرى محمد بن ابى يزيد بن عثمان وهو لا زالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم * وسيره العثمانى محفوظا فى بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص فى كل بيت من معانى محبته تهيم وفروض

الجهاد

الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام * وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى عليه السلام * وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة * والسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرياق دمائهم مبلولة * ولا برح يجاهد فى سبيل الله براويتخذ فى البحر سبيله * فانه من الذى علا بمحمد مقامه * وانسجم بالخلف العثمانى نظامه * واقتدى بمشيختنا المؤيدية والتصح فى هذا الاقتداء له شريك * وساعدته تورية السعادة لما تمسك بقول من قال ولا بد من شيخ يريك * ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبولة * والمشاركة فى القبول على ما يرضى الله ورسوله * صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج بطيب السلام عليه * وتنسم نسيمات القبول من أخبارها الطيبة ما تنقله اليه * وجلناها ثناء أطلقنا عنان كيت القلم وهو غرة فى جبهته * وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض نقسه ومحاسن سجعاته * وقال الفاضل الناصر هذا الانشاء الذى ما خرس لسان قلمه ولا شابت لمة دواته) ونبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه * محتالا فى شعار الاخلاص فعلمنا أنه عنوان لعهده وميثاقه * وقد اتحف من نبات الايناس ما غرس باكناف النيل فلان نباته * ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته * فاقتطفنا زهر المنثور من رياضه عند الورود * وتغزلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين العوارض والخدود * وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس فعلمنا أنه للملوك تذكره * وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصره * وقلنا هذه لمعة لو أدركها السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قوبه * أو القاضى السعيد لقال ما لسناء الملك بهجة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد ثبقت عيون عزمنا الشريف للجهاد وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها * وتتجرد لقتال المشركين وقد تكفى لها النصر بايه فايد سلطانها * واذا قدحت سيوف الدولتين فى عباب البحر على الكفار نارا * تلا لسان النصر لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن أن يشنف به سمعه الكريم * فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم) وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب * واعطاهم المراكب وهى آلة الظاعن الهارب * فقد علمنا لمن عقبى الدار * ومن ينقله الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى النار * فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين * ويعلم انه من المكرمين فى الدارين وقد تلظت السن سيوفنا شوقا لحلاوة نصره * وتحركت عيدان رماحنا طربا عند سماع ذكره * ونفضت جوارح سهامنا ريش اجنحتها لاقتناص تلك الغربان * وهامت فرساننا المؤيدية الى منازل الاحباب لتريه من اعدائه مقاتل الفرسان * فانه المجاهد الذى حظى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود * وكم أذاقهم الموت الاحمر وكال التدبيح يقول أهلا بعيش أخضر يتجدد * وتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مبارك * ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعزك الله انصارك * فتقديمه العثمانى من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر * وهو اليوم امام المجاهدين الذى ما صلت سيوفه

Digitized by Google

فى محراب القتال الاقال مرقى النصر الله أكبر * والله يجريه على أجمل العوائد من هذا النصر * ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده عن مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو * أعز الله انصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لازالت زوراء العراق فى أيامه الشوبمة مستقيمة الجانبين * وحلتها الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين * فلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به للالدى ومأكل

ولامية العجم تقول

حلوا الفكاهة مرة الجد قد مزجت * بشدة الباس منه رقة الغزل

فاكرم بهما لامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية * وفتحت لها الميمات أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية * أصدرناها الى المقر وسواجعها تغرد بالثناء بين أوراقها * والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها * فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق * واذا أطلقت من فض الختم خفقت أجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق * ونبدى لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف * وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب من التلهف * وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف * وتأملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى المودة * وحام عليه صارى الاشواق فوجد منها قد أعذب الله فى مناهل الصفاء ورده * وأومض البرق فى الظلمات من رقيم سطوره فاشكل انه نظم برده * فهو مثال يوسفى ولكن ظهر السر الداودى من فصل خطابه * وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه * والتفتت من كأس سطوره آرام الاناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد * والفت القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الجسد فى حديد بارد * وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد * وهذه الفئة خولتنا فى ثم الله وزمام الاخوة منقادا لينا * وقد تعين على المقر أن يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا * وسرنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض * وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض * وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها * وأنا مل استنانا ما ذكرت نوبته الا شرعت فى جس عيدانها * وجوارحها منا ما برحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه * وان كان معنى سافلا فلا بد لاجل الغرض اليوسفى ان نخيم عليه * وننزل سلطان قهرنا بارضه ونفرس فيها عوامل المران * وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان * ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج * وايقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان فى كل خارج * وقد آن سله ليلا يكون بين الحب والمحبوب رقيبا * ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا * ويدهمه من أبى النصر ابناء حوب شرف فى انساب

الوقائع جدهم * وردّ الجموع العديدة الى التكسير فردهم * واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مرديهم * واذا امتدوا الى أمد تلالهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال * فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال * واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن لهم حصون عند ذلك الصرف مانعه * ولم يسمع لسانها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت تلك الحصون الواقعه * وان كانت المنايا نابت عنه مدة كلته السنة سيوفهم وقالت حصرت * واذا طرق بروجه منهم طارق راى سماء تلك البروج قد انفطرت * وماخفي عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التي مزقها الله أيدي سبا * وكم سائل سال وقد رآهم في النازعات عن ذلك النبا * وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحرها مديد * ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

ياحامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر * هذا وماقي العالمين مناظر
فرج على المجنون نظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه في وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطا لك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

وماخفي عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى * ودعوا سيوفهم الصقيلة لما جاق بهم المكر السيء فأجابهم الصدا * ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتور * حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصره * وأخذوا سريعا شبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع * وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع * وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين * ولم يظهر لحراب بهجة الا بهاتين القبيلتين * ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت * أوصرفت العوامل للاعراب عن سواهما ماعملت * وقد فهمنا كريم الالتفات الى أن تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافي المودّة * وعلمنا انها احكام صحيحة في شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا عمدة * وتالله لقد سابق القصد اليوسفي بسهام مراده الى الغرض * وقضى حاجة في نفس يعقوب ليس عنها عوض * ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطور الاخوة في رقاعها محققه * وتصديق مايقصه في الجواب فان القصة اليوسفية ما برحت مصدقة * والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بمثلها هذه امثلته وطيب أخباره * ويفكهنا من بين أوراقها بشهي ثماره (ومما) أنشأته بالديار المصرية وحصل اجماع الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضي القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقيني نور الله ضريحه بعد عزل الهروي ويوم قراءته بالجامع المؤيدي أرخه المؤرخون وذكروا أنه لم يتفق بملك مصر يوم نظيره وهو * الحمد لله الذي أبان فضل العرب على العجم في الكتاب والسنة * وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدبيره طريق الجنة * وأزال ظلم الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنه * ونكرر حمده على نصرة اصحاب

الشافعي وعود جيرته الى منازلها العالية * ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فمن جهل احكام القضاء أمست عليه قاضية * ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقدر * ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم العربية كل عجمه * وتميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمه * صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل بدروع ضلاله * ونقيم حدودها على من بدل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجهل اسماء رجاله * وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك * وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أو لا تطل * فليس نرعى قمرك

وقد حلا مكررا الحمد بنشر الاعلام المؤيدية على أئمتنا الاعلام * وحلت أيضا مواقع التورية بنصرة شيخ الاسلام * فهو الليث الذي كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث * حتى تايدوا بمؤيدهم وأعز الله انصارهم بالشافعي والليث * حجبناه عن غيوم العزل وقلنا وقد ساعدنا رأينا الشريف في اظهاره

اصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الاذناب والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكيه

لعل المامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البر في علل

وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية *

تقدمتني رجال كان شوطهم * وراء خطوي لو أمشي على مهل

وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضيه

لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي

فتنبهنا له وقلنا الضد وقد اهبطناه من تلك الرتبة العالية

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * في الارض أو سلما في الجو فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى * او يجعل السراب ماء واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى * ويابى الله أن يطابق سحبان باقل * أو يجاري فارس العلم راجل

ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه في الحال من شما

وتالله لقد زادنا بحجبه في غيوم العزل علما بعلو مقداره * وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره * وقالت الامة ذلك ما كنا نبغي واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب * وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب * انلنا وظيفته غيره فزلزلت الارض زلزالها * وقلنا يخف على قلبنا فاخرجت الارض اثقالها * واظهرنا جلال العرب فاطلقوا أعنة بلاغتهم في ميادين الفصاحة وما احقهم هنا بقول

الفضل

الفاضل وتناجدت اهل نجد فكل صاح يا صباحه * وعلمنا ان هذا فضل رفل به ابناء العرب
في حلل التقديم * وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * وامتلأ صحن
جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وانشدوا

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

وازهرت هذه البشرى في ربيع ولكنه ربيع الابرار الذي نزه الله روحه وريحانه عن كل
نمام * وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلي بها الى الحكام * ونشر الله
اعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدي اسعافها * وكانت ستورا الجهل قد أسبلت على
التفاسير فاظهر السر للاذى كشافها * اما القرآن فهي في قرى شيخ الاسلام وفضله فيها عاصم
من الجهل ونافع * وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع * وأما العربية فقد
ظهر بعد وعر العجم تسهيلها * وشرعت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها * وأما
المعاني فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح * واهتدينا بنور جلالها فتحت
لنا أبوابها بغير مفتاح * وأما المنطق فحقق مات منطقه العذب ارتنا تاجه يقينا * وأما
العقليات فما رأينا لمن ناظره فيها في هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا * وها هو قد نبه
الفقه من سنة الغفلة بعد ما أمرض الجهل عيونه وأرمد * والحاوي أظهر ما حواه من العلم
بعد ما كان هلك اسي وتجلد * والروضة أزهرت في حدائق هذه المسرة بين أوراقها فاينعت
* ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت * وظهرت رفعة الرافعي في افق كماله * ونور الله
ضريح الشافعي بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالي هو الذي
ناظرناه بالغير فقبال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

فعلمنا انه حجة للشافعي الذي منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال * وما أبدر في أفق درس الا
ازال ظلم الشك بأنواره واسفر ابداره عن التتمة والاكمال * وهو ابو العلماء الذي ولد من الام
افراجهم * وابو المهمات الذي شهر من العدة الكاملة في ميدان الفرسان سلاحهم * واليه
انتهت الغاية فانه ما برح يأتينا في وجيز تقريبه بالعجاب * ويغنينا عن موضح القشيري فانه
يغذينا في ابانته باللباب * اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التعجيب *
وها هو قد ظهر * ويتسلسل في أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر
الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي السيفي لازالت الشافعية في ايامه الشريفة
بجلاله لهم في ترشيح بهجة وابتهاج * وثبت الله القواعد واقامها في ملكه على التحرير ومشى
الرعية فيها على أوضح منهاج * أن تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع
التمويه في الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية * وهو نهاية المطلب وعيون
المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذي تهذيبه في أدب القاضي كفاية وهو البحر الذي ما دخلنا
بسيطه المبسوط الا قالت التورية انه في البسيط كامل * ولا نظرنا الى حليته الجلالية الا غنينا
عن المصباح بنوره الشامل * وقد ميزناه على مناظريه لما أقر واله بالتحجيز * وقرت عيون ابن
البارزي نور الله ضريحه بهذا التميز * والغينا ذكر علوم يجل قدره عن نسبتها اليه * ولكن

Digitized by Google

ثغور سيناتها تبسم عند ذكره وافواه سمياتها تكثر الثناء عليه * فليتلق ذلك فانه العزيز عندنا والمتلقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه * واذا ذكرنا الاصول فاصوله محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستضئ بديع علمه * ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه * وعلم ان جلا لنا عين الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه * والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه * وهو جامع مختصرا تها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه * لازال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند * ولا برح اجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة تسع عشرة وثمانمائة ان انشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها * ولا حام طائر فكر عليها * واحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله بالرحمة والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر بها على كل فاضل بالتقديم * وان كان لسان القلم قد طال فأنا أقطعه هاهنا تأدبا مع عبد الرحيم * وقد وصلناها هنا شمل القطعتين * ليتفكه المتأمل فى جنى الجنتين * ويتنزه نظره فى حدائق الروضتين * ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه وتعالى من اصوبها بزوغا * واضفاها سبوغا * وأصفاها ينبوعا * واسناها منفوعا * وامدها بحر مواهب * وأضمنها حسن عواقب * النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجذره * ويربى النبات بره * ويجرى على سواد الارض بفضته البيضا * ويهنأ بيده الخضيبة نقب الجرب من الجربى * ويحيى مطلعه أنواع الحيوان * ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان * وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها * ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها * وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه الارض وان كان قد تنقب * وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب * فرأينا الابانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون * ووفت بالرزق المضمون * ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون * وقد أعلمنا لتوفى حقه من الاذاعه * وتبعده من الاضاعه * وتتصرف فيه على ما يسر فك من الطاعه * وتشهر ما أورده البشير من البشرى بإباته * وتمده بإيصال رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة * وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عاده * وحلق أصابعه ليزيل الابهام فاعلن المسلمون بالشهاده * كسر بمسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر مجبورا * وأتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا * دق نقا السودان فالراية البيضاء من كل قاع عليه * وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها اليه * وشب خريره فى الصعيد بالقصب * ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب * فضرب الناصرية واتصل بام دينار * وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه الاحمرار * واطال الله عمر زيادته فتردد الناس على الاثار * وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى

من

من تحتها الانهار * وحصن مشتهى الروضة فى صدره وحنا عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظمأ زلالا * الذ من المدامة للنديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات * وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات * وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب * فارضع جنين النبت وأحيى لهما امهات العصف والاب * وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتيمه العقيقية * ولبس الورد تشريفه وقال ارجو أن تكون شوكتى فى ايامه قوية * ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى * وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى * واستوفت الاشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون * وماز ج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر واللمون * وانجذب اليه النكاد وامتد * ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد * وليس شربوش الاترج وترفع الى ان ليس بعده التاج * وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراح * فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سنة بالافراج * وسرح بطائق السفن فخفقت بمخلق بشائره * وأشار بأصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره * وحظى بالمعشوق وبلغ من كل أمنية منساه * فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه للطاعة بعد ما تفقه واتقن باب المياه * وسد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الحور * وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور * ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته * وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته * وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه * وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه * وطلب المالح ردته بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله * فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله * وامست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه * وثقلت ارداقه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة * ومال اليه ياسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه * وامست سود السفن كالحسنات فى حمرة وجنائه * وكلما ازداد الله فى حسناته * فلا قصر سدة الا وحصل له من فيض فضائله الفتوح * ولا مست خليج الاعاش به ودبت فيه الروح * ولكنه احرب عيونه على الناس بزيادة وترفع * فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع * فنشر النيل اعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخريز بحره * ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمات المؤيدى وكسره * وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا * وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناله حالا وصدرا * ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة * وينشق من طيها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره * والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مستنفسا * ولا برح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسماعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لابد لهم من سكين فقلت * وينهى

وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفا * وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا * وتالله ماغابت الاوصلت الاقلام من تعثرها الى الجفا * زرقاء كم ظهر للبيض منها الوان * خرساء ومن العجائب انها لسان كل عنوان * ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب * وذل بعد ان خضعت له الرؤس والرقاب * كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط * وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط * وكم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا * وحكم بحسن صحبتها قطعا * ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين * لانها بالنصاب والنصاب معلمة الطرفين * وانملة صبح تقمعت بسواد الدجى * فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى * ولسان برق امتد فى ظلمات الليل * فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيلى * هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز فى عروض ضرب بها الحد * ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجذر والمد * من أجل ذا تدخل فى مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل * وكلما تفعله لو جزه والرمح فى تعقيده مطول * ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف * وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف * تنسى حلاوة الصال فلا يظهر لطوله طائل * وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل * ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله * ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادله * شهد الرمح بعد الته انها أقرب منه الى الصوابد * وحكم لها بصحة ذلك قبل ان تستكمل النصاب * ماطال فى رأس القلم شعرة الا سرحتها باحسان * ولاطالعت كابا الا ازالت غلطه بالكشط من رأس اللسان * تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده * وتالله ماوقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وتكلمت بحمده * ان أدخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول * أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها قبول * تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس * وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس * وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق * ولو سمع بها قبل ضربه ماحل التطريق * فلو عارضها أبو طاهر لعرك من قوسه الاذنين * وقال له بحدت رسالتك ياذا القرنين * فان جذبت الى مقاومتها وكان للبيد تمتد * وصلت السكين الى المعظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد * وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم * الا ماحلت ظهورها أو الحوايا أو ماالختلط بعظم * ولو لمحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل * أو أدركها ابن نباتة ما اقر برسالة السيف وقل * وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر موليك * وأخلص الطاعة لباريك * وماقصد المملوك الا يجاز فى رسالة السكين ونظمها * الا لتكون مختصرة لجمعها * لازالت صدقات مهديها تتحف بمايذبح بنحر فقرى * وتأتى بمايشفى وابهام التورية يقول ويبرى (قلت الذى أوردته ههنا من انشاءى وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذى تحتم على شرحه وبيانه وايضاحه باب التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء * وقد تقدم تقرير السجع واقسامه وعلم انها أربعة أقسام وهى * المطرف * والموازى * والمشطر * والمرصع * وذكرت فيه الفوائد التى منها احكام الفواصل وأوردت المباحث فى الانشاء الذى فيه نظر بالنسبة الى الحالة التى هى المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التى هى من انشاءى ولانشاء الغير

ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك مايذيل عنده زهر المنثور * ويقرط فى قلائد النحور *
ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات * منها
مجلد انشائه بالبلاد الشاميه * قبل ان استقر منشئ دواوين الانشاء الشريف بالديار
المصرية والممالك الاسلامية * وثلاث مجلدات انشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد
سقى الله ثراه * ومجلد انشائه عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا
السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى
والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد
معين محصور وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم لليد معتصم * بالعيس لامستلم يوما ولاستم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

كم قائل بصميم الجمع مقتحم * وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى ان الشيخ عز الدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند
الجماعة فى شروحهم ان التسجيع هو ان يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها
باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطر بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى
بوزنه مثل قائل وقائل وصميم ونظيم وجمع وسجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه
فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها وليته نقل هذا
البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من
الحشو وهو

كم رصعوا كلما من درّ لفظهم * كم أبدعوا حكما فى سرّ علمهم

مع انه نظر فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى اقول فيه

بيمنى ومنتظمي قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

(ذكر التسميط)

التسميط

(تسميط جوهره يبقى بابحره * ورشف كوثره يروى لكل ظم)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت يسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على
سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون اجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت
وكون اجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت
التسميط قال ابن أبى الاصبع ما خالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الا لتكون

Digitized by Google

القافيـة كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد باجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع و يسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روى يخالف القافية كقول ابن أبي الاصبع

واسمر مثمر من مزهر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافيـة البيت و بيت الشيخ صفى الدين الحلى في بديعيته على التسميط

فالحق فى أفق والشرك فى نفق * والكفر فى فرق والدين فى حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تسميط ذى ادب تنظيم ذى ارب * تحقيق ذى غلب بالنصر ملتزم

و بيت بديعيتى اشرت فيه الى نظمى و نثرى ترفعا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم بقولى

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلفى بابحره * ورشف كوثره يروى لكل ظم

التورية فى التسميط هنا منتظمة فى سلك الجواهر وقد تقرر ان السمط هو الذى يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولى يلفى بابحره فحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والرى للظامئ وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

(ذكر الالتزام)

الالتزام

(لان مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى)

هـذا النوع الذى سماه قوم الالتزام ولزوم مالا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو فى الاصطلاح ان يلتزم الناثر فى نثره أو الناظم فى نظمه بحرف قبل حرف الروى أو بأكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء فى الكتاب العزيز فى مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا اقسم بالخنس * الجوار الكنس * وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وان لك لاجرا غير ممنون * ومثله قوله تعالى والليل وما وسق والقمر اذا اتسق * وأما الشعراء فأبو العلاء كان أكثرهم فى هـذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعـة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السما كان السما كلاهما * هذا له رمح وهـذا أعزل

ومنه قوله

يقولون

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الراح والماء الذى غير اسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على لزوم مالا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم * فى مارق بغبار الحرب ملتحم

وبيت العميان

وميل سمحى لنيل القرب من شيمى * وسيل دمعى بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لى التزام بمدحى خير معتصم * برب وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتى أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى

المزاوجة

(ذكر المزاوجة)

(اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح منّ ونجانى من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو فى اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفى الاصطلاح قال السكاكى ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج لى الهوى * اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

ومن اذا خفت فى حشرى فكان له * مدحى نجوت وكان المدح معتصمى

وبيت العميان

اذا تبسم فى حرب وصاح بهم * يبكى الاسود ويرمى اللسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى * ذكرت ان نجاتى فى مديحهم

وبيت بديعيتى أقول فيه

اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح منّ ونجانى من النقم

التجزئة

(ذكر التجزئة)

وربّ فى كلى جزيت من قسمى * اديت من حكمى جليت كل عم

التجزئة هى ان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه بجميع اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزء ابجزء أحدهما على روى يخالف روى البيت والثانى على روى البيت كقول الشاعر

هندية لحظاتها خطية * خطراتها دارية نفحاتها

وبيت الشيخ صفى الدين

يا ورق خذم فى مأرق أمم * أو سابق عرم فى شاهق علم

والعميان مأنظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

ذى فضل اندية ذى عدل تجزئة * فالذئب فى ظلم يمشى مع الغنم

الشيخ عز الدين سها فى هذا البيت عن رتبة التجزئة فى الشطر الثانى بالنسبة الى التقرير فى شرط الرتبة وبيت بديعيتى أشير فيه الى ما ابديته من المحاسن فى المديح النبوى بقولى

وريت فى كلى جزيت من قسمى * ابديت من حكمى جليت كل عمى

التجريد

(ذكر التجريد)

(الى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها لمدحى فيه كل كمى)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله وفائدته المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهى هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها * واجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتها وردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

شوس ترى منهم فى كل معترك * أسد العرين اذا حرّ الوطيس حمى

الشيخ صفى الدين جرد فى بيته اسد العرين من الشوس وبيت العميان فى بديعيتهم

من وجه احمد لى بدر ومن يده * بحر ومن لفظه در المنتظم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

من لفظه واعظ بالنصح جرد لى * يا نفس توبى وللتجريد فالتزمى

وبيت بديعيتى فى المديح النبوى قولى

لى فى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها لمدحى فيه كل كمى

المجاز

(ذكر المجاز)

(وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * ابيانه بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتى المتكلم بكلمة يستعملها فى غير ما وضعت له فى الحقيقة فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتى المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد ان كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها متعددة خلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكره من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضى كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابى

يا ليلتى بجوارين ساهرة * حتى تركلم فى الصبح العصافير

قوله

قوله فخلوها الخ كذا فى النسخ والصواب أخذا من السابق واللاحق لعدم خلوها الخ اه

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفى الدين قوله

صالوا فنالوا الامانى من مرادهم * بيارق فى سوى الهيجاء لم يشم

المجاز فى بيت الشيخ صفى الدين فى لفظة بارق والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

احيى فؤادى مجازى نحو غرته * وقد دهشت لجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتى تقدمه قولى انى تجردت لمدح النبى صلى الله عليه وسلم وقلت بعده فى المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * ابياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

ائتلاف اللفظ مع المعنى

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة اعنى ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدى وأطال ولم نوف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبى الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعانى المطلوبة ليس فيها لفظة غير لايقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غزيلا كقول زهير بن أبى سلمى

أتانى سعفا فى معرس مرجل * وتؤيا بكذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا ايها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من الفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من الفاظ متوسطه بين الغرابة والاستعمال ولما جنح فى البيت الثانى الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من الفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلى فى بديعيته قوله

كأنما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشى الدر فى الكلم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع عار وبيت الشيخ صفى الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتى بالمشبه به فى البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل فى بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تالف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

ائتلاف اللفظ مع الوزن

(واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم)

هذا النوع اعنى ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر فى الوزن الى نقصها فى البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

Digitized by Google

وفى روايةٍ اخوامه فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله الا ملك او من يقارب حاله لسهل مأخذه وقرب تناوله وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

فى ظل ابلج منصور اللواء له * عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

اؤلف اللفظ مع وزن بمدحة مو * لانا وذم عدو بين النلم

قلت ثقل الهمزة فى لفظة اؤلف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحة مولانا كان سببا فى عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن فى بيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتى قلت فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد قولى فيه فى ايتلاف اللفظ مع المعنى

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

وقلت بعده

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)

(والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم)

هذا النوع اعنى ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى خروجها عن صحتها كقول عروة ابن الورد

فانى لو شهدت ابا سعاد * غداة تعد بهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما الوه الا ما يطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فالجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

من مثله وذراع الشاة حذره * عن سمه بلسان صادق الرتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تؤلف اللفظ والمعنى مدائحه * فللمعانى ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين اتى اولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رتم فى بيت الشيخ صفى الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى فى بيت الموصلى فى غاية الايتلاف وبيت بديعيتى قلت فيه

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

وقلت بعده فى ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

قوله وقلت بعده ضائع بعد قوله اولا قلت فيه عن النبى الخ

ائتلاف المعنى مع الوزن

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى)

هذا النوع اعنى ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو ان يكون فى الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحترى فى الابل النحيلة

كالقسى المعطفات بل الاسـ ـهم مبريه بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسى كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسى حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * فى بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الموصلى فى بديعيته

ساروا وجدوا النوى واللفظ مؤتلف * من لسن دمعى بلفظ خد منسجم

الذى فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثانى فاحصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتى قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

وقلت بعده فى ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ فى التاسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حى

التمكين

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مداعجه قد أبرأت سقمى)

هذا النوع اعنى التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف القافية وهو ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تاتى به القافية ممكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها واكثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذى عقد البديعيون عليه الخناصر فى هذا الباب قول أبى الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقال ابن أبى الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا فى قافية اشد من تمكين النابغة الذبيانى حيث قال

كالأقحوان غداة غب سمائه * جفت اعاليه واسفله ندى

زعم الغمام ولم اذقه بانه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت ويعجبنى هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمرى انه أمكن والطف واظرف وهو

ورب ظبى آنس * حشاشتى ملكته * استبته اسكرته * حركته نبهته

نادمته اعجبته * حدثته اطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

قوله هو ان يكون الخ عبارة غير مؤدية للمقصود بل فاسدة ولو قال هو ان يكون فى الكلام معنى يصح تاديته بعبارات مختلفه فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف لسلم من ذلك اه

Digitized by Google

وبيت الحلى على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد فى الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تمكين حبك فى قلبى نسخت به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مداواته قد أبرأت سقمى

(ذكر الحذف)

الحذف

(وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع اعنى الحذف عبارة عن ان يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريرى فى المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التى اجمع الناس على انها نسيج وحدها * وواسطة عقدها (وقد عن لى) ان أوردها ههنا بكمالها * وأورد معها ما نسج المتأخرون على منوالها * وهى قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء المجود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللاواء * مالك الامم * ومصور الرمم * وأهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * أدرك كل سر حمله * ووسع كل مصر حله * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * أحمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الصمد * لا والد له ولا ولد * أرسل محمدا للاسلام مهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم اله الكرماء * وأهله الرحماء * ماهمر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء * واردعوا اهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * واذرعوا حلل الورع * وداووا علل الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا وساوس الامل * وصوروا الوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعمال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسرعة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحشة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والمحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محياله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * وطحطح عرمرما * ودمر ملكا مكرما * همه سلك المسامع * وسح المدامع * واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عسم حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحساد * والاساود والآساد * مامول الامال * وعكس الامال * ولا وصل الا وصال * وكلم الا وصال * ولا سر الا وسا * ولؤم واسا * ولا اصح الا ولد الداء * ورقع الا وداء * الله الله * وعاكم الله * الام مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء *

قوله او جميع الحروف الخ عبارة ناقصة تمامها او المعجمة مع ابدال كل بكل اه

ومعاصاة الله السماء * اما الهرم حصادكم * والمدرمهادكم * اما الحمام مدرككم * والصراط مسلككم * اما الساعة موعدكم * والساهرة موردكم * اما أهوال الطامة لكم مرصده * اما دار العصاة الحطمة المؤصده * حارسهم مالك * ورؤاؤهم حالك * وطعامهم السموم * وهواؤهم السموم * لامال أسعدهم ولاولد * ولاعدد حماهم ولاعدد * ألا رحم الله امرأ ملك هواه * وأمسك هداه * وأحكم طاعة مولاه * وكدح لروح مأواه * وعمل مادام العمل مطاوعا * والعمر موادعا * والصحة كامله * والسلامة حاصله * ولاد همه عدم المرام * وحصر الكلام * والمام الآلام * وحموم الحمام * وهدوء الحواس * وسراس الارماس * آهالها حسرة ألمها مؤكد * وأمدها سرمد * وعمارسها مكمد * مالولهه حاسم * ولالسدمه راحم * ولاله مما عراه عاصم * الهمكم الله احمد الالهام * وردأكم رداء الاكرام * واحلكم دار السلام * واسئله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام * وهو اسمح الكرام * والمسلم والسلام قلت رحم الله أبا القاسم الحريرى أنى فى عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن الجأته ضرورة العاطل فى مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام * ولايحصل هذا الاشكال فى مرآة الافهام * فاللأواء الشدة * والاحمر والاسود العرب والعجم * ووسم بمعنى علم * وهمر بمعنى صب * والركام السحاب المتراكم * والكدح عمل الانسان من الخير والشر * والاود المعوج * والمساورة المواثبة * وطحطح بمعنى هد وهلك * والسكك ضيق الصماخ * والرعاع السفله * والاساود الحيات * والاصار جمع اصر وهو الثقل * والساهرة قيل انها عرصات القيامه وقيل انها وجه الارض انتهى (وأوقفنى) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتمله على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لاعلى طريق الادباء وسألنى الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى أن رسم لى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * ان اكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا * فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات الفاظها دانية القطوف * وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل الفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف * فلم يحصل عن المرسوم رجوع * وعلمت ان الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذى ماسبقنى فاثر اليه * ولاحام طائر فكره عليه * وهو طالع المملوك رسالة محمد وسلم * واحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم * والله ماسمعها عالم الاوهام * ولاردع سحرها الحلال مسلما الاكره الحرام * وعاد عاملا * واعد للصلاح حواصله * وصار له مع الله معاملة * ما احلى ماكثر عاطلها المحلى * واهلا لسهولة مسلكها وسهلا * مالولد ساعدة سعد احكامها * ولاجل العصر سكر الاما أدار كاس مدامها * ولالعمارة عامر صرحها

ورطه * ولا للصر در كلؤلؤها وسمطه * ولا لولد مطروح مع طرحها المحرز مطارحه *
ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام سارحه * ولا مسارح الماء الحلو للمهيع
الاكالآل * وما عامر ما أسسه المعمار الا أطلال * وما المطاعم الحلوة معها الا ما لحه *
وما صوادح الكلام الصادح الاحول دوحها صادحه * وما لطعم الراح مع حلاوة وردها
راحه * ولا لسلسل الورد معها طلاوة ولو كال الطل ادواحه * ولا لساولة الدر در ساوكها
* ولا للمسواك العاطرة عطر مسوكها * ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكا ولحكمه
احكام * وكلام الملوك ملوك الكلام * لا اله الا الله ما اسرار ولد ادم الا حكمه *
وما كلام الحكماء وما احكموه الا حرمه * وما أمة رسول الملك العلام الا سادة الامم *
وما سماء صدورهم الا مطالع أهل الحكم * أطال الله عمره وما ملها سامع * واطلع هلال
دالها وسعد السعود لها طالع * وحصل للعالم لما هل هلالها سرور * واكرموا محلها
واحلوها الصدور * احكامها عمدة لامة محمد * وما أعادها السامع الا صار العود أحمد *

سلسلوا دورها السمع كساه * درها وهو عاطل كل حله
لاسماع الا لها لا كلام * لسواها كرره كرره الله

وع ما حكاه ولد همام أورواه * واسمع مسامرة همام صعد طور الحكم وساعده الله *
وحسم كل كلامه مادة العواطل * وسلسل لطروسه وسطوره سلاسل الدرود ور السلاسل
* ولو سمعها ملك العواطل اماك رؤس رماحه * وكل حد سلاحه * وسع معالم العلم
ومعاهده صدره * وأدر لاهل الموارد الحلوة ولله درة * ما للكمال اصول سطوره الكامله
* ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مراسله * رحم الله امرأ أطاع أوامر حكمها * وسمع
مرسوم رسمها * ودارس ما احكمه مهدها واملاه * امد الله عمره والحمد لله *
والحلى بنى بيت بديعيته فى باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا * لله الاوعد وا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف فى بديعيتهم وانا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف
عاطلا لاجل تسمية النوع فى البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما
شرط أولا فكل مناجنح فى باب الحذف الى جهة اما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من
الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف فى بيته اسقاطا فقال

اروم اسقاط ذنبى بالصلاة على * محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتى حذفت منه الاحرف التى تنقط من تحت وهو الذى نظمته بعد قولى

تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم احقر ولم أضم

التدبيج

(ذكر التدبيج)

(واخضر أسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العداة حمى)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبى الاصبع وهو عبارة عن ان يذكر الناظم او الناثر الوانا

يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن اشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فمن التدبيج على طريق التورية قول الحريرى فى المقامة الزورائيه * فذاغبر العيش الاخضر * وازور المحبوب الاصفر * اسود يومى الابيض * وابيض فوْدى الاسود * حتى رثى لى العدو الازرق * فخبذا الموت الاحمر * ومنه ما كتب به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان * فانه الجاهد الذى جعل حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود * فاذاقهم الله به الموت الاحمر وكمال التدبيج يقول أهل العيش اخضر يتجدد * ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن حيوس

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فالقهم فى منازل اونزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

بياض عزم واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول اتدرى كيف أصنع بالخلق
اذا احمروا وجهى ومايضوا يدى * ازرق لهم رجلى ولو خضروا عنقى

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة الصدغ والسواد من العيـ * ـين بياض المشيب قد اورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى * سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى * بيض الثنا فاستمع تدبيج وصفهم

قلت ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه تلون فى باب التدبيج على الصفى وتحرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العداة حمى

الاقتباس

(ذكر الاقتباس)

(وقلت ياليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يلحظونى باقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والاخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من

ذلك كقول القائل

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * مثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة قول ابن النبيه في مدح الفاضل

بت ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
سمعي كل عن سماع عذول * حين القى عليه قولا ثقيلا
وفؤادي قد كان بين ضلوعي * اخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقي الجفون ان لعيني * في بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كانه مارأى غصنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بأن عني فحمت في اثر العيس أرحوني ومهلوهم قليلا
انا عبد للفاضل ابن علي * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا في مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريري * فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب * حتى أنشد فاغرب * فان الحريري كنى به عن شدة القرب وكذلك هو في الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومي

لئن أخطأت في مدحك * لما أخطات في منعي
لقد انزلت حاجاتي * بوادغير ذي زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز ان يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير او ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذي خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف في راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر في قوله انا الى الله ومراده آية التعزية في المصيبة وهي قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريري فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه اسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لي ان رقيبي * سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهلك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن

ومنهم من عد المضمن فى الكلام من الحديث النبوى اقتباسا وزاد هنا الطيبى فى الاقتباس من مسائل الفقه والشاعر قدم فى لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم فى الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك لزمهم الكفر فى لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن * ومن أمثلته الشعرية قول الحماسى

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها فى مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه

اهدى اليكم على بعد تحيته * حيوا بأحسن منها أو فردوها

ويعجبنى هنا قول ابن سنا الملك فى بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * انا باخع نفسى على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى اتبلوهم باليقين * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله فى الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

ومثله

ان دمعت عينى لمن أجلها * بكى على حالى من لا بكى
اوقعنى انسانها فى الهوى * يا أيها الانسان ما غرك

ومثله

قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها
لقد ادعيت دعاوى فى حبه * صدقت وافلح من بذا زكاها
فنفوس عذالى عليه وعذرى * قد الهمت بفجورها تقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضى محيى الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره * انزلتهم فى مقلتى * فاذاهم بالساهره

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

Digitized by Google

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوه * كفلى أضعف خصرى * فاعينونى بقوه

ومنه قول المعمار

ابن الجمالى مات حقا * بترح بى موته وآذى
ورحت اقرا عليه جهرا * ياليتنى مت قبل هذا

ويعجبنى فى هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى الشافعى تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقلت

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمحت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها فى هذا الباب وهى ان العلماء فى هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن وأما الناثر فهو الذى يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريرى فطوبى لمن سمع ووعى * وحقق ما ادعى * ونهى النفس عن الهوى * وعلم ان الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ماسعى * وان سعيه سوف يرى * وقوله انا انبئكم بتأويله * وامير صحيح القول من عدله * وكقول ابن نباته الخطيب فى الخطب التى فى ديوانه * أما أنتم بهذا الحديث تصدقون * مالكم لا تشفقون * فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون * قلت وأما عبد المؤمن الاصفهانى صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب * وامام هذا المحراب * فمن قوله فى الاطباق * فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره * ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره * فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء فى ميدان العرض * أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض * وقوله ولو علم الجذل صولة التيار * وعضة المنشار * لما تطاول شبرا * ولا تخايل كبرا * وسيقول البلبل المعتقل ليتنى كنت غرابا * ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا * وقوله

لله تحت قباب العز طائفة * اخفاهم فى رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين فى أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا
هذى المكارم لا ثوبان من عدن * خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا
هذى المناقب لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

هم الذين جبلوا برآء من التكلف * يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس * لا يؤمنون بالتربيع والتسديس * والانسان بعد علو النفس * يجل عن ملاحظة السعد والنحس * وان فى الدين القويم * لشغلا عن الزيج والتقويم * الايمان بالكهانه * باب من أبواب المهانه * فاعرض عن الفلاسفه * وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه * فاكثرهم عبدة الطبع * وحرسة الكواكب السبع * فالمنجم

الغبي * وما للكاهن الاجنبي * وسر حجب عن غير النبي * وهل ينخدع بالفال * الا قلوب الاطفال * وان امرأ جهل حال قومه * وما الذي يجري عليه في يومه * كيف يعرف حال الغد و بعده * ونحس الفلك وسعده * وان قوما يأكلون من قرصة الشمس لمهزولون * وانهم عن السمع لمعزولون * ما السموات الا مجاهل والكواكب ضواها * وما النجوم الا هيا كل سبعة ومن الله قواها * كل يسري لامر معمى * وكل يجري لاجل مسمى (وقوله) * الحرص يسبل على وجوه الظلمة براقعا * والظلم يدع الديار بلاقعا * يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور * ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور * فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار * انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم فؤدك الفاحم قبل ان يبيض * فانما الدنيا جدار يدان ينقض * فلا يغرنك قطفها النضيج * هو غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) في آخر مقالة من الاطباق * تلك أمة قد خلت ذكروا الله في الخلوات * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان * وأخلص القلوب قلبان يزدوجان * يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم * وآخرون يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم * وقوله لله دره * فيا هذا الا تحسد المتنعم على ترفه * ولا تغبط المتكبر على شرفه * وقل له اذا برزت الجحيم * وقدم له الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) ليس من الخسران جزافا كل الميت * ومكي لا يزور البيت * فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره اسفارا * ولا تك كالحمار يحمل أسفارا * قلت هذا القدر الذي أوردته هنا كاف في الاقتباسات التي تليق بمواعظ الخطب * فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب * ولم يبق الا اظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المرسلين * فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء بسحر اقتباسهم قال ان هذا الا سحر مبين * ومن ذلك قول مالك ازمة هذا الفن القاضي الفاضل من تقريظ * ورأيت كل معتاض غيره اصناعة البديع لاهجا بالبدعه * خارجا عن الشرعه * دارجا في غير عشه * مخرجا ميت القول من طرسه على نعشه * فهي المدام * وما دون فهم عنها فدام * ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام * وكل ابنة فكر ماطالعت فكره الا صاح لسان طربه يا بشراى هذا غلام * وكل غصن الف وكل همزة حمام * وفيها وفيها * وأخاف ان أقول ولا أوفيها * وليت هذه المحاسن وليت الاسماع * والقت القناع * وفي العمر مستمتع * وفي قوس الشيبة منزع * ولكن ضاق فتر عن مسير * وجاء فضلها الاول في الزمن الاخير * وقد حان ان تخيب في البلاغة القدحان * وأني وانه قضي الامر الذي فيه تستفتيان (وقوله) لا زالت الملوك تنزل لركوبه * والسيوف تضحك لقطوبه * واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره * وكتب له في الدنيا حسنة وفي الآخرة * وغض عيون اعدائه فاذاهم بالساهرة (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا * وأضاءت في شاطره فما استمدت مدادا ولكن اذكت سرجا * ونهجت له طريق السعادة فلله من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب لم يجعل له عوجا (وقوله) ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقرّبه تجيبا

*ورفعه مكانا عليا * وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا (وقوله) كتبها الخادم وقد أخرجت السماء أثقالها * وفتحت من العزالى أقفالها * وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها * وثوب الليل بالغمام غسيل * وسيج الظلام بسيف البروق قبيل * وقد زادت السيول الى ان صارت الخيام عليها فوائع * وهمهم الرعد قارئا فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع * وكأن الصباح قد ذاب فى الليل قطرا * وكأن البرق لما ساوى الغمام بين صدفى الليل والنهار قال آتونى أفرغ عليه قطرا (وقوله) ونفذت بلاغته بسلطانها * ونفثت بسحر بيانها * وصلى القلم من يده فى محراب * ومن طرسه على سجادة وجاء منه كتاب * لو كان البحر مدادا لمازاده * وكم كتاب لايساوى مداده * وأخذت الارض زخرفها * ولبست من الاسلحة أحرفها * وشنت الغارة على السمع والبصر * فسلم لها من أسلم وبهت الذى كفر (وقوله) النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص * والخبر عنها مشوب وخالص * وابن أبى عصرون قوم يقولون قد وزر * وقوم يقولون كلا لا وزر * (وقوله) وقفت على تلك الالفاظ المجنسة التى هى ذرية بعضها من بعض * وثمرات الجنة فكلما رزقت منها رزقا قلت كقول أهلها الحمد لله الذى أورثنا الارض (وقوله) ومما يجب ان يعانيه تربية الحمام التى سكنت فى البروج فهى أنجم * واعدت كنانتها للحاجات فهى أسهم * وقد كادت ان تكون من الملائكة فاذا نيطت بها الرقاع * صارت أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع (وقوله) وعملوا الابرجة الخشبية * وزخرفوا بها الى الابراج الحجرية * وخصوصا الى برج يعرف بالذباب * ولكن حماه ذباب السيف الاسلامى من الذباب * فلم يقدروا ان يستنقذوه * وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه (وقوله) والاسلام مذ الى ترابه باعاطويلا * والقى عليه الشرك من السنة السيوف قولا ثقيلا * وحصون العدو قامت قيامتها فخالها اليوم كيوم تكون الجبال كثيبا مهيلا (وقوله) مما كتب به عن السلطان الملك الناصر الى أمير المؤمنين المستضئ بالله وهو * سلام قولا من رب رحيم * وروح وريحان وجنة نعيم * مملوكة العتبات الشريفة وعبدها * ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها * ينهى ان الله سبحانه شرف ملة الاسلام على الملل * ودولة أمير المؤمنين على الدول * وقد أقام سيفه حساب الكفرة فاظهر تحريف حسابها * ونقلها من ظهور استه الى بطون ترابها * فهل ترى لهم من باقيه * أو تسمع لهم من لاغيه * وظلته أيحاف بنى حام تحت غربان الفلاة غربانا * وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض افعالا والوانا * وعزت سيوف الاسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين * وعوتبت منهم الانفس والروس فقالتا اتينا طائعين (ومن اقتباسات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله) من رسالته التى كتبها عن السلطان الملك الظاهر الى شمس الدين آق سنقر الفارقانى جوابا عن كتابه الذى أرسله بفتوح النوبة لما توجه اليها من الديار المصرية (وهو) ادام الله نعمة المجلس ولازالت عزائمه مرهوبه * وغنائمه مجلوبة ومحبوبه * وسطاه وخطاه هذى تكفى النوب وهذه تفتح أرض النوبه * ولابرحت وطأته على الكفار مشتده * وآمالها الهلال الاعداء كرماحه ممتده * ولاعدمت الدولة بيض سيوفه التى يرى بها الذين

كذبوا على الله وجوههم مسودة * صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد * وأنت على كل جبار عنيد * وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء مارب بظلام للعبيد * والله يشكر تفاصيل هم المجلس وجملها * وآخر غزواته وأولها * واذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو يعود سالما الى مستقره والشمس تجرى لمستقر لها (وقوله) فى وصية العهد الشريف الذى انشأه للسلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وهو * والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع * ومأمون الأمر المستمع * به يتمسك من يمتار ويمتاز * وهو جنة والباطل نار فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ومن ذلك) اقتباس العلامة ابى طاهر اسماعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب المنظم * الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (ومن ذلك) ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعية فى رسالة السيف والقلم * فرقى الانامل على أعواده * وقلم خطيبا بمحاسنه فى خلعة سواده * والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * الحمد لله الذى علم بالقلم * وشرفه بالقسم * وخاطبه ما قدر وقسم * وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن * وعلى آله وصحبه ذوى المجد البين وكل مجد بائن * صلاة واضحة السطور * فاتحة أدراج الصدور * ما نقلت عن صحائف البحار غواديها * وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة بارئها * أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا * وقصبه سباق ذوى الدرجة العليا * ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيى * وسفير الملك المحبب * وعذيق الملك المرجب * وزمام أموره السائره * وقادمة أجنحته الطائره * وأفلة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره * به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل * وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل * فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه * وحسبه ما جرى على يده الشريفة من منه * ان تظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها * وان علت أسرة الكتب فانما هو ملكها * هذا وهو الجارى بما أمر الله به من العدل والاحسان * والمسود الناظر فكانما هو لعين الرأى انسان * طالما قاتل على البعد والصوارم فى القرب * وأوتى من المعجزات نوعا من النصر والرعب * لا يعاديه الا من سفه نفسه * ولبس لبسه * وطبع على قلبه * وفل الجدال من غربه * وكيف يعادى من اذا كرع من نفسه فقل انا أعطيناك الكوثر * واذا ذكر شانئه فقل ان شانئك هو الابتر * فعند ذلك نهض السيف عجلا * وتلط لسانه للقول مرتجلا * وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز * الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف * وشرع حدها فى ذوى العصيان فأغصتهم بماء الحتوف * وشيد بها مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف * وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف * وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا بريق الصوارم من سطور الصفوف * وسلم * أما بعد فان السيف زند الحق القوى *

Digitized by Google

ورنده الورى * به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء * وجلا شخص الدين الحنيفي وقد جمح جفاء * وأجرى سيوله بالاباطح فاما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء * وحلته اليد الشريفة النبوية * وخصته على الاقلام بهذه المزيه * واطلعته في ليالي النقع والشك سراجا وهاجا * وفتح باب الدين الى ان دخلت فيه الناس أفواجا * فهو ذو العزم الثاقب * وسماء المجد الذي زينت اثاره بزينة الكواكب * والحد الذي كانه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * تحسم به ادواء الفتن المضله * وتحذف هممه الجازمة حروف العله * ويحيي من سماء القتام بالغرب فقل يسئلونك عن الاهله * يجلس على رؤس الاعداء قهرا * ويصرع ابناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا * وهل يفاخر من وقف الموت على بابه * وعضت الحرب الضروس بنابه * وقذف شياطين القراع بشهبه * ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه * ومنها ان الله أنشا برقه وكلن للماردمصرعا * وللرائد مرتعا * ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا * فقام القلم في دوانه وقعد * وأضطرب على وجه القرطاس وارتعد * وانحرف الى السيف وقال أيها المضر بطبعه * المغتر بلمعه * الناقض حبل الانس بقطعه * الناسخ بهجره من ظلال العيش فيأ * السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * الحبيس الذي طالما عادت عليه عوائد شره الكمين * الابليس الذي لو أمر لي بالسجود لقال خلقتني من نار وخلقته من طين * فاقطع عنك اسباب المفاخره * واستر من نابك في هذه المكاشره * فما يحسن بالصامت محاورة الفصيح * والله يعلم المفسد من المصلح * اولست الذي قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافله * ويستحل دم الحجاج في الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد * وتأمل قدري اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن في هذا القدر من نورا قتباسه ما يهتدي به الاعشى * ويستغني بانشائه عن سلافة الانشا * ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما حدت معاشرته * ولذت في الليالي مسامرته * وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران * وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردي في خطبته في الكلام على المائة غلام (وهو) لعمري ما أنصفني من اساء بي الظن * وقال اني رضيت مع درجة العلم بهذا الفن * والصحابة كانوا ينظمون وينثرون * ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (ومن ذلك) قوله في توقيع عدالة بعض الشهود بجاب المحروسة (وهو) الحمد لله الذي شاد رتبة العدالة وحماها * وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها * وعصمة من فرقة في ثلوب الحكام من نار وتدليسهم وقود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف * واذا عنى الصاحب بالاخ رفقا واحسانا * تلونا هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا * والله يعلينا بعلوك * ويبلغنا مرجوتنا ببلوغ مرجوك * حتى يقول أولاد الصاحب عنا * ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر الحجمي على قصيدتي الكافية البرهانية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه

والاقتباس

والاقتباس فى التقريظ * فيا له من قصيد ردعيون أعيان هذه الصناعة من الحياء
مطرقه * تالية على من قاسها بامرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه (ومن
ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطى الى الشيخ جمال الدين بن نباته * يقبل
الارض التى سقت السماء نباتها * وعمر الله بمعانى الحسن أبياتها (منها) فلا غرو ان فضح
بديع الزمان بلفظه البديع * وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل فصل منها ربيع
* وخجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم * وقالت الكؤوس حين شبهت فى امالة
الاعطاف بالفاظه وما منا الا له مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها فى ليل
نقسها الى المحل الاقصى * وحباها بالفضل الذى لا يحصى * وأنبت دوحتها فى رياض
الفصاحه * ونمق حدائقها التى لو فتح النرجس عينه فى عينها لنسب الى الوقاحه * فتبارك
الذى جعل فى سماء دوحته لشمس بلاغته بروجا * وأعلى همم التى لا ترضى الشهب جيادا
والاهلة سروجا * حتى أقام يراع قلمه لسوق الادب قصبه * وشاد من قصائده كل بيت اذا مر
الحاسد بيا به قبل العنبه * وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته * وعلت من قصره المشيد
بسينات سطوره شرفاته * وفديت بالمساسم والقدود مهاته وألفاته * ورهت أمداحه
المؤيدية فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد * وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد
* وفتحت لسهلها الممتنع ادباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر
فى بستانها منظره * ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجدها مسكره *
وعلم المتنبى ان هذا خاتم الادباء لا محاله * والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله * وأقام
بتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج * وقال الملحى عند ما قابل بحرها الحلو بحره هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج * ومن ذلك ما نقلته من خط الصاحب فخر الدين
ابن مكانس تغمده الله برحمته (وهو) ورد علينا شخص من أهل القيروان ضرير يسمى عبد
الله الزعبى يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة
ثم بلغنى انه وشى الى صاحبنا الشيخ زين الدين ابن ابى بكر العجمى عين كتاب الانشاء
الشريف بانى اهتضمت جانبه وانتقصته وغضيت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام
الغير كثيرا فتأذى من ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج بلغنى
بلغ الله سيدنا ومولانا الامام العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الامه *
الكاتب الحجه * زين الدنيا والدين * قرة عين الكرام الكاتبين * أقصى ما ينتهى اليه تنافس
المتنافس * وتبتهج به صدور الاولياء والرؤساء والمجالس * ولا زال زينة يحلى به العاطل
* ويظل تحت جناح أدبه القبائل * من غيبة ذلك الضرير ما لا يخشى الله فيه يظهر
الغيب * ونقل الى المسامع الكريمة ما لا يحتاج لا عتذار عنه لما فيه من الريب * ولكن
لاغناء لسيف ذهن المملوك الكليل من التنصل * ولا بد من نهلة اعتذار على سبيل التعلل *
وكان المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المغتاب الآن صار عنده محمودا اذ كان السبب
لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء على امام لاهل هذه الصناعة
مطهر من الارجاس * لقال لهم لسان البلاغة مروا أبا بكر فليصل بالناس * فكيف

يسوغ للمملوك ان يدعى غير هذا * وكيف ولم ولماذا * أحسدا على الادب فما اهجرنى له من عصر الصبا بحمد الله وما اغنانى * اوتفاخرا بالنظم فما اشغلنى عنه بتدبير الممالك بما عنانى * نعم وان كان بجوهر الالفاظ مما يحسد عليه فما أزهدنى والله فى هذا العرض الفانى (منها) والمسؤل من احسانه امران (أحدهما) الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة * والآخر رد كل فاسق عن الباب العالى فان أبا بكر أول من تصلب فى الردة * و بلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى * وتردد اليه مرة أخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبى الفخرى المشار اليه بعد توجهى من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدتى ما قدر الله عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة التى سارت بها الركبان * وجاء لبديع الاقتباس فى معانيها بيان (وهى) يقبل الارض التى من يممها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد * فلا برح هيام الوفود الى أبوابها اكثر من هيمان العرب الى ربا نجد * ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة الفاظها وتركض فى ذلك المضمار * وتهيم بواديها الذى يجب ان ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار * و يبقى بعد أشواق امست العين بها فى مجارى المين معتره * ولو لم يقترانسانها بمرسلات الدمع لقلت فى حقه قتل الانسان ما أكفره * وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل ان يكتب عليه ذلك الوصول * ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول (منها) وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد * آونى زبر الحديد * ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قطريرا * ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلا سلا وأغلالا وسعيرا * يا مولاى لقد لبست دمشق فى هذه المآتم السواد * وطبخت قلوب أهلها وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد * ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم ينشقوا رائحة الغاديه * وكم روى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حاميه * وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدى أبى لهب * وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب (منها) وتطرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حر بها حتى قلنا أزفت الآزفة * وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفة (منها) وتطاول الى السور المشرف وقد فضل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات * فما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا الا أبداه من المشكلات * فلا وايك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال * لقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * والى المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال * لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * والى كواكب الاسنة وقد انتثرت * والى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت * والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا * وتاملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا * وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم

بسور

بسوره باب * باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن قوم خرج من ديارهم حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار * وكلما دعاه قوم لمساعدتهم على الحريق نادا هم وقد عدم الاصطبار * ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار (منها) فاعيذ ما بقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم * فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) ونوصلت الى ظاهر كيسان فانفعت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رياها * وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (منها) هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها الى ربوة ذات قرار * وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار * واضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره * ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيره (ومن ذلك) ما انشأته قديما فى توقيع لمولانا قاضى القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبى الحسن على الحنبلى جمل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة والذى أوردته فى التوقيع من الاقتباسات البديعة قولى * وصفت مشاربه الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا * وتلا من سعى لهم فى ذلك وجرى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا * ودار شراب العافية على أهل تلك الحضرة بالطاس والكاس * وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس * وتمثلت الصحة فى مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم * وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) ما اقتبسته فى ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو * الحمد لله الذى شد عضد هذه الامة بمن أمسى به معتضدا * واسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك فى تقديم بيته الشريف مجتهدا * وأقام العلم العباسى بعد أبى مسلم بأبى النصر فاكرم بحسن الختام وحسن الابتدا * ونكر رجده على سلطان مؤيد أتحف به العلماء الاعلام * وظهر بجلالهم فى ايامه الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام * نحمده على حكمته التى اقتضت ان تكون الخلافة عمدة الاحكام يزول بها الالتباس * وهو القائل تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) ما اقتبسته فى عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر بقولى منه * فان البغاة بنت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان * فقيل لاهل البيعة قد فتح الله لابى الفتح فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) ما اقتبسته فى مثال شريف مؤيدى كان جوابا لقرا يوسف * ونبدى لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رويته تشنيف * وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب من التلهف * وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف * وهذه الفئة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقادا لينا * وقد تعين على المقر أن يقول أنا يوسف

Digitized by Google

وهذا أمنى قد من الله علينا (واتفق لى) فى تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى اقتباسات بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد أضعفنى اليتم وصار الباطل قويا * فهب لى من لدنك وليا (منها) وأعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات * تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (ومن ذلك) ما كتبته على ديوان المقرّ البارعى الكاملى الأديبى العمادى اسماعيل بن الصائغ الحلبى أحد أعيان كتاب الانشاء الشريف الذى عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة رحمه الله وهو * وقفت على هذا الكتاب الذى رفع عماد الادب فى هذا الجيل * وشرعت فى ذكر محاسنه فقال لسان القلم واذكر فى الكتاب اسماعيل (ومنه) وأما ابن حجة فقد ندب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف * والاستئناف هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف * هذا وقد ذوت من حدائق فكرى زهرة الشباب * واختفى لسانى كما قال ابن نباتة واغلق عليه من شفتيه مصراعى باب * وتحجر القريحة وبعد ذلك الذهن السيال * ونأى عن خدمتى كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال * ولكن هبت على نسمات الشعيبة من دوحة هذا المصنف الجليل * فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجميل * الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل * وهذا القدر الذى أوردته كاف هنا فى الاقتباس من القرآن فانى اخشى باب الملامة ولكن عن لى أن أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس * عن بديع الاقتباس * وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء فى المنظوم فهو عقد وتضمين * وان كان فى المنثور فهو اقتباس * وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال فى ذلك فذكر ان الاقتباس يكون فى مسائل الفقه * وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون فى غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ما وقع من الاقتباس فى الحديث النبوى وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم أن الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فما وقع من الحديث النبوى قول الصاحب بن عباد

اقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبى الحسن على بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرّم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهاب يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من نهاوش اهلكه الله فى نهابر *

النهاوش

النهاوش بالنون المظالم * والنهابر المهالك الواحد نهبور * ومنه قول شمس الدين محمد ابن عبد الكريم الموصلي

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك * ومن اقتباسات الحديث في النثر قول الحريري في المقامات انما الاعمال بالنيات * وبها انعقاد العقود الدينيات * ومنه قوله * شاهت الوجوه * وقبح اللكع ومن يرجوه اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبني من المنظوم هنا قول الشيخ شهاب الدين أبي جعفر بن مالك الاندلسي الغرناطي

لا تعادى الناس في أوطانهم * قلما يرعى غريب في الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالط الناس بخلق ذي حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح * ومن الاقتباس في مسائل الفقه في المنظوم قول بعضهم

أقول لشادن في الحسن أضحى * بصيد بلحظه قلب الكمي
سلكت الحسن أجمع في نصاب * فاد زكاة منظرك البهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي
وان تك مالكي الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعي
فلا تك طالبا مني زكاة * فاخراج الزكاة على الولي

ومثله قول أبي العلاء أحمد بن سليمان المعري

أيا جارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لي عندكم بعقيل
لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعي رحمه الله

خذوا بدمي هذا الغزال فانه * رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اني أنا عبده * وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضي عبد الوهاب المالكي

يزرع ورد ناضرا ناظري * في وجنة كالقمر الطالع
فلم ترمتم شفتي قطفها * والحكم أن الزرع للزارع

وله أيضا

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها اني فديتك غاصب * وما حكموا في غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبي الطيب المتنبي

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
فنى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتى فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه بغرمه * ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن أورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قوله العدد اما زوج واما فرد فهذه القضية مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لا يجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لا يخلو من أحدهما * فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لا يكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى أن الشمس بالصحو اذ نت * وسكرى أراه من محياك يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه * حتى غلب على غالبهم التوجيه * فمنه قول أبى الطيب

حولى بكل مكان منهم خلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لا تستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة مالا يعقل * فحقهم ان يستفهم عنهم بما * ومنه قوله

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لا تفعل أو ينتفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

فلا

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصايل

جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهل لا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندا وتلاف قبل تلافي

انا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه الف دينار وقال له أنت الذي وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا الفا من قدم أقبلت * بالله كوني الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين علي السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولاك ما خص بالحبر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من النكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

ياسا كنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني

لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

اما البيتان فانهما في غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردي

شاعرا خرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت في معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي وماذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت له

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها جائز لاجل الضروره

و يعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين ابن الوردي رحمه الله تعالى

واغيد يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لي مبسرعا * فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك

أيا عمر استعد لغير هذا * فاحمد في الولاية مطمئن

Digitized by Google

وكل منكما كفؤ كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكأننى الف ولام فى الهوى * وكأن موعد وصلك التنوين

ويعجبنى فى الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذلك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث النبوى ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فى النثر وأما فى النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا الترى الا مساكنهم * ولا اقتباس يرى من هذه الاطم

وبيت بديعيتى قولى

وقلت يا ليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يلحظونى باقتباسهم

السهولة

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعترينى شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال فى مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف فى السبك وقال التيفاشى السهولة أن يأتى الشاعر بالفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهى تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتنى ياقلب أننى * اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فحالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبى العتاهية

انته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبى أن البهاء زهيرا قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * تحلب من ثنايا

كان ما كان ومنه * بعد في النفس بقايا

ومثله قوله

انى أمرى لعجيب * ما يرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسال عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيئا * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يا مالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
أترى تذكر عهدى * مثل ما أذكر عهدك
أترى تحفظ ودى * مثل ما أحفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أو شئت عندك
أنا فى دارى وحدى * فتفضل أنت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
اضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اما ترى كيف أضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كلمى والمدام فى فمه * قد تضمخت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على * وما يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو فى كتابى * أمورا من فراقك اشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم أجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لو لانا علق الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله

ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

والطف منه قوله

أنا أدرى بأننى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

وألطف منه قوله

اما تقرر أنا * فلم تاخرت عنا
وما الذى كان حتى * حللت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا قلنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت بى
فانثنى يحمر منى خجلا * واشاه البه عنى لالى
كدت بين الناس أن الثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلنى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لى بقلب اشتريه من القلوب القاسيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت اشكو حاليه
انى لا طلب حاجة * ليست عليك بخافيه
أن نعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهدا لحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم

شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت ارجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * انا لم أنس ذكركم
لو رأيتم محلكم * من فؤادى لسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن المرقص فى هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * انا الذى مت عشقا
حاشاك يا نور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يا رب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لا شك حقا
يا الف مولاى مهلا * يا الف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفى الدين فى السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاء فى سلفا * ما ناله أحد قبلى من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم ولا وجدته فى بديعية الشيخ عز الدين الموصلى الا ان يكون فى نسخة غير التى نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة فى بيته على السهولة وبيت بديعيتى

حسن البيان

يا رب سهل طريقى فى زيارته * من قبل أن تعترينى شدة الهرم

(وقلت بعده فى حسن البيان)

(حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى مجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما فى النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفى البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبى فى يده فأراد أن يقول أحد عشر فادركه العى حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبى ومن هنا يعلم أن ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز فى الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعى فى بيانه وكان الاحسن ان يقول أحد عشر * والاوسط ان يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنور المبين فى هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين فى مقام أمين وكقوله

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى فى الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولورد والعباد والمائهم عنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها فى القرآن ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حركك موسى القضيب اوفكرا

وكقول الآخر

لحظات فى خفايا سريرة * اذا كرها فيها عتاب وناثل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو أطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس فابانا عن هذه المعانى باحسن ابانة وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى

وعدتنى فى منامى ماوثقت به * مع التقاضى بمدح فيك منتظم

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لى * هدى النبى الرضى الواضح اللقم

وبيت بديعيتى قلت قبله فى السهولة

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعترينى شدة الهرم

وقلت بعده فى حسن البيان

حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان واشدو فى مجازهم

(وقلت بعده فى الادماج)

الادماج

قد عز ادماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا النوع اعنى الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضه فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبيد الله بن عبيد الله لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * واسعفنا فى من نحب ونكرم

فقلت له نعمالك فيهم انعما * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى التلويح ورقق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لاجرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولابد لى من جهله فى وصاله * فهل من حليم اودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر فى الغزل فانه جعل حلمه لايفارقه البتة ولايرغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لابد له من وصل هذا المحبوب لان الودائع تستعاد ثم استفهم عن

الحل

الخل الصالح الذى يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب بقياحله لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج فى ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشأن ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخبرى

قد نفض العاشقون ما صنع الـ ـدهر بالوانهم على ورقه

قوله الدهر فى نسخة الهجر

قصد وصف الخبرى بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلى فى الادماج قوله

لصدق قولك لو حبا امرء حجرا * لكان فى الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر فى زمرة النبى صلى الله عليه وسلم فى طى تصديقه الحديث المأثور عنه وبيت العميان

قوله أحيت الخ فى نسخة تحيى بالى الرمم

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا أحاديث مجد طيبة وأدمج فى ذلك وصف الرياض وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

ادمجت شكواى من ذنبى بمدحته * عسالم تشفع لى ياشافع الامم

الشيخ عز الدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعى لا أعلم أين أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتى

وقد عزا دماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غاية قصده وصف الخبرى بالصفرة وأدمج فيه الوان العشاق وانا قصدت شرح الجمال فى غرة ادماج الشوق بواسطة جريان الدمع وأدمجت فى ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

الاحتراس

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد محتصم

الاحتراس هو ان يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك ومثاله فى كتاب الله عز وجل اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل فى البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك فى الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة تكمل حسنه اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتى لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

فوفى غير مامور وعودك لى * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفى الدين فى قوله غير مأمور فان لفظة وفى فى البيت فعل أمر ومرتبة

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
قفى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتى فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه بغرمه * ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه منى
على ديون للعيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لاتخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن أورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قوله العدد اما زوج واما فرد فهذه القضية مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لا يجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لا يخلو من أحدهما * فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لا يكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى أن الشمس بالصحو اذنت * وسكرى أراه من محياك يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه * حتى غلب على غالبهم التوجيه * فمنه قول أبى الطيب

حولى بكل مكان منهم خلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لا تستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة مالا يعقل * فحقهم ان يستفهم عنهم بما * ومنه قوله

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لا تفعل أو ينتفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصايل

جعلتك للتمييز نصبا لناظري * فهل لا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندا وتلاف قبل تلافي

انا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه الف دينار وقال له أنت الذي وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا الفا من قد أقبلت * بالله كوني الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين علي السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولاذاك ما خص بالحبر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواه ثاني

لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

اما البيتان فانهما في غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه في البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردي

شاعرا خرج نصف از غلاه * عند خباز فلما أن عرفه

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت في معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردي وماذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالني على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عني * ولكم في الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفي شرع نظمي * صرفها جائز لاجل الضروره

ويعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين ابن الوردي رحمه الله تعالى

واغيد يسألني * ما المبتدا والخبر

مثلهما لي مبسما * فقلت أنت القمر

وحكي أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولي أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء في ذلك

أيا عمرا استعد لغير هذا * فاجد في الولاية مطمئن

وكل منكما كفؤ كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون
فكأننى الف ولام فى الهوى * وكأن موعد وصلك التنوين

ويعجبنى فى الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذلك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث النبوى ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فى النثر وأما فى النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم * ولا اقتباس يرى من هذه الاطم

وبيت بديعيتى قولى

وقلت يا ليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يلحظونى باقتباسهم

السهولة

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعترينى شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال فى مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف فى السبك وقال التيفاشى السهولة أن يأتى الشاعر بالفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهى تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتنى يا قلب أنى * اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فهاك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبى العتاهية

انته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبى أن البهاء زهيرا قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * تحباب من ثنايا

كان ما كان ومنه * بعد في النفس بقايا

ومثله قوله

انى أمرى لعجيب * مارى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسال عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيئا * يه ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يامالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفاء منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
أترى تذكر عهدى * مثل ما أذكر عهدك
أترى تحفظ ودى * مثل ما أحفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أو شئت عندك
أنا فى دارى وحدى * فتفضل أنت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زاد فيك غرامه
اضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اما ترى كيف أضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كلمى والمدام فى فمه * قد تنحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يابرق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على * وما يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب أخذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو فى كتابى * أمورا من فراقك اشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم أجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لو لانا علو الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله

ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فأغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

والطف منه قوله

أنا أدرى بأننى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

وألطف منه قوله

اما تقرر أنا * فلم تاخرت عنا
وما الذى كان حتى * حللت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فاثنى يحمر منى خجلا * وأشاه اليه عنى لا الى
كدت بين الناس أن اثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلنى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لى بقلب اشتريه من القلوب القاسيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت اشكو حاليه
انى لا طلب حاجة * ليست عليك بخافيه
أن نعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهدا الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم

شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت ارجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * انا لم أنس ذكركم
لو رأيتم محلكم * من فؤادى لسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن المرقص فى هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * انا الذى مت عشقا
حاشاك يا نور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يا رب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
يا الف مولاى مهلا * يا الف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفى الدين فى السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاء نى سلفا * ما ناله أحد قبلى من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم ولا وجدته فى بديعية الشيخ عز الدين الموصلى الا ان يكون فى نسخة غير التى نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة فى بيته على السهولة وبيت بديعيتى

حسن البيان

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل أن تعترينى شدة الهرم

(وقلت بعده فى حسن البيان)

(حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى مجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما فى النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفى البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبى فى يده فأراد أن يقول أحد عشر فادركه العى حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبى ومن هنا يعلم أن ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز فى الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعى فى بيانه وكان الاحسن ان يقول أحد عشر * والاوسط ان يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنور المبين فى هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين فى مقام أمين وكقوله

Digitized by Google

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى فى الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولورد والعباد والمالهم واعنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها فى القرآن ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حركت موسى القضيب اوفكرا

وكقول الآخر

لحظات فى خفايا سريرة * اذا كرها فيها عتاب ونائل

فان هذين الشاعرين أراد امدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعدا لله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو أطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس فابانا عن هذه المعانى باحسن ابانة وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى

وعدتنى فى منامى ماوثقت به * مع التقاضى بمدح فيك منتظم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لى * هدى النبى الرضى الواضح اللقم

وبيت بديعيتى قلت قبله فى السهولة

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعترينى شدة الهرم

وقلت بعده فى حسن البيان

حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان واشدو فى مجازهم

(وقلت بعده فى الادماج)

الادماج

قد عز ادماج شرقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا النوع اعنى الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضا له فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبد الله بن عبيد الله لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * واسعفنا فى من نحب ونكرم

فقلت له نعمالك فيهم انهما * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى التلويح ورقق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لاجرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولا بد لى من جهله فى وصاله * فهل من حليم اودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر فى الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا يرغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الودائع تستعاد ثم استفهم عن

الحلم

الخل الصالح الذى يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب بقاء حلمه لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج فى ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشأن ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى

قد نفض العاشقون ما صنع الـ ـدهر بالوانهم على ورقه

قوله الدهر فى نسخة الهجر

قصد وصف الخيرى بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلى فى الادماج قوله

لصدق قولك لو حب امرء حجرا * لكان فى الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر فى زمرة النبى صلى الله عليه وسلم فى طى تصديقه الحديث المأثور عنه وبيت العميان

قوله أحيت الخ فى نسخة تحيى بالى الرمم

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا أحاديث مجد طيبة وأدمج فى ذلك وصف الرياض وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

ادمجت شكواى من ذنبى بمدحته * عسالم تشفع لى ياشافع الامم

الشيخ عز الدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعى لا أعلم أين أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتى

وقد عزا دماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غاية قصده وصف الخيرى بالصفرة وأدمج فيه الوان العشاق وانا قصدت شرح الحال فى غرة اه ماج الشوق بواسطة جريان الدمع وأدمجت فى ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

الاحتراس

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد محتصم

الاحتراس هو ان يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك ومثاله فى كتاب الله عز وجل اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل فى البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك فى الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام ودية تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محو معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة تكمل حسنه اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتى لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

فوفنى غير مأمور وعودلى * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفى الدين فى قوله غير مأمور فان لفظة وفنى فى البيت فعل أمر ومرتبة

الآمر فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حبي له يمشي في المفاصل قل * بالاحتراس تمشي البرء في السقم

قلت الشيخ صفي الدين احترس في بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس في وصف الخمرة

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد محتصم

فقولي غير مطرود هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبي صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع في قولي لم أحترس بعدها محاسنها الورى والتكميل بقولي من كيد محتصم هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت في براعة الطلب)

براعة الطلب

(وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو ان يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس دون كشفه كقول أبي الطيب المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدر معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصده وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفي الدين قوله

وقد علمت بما في النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمي

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبي * وأنت أكرم من نطق بلا ولم

وبيت بديعيتي

وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده في العقد)

العقد

(قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير سحرهم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى أخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من أنواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا أخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منها كثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل أبو تمام في كلام عزي به الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو

Digitized by Google

البهائم فعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتوجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفي الدين قوله

ماشب من خصلتي حرصي ومن أملي * سوى مد يحملني في شيبي وفي هرمي

المقصود في هذا البيت من العقد قول النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان ملفظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

عقد اليقين صلاتي والسلام علي * محمد أتمامني بلا سأم

قلت أما الشيخ صفي الدين فاني لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلا ولكن ذكر فيه حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر في شرحه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفي حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وفي الحديث اكثروا من الصلاة علي ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت وبيت بديعيتي

قد صح عقد بياني في مناقبه * وأن منه لسحرا غير سحرهم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

المساواة

(ذكر المساواة)

(ثم مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما في بديعهم)

هذا النوع أعني المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بان قال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن الفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك * واعلم ان البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فاما الايجاز فكقوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب والاطناب في هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقال سبحانه وتعالى في قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل في الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لا يوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الذم لا نقصد

Digitized by Google

وقول زهير

ومهما تكن عند امرء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

وقد مدحت بماتم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * فى الحسن شاهده فى نون والقلم

وبيت بديعى فى المساواة قولى

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم

(وقلت بعده فى حسن الختام)

حسن الختام

(حسن ابتداء ى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى)

هذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه ابن أبى الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلاه خاتمة لكلامهما مع انهما لابد ان يحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى فى الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة فمن المعجز فى ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها * وأخرجت الارض أثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان الصورة الكريمة بدئت باهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى فى سورة عبس * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * اولئك هم الكفرة الفجرة * ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهو المقدم فى فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر فى ختام جواب كتاب كتب به الى معاوية ثم ذكرت ان ليس لى ولا صحابى عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار * وانى مرقل اليك بمجحفل من المهاجرين والانصار * وقد صحبتهم ذرية بدرية * وسيوف هاشمية * عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وماهى من الظالمين ببعيد * واجمعوا بعد ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر * وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل

الى براعة استهلالها وفهم القصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى ان وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحارث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء * مع مشيخة من الشعراء * لا يعلق لهم مبار بغبار * ولا يجرى معهم مجار فى مضمار * فافضنا فى حديث يفضح الازهار * الى ان نصفنا النهار * فلما غاض درّ الافكار * وصبت النفوس الى الاوكار * لمحنا عجوزا تقبل من البعد * وتحضر احضار الجرد * وقد استتلت صبية انحف من المغازل * وأضعف من الجوازل * فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا * حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف * وان لم يكن معارف * اعلموا يا ما آل الامل * وثمال الارامل * انى من سروات القبائل * وسريات العقائل (والفصل الذى عجز الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر * ويسرون القلب ويعطون الظهر * ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد * وفجع بالجوارح الاكباد * وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر * وجفا الحاجب * وذهبت العين * ونفدت الراحة * وصلد الزند * ووهت اليمين * وبانت المرافق * ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت) وهذا الفصل الذى أفحم القاضى عن معارضته قلت فى معناه * وكتبت الى سيدنا قاضى القضاه صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة مجسدة * مشتملة على ذلك جيده * واعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم اخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فر الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وارجع الى ما كنا فيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى) يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت بارواح أهل العلم روضة مشتهى * وهبت بأنفاس العلوم قبولها * ولا زال صدر الدين منشرحا بها * وينهى أن الصدر رأس العلوم * وكم له من فرق دق على الافهام * وهو كالغرة فى جباه الايام * لا زال المجد له حاجبا مقرونا بسعده الشامل * ولا برح يعلم عينا لوجوه المسائل * فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان * وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان * واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود * لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود * وندا جوده الذى اذا جاء الشارب وجد عنده شفاء * وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه * وعنق مكارمه التى الفت من البديع الالتفات * وأوصافه التى غدت على خد الدهر شامات * حتى تبدلت سيئاته حسنات * كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد * من غير أن يقال له ساعد * وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بصنائعه * فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة باصابعه * فلله ندى يمينه الذى لم يزل المعلول به فى بلاد الشام مكفى * وكم فاض منه قلب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما وفى * جبلت على محبته

القلوب فصار حبه ظاهرا فى كل باطن * وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن * ورفع المملوك ادعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال للطيف ذلك المزاج * وأنيسه التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل قلب ابتهاج * لكن تثاقلت عليه أرداف النوى * واسكنت فى وسط قلبه الجوى * وقده الانقطاع بسيفه الذى زاد فى حده * ولكن جار فى قده * ولو حصر المملوك ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه * وهو يعد القلب بالصبر ولكن كما ذكر كعب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كافيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل المجد الذى آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب * فذا غبر العيش الاخضر * وازور المحبوب الاصفر * اسود يومى الابيض * وابيض فودى الاسود * حتى رثى لى العدو الازرق * فخبذا الموت الاحمر * وتلوى من ترون عينه فراره * وترجمانه اصفراره * قصوى بغية أحدهم ثرده * وقصارى امنيته برده * وكنت آليت ان لا ابذل الجرا الا للحر * ولو أنى مت من الضر * وقد ناجتنى القرونه * بأن توجد عندكم المعونه * وآذنتنى فراسة الحوباء * بانكم بنا بيع الحباء * فنضر الله امرأ أبر قسمى * وصدق توسمى * ونظر الى بعين يقذيها الجمود * ويقذيها الجود * قال الحارث بن همام فهمت البراعة عبارتها * ولمح استعارتها * وقلنا لها قد فتن كلامك * فكيف الحامك * فقالت يفجر الصخر * ولا أفجر * فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك * لم نبخل بمواساتك * فقالت لا ريثكم أولا شعارى * ثم لأروينكم أشعارى * فابرزت ردن دوع دريس * وبرزت برزة عجوز درديس * وانشأت تقول

اشكوا الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المتعدى البغيض
ياقوم انى من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
نخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لما غريض
فما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فقيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * اسد الشرى وأساة المريض
فحملى بعد المطايا المطا * وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى * بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس اللؤم نقى رحيض
يطفى نار الجوع عنا ولو * بعذقة من جازرا ومخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذى

فوالذى تعنو النواصى له * يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لى صفحة * ولا تصدّيت لنظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب * واستخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينه الامتياح * وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح * فلما افعوعم جبيها تبرا * وأولاها كل منابرا * تولت يتلوها الاصاغر * وفوها بالشكر فاغر * فاشرأبت الجماعة مدمرها * الى سبرها لتبلو مواقع برّها * فكفلت لهم باستنباط السرّ المرموز * ونهضت أقفو أثر العجوز * حتى انتهت الى سوق مختصة بالانام * مختصة بالزحام * فانغمست فى الغمار * واملست من الصبية الاغمار * ثم عاجت بخلوبال * الى مسجد خال * فاماطت الجلباب * ونفضت النقاب * وانا ألحها من خصاص الباب * وأرقب ماستبدى من الحجاب * فلما انسرت اهبة الخفر * رأيت محيا أبى زيد قد سفر * فهممت بأن أهجم عليه * لاعنفه على ما أجرى اليه * فاستلقى استلقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغردين * واندفع ينشد

ياليت شعرى أدهرى * أحاط علما بقدرى
وهل درى كنه غورى * فى الخدع ام ليس يدرى
كم قد قرت بنيه * بحيلتى وبمكرى
وكم برزت بعرف * عليهم و بنكر
اصطاد قوما بوعظ * وآخرين بشعر
واستفز بخل * عقلا وعقلا بخمر
و تارة أنا صخر * وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا * مالوفة طول عمرى
لخاب قدحى وقدحى * ودام عسرى وخسرى
فقل لمن لام هذا * عذرى قد ونك عذرى

(قال الحارث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره * و بديعة أمره * ومازخرف فى شعره من عذره * علمت ان شيطانه المريد * لايسمع التفنيد * ولا يفعل الا مايريد * فثنيت الى أصحابى عنانى * وأبثثتهم ماأنبته عيانى * فوجموا لضيعة الجوائز * وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز ومازخرفته من الباطل فى نظمها ونثرها الذى خلب كل منهما القلوب وسلب عقول السامعين الى أن بالغوا فى اكرامها فلما كشف لهم الغطاء عن جميع ماغفته وتحققوا أنه بنى على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز * وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل فى هذه المقامة هى قوله ندوت أى حضرت النادى والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصدتنا يقال عراه واعتراه . والمعارف الوجوه والمعارف الثانية من المعرفة وثمال القوم من يقوم بأمرهم وسروات القبائل السرو هو السخاء والمروءة واحد السروات سراة لايجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهى العقيلة السخية

والقلب هنا قلب العسكر ويطون الظهر أى يحملون المنقطع ويولون النسد أى النعمة وأردى اهلك والاعضاد جمع عضد وهو ما يمسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التى تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال وتبا ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أى لم يور ووهت أى ضعفت واليمين القوة والتنية الناقة التى لها ستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أى تكدر وازور مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفؤدى صدغى والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدو الازرق الشديد العداوة والاصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عطاشا وتلوى تابى وعينه فراره أى عيانه يغنيك عن اختباره وفى المثل ان الجواد عينه فراره أى عيانه وقصارى أمره اى آخر امره وآليت أى حلفت وابذل الحر أى الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقى فيها القذى والجود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والحامك بمعنى نظمك الشعر والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار ما فوقه والردن الكم ودرديس من اسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة وتشب توقد وغريض طرى وساعب جائع والجريض الغصص والاسلة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر والبقاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلى تترك والنعاب فرخ الغراب والمهيض الذى كسر بعد جبر وأتح وفق ورحيض مغسول وبذقة أى بجرعة واعشار القلوب أى قطع القلوب وحتى ماحها من دينه الامتياح أى أعطاها من عادته يعطى وافعوعما امتلأ وفاغر مفتوح فاشر أبت تطلعت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والاغمار البله وعاجت عطفت واماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونفضت جردت وخصاص جمع خصاصة وهو الثقب فى الباب وكذلك الصير وفى الحديث من نظر الى قوم من صير باب ففقئت عينه وانسرته انكشفت والخفر الحياء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصد واستلق وقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمغرد بين المطربين والعقيرة الصوت وكنه غورى حقيقة أمرى والخل والجوهنا كنايتان عن الخير والشر وقد حى سهمى وقد حى استخراجى أمره العجيب والمريد العاتى والمرادة العتو وجوا أى سكتوا انتهى تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضى الفاضل فى حسن الخواتم قوله) فى حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفى وهو لا برحت رايانه السود سويدات قلوب العساكر واجنحة الدعاء المحلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لا برحت الاقدار له جنودا * والجديدان يسوقان اليه فى اليلهما واليهما الغداء وعبيدا * ومثله قوله والله تعالى يرد السحب الهاطلة الى الامكنة الجدوبة * والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب * والمسرة الى مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله فى ختام جواب كتاب ناصرى * ولا زال كالئا للاسلام بسيفه الذى جفنه كجفنه ساهر *

ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر (ومنه قوله) والله تعالى يغنى من المكاتبات بلقائه كما أغنى عن بقية الخلق ببقائه (ومن ذلك قول العلامة الشهاب محمود فى ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل * ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل (وصرع) ابن الصاحب امين الدين مرزما وهو من أصناف الطير الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين فى انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة المقدسة الخليفية يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة رسالة بديعة فى هذا المعنى وحسن ختامها أبدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك فى ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ ألزمته الدنيا طائره فى يديه وألزمته الآخرة طائره فى عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذى انشأه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين اماما * وللمعتدين انفصاما * ويطفئ بماء سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن ختام رسالتى التى تقدم ذكرها فى باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التى قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد * وقد دوّمه لو تبدل بالامس * ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس * فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمه * وبدأه فى الدنيا ببراعة الأمن وفى الآخرة بحسن الخاتمه (ومن ابدع الامثلة التى ليس لها مثال فى حسن الختام قولى فى تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن لا يهدى تمر الى هجر * فانتهى الى مشورته اخرج من المبتدا الى الخبر * والله تعالى يديم ركنا لهذا البيت الشريف الذى تطوف الناس حوله ويسعى اليه * ولا برح كلامه فى المشورة لفظا ومعنى تم الفائدة فيه ويحسن السكوت عليه (وقلت فى خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فليباشر ذلك علما وثقة انه من تقرب الى الله بخدمة بيوته فقد فاز * ولا بد ان يصير لديه اجة هذا البيت بحسن توشحه دار الطراز * فقد أسعده الله وظهر له فى توشيح هذا البيت نظم مفيد * ولا ينكر حسن هذا التوشيح للقاضى السعيد * والله تعالى يكرم مثواه فى الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره * ولا زالت أنامل بره تتختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها فى اخباره (ومثله قولى) فى تقريظ كتبته لقاضى القضاة ولى الدين القرشى على كتابه المسمى بعمدة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم * ويجعله لاعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لى بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف سيدى موسى ولد المقام الشريف المؤيدى سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها * وواسطة عقدها * (منها) حملت به أمه وابرزته كشمس الحمل بهجة ونورا * واصبح فؤاد ام موسى فارغا ولكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت) بعيد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة فى مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة بمولد سيدى المقر الاشرف الناصرى محمد ولد المقام الشريف المؤيدى نور الله ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس

قوله من رأس القلم كذا فى النسخ ولعل معناه بدون تفكر اه

الى ان جاء عندى وسألنى الجواب فكتبت تهنئه بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمنى بها كل قلب مانوسا * وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى * فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى أتتهم بها كل حاد وانجد * وعمت بركتها ابراهيم وموسى ومحمد * والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المويدية ليتسلسل كل حديث بسنده * ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال * وينيله من نعمه مالا يخطر قبل وقوعه ببال * ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعد ماذهب رونقه وزال * وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علمه على كل غاد ورائح * ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ماتقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسلك من اقل عبيده * ويودع منثور الدرر ان ينتظم فى سلك عقوده * وذلك انى كتبت للمقر المرحومى الفتحى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى * واعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى * والقوم بانظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم * الى ان صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التغابن وشمت المنافقون * ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم المتحنة فى الحشر * ولم يسمع لهم مجادلة لما فزعوا بالحديد فى هذه الواقعة * ولكن من الرحمن وطلع قمر الامن ولاحظهم نجم السعد وصعد واطور النجاة وكفكفوا ذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيد مدح بها الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وانت بما أملت منك جدير
فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن اوتلك هفوة * على خطامنى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا تزال بك الدنيا ممتعة * بالال والحال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقال ابن نبيه فى ختام قصيدة أشرفية

دمتم بنى ايوب فى نعمة * تجوز فى التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة فى ختام مديح مظفرى

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا ان يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك فى ختام مديح عادلى

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا ابو الياس أو هذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فى ختام مديح مؤيدى

فابق عالى المقام دانى العطايا * قاهر الباس ظاهر الانباء
تمنى عدوك العيش حتى * اتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى رحمه الله تعالى فى ختام مديح نبوى

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام فى الصبح ثم العشاء
ماصبا فى أصائل قلب صب * ذكر الملتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى ختام قصيد نبوى

صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضريحك فى الدجى

ومثلهما قولى فى ختام مديح نبوى ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما فى المديح النبوى وهو

عسى وقفة اوقعدة لابن حجة * على بابكم يسعى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت * وقد رك فى يوم الشفاعة أعظم
وقد ناله فى عنفوان شبابه * هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب فى زمن الصبا * عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فيا وردنا الصافى طيور قلوبنا * عليك اذا ما نابها الضيم حوم

وقلت بعده فى حسن الختام

عليك سلام نشره كلما بدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفى الدين فى حسن الختام

فان سعدت فدحى فيك موجبه * وان شقيت فذنبى موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحى لا أفى أبدا * فاجعل العذر والاقرار محتمى

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

فاجعل له مخلصا من قبح زلته * فى حسن مفتتح منه ومختتم

وبيت العميان فى حسن الختام أبدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت وبيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والختم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعتى

حسن ابتداء ى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العام بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختامه مسك لكونه جاء خاتمة لما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين فى بيته بحسن مبتدا ساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك اعنى البديعية وشرحها اذا ملكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الآداب فانى ما تركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان القلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ما وقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيد أنى أقول وبالله المستعان ان العميان اختصروا جانبا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب فخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ما وقع من غريبه وبديعه وما تقرر من البحث مع المقصر فى نظمه وما يتفرق به شمل مجاميع الادب وينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه ما لا خفيت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

قال المصنف رحمه الله فرغت من تأليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

يقول محرر مبانيها ومهذب مجانيها راجى غفران الاوزار ابراهيم عبد الغفار الجذ لله على حسن الختام والصلاة والسلام على سيد الانام محمد المبعوث من خير أدومة المنتخب من أكرم جرثومه وعلى آله وأصحابه وذريته وأحزابه وقد بذلت الجهد فى تنميقها والتحرى فى ميدان تحقيقها فازهر يانع وردها وصفا رايق وردها وغدت تتيه على بقية كتب الادب بما حوته من فنون الطرب فما المثانى لديها الا معطله وما القينات عند سماع فنونها الا مبتذله اعتنيت بها خدمة لصاحب الدولة السعيدية عزيز الديار المصرية محمد المآثر سعيد المفاخر رب السيف والقلم صاحب الراية والعلم

Digitized by Google

من تبدد به جيش الخاوف وتلاشى سعادة أفندينا محمد سعيد باشا صاحب الحلم والعدالة والهبات الجمة السيانه خلد الله دولته وأعلى في الخافقين صولته ولما حبست عن تهذيبها أدهم اليراعه انطلق يقرظها في ميادين البراعه مثنيا على حسن وضعها ومؤرخا لطيف طبعها فقال وأجاد في المقال

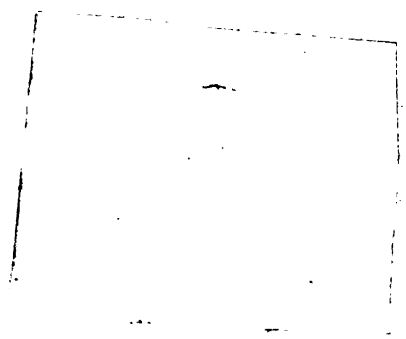
أبدر تم زان حسنا أوجه * فسرا لكن ما أراه أوجه
أم شمس حسن طلعت في دجية * أم زورق من عسجد في لجه
ام روضة غادرها ماء الحيا * نار نجة حمراء أو أترجه
ام جنة تبسمت أزهارها * ام هذه خزانة ابن حجه
وعادة الخزن تضيق مذهبا * وهذه واضحة المحجه
وكامل البديع فيها وافر * وليس ذا يحتاج نصب حجه
ومذ تبدى لطفها بطبعها * وازداد بين الكتب حسن بهجه
قال لسان حالها مؤرخا * هي المنى خزانة ابن حجه

سنة ١٢٧٣

هذا وكان تصحيح هذه الخزانة الادبيه بمطبعة بولاق مصر المحميه تحت ادارة على الهمه المشهور بجودة الرأى في كل مهمه من اذا جرد سيف قلمه وقف كل صاحب علم عند علمه وكان طبعها في أواخر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين بعد الالف والمائتين من هجرة سيد الانام محمد خاتم الرسل الكرام صلى الله عليه وعلى آله وكل ناسج على منواله ماذر قرن الغزاله ودرجت في مسرحها

غزاله آمين

تم



Digitized by Google

(هذه فهرست كتاب خزانة الادب)

صحيفة		صحيفة	
٣	براعة الاستهلال	١٤٣	المناقضة
٢٥	الجناس المركب والمطلق	١٤٣	التصدير
٣٣	الملفق	١٤٥	القول بالموجب
٣٥	المذيل واللاحق	١٤٦	الهجو في معرض المدح
٣٧	التام والمطرف	١٤٧	الاستثناء
٤٤	المصحف والمحرف	١٤٩	التشريع
٤٧	اللفظي والمقلوب	١٥٢	التتميم
٥٩	الجناس المعنوي	١٥٣	تجاهل العارف
٥٥	الاستطراد	١٥٧	الاكتفاء
٥٩	الاستعارة	١٦٤	مراعاة النظر
٦٥	الاستخدام	١٦٧	التمثيل
٦٩	الهزل الذي يراد به الجد	١٦٩	التوجيه
٧٠	المقابلة	١٨٠	عتاب المرء نفسه
٧٣	الالتفات	١٨١	القسم
٧٦	الاقتنان	١٨٥	حسن التخلص
٨٠	الاستدراك	١٩٩	الاطراد
٨١	الطي والنشر	٢٠١	العكس
٨٥	الطباق	٢٠٤	الترديد
٩٥	النزاهة	٢٠٥	التكرار
٩٦	التخيير	٢٠٦	المذهب الكلامي
٩٧	الايهام	٢٠٧	المناسبة
١٠٢	ارسال المثل	٢١٠	التوشيع
١٢٢	التهكم	٢١٢	التكميل
١٢٤	المراجعة	٢١٤	التفريق
١٢٦	التوشيح	٢١٥	التشطير
١٢٨	تشابه الاطراف	٢١٦	التشبيه
١٢٨	التغاير	٢٣٠	التلميح
١٣٧	التذييل	٢٣٥	تشبيه سيئين بشيئين
١٣٩	التفويف	٢٣٦	الانسجام
١٤٠	المواربة	٢٧٥	التفصيل
١٤٢	الكلام الجامع	٢٧٦	النوادر

Digitized by Google

صحيفة		صحيفة	
٢٧٨	المبالغة	٤٥٧	التسهيم
٢٨١	الاغراق	٤٥٨	التطريز
٢٨٣	الغلو	٤٥٩	التبكيت
٢٨٦	ائتلاف المعنى مع المعنى	٤٦٠	الاوداف
٢٨٧	نفى الشئ بايجابه	٤٦١	الايداع
٢٨٩	الايغال	٤٧٩	التوهيم
٢٩٠	التهذيب والتأديب	٤٨٠	الالغاز
٢٩٣	مالايستحيل بالانعكاس	٤٩٣	سلامة الاختراع
٢٩٥	التورية	٤٩٨	التفسير
٤٣٥	المشاكلة	٤٩٩	حسن الاتباع
٤٣٦	الجمع مع التقسيم	٥٠٣	الموادرة
٤٣٧	الجمع مع التفريق	٥٠٤	الايضاح
٤٣٧	الاشارة	٥٠٥	التفريع
٤٣٨	التوليد	٥٠٧	حسن النسق
٤٤٠	الكناية	٥٠٧	التعديد
٤٤١	الجمع	٥٠٨	التعليل
٤٤٢	السلب والايجاب	٥٠٩	التعطف
٤٤٣	التقسيم	٥٠٩	الاستتباع
٤٤٥	الايجاز	٥١٠	الطاعة والعصيان
٤٤٦	المشاركة	٥١١	المدح فى معرض الذم
٤٤٧	التصريع	٥١٢	البسط
٤٤٨	الاعتراض	٥١٢	الاتساع
٤٤٨	الرجوع	٥١٣	جمع المؤتلف والمختلف
٤٤٩	الترتيب	٥١٤	التعريض
٤٥٠	الاشتقاق	٥١٤	الترصيع
٤٥١	الاتفاق	٥١٦	السجع
٤٥٢	الابداع	٥٢٩	التسميط
٤٥٣	المماثلة	٥٣٠	الالتزام
٤٥٤	حصر الجزء والحاقه بالكل	٥٣١	المزاوجة
٤٥٥	الفرائد	٥٣١	التجزئة
٤٥٥	الترشيح	٥٣٢	التجريد
٤٥٦	العنوان	٥٣٢	المجاز

Digitized by Google

صحيفه		صحيفه	
٥٣٣	ائتلاف اللفظ مع المعنى	٥٥٤	السهوله
٥٣٣	ائتلاف اللفظ مع الوزن	٥٥٧	حسن البيان
٥٣٤	ائتلاف المعنى مع الوزن	٥٥٨	الادماج
٥٣٥	ائتلاف اللفظ مع اللفظ	٥٥٩	الاحتراس
٥٣٥	التمكين	٥٦٠	براعة الطلب
٥٣٦	الحذف	٥٦٠	العقد
٥٣٨	التدبيج	٥٦١	المساواة
٥٣٩	الاقتباس	٥٦٢	حسن الختام

فهذه الانواع البديعية مائة واثنان وأربعون نوعا

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

2271
.459
.352

Library of



Princeton University.

Digitized by Google